الدكتور عبد الجليل التميمي



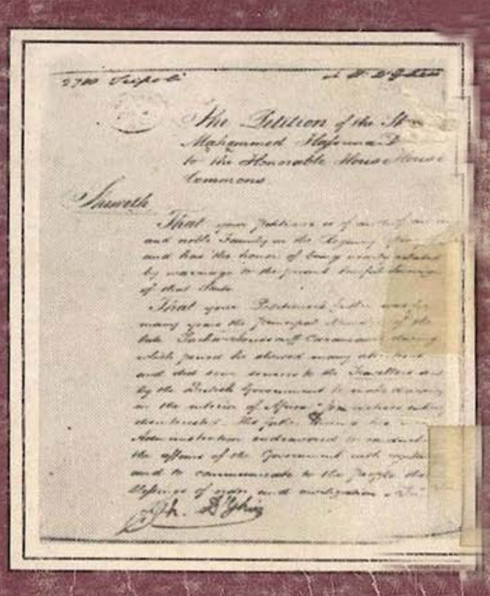
بحوث ووثائق





في التاريخ المغربي

1816 ~ 1871



The Petition of the ...
Mahommed ...
to the Honorable House of Commons

Sheweth

That your Petitioner is of ... and noble Family in the Regency ... and has the honor of being nearly related by marriage to the present ... of that State

That your Petitioner's father was for many years the principal Minister of the late ...

الدار التونسية للنشر

الدكتور عبد الجليل التميمي



تقديم

روبار منتران

أستاذ التاريخ الحديث بجامعة اكس ان بروفنس «فرنسا»

الدار التونسية للنشر

الطبعة الاولى ـ مارس 1972

قدم هذا العمل كأحد الاجزاء الثلاث للرسالة التى أعددتها لنيـل درجـة دكتوراه الدولة فى التاريخ الحديث من جامعة أكس أون بروفنس (فرنسا) ٠

أما الجزءان الآخران للرسالة فهما :

1 ـ حكم الحاج أحمد باى وشرق الجزائر من 1830 الى 1837 ٠ (مخطوط بالفرنسية) ٠

2 ـ فهرس الدفاتر العربية والتركية بالجـزائر ٠ (مخطوط بالعـربية والفرنسية) ٠

للمــؤلــف

— *Trois lettres de Ḥādj ᶜAḥmed de Constantine à la Sublime Porte*, in, R.O.M.M., n° 3, pp. 133-152, Aix-en-Provence, 1967.

ترجمة هاته الدراسة نشرت بمجلة تاريخ وحضارة المغرب ، عدد 9 الجزائر ، 1970 :

ـ ثلاث رسائل للحاج أحمد باى قسنطينة الى الباب العالى ٠

— *Documents turcs inédits sur le bombardement d'Alger* en 1816, in , R.O.M.M., n° 5, pp. 111-133, Aix-en-Provence, 1968.

— *Réflexions sur les relations* d'ᶜAbdelḳāder *avec la Sublime Porte et l'Angleterre* en 1840-41. Communication présentée au Colloque de la " Settimana-Maghrebina " à Cagliari (Italie), 22-25 mai 1969, in, *Atti Della Settimana Maghrebina*, pp. 151-171, Cagliari, 1970.

— *Considérations nouvelles sur la révolution* d'ᶜAlī Bin Ghaḍāhum , in, R.O.M.M., n° 171-185, Aix-en-Provence, 1970 .

ترجمت هاته الدراسات الثلاث ونشرت ضمن هذا الكتاب ٠

ـ السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر 1827 ـ 1847 ٠

وهى ترجمة رسالة الاستاذ آرجمنت كوران من التركية الى العربية ، منشورات كلية الآداب بالجامعة التونسية ، ص٠ 125 ، تونس ، 1970 ٠

Recherches et Documents d'Histoire Maghrébine, la Tunisie, l'Algérie et la Tripolitaine de 1816 à 1871.

وهو النص الفرنسى لهذا الكتاب ٠

ـ فهرس الدفاتر العربية والتركية بالجزائر ٠

— *Inventaire des registres arabes et turcs d'Alger.*

هذان الكتابان الأخيران تحت الطبع ٠

— *Ḥādj ᶜAḥmed Bey et le Constantinois* de 1830 à 1837.

ما زال مخطوطا فى آنتظار نشره ٠

إلى وَالِـدَيَّ

مقدمة

ان تاريخ الجزائر منذ سنة 1830 قد اعتمد في كتابتـه ، على الوثائق الفرنسية بوجه خاص والاوروبية بوجه عام : وتاريخ تونس ، هو الاخر ، قد اعتمد في كتابته على نفس المصادر ٠

ودون ان نجحد اهمية وجهات النظر الاوروبية لتاريخ شمـال افريقيا ، فانه من جهة اخرى يجب علينا ان لانهمل وجهة النظر العثمانية والتي ـ والحق يقال ـ قد تركت جانبا وبصورة مطلقة

غير انه يجب ان لا ننسى ان الجزائر وتونس وطرابلس الغرب كانت تعتبر من الاجزاء المتممة للامبراطورية العثمانيـة ٠ ان عددا من الروابط تشهد بذلك ، وعليه فانه من الصعب جـدا ان نقبل تصور عدم الاهتمام ، ولمدة طويلة ، بمعطيات الوثائــق التركيـة ٠

ان عددا من المؤرخين ، كانوا يذهبون الى التفكير بان وثائق وزارة الخارجية الفرنسية والبريطانية مثلا ، والمتعلقـة بالباب العالي ، تكفي لتوضيح وجهات النظر العثمانية ، تجاه تاريخ شمال افريقيـا ٠

غير انه تجدر الملاحظة هنا ، ان ذلك لا يدرس العلاقات بـين الجزائريين والتونسيين والاتراك ٠

وبالتاكيد ، اننا لا نذهب الى القول : ان دراسة الوثائق التركية ستمكننا من نظرة جد اصيلة وجديدة لهذا الميدان ، ولكننا عـلى

اية حال نرى ان تلك الوثائق ستسمح لنا بمقارنة الحوادث بعضها مع بعض ، وبالتالى سيمكننا ذلك من تحليل جديد واكثر وعيـــا لبعض الاحداث التاريخية •

لقد بدأ الباحثون فى استغـلال الوثائق التركيـة المحفوظـة بأستنبول وانقرة ، واليوم اقدم بابتهاج بالغ عمل السيد عبــد الجليل التميمى ، الذى يعد اول مؤرخى المغرب الشبان ، حيــث ادرك عدم الاكتفاء بالرجوع الى المصادر القديمة ، بل على العكس اضاف الى هاته ، الوثائق التى سعى للعثــور عليهـا ودراستها باستنبـــول •

ان مجموع دراساته التى يقدمها هنا ، هو الدليل القاطع عــلى سعة وشمول وثائقه ، وسعة معرفته بهاتــه اللغــات الضروريــه لتعميق مثل هاته الدراسات حول تاريخ الجزائر وتونس الحديث• يمكن لنا ان نعتمد فى المستقبل على السيد عبد الجليل التميمى للعمل على تقدم فن التاريخ ، وانا انتظر منه ان يقدم لنــا فى القريب العاجل ، الحجة القاطعة على ذلك •

سأكون بذلك اكثر سعادة خصوصا وان النداء الذى وجهته منذ سنوات لم يذهب سدى بل قد أستجيب له •

روبــار منتــران
اكس اون بروفنــس
مــــاى 1970

توطئة

هذا الكتاب وضعناه بادىء الامر باللغة الفرنسية ، أيام كنت طالبا بفرنسا ، وقد ظهر أخيرا ضمن مطبوعات كلية الاداب بالجامعة التونسية باللغة الفرنسية • ولشد ما حرصت أن يتم ظهور النسخة العربية قبل ظهور النسخة الفرنسية ، غير أن ظروفا استثنائية خارجة عن ارادتى ، وملابسات الادارة الروتينية ، قد أخرت ظهور هذا الكتاب الذى كان جاهزا منذ أكثر من خمسة عشر شهرا •

وسبب وضعى هذا الكتاب باللغة الفرنسية ، يرجع الى أنه سيقدم كأحد الاجزاء الثلاث للرسالة التى أعدها لنيل درجة دكتوراه الدولة فى التاريخ الحديث من جامعة فرنسا •

وقد قمت بترجمة كتابى الى العربية ، لايمانى العميق بسلامة اللغة العربية وبثراها وطواعيتها الخلاقة على أداء أدق النظريات التاريخية ، بأكمل ما يكون الاداء شمولا وعمقا ووضوحا ، كما انى لست فى حاجة الى الرد على الذين يتنكرون للعربية ويدعون قصورها وعدم ايفائها اداء رسالتها ، اذ نشر هاته البحوث التاريخية بلغة الضاد ، تكفينى مؤونة الرد عليهم •

ولنا أن نتساءل اليوم ، هل تاريخ مغربنا العربى قد كتب ؟ هل مكتبتنا التاريخية العربية لها من المراجع ما يسد حاجياتنا العلمية ؟ هل يمكن الاعتماد على ما كتبه العرب والاجانب وخاصة الفرنسيون ؟

لا أخالنى الا مجيبا بالنفى المطلق ؛ ولعلنى لا أبالغ ان قلت ان تاريخنا الحديث لم يكتب ، وان مكتبتنا التاريخية المغربية خالية تماما من الدراسات العلمية الجادة ، كذلك ما كتبه أخواننا المشارقة ، على الرغم من قلته ، لا يستحق الذكر ، اذ أغلبه يخلو من الطابع العلمى الجاد • أما ما كتبه الاجانب وخاصة الفرنسيون فهو على الرغم من كثرة ما ظهر فى القرن الماضى والحالى ،

فان أقله يستحق الاهتمام ، ذلك أنه من غير الطبيعي أن يختص مؤرخون أجانب في تاريخ بلد ما ، دون معرفة لغة ذلك البلد ، واتخاذها وسيلة لكتابة آثارهم ، ومن المؤسف أن يكون جل المؤرخين المختصين بتاريخ مغربنا ، يجهلون العربية •

يضاف الى هذا أن المؤرخين الأجانب قد اتخذوا من دور وثائق بلادهم ، مصدرا لتآليفهم ، دون أن يدركوا ان الوثيقة العربية بتونس أو الجزائر أو ليبيا ، والوثيقة التركية بآستنبول ، يجب أن تشكل منطلقا لكل الدراسات التاريخية العلمية •

ان الوثيقة العربية الموجودة بتونس مثلا ، والتي تعد بالملايين ، لم يقع استغلالها البتة ، وهي تنتظر من يثير عنها الغبار ، لتكون أساسا لدراسات تاريخية ، وليس من الطبيعي ان يعتمد حتى اليوم على دور الوثائق الاجنبية ، دون الاهتمام لما يمكن أن توفره الوثيقة العربية بتونس أو الجزائر أو ليبيا •

كما أنه من غير الطبيعي أن تهمل دور الوثائق بتركيا ، تلك الدور التي يجب أن تساهم هي الاخرى ، في اقرار أحكام تاريخية ، لما توفره من مصادر بكر للمؤرخين المغاربة وكذلك لمؤرخي الشرق ، الذين تهافتوا على ترجمة مؤلفات الغرب وأمريكيا ، دون الاهتمام بدور الوثائق العثمانية ، والتي والحق يقال ، تشكل أهم مرجع لتاريخ الشرق العربي •

ان مجتمعنا لم يعد في حاجة الى آجترار المعلومات التاريخية ، وعرضها بأساليب مختلفة ، كما أننا لسنا في حاجة الى كتب تاريخية ، تلهب العواطف ، وتلعب بمشاعر الشعوب ، وتجعلها فريسة للصيغ البلاغية المبتذلة ، بل على العكس من ذلك ، ان تاريخ شعوبنا يجب أن يكتب بلغة ارصينة وبروح جديدة ومتفتحة ، وبأسلوب علمي ، يأخذ بالاعتبار المراحل الدقيقة التي مر بها فن التاريخ مضمونا وشكلا ، كما أنه يجب أن تسلط الاضواء على الشعوب التي صنعت التاريخ •

هذه البحوث التاريخية التي أقدمها لقراء العربية وبالاخص لقراء مغربنا العربي ، تريد أن تكون لبنة ومنطلقا لدراسات علمية • لقد طفنا لتأليف هذا الكتاب وجمع وثائقه ، بدور أرشيف تركيا وفرنسا وآنقلترا ، ونقبنا عن الوثيقة التاريخية الام ، سواء أكانت تركية أم فرنسية أو انقليزية فضلا عن الوثيقة العربية ، ثم وضعنا مختلفها في اطار تاريخي مغربي شامل ، محللين مضامينها ، ومستمدين منها العناصر التاريخية الجديدة ، وذاهبين مع عدد من الوثائق الى آخر معطياتها التاريخية •

وقد تبين لنا أنه كلما تنوعت التحريات في دور الارشيف ، وتعددت لغات الباحث ، الا وآزداد البحث ثراء وعمقا وأهمية ، وعليه فان سلاح الباحث اليوم ، غير سلاحه بالامس ، والاعتماد على لغة واحدة ، والغلو فيها ، أصبح نقصا لا يمكن التغاضي عنه •

لقد ترجمنا الوثائق التركية والفرنسية والانقليزية الى العربية ، متوخين الحفاظ على روح الوثيقة الاصلية ؛ ولعل أعسر ما يعترض الباحث ، هو مسؤولية نقل المعلومات التاريخية من لغة الى لغة أخرى ؛ وقد حاولنا ، بكل أمانة ودقة ، المحافظة على روح الوثيقة • ويعلم الله كم صرفنا من وقت للتدقيق فى ترجمة بعض النصوص وخاصة من اللغة التركية القديمة والتى كانت تتطلب مزيدا من المعرفة اللغوية والتصور التاريخى لتطور بعض الكلمات وذلك لادراك أبعاد الوثيقة التاريخية ، هذا فضلا عن معميات بعض الفقرات والتى آستوجبت منا التأنى والصبر لحلها •

ومع هذا فنحن لا ندعى الكمال لكل ما قمنا به من أبحاث وترجمة ، ونأمل أن تؤول الأخطاء التى قد يعثر عليها ، لحسن نيتنا ، ذلك اننا ما حدنا لحظة عن ان نكون نزهاء في أعمالنا ، وهي لعمرى أول الواجبات التى يجب أن يتحلى بها كل باحث ، فضلا عن المؤرخ الحق •

ان نشر الوثائق يخضع في الحقيقة لقواعد ثابتة ، ولعل أهمها يتمثل فى آثبات النص الأصلى للوثيقة مهما كانت لغتها مصحوبة بصورة فوتوغرافية •

ومن حسن الحظ أن وثائق هذا الكتاب الفرنسية والانقليزية قد نشرت ضمن مطبوعات كلية الآداب والعلوم الانسانية بتونس • أما نصوص الوثائق التركية والمحررة بالأحرف العربية وهو ما آصطلح عليه بـ « آسكى تركشه » فقد آستحال على اثبات نصوصها وذلك لانعدام أبجديتها فى تونس ، كما ويعسر العثور عليها حتى فى تركيا نفسها بعد حملة التتريك وقلب أبجدية اللغة التركية الى اللاتينية على يد أتاترك سنة 1928 • وقد اكتفينا بنشر صورة فوتوغرافية للوثيقة •

إن الأبحاث العلمية لتاريخ مغربنا العربي يحتاج إلى جهود باحثي ومؤرخي المغرب جميعا ، وسأكون سعيدا اذا ساهم هذا العمل المتواضع في خلق تعاون مثمر بناء بين جامعاتنا ومعاهدنا العلمية ، كما أؤمل أن يجد طلاب جامعة

تونس والجزائر وليبيا ، في هذه الأبحاث ما يعزز لديهم الـرغبة في البحث ، لنعمل جميعا على تنقية تاريخ شعوبنا وكتابته ، إذ ذلك يعد واجبـا تفرضه علينا معطيات عصرنا الحديث •

***

سوف لا أتناول بالحديث عن النتائج التي توصلت اليها في هاته الابحاث ، غير أنني أدع ذلك للقارىء ، فهو الحكم الاول والاخير ، وأنا أنتظر منه النقد البناء النزيه ، أنى كان مصدره •

لا أنسى وأنا أقدم هذا العمل أن أرفع شكري لحافظي الوثائق باستنبول وباريس واكس اون بروفنس ولندن ، للمساعدة التي قدموها الى ، وللصبر الذي اظهروه تجاه تعدد طلباتي ؛ شكري للاستاذ كلود كاهين (Claude CAHEN) الذي كان أول من وجه اهتمامي لهذا الميدان ؛ امتناني للاستاذ روبار منتران (Robert MANTRANN) ، الذي ما فتىء يرعى دراساتي وأبحـاثي ، وللسيـد بيار بواييي (Pierre BOYER) محافظ الوثائق باكس اون بروفنس ، والذي وجدته منه كل مساعدة ؛ كمـا أقـدم شكـرى لصديقي الأستاذ عبد الحفيظ منصور الذي ساعدني على فهرسة قسم من هذا الكتاب •

عبد الجليل التميمي

تونس في 20 جويلية 1971

الاصطـــلاحـــات

أ. ح. ت. :	ارشيف الحكومة التونسية بالوزارة الأولى بتونس .
: A. E.	ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية بباريس .
: A. M. G.	ارشيف وزارة الحربية بفنسان (باريس) .
: A. N.	الارشيف الوطني بباريس .
: A. O. M.	الارشيف الوطني لما وراء البحار بآكس أون بروفنس (فرنسا) . وهو الارشيف الذى كان بالجزائر ، ونقل الى فرنسا قبيل آستقلال الجزائر .
: B. A.	ارشيف رئاسة الوزراء باستنبول .
: B. M.	المتحف البريطاني بلندن .
: E. I.	دائرة المعارف الاسلامية ، الطبعة الجديدة .
: F. O.	ارشيف وزارة الخارجية البريطانية بلندن .
: H. A.	ارشيف وزارة الخارجية العثمانية باستنبول .
: H. H.	خط همايون .
: Ibid	المصدر السابق .
: Op. cit.	نفس المصدر .
: R. A.	المجلة الافريقية .
: R. O. M. M.	مجلة الغرب الاسلامى والبحر الابيض المتوسط .
: R. T.	المجلة التونسية .
: S.	القسم السياسى بأرشيف وزارة الخارجية العثمانية بآستنبول .

I

مِن الجديد في انتفاضة 1864 بتونس

من الجديد في آنتفاضة سنة 1864 بتونس

يمثل احتلال الجزائر على يد فرنسا ، عدم فاعلية التبعيـة السياسية بين السلطان من جهة والولايات العثمانية الافريقية من جهة اخرى ، ذلك ان الباب العالى بعدم استطاعته استرادد الجزائر ، كان يعكس ضعف النفوذ السياسى٠
الا ان الباب العالى استفاد من تلك التجربة ، وقرر ان يكون اكثر حزمـا وفاعلية بضم ولاية تونس وطرابلس الغرب اليه مباشرة ، حتى يقيهما مصير الجـزائر ٠

وقد نجح الباب العالى سنة 1835 فى اسقـاط حكـم اسـرة القرمـانليين بطرابلس الغرب ، الا انه فشل ان يجعـل من تـونس ولايـة تابعـة للادارة العثمانية ؛ ذلك ان فرنسا باحتلالها الجزائر ، قد فتحت عهدا جديدا لتوسعها الاستعمارى ، ولضمان نجاحها ، حالت دون سقوط تونس في يد العثمانيين ، وعملت جاهدة على ان تحتفظ لنفسها باولية النفوذ السياسى والاقتصادى فى البلاد ، حتى يتسنى لها تأمين الضفة الشرقية للجزائر ، وكانت تشجع ولاة تونس على ان يكونوا مستقلين فى ادارة بلادهم ، محذرة ايـاهم من التبعيـة العثمانية ٠

اما انقلترا فهى الاخرى بعد ما شهدت مسرحية احتلال الجزائر ، ووعـود القادة الفرنسيين بالتخلى عنها بعد انعقاد مؤتمر اوروبى يحدد مستقبل ادارة البلاد وعدم قيامهم بذلك ، قد قررت ان تحول دون سقـوط تـونس في يـد الفرنسيين ، وان تعمل على ربطها بالبلاد العثمانية ٠

ومن هنا كان تأثير اختلاف مشارب النفوذ السياسى الاجنبـى على قـادة البلاد ، الاثر العميق فى اتباع سياسة اتسمت بالجفاء تجاه البـاب العـالى ، وبمحاباة فرنسا واتخاذها صديقة للبايات ، تجنبا لسوء التفاهم ، واتقاء لمصير الجزائر ؛ وبذلك اعتبر البايات قناصل فرنسا ، كالمستشارين ، واصبح هؤلاء يملون ارادتهم واوامرهم على البايات فى شتى امور الدولة ؛ وعليه فان سياسة

الاصلاح المتعثرة والمرتجلة التى سنها احمد باشا ، وطبيعة الحكم الفردى الذى اتسم به بايات تونس ، وضخامة مصاريف حاشية القصر ، وسرقات اموال الدولة على يد بن عياد وخزندار ونسيم ، وضآلة واردات البلاد ، واجحاف جائبى الضرائب باستعمالهم وسائل القسوة ضد الشعب ، كل هذه العوامل (1) كانت اساسا مباشرا لنقمة الاهالى على سياسة البايات مما جعل الشائعات تروج بكثرة فى جنوب تونس منذ 3 جويلية 1963 ، من ان السلطان سيتدخل لاخضاع تونس تحت إدارته المباشرة (2) .

لقد عاشت حكومة محمد الصادق باى ازمة مالية فى اواخر سنة 1863 ، كان من اثارها ، اتخاذ قرار مضاعفة الضرائب الشخصية .
هز هذا القرار جموع الشعب قاطبة ورفضته الاعراب عن بكرة أبيهم ، وعمت البلاد موجة من السخط على الحكام ، سرعان ما انقلبت الى حركة شعبية نادت بشعارات اتحدت فيها كلمة الاعراب ومطالبهم ، الشىء الذى جعل حاكم قسنطينة ، يذهب الى الاعتقاد بان وراء اتحاد هاته الحركة التلقائية والتى شملت كامل البلاد ، ايادى خفية قد عملت منذ زمان بعيد ، على اثارة البلاد بهذا الشمول الذى لم يعرف سابقا (3) .

والحقيقة ، لم يسجل تاريخ بلدنا اثناء العصور الحديثة ، وعيا شعبيا هز كيان الاهالى ضد حكامه الذين اثقلوه بالضرائب ، وأنهكوا قواه ، مثل هاته الانتفاضة التى تظافرت جهودها على المطالبة بالغاء الزيادة فى الضرائب وتعيين حكام من المواطنين عوض الموالى الذين اساءوا اليهم بامتصاص دمائهم ، كما طالبوا بالغاء قانون عهد الامان ، وبالمحاكم الجديدة التى تطيل فى فصل قضاياهم الطويلة ، والذى جرهم سابقا الى التخلى عن زراعتهم وبيعهم وشرائهم (4) وكما اتفق قسم منهم على تعيين على بن غذاهم بايا عليهم .

من هو على بن غذاهم ، ولماذا تكاتفت جهود الانتفاضة حول شخصه،فاصبح بجسم الانتفاضة ويوجه مصيرها لفترة من الزمن ، ولماذا خلعت عليه الاعراب ، دون غيره ، لقب باى العامة ؟

---

(1) احمد بن ابى الضياف ، **اتحاف اهل الزمان فى اخبار ملوك تونس وعهد الامان** ، ج . 5 ، ص. 126 ــ 128 ، تونس ، 1964 .

(2) **A.O.M.** ، **ملف رقم 35 H** ، رسالة حاكم قسنطينة الى حاكم الجزائر العام .

(3) **المصدر نفسه** ، رسالة موجهة بتاريخ 29 افريل 1864 .

(4) **B.A.** ؛ **ملف رقم 78** ، احتلال الجزائر وتونس ، من تقرير حيدر افندى رقم 2 ، المرسل الى السلطان بتاريخ 15 ذى الحجة 1280/22 ماى 1864 . راجع الوثيقة رقم 2 المنشورة آثر هاته الدراسة ، ص . 44 ــ 58 .

ينعت ابن أبى الضياف ، على بن غذاهم بشىء من الاحتقار من انه « رجل من اولاد مساهل ، من عامة من ينسب نفسه الى العلم ، وقصارى أمره ، معرفة حروف الكتابة ولم يكن له قدم فى امرة ولا شهرة » (5) .

الا ان سى محمد العيد (6) شيخ الطريقة التيجانية بتماسين ، عندما سألته السلطات الفرنسية اثناء الانتفاضة ، هل يعرف على بن غذاهم ، اجاب « بانه يعرفه جيدا ، وانه من خيرة احباب الطريقة التيجانية ، لقد كان قاضيا وعزل ، وهو مثقف جدا ، ولم يعرف عنه ، انه اشتغل ا واهتم بالسياسة »(7) .

ولما فر على بن غذاهم الى الجزائر ، وضعته السلطات الفرنسية تحت الرقابة عند اولاد عبد النور ، بضواحي قسنطينة ؛ وهناك ادعى على بن غذاهم انه طبيب وولى صالح للطريقة التيجانية ، وكان ذلك سببا فى ازدحام الاعراب عليه من كل جهة حتى اصبح بيته ، سوقا من كثرة الزوار الذين قصدوه من اقاصى الجنوب ، تبركا به كولى صالح ، وبطبه اذ اظهر معرفة جيدة بهذا الفن ، وكسب ثقة الاعراب جميعا (8) .

هذا المظهر الجديد من حياة على بن غذاهم يكشف لنا النقاب عن سر نجاحه بتونس وآنتخابه بايا للعامة . فمما لا شك فيه ، أن على بن غذاهم رجل مثقف وقارىء ، قد وهب حياته خدمة للطريقة التيجانية وبفضل اتصالاته الشخصية بامام هاته الطريقة ، سى محمد العيد ، كسب بسيرته قبائل ماجر ، ولما فوجىء الناس بزيادة الضرائب ، بعد تأزم الوضعية الاقتصادية ، عبروا عن رفضهم لادائها ولو ادى ذلك الى ابادتهم . وعندما تناهت الى اسماع الاعراب ، سخط بقية الاهالى من تلك الزيادة ، ارتاءت قبيلة ماجر ، ان تتخذ من الرجل الصالح على بن غذاهم ، (9) وسيطا بينها وبين الباى ، وليرفع اليه عدم قدرة الاهالى على الدفع ، ويطالبه بالغاء ذلك (10) .

---

(5) احمد بن الضياف ، **نفس المصدر** ، ج 5 ، ص. 121 .

(6) سى محمد العيد كان يمثل المذهب الروحي للطريقة التيجانية بمدينة تماسين بالجزائر ، انظر : **RINN, Louis, Marabouts et Khouan** ص . 430 ، الجزائر 1884 .

(7) **A.O.M.** ؛ **ملف رقم 35 H** ، ثورة على بن غذاهم ، رسالة من حاكم قسنطينة الى حاكم الجزائر العام بتاريخ 12 أوت 1864 .

(8) **المصدر نفسه** ، تقرير من المكلف بالتحقيق فى هروب على بن غذاهم من الجزائر الى تونس ، والمرسل الى حاكم قسنطينة بتاريخ 26 ديسمبر 1865 .

(9) **A.M.G.** ؛ **ملف رقم MR 1695** تونس ، من التقرير الذى كتبه كمبنون (Campenon) قائد البعثة العسكرية بتونس ، الى وزير الحربية الفرنسى بتاريخ 2 جويلية 1864 والذى يقول فيه : « اعلم ان على بن غذاهم محاط بشىء من الاعتبار الدينى وانه يعمل على تعزيز ذلك الشعور لدى الاعراب » .

(10) انظر : **ABUN - NASR, M. Jamil, The Tijanyya, p. 86; Oxford, 1965.**

لم يكن في حساب الثائرين ولا على بن غذاهم نفسه ، ان الامر سيتطور الى حد خطير ، فقد عمل على بن غذاهم بادىء الامر ، على تحديد مطالب الاعراب في اجتماع عام ابرم معهم العقد : « على ان القصد بهذا الاجتماع هو الاستعفاء من هذا الاداء الثقيل الذى لا قدرة عليه ، واذا غصبنا عليه بالقتال ، تكون يدنا في المدافعة عن النفس والمال والحرم واحدة ، ولا يتعرض منا احد لنهب اموال الناس بالحرابة ، ومن تعرض تكون يدنا عليه واحدة ، لان كلامنا مع الدولة واخواننا المسلمون يعذروننا ، فاذا تعرضنا لاخذ اموال الناس ، صرنا حربا لله وللسلطان، ولا يعذرنا احد، بل تتوافر الدواعي على قتالنا والله معهم ...... وبهذه السياسة ، كف ايدي الاحداث ، وكبح اهل الفساد ، وكاد ان ينزع ما في ادمغة العربان من العدوان والنهب الذى اعتادوه » (11) .

أليست هاته التعاليم مستوحاة من مبادىء التيجانية نفسها ؟ ولهذا اتسمت الحركة ، في بادىء امرها ، بالاعتدال والاستقامة والشرعية .

الا ان مجرى الحوادث ، واتحاد القبائل جميعا ضد السلطة المحلية التى عجزت عن القيام باى عمل لصد الثورة ، قد فرضت على على بن غذاهم ، ان ينتهز المبادرة ، فكاتب الاعراب في القيروان وسوسة والجنوب ، وطلب منهم اتحاد كلمتهم ، لانهم على حق ، واخذ ينتقل بين الكاف والقيروان ، حتى طار صيته ، ونادت به الاعراب بايا لها ، واظهر آنذاك من الحنكة ما مكنه من السيطرة على تلك الجموع الغفيرة ، وقد ادعى على بن غذاهم انه كان سلطان البلاد ، وانه كان يدير سبعين ألفا من الجنود والخيالة وله ألوية خاصة (12) .

ويضيف كمبنون ، ان على بن غذاهم ، كان على علاقة بسي محمد العيد ، الرئيس الديني ، وان على بن غذاهم كان يطلعه على كل مشاريعه (13) .

وتكشف لنا وثيقة اخرى ، ان سي محمد بن ابراهيم ، الذى يعد هو الآخر من اخوان الطريقة التيجانية وأحد اقرباء محمد بن مناصر ، رئيس الزاوية العيساوية ، كان الواسطة بين الطرفين ، حيث كان يبلغ رسائل على بن

---

(11) احمد بن ابى الضياف ، **نفس المصدر** ، ج. 5 ، ص. 122 .

(12) **A.O.M. ؛ ملف رقم** H 35 ، من التقرير الذى حرر عن هروب على بن غذاهم من اقامته عند قبيلة اولاد عبد النور بضواحي قسنطينة ، والمرفوع الى حاكم قسنطينة بتاريخ 26 ديسمبر 1865 .

(13) **A.M.G. ؛ ملف رقم MR 1695 تونس** ، من التقرير الاخير الذى كتبه كمبنون بتاريخ 2 جويلية 1864 والذى ارسله الى وزير الحربية الفرنسي ، قبل ان يستدعى الى فرنسا بطلب من الباى ، الذى استنكر تدخله السافر في شؤون البلاد ، انظر : **A.E. ؛ ملف رقم 22 تونس** ، رسالة الباى بتاريخ 15 افريل 1864 .

غذاهم الى الزعيم الروحى للطريقة التيجانية بتماسين ، ثم الى رئيس الزاوية العيساوية والى ابن حمزة (14) .

وفى الجزائر عدد على بن غذاهم لقاءاته مع اخوان الطريقة التيجانية ، مدعيا انه ولى صالح وطبيب وسلطان تونس و « قد اراد ان يوفد مبعوثين له الى تونس لتلقى المعلومات بواسطة اخوان الطريقة المبثوثين فى جنوب قسنطينة والمخلصين له باعتباره احد اعضائها البارزين والمتمتع بنفوذ كبير بينهم ، وبذلك كان على بن غذاهم لا يحدثهم الا عن سالف سلطته وقوته والجنود الذين كانوا فى خدمته ، ولا يفتأ يعبر عن أمله ، ان يصبح يوما ما ، على رأس الحكومة التونسية » (15) .

ان التقارير السرية الفرنسية تذهب الى الاعتقاد بان على بن غذاهم قلد سى محمد بن مناصر عباءة التولية ، وان هذا الاخير ، وعد على بن غذاهم ، ان يثير اولاد سى حمادى واولاد سى عبد الملك واولاد سيدى الشيخ ، ليقفوا الى جنبه ويساندوه (16) ، خصوصا وان اولاد سيدى الشيخ فى ثورة عارمة ضد الفرنسيين فى نفس السنة (17) .

ومما يؤكد هذا الاتجاه ، اختيار مصطفى خزندار المصيب ، لاستمالة على بن غذاهم عندما طلب من شيخ الطريقة الرحمانية ، مصطفى بن عزوز ، ان يتوسط للصلح ، وقد نجح هذا الاخير فى مهمته .

ولما قبل على بن غذاهم الصلح ، كتب الى الباى يقول : « انا محسوب شريف وصاحب طريقة ، نريد الفضل من الله ثم منك ، انك تتفضل عنا (كذا)

---

(14) .A.O.M ؛ ملف رقم 23 H H ، ثورة الجنوب بقسنطينة سنة 1864 ، من التقرير الذى ارسله قائد الجيش بمدينة تبسة الى حاكم الجزائر العام بتاريخ 25 أكتوبر 1864 .

(15) .A.O.M ؛ ملف رقم H 35 ، من التقرير الذى ارسل الى حاكم قسنطينة عن هروب على ابن غذاهم الى تونس والمرسل بتاريخ 26 ديسمبر 1865 .

(16) المصدر نفسه ؛ تقرير من رئيس فرقة الجيش بتبسة الى حاكم قسنطينة بتاريخ 21جانفى1865

(17) .A.M.G ؛ ملف رقم MR 1695، تونس ، رسالة من وزير خارجية فرنسا الى وزير الحربية بتاريخ 13 افريل 1864 والتى جاء فيها:«ليس فى استطاعتنا حتى الان ان ندرك اهمية الحوادث التى تجرى الان بتونس ، وما اذا كانت ستؤثر مباشرة على مصالحنا بالشمال الافريقى ، ولا نعرف ايضا هل هاته الحوادث لها اتصال ما ، بالاضطراب الذى وقع اخيرا بالجزائر (ويقصد بذلك ثورة اولاد سيدى الشيخ) .

بهنشير الروحية لنستعان به على زاوية أبو (كذا) القطب الاعظم السيد احمد التيجانى » (18) .

تقرر الوثائق التى تمكنا من دراستها ، عدم وجود خطة سياسية او عسكرية لعلى بن غذاهم ، ولا كان يخطط لمستقبل البلاد لو وصل الى الحكم ، ولكنه نجح بفضل نفوذه الدينى ووعوده المعسولة التى كان يلقيها على مسامع البدو ، من ان ينتخب كما قال هو عن نفسه « رئيسا لاجل مصلحة الجميع ، ونهى الظالم عن المظلوم [حتى] نقف عند باب الحق بقدر الاستطاعة (19) ... » وكما ثار الناس : « لرفع المظالم ونهى البغاة والعمال التى طالت ايديهم عنا من وجه ما ذكر ، وما اصابنا من خرق العادات السلطانية الماضية وتبطيل عاداتهم العربية ... » (20) .

ان سرعة الاحداث التى توالت فى غرب الايالة ، وغارات قبيلة الفراشيش

---

(18) B.A. ملف رقم 78 ، رسالة من على بن غذاهم الى محمد الصادق باى بتاريخ 17 صفر 1281 / 22 جويلية 1864 . راجع الوثيقة رقم 11 . ص . 81 ـ 82 .
ومن جهة أخرى ، فلقد عثرنا على بعض أوراق على بن غذاهم الشخصية ، عندما القت سلطات الباى القبض عليه فى أرشيف التونسية بدار الباى بتونس ، ومن بين هانه الاوراق والحروز ، وجدنا قصيدتين سنقتطف بعض أبياتها ، وهى تدل دلالة قاطعة على انتماء على بن غذاهم الى آخوان الطريقة التيجانية :

يا سيدى احمد يا تيجانى	آتينى من أقصى الابعادى
يا شيخ اقدم وآرعانى	وأنا بالصوت عليك النادى
بالك تغفل وتنسانى	ياروح قلبى ، ثمرت أفادى
يا كمالت عقلى ، نور أعيانى	فى الدارين عليك آسنادى
بجاه رب البلادى	والرسول العدنانى
والشيخ البغدادى	عبد القادر الجيلانى ...
... يارب ، يا احمد التيجانى	قنا البلية وأعف بلا خسران
وأعطف علينا كل سلطان ووزير	وحاكم كبير وصغير

اما القصيدة الثانية فنقتطف منها ما يلى :

يارب ، يا عظيم الشأن	يا قديم يا باقى
ان تعطف عنى مولى الشأن	احمد التيجانى ...
... يا شيخ راه عليك الدوم	ان تفرج كربتى
وجلى عنى ذا الغيم ، نرى النجوم	وتجمع لى عيلتى
حتى نصير مثل القمرة	تضوى على الجبال
بالله يا ساداتى ، تعطونه طله	نراكم بأعين الشيخ الكامل
يارب أجعلنى منهم بسرك يا رحمان	انا وأحبابى والوالدين لاتنسان

راجع هاتين الوثيقتين : أ. ح. ت ، ملف رقم 1049 ، صندوق رقم 185 .

(19) المصدر نفسه .

(20) المصدر نفسه .

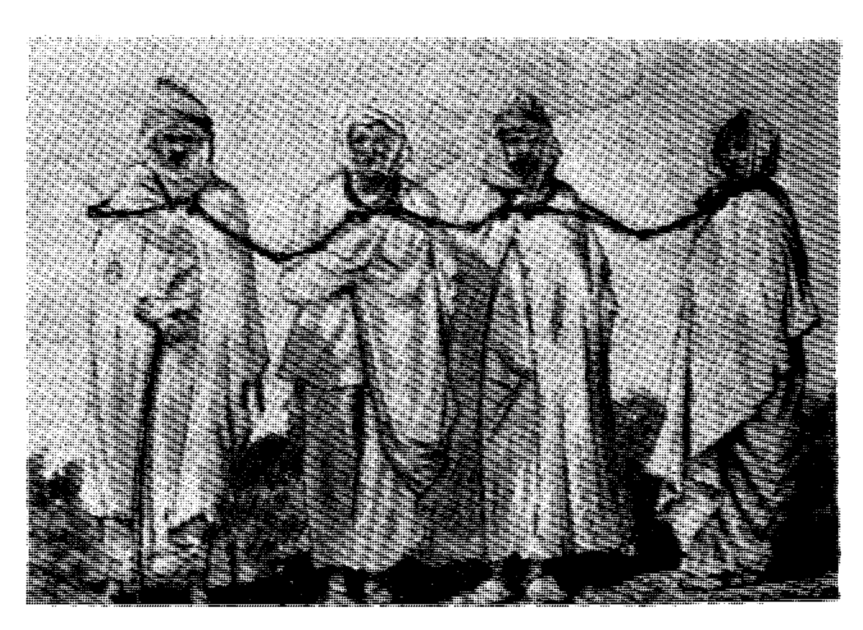


الشكل رقم 1 ـ علي بن غذاهم ·

مجلة الاذاعة التونسية 20 ـ 4 ـ 64



الشكل رقم 2 ـ ختم علي بن غذاهم ٠
أ٠ ح٠ ت ، ملف رقم 1094 ٠



الشكل رقم 3 ـ سجناء تونسيون ٠
LALLEMAND, Charles, La Tunisie, pays de protectorat français, p. 188.

على منطقة تبسة (21) واولاد سيدى يحيى بن طالب ، ومقتل فرحات ، عامل الكاف ، وتحزب القبائل وراء على بن غذاهم وسريان ذلك فى بطون القبائل والمطالب العادلة التى نودى بها ، كل هذه العوامل حولت الانظار اليه ، حتى عد الزعيم بلا منازع .

وعندما لوحظ فقدان التوازن بين الثوار فى كل مناطق الايالة ، وانفراد كل مدينة بنزعتها الثورية ، وتشكل مجلس فى كل من القيروان وصفاقس لادارة مدنهما ، وطرد عمال الباى من كل المدن ، ما عدا العاصمة التى سلمت من ذلك ، ثم عجز السلطات عن مقاومة شرعية الانتفاضة وعدم وجود جيش ليقوم بذلك ، كل هذه العوامل دفعت قصر بـاردو الى الرجـوع فى قـرار زيـادة الضرائب . وعلى اثرها اخذ الباى يراسل المشائخ ورؤساء المـدن مطمئنـا اياهم ، ومؤكدا لهم الرجوع الى قيمة الضرائب القديمة . وقد اتبع مصطفى خزندار (22) سياسة فرق تسد ، والتظاهر بقبول الامـر الواقـع ، وتحقيـق

---

(21) A.O.M. ؛ ملف رقم H 35 ، من التقرير الذى ارسله حاكم قسنطينـة الى حاكـم الجزائر العام بتاريخ 21 ماى 1864 والذى جاء فيه : « ان قبيلة الفراشيش اغارت بتاريـخ 19 ماى على منطقة تبسة وقد اسروا بعض الجزائريين ، ولما اطلقوا سراحهم ، حملوا احدهم رسالة جاء فيها : « اذا كنتم مسلمين ، فلن نمسكم بسوء ، اما اذا كنتم مع المسيحيين ، فاننا سنهجم عليكم مع سيدنا على بن غداهم على راس 40 الف من الخيالة » .
اما الغارة الثانية ، فكانت بتاريخ 3 جوان على اولاد سيدى يحيى بن طالب فقد بعث الفراشيش اليهم برسالة مضمونها ان على بن غذاهم يدعوهم لتاييده . واذا لم يستجيبوا اليه،فسيتعرضون لغضبـه !
هل كان على بن غذاهم يفكر فى اثارة القبائل الجزائرية لمساندته حسبما يقرره حـاكـم قسنطينـة ؟
ان فرضية كهاته ، بعيدة الاحتمال ، ذلك ان على بن غذاهم قد ارسل كتابا الى حاكم تبسة يطمئنه على حسن نواياه ويخبره ان القنصل دى بوفال ، قد كتب اليه اخيرا ، وسوف لـن يحصل الا الخير للطرفين كما ويطلب منه ان يخبره عن الاشخاص الذين أساؤوا اليه،ليعاقبهم .. انظر : A.O.M. ؛ ملـف H 35 ، رسالة على بن غذاهم الى حاكم قسنطينـة بتاريـخ 10 جـوان 1864 .

(22) A.O.M. ؛ ملف رقم H 35 ، ثورة على بن غذاهم ، كتب الضابـط النقيـب فنيـرول (Vignerol) الى حاكم الجزائر العام بتاريخ 10 جوان 1864 يخبره : « لقد علمت مـن مصدر موثوق به ان نبأ هاما لم يخطر على بالكم قط قد وصلنى اخيرا ، ذلك ان خزنـدار ، عدونا الحقيقى ، قد تحصل على الجنسية الفرنسية ، ان هذا العمل الذى قام به ليون روش (Léon Roche) (القنصل الفرنسي السابق) هو الهدية الاخيرة لوجوده بتونس ، فقـد سلم اثر مغادرة تونس ، اوراق التجنس الى خزندار » .
ان صح هذا القول ، وهو ليس ببعيد ، فان خزندار الذى امتص دماء الشعب بتعاونه مـع كثير من المشبوهين ، يكون قد دلل فعلا ، على انه كان يخطط للهروب سرا ، يوما ما بثروته الطائلة . يبقى الان التحرى لمثل هذا الراى وتحقيق المسالة ودراستها .
اما القنصل العثمانى بترن (Turin) ، فقد كتب تقريرا الى دولته يخبرها فيه ، نقلا عن تقرير نائب القنصل العثمانى بترابونى (Traponi) بتاريخ 2 جوان 1864 ، ان مصطفى خزندار قد ارسل شخصا ، بتاريخ 21 ماى 1864 ، الى مدينة ترابونى ، ليبـــرق بالنيابة عنه ، عددا من البرقيات الى وزير خارجية فرنسا ! انظر : H.A. الملف السياسى رقم 44 ، تونس .

شعارات الثوار ، وفى نفس الوقت ارسل خزندار اليڤرو (Allegro) ، قنصل الباى بمدينة عنابة ، الى القبائل الثائرة ليثير فيها النعرة القبلية ، حتى يتسرب لها الملل وتضعف مقاومتها ، ويتحول بذلك اهتمامها الى مشاكل اخرى ، ووقتها يتسنى تأديبها ، والقضاء على الانتفاضة شيئا فشيئا (23) ٠

لقد نجحت سياسة خزندار فى القضاء على تلك الانتفاضة وتسنى له بحملات تخريبية فى طول البلاد وعرضها ، ان يخنق انفاس الانتفاضة وينتقم من اعدائه شر انتقام ، بالاعدام تارة ، وبالضرب حتى الموت تارة اخرى ، وقد حمل البلاد ، فى تلك الفترات العصيبة من تاريخها ما لا طاقة لها به ، حين فرض عليها ضروبا من الاداءات ، استنزفت كل ما بقى من ثروة البلاد ٠

اما على بن غذاهم ، فادرك ان المؤامرة التى حيكت ضده ، قد أتت ثمرتها ، وان عجلة الزمان لا تدور الى الوراء ، فولى آنذاك الى الجزائر هاربا ، تصحبه اكثر من ثلاث آلاف خيمة (24) تنشد السلم والراحة ، وتستعيذ من الظلم الذى ألحقه بها الحكام ٠

وعندما اكتشفت السلطات الفرنسية نشاطه السرى بالبلاد ، وخاصة مراسلاته بتونس ، والذى استعمل فيها الالغاز ، وكيف اصبح مقصد الزوار جميعا بكسبه عطف اولاد عبد النور ، قررت ان تضعه تحت الرقابة المباشرة فى قصر الضيافة بقسنطينة فى انتظار نقلته الى وهران ، حتى يؤمن شرق الجزائر من انتفاضة جديدة على الحدود بين البلدين ٠

ولما ادرك على بن غذاهم انه لم يعد يستطيع ان يقوم باى عمل ، خصوصا وان القبائل التى التجأت الى الجزائر ، اجبرتها السلطات الفرنسية على تسليم كل ما لديها من سلاح ، قرر على بن غذاهم الرجوع الى وطنه ، بهروبه من قصر الضيافة ٠

وقد تدارس حتما ، قبل ان يقوم بذلك ، موضوع رجوعه الى تونس مع

MARTEL, André, Louis ARNOLD et Joseph ALLEGRO
Consuls du Bey de Tunis à Bône PP. 96 - 97, Tunis, Paris, 1967.

(24) .A.O.M ؛ ملف رقم H 35 ، ثورة على بن غذاهم ، الرسالة التى بعث بها حاكم قسنطينة الى حاكم الجزائر العام بتاريخ 12 جانفى 1865 .

سي معمر (25) أخ شيخ الطريقة التيجانية سي محمد العيد ، واتفق ان هـذا الاخير يدعى عزم السفر على الحج ، واثناء مـروره بتـونس ، يلتجىء على بن غذاهم الى كنفه ليطلب له الأمان من الباى • غير أن الباى عندما قبض على على بن غذاهم ، وعد شيخ الطريقة بالحفاظ على حياته ، مقرا بذلك سجنه الـذى وجد فيه الموت مسموما !

ان على بن غذاهم لم يكن الشخصية القائد لتلك الثورة ، فقد اخـل بهـا وخانها حين كان الآخرون يستميتون فى الدفاع عنها •

ان على بن غذاهم بقبوله الصلح مع قصر بـاردو ، قد ضـرب الثـورة فى الصميم وعجل خنقها وموتها •

يتعذر علينا فى مثل هاته الدراسة السريعة ان نأتى بالبحث على كل دقائق لانتفاضة ومضاعفاتها ، ذلك ما نأمل ان نقوم به المستقبل •

ولنتعرض الآن الى سياسة الباب العالى تجـاه تـونس وتأثيـر سيـاسة قناصل الدول الغربية على مجرى الحوادث •



كانت سياسة القنصل الانقليزى وود (Wood) مع حكـام باردو اكثر تبصرا وادراكا للواقع ، فقد استطاع بروحه وخبرته الشرقية ان يكسب اليـه مصطفى خزندار وان يلعب دورا سريا لضرب النفوذ الفرنسي وعزله تماما عن حكام باردو (26) وبذلك تمكن من ان يعقد معاهدة سرية ، يضمن بهـا حـق المواطنين الانقليز ، شراء الملكية بتونس (27) •

---

(25) **المصدر نفسه** ، عندما زار سي معمر على بن غذاهم عند اولاد عبد النور ، ساله على بن عذاهم : « هل يجب على أن احرث ؟ » رد عليه سي معمر : « نعم ولكن تان ، ولا تخش شيئا ، لقد اعطونى زعمائك الامان على حياتك ، ساكتب من جهتى الى باى تونس ، وقريبا باستطاعتـك الرجـوع الى وطنـــك » .
نلاحظ استعمال على بن غذاهم للالغاز في احاديثه ، وذلك خشية المخابرات الفرنسية التى احاطت به فى كل مكان .

(26) **GANIAGE, Jean, Les origines du protectorat français en Tunisie, pp. 242 - 246, Tunis, 1959.**

كذلـك :

SAFWAT, M. Mohamed, A British Consul General in Tunisia, Richard Wood, 1856 - 1879.

مجلة كلية الآداب بجامعة فاروق ، ج. II ، القاهرة . 1944 .

(27) **A.M.G.** ؛ **ملف رقم MR 1695 تونس** ، كتب كمبنون الى وزير الحربية تقريرا بتاريخ 17 جانفى 1964 جاء فيه : « ان الاتفاقية الانقليزية كانت نتيجة لظهور قانون عهد الامـان ، وعليه ، فان عدم العمل بالقانون المذكور ، سيؤدى ولاشك الى الغاء تلك الاتفاقية .. »

هذا الامتياز والحظوة التى تحصل عليهما وود ، احفظ القنصل ليون روش (Leon Roche) ثم دى بوفال (de Beauval) • وقد صمم هذا الاخير عندما تعين قنصلا بتونس ، ان يعمل على ترميم سياسة ومكانة فرنسا ، ويضمن لها الاولية فى التأثير على حكام باردو • ويحق لنا ان نتساءل ، هل كان دى بوفال يسعى لتحقيق الامال العراض التى تداعب خيال الامبراطور نابليون الثالث (Napoléon III) ؟

كان نابليون الثالث يطمح ، بعد ان اعتق الامير عبد القادر الجزائرى من منفاه بفرنسا ، ان يجعل منه امير دولة عربية فى الشرق ، تقوم على انقاض ممتلكات الرجل المريض ببلاد الشام (28) •

اما بالنسبة لتونس وطرابلس الغرب والجزائر ، هل كان نابليون يفكر فى اقامة مملكة عربية تضم هاته الولايات الثلاث ؟ (29) •

ان مسالة دقيقة كهاته ، لم تدرس بعد ، وذلك لعدم وجود وثائق تكشف لنا النقاب عن ذلك ؛ ولكننا هنا سوف نحاول دراسة بعض الخطوط العامة لسياسة نابليون بالجزائر وتونس •

كان نابليون يرى ان الجزائر ليست مستعمرة عادية بالنسبة لفرنسا ، ولكنها مملكة عربية ، كما كتب بذلك الى حاكم الجزائر العام المرشال بليسييى (Pélissier) فى 1 نوفمبر 1861 (30) •

وكان يلقب نفسه بامبراطور العرب والفرنسيين عندما كتب إلى بليسييى « بان الجزائر ليست مستعمرة بالمعنى الصحيح ، ولكنها مملكة عربية ، فان

---

(28) AGERON, Charles-Robert, **Abdelkader, Souverain d'un état arabe d'Orient**, in. Mélanges André FUGIER, 1968. Cahiers d'histoire, T. XIII, p. 1 - 2.
ص. 19 ـ 26 ، راجع ايضا دراسة المؤلف الثانية والتى القاها فى المؤتمر الثانى للدراسات المغربية المنعقد باكس اون بروافنس ما بين 27 ـ 29 نوفمبر 1968 :
ABDDELKADER, **Souverain d'un royaume arabe d'Orient**, in R.O.M.M. العدد الخاص ، 1970 ، أكس اون بروافنس (فرنسا) .

(29) MARTEL, André, **Les Confins Sahara - Tripolitains de la Tunisie** ص. 119 ، تونس ، 1965 .

(30) GUIRAL, Paul et BRUNO, Raoul, **Aspects de la vie politique et militaire en France à travers la correspondance reçue par le Maréchal Pélissier**. ص. 333 ، باريس ، 1968 .

رعايا الجزائر لهم الحق الكامل لرعايتى كما هو بالنسبة للمستعمرين ، فانا امبراطور العرب والفرنسيين على حد سواء ... » (31) .

وعندما عين محمد الصادق باى ، يوسف اليڤرو ، قنصلا له بمدينة عنابة ، فان سياسة الامبراطور بقبولها ذلك ، لم تعط اى صبغة رسمية لكل وكلاء الايالة كما هو معلوم لدى الباى (32) .

ولا شك ان الامبراطور الذى كان يدرك ضعف عرى الصلة بين تونس والباب العالى ، وضيق الازمة الاقتصادية التى اودت بالبلاد الى الافلاس ، قد دفع الى الاهتمام بمصير تونس والواقعة على حدود ممتلكاته ، وهو الذى ارسل جيوشه للقيام بحملات استعمارية ضد الصين وضد المكسيك ، رغم اعلان مذهب منرو الشهير .

كان نابليون الثالث رجل المؤامرات والمشاريع السرية ، وكان يعشق ذلك ، فكثيرا ما اتخذ جواسيس له فى شتى امور الدولة لتنفيذ قرار ضد سياسة وزرائه. والذى يهمنا هنا ان دى بوفال كان يدين بقرار تعيينه قنصلا بتونس الى مدام كورنو (Mme Cornou) مفتاح اسرار الامبراطور .

كان دى بوفال يراسل سرا مدام كورنو بانتظام ، ناقلا لها انطباعاته عن وضعية تونس ، التى يمكن ان تكون هدفا لانجاز مشروع نابليون .

ففى رسالة من دى بوفال الى مدام كورنو ، يصرح علانية ، متحدثا عن الثورة وشمول اندلاعها بانه : « يكون من اللائق للامبراطور ، ان يجمع فيما بعد ، كل القبائل التونسية فى فيدرالية عربية صغيرة (petite confédération arabe) ففى هذا المشروع تكمن فكرة المستقبل » (33) .

كما صرح دى بوفال لمحمد الصادق باى : « بان عطف جلالة امبراطور فرنسا على الجزائريين ، لمرآة صادقة تعكس فيها احساساته نحو الايالة التونسية » (34) .

---

(31) **المصدر نفسه** ، ص . 336 ، ارسلت تلك الرسالة بتاريخ 6 فيفرى 1863 .

(32) ص. 93 . MARTEL, André, Louis ARNOLD... op. cit.,

(33) EMERIT, Marcel, **La révolution tunisienne et le secret de l'Empereur, R.T.,** المجلة التونسية ، عدد 39 — 40 ، ص. 1939 — 1940 .

(34) **وثائق تونسية ، ثورة على بن غذاهم 1864** ، ج. 1، ص. 17 ، تونس ، 1967 .

واثناء الثورة ، شاع فى شرق الجزائر الرأى بان « أصابع الامبراطور وراء هاته الثورة ، وان التـأثير على الجمـاهير التـونسية كان بواسطـة الجنرال دوفـو (Desvaux) وان هاته الفكرة اصبحت اليوم ، اليقين الراسخ ، لـدى قناصل انفلترا والنمسا واسبانيا » (35) ٠

اما وزير الحربية الفرنسى ، فقد اصدر اوامره بخصوص مهمـة الضـابط النقيب فينيورول (Vignerol) الى السفر الى تـونس ليقـوم : « بـدراسات تاريخية ، هدفها العثور على اثار الاحتلال الرومانى بتونس ٠٠٠ هاته الابحاث التى لا تخلو من فائدة ، ستمكننا من وضع خريطة للبلاد ، توضح المدن ونقاط المراكز الحساسة (36) ، التى استعملها الرومان عندما اصبحوا سادة البلاد ، كما تبين لنا المسالك التى كانت تنتهج للتجارة سابقا » ٠

كذلك ، كان حاكم قسنطينية ، يود استغلال الازمة بتونس ، حتى يتمكن من ضبط الحدود التونسية الجزائرية ، الا ان وزير الحربية الفرنسى ، عارض هذا الراى : « لا اعلم ما هى التغييرات التى يمكن ان تدخل على الحدود منـذ سنة 1844 ـ 1846 واظن ان الوقت ليس مناسبا لادخال هذا التحوير » (37)٠

هل كان نابليون يخطط بضم تونس الى الجـزائر حتى يتمكـن من انشـاء المملكة العربية التى يود ان تقوم على انقاض مخلفات النفوذ التركى بالمنطقة ؟

ليس من السهل البت فى هذا الامر ، ولكنا من ناحية اخـرى ، نـرى من العناصر المتعددة التى ذكرناها سابقا ، ما يدفعنـا الى احتمـال قبـول تلـك الفرضية ، ولا نرى ابلغ من سياسة دى بوفال على ذلك !

كان هذا الاخير يرى فى قيام الانتفـاضة تعلـة لتـدخله حتى يتسنى لـه الاطاحة بخزندار (38) الذى اظهر له عداء مستحكما ؛ وقد طلب من الباى ،

---

(35) NOUSCHI, André, **Correspondance du Docteur A. VITAL avec I. URBAIN,** ص. 110 ـ 111 ، الجزائر ، 1958 .

(36) **A.O.M. ؛ ملف رقم H 35 ، المسائل التونسية** ، من التقرير الذى ارسله الجنـرال مرتنبرى (Martimprey) الى حاكم الجزائر العام بتاريخ 31 ماى 1864 .

(37) **A.O.M. ؛ ملف H 23 ، 11 ثورة قسنطينة 1864** ، رسالة من وزير الحربية الفرنسى الى حاكم قسنطينة بتاريخ 20 جوان 1864 .

(38) **F.O. ؛ ملف رقم 102/72** ، يلخص لنا القنصل وودفى تقرير طويل بتاريخ 26 نوفمبـر 1864 مطالب القنصل الفرنسى من الباى : 1) : الغاء كل المعاهدات الاجنبية ، 2) : عـزل الوزير الاول مصطفى خزندار ـ 3) ـ عزل مستشارى الباى الست المتنورين ـ 4) ـ الغـاء قانون عهد الامان . 5) ـ عدم الترخيص بالامتيازات لمشاريع اجنبية واقتصادية ، قبل الحصول على موافقة فرنسا مسبقا ـ 6) عدم السماح مطلقا استقبال او ارسال رد من اوانى الباب العالى.

تنحيته من رئاسة الوزراء في مقابلة اتسمت بالتحدي (39) ثم اخذ على عاتقه ، مساندة الثورة ، ضاربا الصفح عن تعليمات وزير خارجيته الذى نهاه عن التدخل باى شكل من الاشكال ، ما لم تمس الانتفاضة ، حياة المواطنين الاوروبيين ، فارسل الى علي بن غذاهم (40) عدة رسائل يشجعه على مواصلة حركته وينبهه الى الاخطاء التى ارتكبها خزندار مع القنصل وود ضد الشعب ، ويعده بالنصر ، وان جلالة امبراطور فرنسا يشد ازره ، لانه يؤمن بشرعية مطالبه (41) .

فبعد ان عدد ، في رسالة الى علي بن غذاهم ، مساوىء الحكم ، اخلص الى القول : « هذه الامور الفاحشة الذى (كذا) لا يرضاها من له شفقة على ابناء جنسه ، لهذا اشتد غيض دولتي وعزمها بارسال الشقوف الحربية لاجابتكم بعزل الوزير البائع ، ولا يلزم اهل عمالتكم هذه الفواحش شيء (كذا) كما يلزمنا ان نبين لكم ان اجتهاد دولتي فرنسا الفخيمة ، مصروف في مصالح جميع الاقاليم ، وخصوصا في عمالة تونس التى هي مجاورة للجزائر » (42) .

كان دي بوفال يرى ان نجاح الحركة الشعبية ، سيؤدى حتما الى عزل خزندار واحلال النفوذ الفرنسي المكانة الاولى ، وكان يكتب الى وزير خارجيته ، متحدثا باطناب وتفاؤل عن شمول الحركة ومدى ما حققته من نجاح، وكان يعزو سبب الاضطراب الى سياسة مصطفى خزندار والقنصل الانقليزى وود الذى كان يتآمر ليتخذ من تونس ، « في احتمال نشوب حرب ، قاعدة حربية وعسكرية ضد الجزائر ، اما في اوقات السلم فان مساعى الحكومة

---

(39) لقد ارسل الباى الى السلطان ، تقريرا عن هاته المقابلة ، انظر **B.A.** ؛ **ملف رقم 78** ، **احتلال الجزائر وتونس** . راجع الوثيقة رقم 2 المنشورة اثر هاته الدراسة ، ص. 44 ـ 58 . يجدر بنا هنا ان نلاحظ : لو ان الباى او وزيره قام بحركة غير لائقة ، كأن رفض مقابلة دى بوفال ، او تجرأ باتهامه ومناوشته ، لأتخذ دى بوفال من ذلك ذريعة للتدخل الفعلى . ان التاريخ يعيد نفسه وذكرى نتائج المروحة مازالت عالقة بالاذهان !

(40) لقد عثرنا على نسخ من هاته الرسائل التى ارسلها الباى الى السلطان ، كدليل على ما قام به قنصل فرنسا من تدخل سافر فى شؤون البلاد الداخلية ، بمساندته على بن غذاهم وقد استغل عالى باشا ، وزير خارجية الدولة العثمانية ، تلك الرسائل مخبرا وزير خارجية فرنسا بما قام به قنصله بتونس ، وقد ترتب عن ذلك ، عزل دى بوفال فى مطلع السنة الجديدة .

(41) **A.O.M.** ؛ **ملف رقم H 35** ، من المحضر الذى حرر فى التحقيق عن هروب علي بن غذاهم من قصر الضيافة بقسنطينة بتاريخ 26 ديسمبر 1865 ، وقد صرح علي بن غذاهم : « بان الحكومة الفرنسية وعدته الكثير ، ولكنها لم تف بذلك ولم تقم باى شيء تجاهه ، بل قد اخلت بــه » !

(42) **B.A.** ؛ **ملف رقم 78** ، رسالة وجهها دى بوفال الى علي بن غذاهم بتاريخ 25 ذى الحجة 1/1280 جوان 1864 . راجع الوثيقة رقم 6 المنشورة اثر هاته للدراسة ، ص. 67 ـ 71 .

الانقليزية ، تقتصر على اجتماع كلمة الدول الكبرى ، للحفاظ على حياد تونس ، ومعنى هذا ، ان نكون نحن الفرنسيين ، فى المرتبة الثالثة او الخامسة بدل ان نكون اصحاب النفوذ الوحيد فى البلاد ... » (43) .

ان وضعية تونس كانت خطيرة جدا عندما تقاطرت على موانئها سفن فرنسا وايطاليا وانقلترا . وكانت هناك خطة عسكرية مشتركة بين هاته الدول الثلاث لاحتلال تونس العاصمة اذا هاجم الثوار ، الاحياء الاوروبية ، وقد عرض الضابط النقيب فنيورول ، المكلف بوضع خريطة للبلاد ، على حاكم الجزائر العام مراحل تحقيق ذلك ، والخطة العسكرية التى اتفق على تنفيذها ، وفى آخر التقرير يطلب من رئيسه : « هل يكون من الصواب او من الممكن اذا نفذنا ذلك ، ان نقدم على حرب شوارع ؟.. » (44) .

وايطاليا هى الاخرى ، قد اظهرت اهتماما بالغا لما يجرى بتونس ، عندما ارسلت عددا ضخما من سفنها للحيلولة دون سقوط تونس فى يد الفرنسيين .

اما وزير خارجيتها ، فقد صرح فى مجلس الشيوخ الايطالى : « بان بلده ، يتطلع الى البحر الابيض المتوسط ، وان المستعمرة الايطالية بتونس ، تشكل اكبر مستعمرة ايطالية على الاطلاق ، ولذا فان الحكومة ستتبنى سياسة تراعى فيها مصالحها دون ان تفكر فى القيام بحملة عسكرية على البلاد » (54) .

ومن جهة اخرى ، فان ايطاليا قد ارسلت سرا ، ضابطين هما ريشى (Ricci) وريبولا (Ribolla) وقد كلفا بالقيام بتحقيقات حول المراكز الحساسة والقلاع الداخلية ، وجمع كل المعلومات للتحضير ، تحت طى الكتمان ، احتلال مدينة تونس (46) .

نعطف الآن بالحديث على مظهر آخر لهاته الثورة ، وهو موقف الباب العالى والسياسة التى تنباها تجاه الحوادث .

---

(43) **A.O.M.؛ ملف رقم** H 35 ، رسالة من دى بوفال ارسلت الى حاكم قسنطينة بواسطة كمبنون بتاريخ 20 أوت 1864 .

(44) **المصدر نفسه** ، من التقرير الذى كتب الضابط النقيب فنيورول الى حاكم الجزائر العام بتاريخ 6 جوان 1864 .

(45) **H.A. ؛ الملف السياسى رقم 44 تونس** ، من التقرير الذى كتبه قنصل الباب العالى بتورن (Turin) الى وزير خارجية الباب العالى بتاريخ 16 جوان 1864 .

(46) **A.M.G. ؛ ملف رقم MR. 1695 تونس** ، من التقرير الذى ارسله كمبنون الى وزير الحربية الفرنسى بتاريخ 19 جوان 1864 .



الشكل رقم 4 ـ مصطفى خزندار .

قصر الرئاسة بقرطاج .



الشكل رقم 5 ـ محمد الصادق باشا .

قصر الرئاسة بقرطاج

عندما نمى الى وزارة الخارجية التركية ، خبر اندلاع الثورة ، وسقوط الباى وتعيين احد الاعراب واليا على البلاد (47) وعدم اتصال الدولة العثمانية باى تقرير من الوالى ، بودر بارسال حيدر افندى (49) ، السفير بطهران ، للتحقيق فى المسألة محملا بتعاليم سرية (49) .

كان الباب العالى يصرح فى تعليماته السرية لحيدر افندى ، انه لم يعترف بوراثة الحكم فى السلالة الحاكمة بتونس كما هو الشان بالنسبة لمصر ، وانه يرغب فى التدخل فى هاته النواحى من اراضيه منذ استيلاء فرنسا على الجزائر (50) ، التى اصبحت قاعدة حربية ضد تونس وطرابلس الغرب (51) ، الا ان صراحة موقف فرنسا وخشيتها من وقوع تونس تحت الادارة العثمانية المباشرة ، حال دون تحقيق ذلك (52) وعليه فان على حيدر افندى ، ان يتصرف بحكمة في تنشيط وتأكيد تبعية الوالى الجديد للدولة العلية .

ولما حل حيدر افندى بتونس، اتصل بمحمد الصادق باى، وبعض القناصل المعتمدين بالبلاد ؛ وفى مقابلاته مع الباى ، صرح هذا الاخير متحدثا عن موقف فرنسا : « بأى صورة تبعث به فرنسا وباسلافه ، ان وضعية تونس خطيرة

---

(47) **H.A.** ؛ **الملف السياسى رقم 44 ، تونس** ، من البرقية التى ارسلها جميل باشا ، سفير الباب العالى بباريس الى وزير خارجيته بتاريخ 23 افريل 1864 .

(48) **قانياج ، نفس المصدر** ص ، 242 كتب قنصل فرنسا دى بوفال الى وزير خارجيته متحدثا عن حيدر افندى : « لم ادخر وسعا فى استجلاب حيدر افندى لوجهة نظرنا ، تلك الشخصية ذات الوزن الخفيف جدا والتى وجهها السلطان للقيام بدور فى تونس ، لانسبة ولا مناسبة بينه وبين المهمة الاستطلاعية التى ذكر من البداية انه مكلف بها » .

(49) لم نعثر على تعليمات الباب العالى عندما كلف حيدر بهاته المهمة الاستطلاعية ولكننا عثرنا على التعليمات السرية التى ارسلها الباب العالى الى تونس ، اثناء وجود حيدر بها ، وهى على اية حال ، تعكس بدقة سياسته تجاه تونس ! راجع الوثيقة رقم 9،8 المنشورة أثر هاته الدراسة ص. 74 — 78 .

(50) **H.A.** ؛ **ملف رقم 707 ، تونس** ، راجع ايضا ، ترجمتنا لا طروحة السيد ارجمنت كوران ، **السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسى للجزائر ، 1827 — 1847** ، ص 91 — 92 او 104— 106 ، نشر كلية الآداب والعلوم الانسانية بالجامعة التونسية ، تونس ، 1970 .

(51) **H.A.** ؛ **الملف السياسى ، رقم 44 تونس .**

(52) كان الباب يفكر فى التدخل فى تونس ، كلما سنحت له الفرصة ، وظهور هاته الثورة كان عاملا مقنعا لمحاولة ذلك ، انظر :

MANTRAN, Robert, **Le statut de l'Algérie de la Tunisie et de la Tripolitaine dans l'Empire Ottoman,** p. 211, in, Atti Del I congresso internazionale di Studi Nord - Africani, Cagliari 22 - 25 gennario, 1965.

جدا ولا بد من ايجاد مخرج لذلك » (53) ثم اخلص الى القول : « على انه اذا امنت لى بعض الشروط ، وجعل الحكم وراثيا كمصر ، لماذا لا أكون مطيعا للباب العالى والسلطان بقدر ما يفعله المصريون ؟ » (54) ٠

وبذلك يتضح لنا ، كيف كان الباى واتباعه يعملون جاهدين للحفاظ على العرش ! لقد حلل حيدر افندى الوضعية بمزيد من الامانة والدقة ، وكان يرى ان العائلة المالكة قد بالغت في اسراف اموال الدولة ، حتى اودت بالبلاد الى الافلاس والخراب ؛ وان البلاد كانت محط تنافس القنصلين الانقليزى والفرنسي ، اذ اسباب عداوتهما ترجع الى انهما يراقبان نفوذ بعضهما البعض (55) ٠ وعليه لانقاذ البلاد من السقوط فى ايدى الفرنسيين ، لا بد من الوصول الى تسوية للمسألة التونسية ، خصوصا و « ان الدولة الانقليزية تعمل على تدعيم حقوق الباب العالى بتونس ، الشىء الذى سيدفع فرنسا ان تنظر الى هذا العمل بحسد لضياع مصالحها ونفوذها ، وسوف لن تصبر على ذلك » (56) ٠

لقد تكاتف حيدر افندى مع القنصل وود ، الذى اظهر اخلاصا للباب العالى ولمصالحه في اتباع سياسة تتماشى مع مصالح الطرفين ٠ اما مع القنصل الفرنسي دى بوفال فان حيدر افندى ما فتىء يشتكى من تصرفاته الغير اللائقة ، وتحديه له وتدخله فى شؤون البلاد ، وكان يرى انه « لو تخلى الطرف المستفيد من الثورة (ويقصد بذلك دى بوفال) عن مقصده اللعين ، بتشجيعه الثوار ، لما طرأ على أمن مدينة تونس شيئا ولزالت اثار هاته الثورة مع مرور الايام » (57) ٠

لقد اثار وجود حيدر افندى بتونس ، احساس الجماهير الدينى والعاطفى تجاه السلطنة العلية،كما ان النخبة المستنيرة من البلاد، والمستديمة على قراءة جريدة « الجوائب » الصادرة فى استنبول باللغة العربية (58) ، واطلاعها على

---

(53) B.A. ؛ ملف رقم 78 ، تقرير حيدر أفندى رقم 2 ، المرسل الى السلطان بتاريخ 25 ذى الحجة 1280/12 ماى 1864 .

(54) المصدر نفسه .

(55) المصدر نفسه .

(56) المصدر نفسه .

(57) B.A. ؛ ملف رقم 78 ، من التقرير رقم 4 الذى كتبه حيدر افندى بتاريخ 18 ذى الحجة 1280/25 ماى 1864 ، والمرسل الى السلطان ، راجع الوثيقة رقم 5 المنشورة اثر هاته الدراسة ، ص 64 ـ 66 .

(58) ممثل جريدة الجوائب بتونس هو : الحاج حسن اللازغلى ، لقد نشرت الجريدة بتاريخ 15 ذى الحجة 1280/22 ماى 1864 ، فصلا عن الانتفاضة التى اندلعت بتونس .

احداث العالم ، قد دفع الشعب للتعبير عن تعلقه بالسلطان في المساجد والشوارع ، وذهبوا الى حد مناداتهم بسقوط الباي ، واحلال السلطان محله بصفاقس وسوسة ، تعبيرا عن نقمتهم ، وعدم ارتياحهم للوضع القائم (59) وقد نجح اهل الساحل في جمع الاموال لشراء المدافع والسلاح ، وارسلوا وفدا عنهم الى جزيرة مالطة ، ليقلع منها الى الباب العالي ، للتعبير عن ولائهم للسلطان ، الا ان حيدر افندي ، راسلهم سرا ، واخبرهم انهم : « اذا ارادوا عدم الخروج عن طاعة السلطان ، فعليهم ان ينقادوا للوالي الذي نصب بفرمان منه » (60) .

كانت مساعي حيدر افندي تتركز حول تاكيد وتنظيم التبعية العثمانية مع الباي ؛ وجاء الرد من الباب العالي سريعا : « ان تسوية المسألة التونسية يقتضي حلين ، احدهما ان يتفاهم الباب العالي مع الدول الصديقة في جعل تونس تحت كفالة دولية كما هو الحال بالنسبة لمصر ،وبعض الولايات الاخرى (يعني تدويل المسألة التونسية) وثانيهما : ان يجري الوالي مع هاته الدول محادثات ومعاهدات تبلغ صورتها الى الباب العالي (لتصديقها) وعلى الوالي ، ان يعمد الى تأكيد تبعيته ، للسلطنة العثمانية ولاصلاحية لاحد في الاعتراض على ذلك » (61) .

وتأكيدا لهذا الارتباط الروحي والديني والسياسي ، سارع السلطان لمساعدة والي تونس ، بارساله عشرة آلاف غروش (62) .

ومن جهه اخرى ، فان الباب العالي كان يعتبر استمرار عصيان الاهالي

---

(59) B.A. ؛ **ملف رقم 78** ، من التقرير رقم 5 والذي كتبه حيدر افندي بتاريخ 5 محرم 1281 8 جوان 1864 ، والمرسل الى السلطان ، راجع الوثيقة رقم 8 المنشورة اثر هاته الدراسة ، ص. 74 – 76 .

(60) **المصدر نفسه** ، من التقرير رقم 18 والذي كتبه حيدر والمرسل الى السلطان بتاريخ 22 23 ربيع الاول 1281/25 أوت 1964 راجع الوثيقة رقم 6 المنشورة اثر هاته الدراسة .

(61) H. A. ؛ **ملف رقم 708** ، وثيقة تركية من التعليمات السرية التي ارسلها الباب العالي لحيدر افندي . لم نعثر على تاريخ لهاته الوثيقة . ولكن من المحتمل انها ارسلت خلال شهر جوان 1864 : راجع الوثيقتان رقم 8 و 9 والمنشورتان اثر هاته الدراسة ، ص 74 – 78 .

(62) ان ريالا تونسيا يساوي ثلاثة غروش عثمانية .
وحسب دي بوفال «كان حيدر محملا بخمس أو ست صناديق مملوءة ذهبا بما قيمته 500.000 فرنك ، وقد سمح هذا المبلغ لقصر الباردو في اوائل شهر أوت 1864 ، صك عملة جديدة باسم السلطان ، وتجهيز جيش قوامه 2.000 رجل كانوا قد تمركزوا في مدخل باردو » راجع ، A.E. ؛ تونس ، ج. 23 : ذكرت هاته المعلومات بالعمل التالي : «
El Mokhtar Bey,
Du rôle de la Dynastie Husseinite dans la naissance et le dévelop-pement de la Tunisie moderne, p. 1529, t. IV,
رسالة دكتوراه في الحقوق ، باريس ، 1968 ، (مخطوط) .

على الباب الذى نصب بفرمان منه ، عملا غير مشروع ، ولهذا يجب مقاومته (63) ٠

⁂

وعندما تناهى الى سمع حيدر افندى ان على بن غذاهم اشترط قبول الصلح كفالة وتوسط السلطنة العلية (64) ، طلب من الباى ان يقوم بهذا العمل الحميد ، الا ان البَاى ومن ورائه خزندار توجسا خيفة من هاته الوساطة ، خصوصا وهما يعملان على اغتيال على بن غذاهم (65) ، اما اذا اقام حيدر افندى بالتوسط فى الامر ، فسيترتب عن ذلك ، الحفاظ على حياة على بن غذاهم وتسكين الثورة ، لا القضاء عليها ٠

الا ان حيدر افندى انتهز البادرة ، خصوصا وتعليمات الباب العالى تخول له القيام باى عمل من شانه ان يحسم النزاع ، ويعيد للبلاد هدوءها ، فكاتب على بن غذاهم ونصحه بالكف عن الثورة ، ويقول حيدر افندى : « ان على بن غذاهم عندما استلم رسالتى التى هى عبارة عن تعليمات الباب العالى ، اطاع من الغد ، ورجع الى مقره ٠٠٠ وتبين ان لا مجال للاعتراض الآن ٠٠٠٠ لقد زالت تلك الثورة بفضل عناية السلطان والصدر الاعظم » (66) ٠

وقد صرح حيدر افندى ، اثر ذلك ، لدى بوفال : « ان مساعى الشخصية هى التى ادت الى استتباب الامن ، واستقراره بالبلاد » (67) ٠

لقد كان نتيجة هاته الثورة ، ان آعترف الباب العالى بوراثة الحكم فى تونس ، واصدر فرمانا يحدد بمقتضاه تبعية تونس للباب العالى ، كما ويعطى للسلطان اولية النظر فيما سيجد من احداث فى مستقبل الزمان (68) ، الا ان

---

(63) انظر ملحوظة رقم 61 .

(64) .A.E ؛ **دفتر تونس رقم 23** ، وثيقة فرنسية . كتب دى بوفال الى وزير خارجية فرنسا بتاريخ 17 أوت 1864 يقول : « ان الثوار طلبوا لقبول الصلح ، انسحاب خزندار عن المسرح السياسى او كفالة المبعوث العالى ، وتذهب الاقوال انهم نادوا بكفالة الدول الكبرى »

(65) **SLAMA, S. L'insurrection de 1864 en Tunisie,** ص. 113 ، تونس . 1967 .

(66) .B.A ؛ **ملف رقم 78** ، وثيقة تركية ، من التقرير 18 الذى ارسله حيدر افندى الى السلطان بتاريخ 29 ربيع الاول 1281/2 اوت 1864 ، راجع الوثيقة رقم 16 ، المنشورة أثر هاته الدراسة ، ص. 89 – 90 .

(67) .A.E؛ **دفتر رقم 24 تونس** ، من البرقية التى ارسلها دى بوفال الى وزير خارجية بلاده بتاريخ 13 سبتمبر 1964 .

(68) .H.A ؛ **ملف رقم 708** ، رسالة من الباب العالى الى محمد الصادق باى بتاريخ 22 نوفمبر 1865 ؛ راجع الوثيقة رقم 21 المنشورة اثر هاته الدراسة ، ص . 97 – 98 .

فرنسا عبرت عن استيائها ، واستفادت من حادث بسيط على الحدود لتطلب من الباى ، تحت انذار احتلال البلاد عسكريا ، ترضية لذلك ، وقد نجحت فى خطتهـا ٠

⁂

تلك هى بعض مظاهر هاته الانتفاضة ، وعى شعبى ، واحساس وطنى صادق وعواطف اسلامية بريئة ، على ان تلقائية شمول الثورة واندلاعها ، يعكس فى الحقيقة ، جانبا من مظاهر النضج الاجتماعى للجماهير الشعبية ، ولكن التنظيم كان ينقص تلك الانتفاضة ، والبدائية فى تصرفاتها ، شل حركتها ، مما سهل على اعدائها ضربها فى الصميم ٠

ان احلال على بن غذاهم ، محل الزعيم لتلك الانتفاضة كان خطئا تاريخيا فى حين اختفت اسماء الثائرين بالساحل وصفاقس والقيروان ؛ غير أن الحط من قيمة ودور على بن غذاهم ، ليس هدفنا فى هاته الدراسة ٠

ان عددا آخر من الوثائق الموجودة فى ارشيف رئاسة الجمهورية بتونس ، وفى عدد آخر من دور الارشيف ، تنتظر من يدرسها لتكون فى خدمة العلم والبحث اذ التاريخ بعد لم يقل كلمته الاخيرة لانتفاضة الشعب هاته ٠ ففى انتظار تلك الدراسات ، نأمل ان تكشف لنا قريبا حقائق جديدة ، تساعدنا على اثراء تاريخنا الحافل والغنى ، والذى ما زال مجهولا ٠

أكس أون بروفنس (فرنسا)
25 اكتوبر 1969

قسم الوثائق :

وثائق عن انتفاضة 1864 بتونس

المدخل إلى الوثائق

تشكل هاته الوثائق القسم الاكبر والهام مما عثرت عليه في دور ارشيف استنبول بتركيا وترجمت بعضه من اللغة التركية. اما القسم الفرنسي فنشر في النسخة الفرنسية لكتابي هذا (*) .

نظمت هاته الوثائق على اساس تاريخ كتابتها ، وبذلك يمكننا ان نتتبع تطورات الانتفاضة لحظة بلحظة ، حتى تكون الصورة التاريخية اكثر شمولا ووضوحا .

ع. ت.

(*) راجع النسخة الفرنسية لكتابي :

Recherches et Documents d'Histoire Maghrébine, La Tunisie, l'Algérie et la Tripolitaine de 1816 à 1871

نشر كلية الآداب والعلوم الانسانية بالجامعة التونسية ، 1971 .

أما القسم الفرنسي لتكملة وثائق انتفاضة سنة 1864 بتونس ، فيشتمل على 23 وثيقة ، ص. 41 — 77 .

الوثيقة رقم 1

تقرير الصدر الاعظم الى السلطان

ليتفضل السلطان بالاطلاع على ما يلى :

من خلال البرقيات التى وصلتنا ينهى الينا ما يلى : ظهرت ثورة هذه الايام فى ايالة تونس. وقد نصب العربان أحدهم واليا، كما أرسلت انقلترا وفرنسا وايطاليا للمحافظة على مواطنيها بعض السفن الحربية. ومن هذا الخصوص فان السلطنة العلية بمقتضى اعتنائها وكمال عنايتها ، دعت المجلس للانعقاد للتدارس والمشاورة ؛ وبعد المداولات والنقاش حول الموضوع فقد انتهى المجلس الى تبنى ما يلى :

ان تونس تعتبر من الولايات المتممة لاجزاء الامبراطورية العثمانية ، وبالنظر الى اننا لا نعرف تماما حقيقة ما يجرى ، لذا يكون من المناسب سعينا الى استطلاع حقيقة الامر من الآن خصوصا اذا لم تظهر تدابير اصلاحية لمعالجة ذلك ؛ فنعمد اذن على ارسال باخرتين صحبة موظف يكون على مستوى من الدراية والسياسة ، وقد اختير لهاته المهمة باتفاق الجميع السفير بطهران حيدر أفندى لما يتمتع به من الصفات المطلوبة ولما يظهر امثاله من القدرة على تسيير الامور بذكاء وخبرة . وفى ما يتعلق بارسال السفن العثمانية فبالاضافة الى قدوم السفن الاجنبية الى المنطقة، يرجى من صاحب الامر والشأن أن يوافق على ذلك بحيث يسافر حيدر فى باخرة صغيرة الى أثينا ومنها يقلع رأسا الى مالطة .

لقد زود حيدر أفندى بتعليمات خاصة وسوف يبرق الى الباب العالى آن وصوله الى تونس ولدى رجوعه الى مالطة بكل تفاصيل الوقائع ، كما أن حيدر اذا سئل من طرف الموظفين الاجانب عن طبيعة مهمته ، فله أن يرد بأنه قدم للتحقيق فى اسباب الحوادث الجارية بتونس .

(1) B.A. ؛ خارجية ملف 1221 ، ملف 78 ، سنة 1280 / 1864 م ، وثيقة تركية . بدون تاريخ.

ولقد أمرنا أن يكون برفقة حيدر أفندى موظفون يتكلمون العربية والتركية والفرنسية على أن تكاليف سفرهم ستكون على حساب الدولة،وسيدفع حالا الى حيدر أفندى 75.000 غروش وله أن يستلم 25.000 غروش ويصرفها حسب متطلبات السفر ٠٠ أما اذا احتاج الى أكثر من ذلك فاننا نأذن له أن يأخذ من طرابلس الغرب أو مالطة ٠

وسوف يسافر غدا يوم السبت على جناح السرعة وليتفضل صاحب السلطان بالاذن له بذلك باصدار القرار السامى السلطانى ٠

الوثيقة رقم 2

الحوادث التى اعترضت عبدكم اثناء وجوده بتونس (I)

وصل عبدكم ميناء حلق الوادى فى الحادى عشر من مغادرته دار السعـادة استنبول • وقبل أن نرسو ، كان بجانبنا الاسطول الفرنسى الذى يتـركب من ثـلاث بـوارج حـربية ، وثـلاث بـواخر • وكان خلف الاميرال دربنغم (D'Herbinhem)قارب صغير ؛ وعندما كنا فوق الباخرة العثمانية ، أشير الينا بالتوقف •

وفى الجهة التى كنا سنتوقف بها ، كان أحد القوارب وبه ضابط فرنسى يقترب منا ، ولدى وصوله خاطبنا بقوله : « لماذا جئتم الى تونس وأى مهمـة أنتم مكلفون بها ؟ » ، وأضاف قائلا : إنه فى حالة عدم قبولكم الرد ، فانكم ستغادرون المكان » ، وقال أيضا : « ان الاسطول الفرنسى سيظل قريبا منا وسيمنعنا اصلا من الرسو والنزول الى البر » •

وقد كان من الطبيعى معارضته • أعلمنا موظف الاميـرال انـه بمقتضى الصداقة والود التى تتمتع بها علاقات الدولة العلية مع دولة فرنسا ، ونظرا لعلم الدولتين أن الحرب بينهما لا تؤدى الى نتيجة مجدية ، فانكم بعدم مهاجمتنا وبوصولنا سالمين الى تونس ، تكونون قد ساعدتم على حل المشكلـة • اذ من البديهى اننا سنرسو فى المكان الذى نختاره،لان الاسطول الانقليزى والايطالى وسفننا ستؤمن لنا ذلك • أما عن مهمتى ، فابنت ما يلى : « ان تونس تعتبر من الاجزاء المتممة للدولة العلية الخاقانية ، وقد قدمت سفننـا للتحقيـق فى الحادث ويكون من غير المجدى أن تعترضوا سبيلنا » •

غير ان الموظف الفرنسى رد على بقوله : «مهما كانت الظروف،فان التعليمات

(I) .B.A ؛ ملف رقم 78 ، وثيقة تركية تقرير حيـدر أفندى رقم 2 والمرسل الى السلطان ؛ انظر الشكل رقم 6 ، ص. 48 — 49 •

التى تلقيناها من حكومتنا تمنعنا من ذلك ، وسوف نجبرك على الرسو قرب السفن الفرنسية » • وقد رددت عليه بقولى : « انا لا اخضع لغير تعليمات السلطان فى المملكة ، وسوف أتجه الى المكان الذى اريده ، ومنه سأنزل الى البر مع ملاحظة ان أساطيل دول اخرى أيضا توجد في الميناء ، وتحقيق هاته الرغبة من جانبنا لا يتطلب قطعا تدخلكم فى الامر • أما اذا كانت فرنسا ترى من حقها ان تقف دون مبعوث الباب العالى الى تونس ، لاتمام مهمته، فان سفيركم لدى الدولة العثمانية هو الذى يحق له أن يطلب من حكومتي بيان ذلك • على انى اعلمكم أن عدم اعتراض موظفى الدول الاخرى أصلا على مهمتنا، يجعلكم تتحملون نتائج المخالفة وما تستوجبه هاته المسؤولية من عواقب وخيمة جدا ، واذن فلا نتيجة ترجى من اصراركم على الوقوف ضدنا • كما أن غرض ارسال السلطان سفنه الى تونس ، انما هو للتحقيق في هاته الحوادث التى كانت تونس مسرحا لها ، ولا توجد قطعا أى علاقة مباشرة بغير ذلك • وعليه فسأتوجه الى الرسو بالميناء ، وعليكم أيضا أن تسيروا وفق تعليمات حكومتكم » • وقد رد على الضابط بما يلى : « ما دمتم سترسون قرب الاسطول الفرنسى ، وما دام قرارنا بعدم القبول سائرا ، وما دمتم تصرون على الرسو فانى ارجوكم أن تتوفقوا حتى أخابر سيادة الاميرال » •

الا أن السفينتين العثمانيتين «مخبر سرور» و «بك شرف» المتأخرتين عنا قليلا ، جعلنى انتظر وصولهما ، ولدى اقترابهما ابنت عزمى على الرسو فى المكان الذى اريده • واثناء توقفي بينت للموظف الفرنسى أن الاميرال يستطيع أن يقدم ، فسوف يجدنى هنا للتناقش معه •

وبذلك ترون كيف اتخذ عبدكم المطيع الصبر والتأنى وسيلة لتجنب الخطر من هاته البلية ، وقد توقفت آن قدوم السفينتين العثمانيتين • واثناء ذلك ربط قارب الى احد سفن الاميرال ، وعند اقترابه منا ظهر رئيس مترجمى الاميرال ، وقد استقبلته فى مجلس الادارة البحرى ، وأوضح الترجمان ان الاميرال لا يرى مانعا من رسونا ، اذا قدمنا ايضاحات حول مكان النزول ومخابرتنا بعد ذلك • وقد طالبنا رسو سفنكم قرب سفننا ، وذلك لشكنا أنكم احضرتم مزيدا من الجيوش للنزول الى تونس ، وما دام لم يشاهد عدد كثيف من الجند ، فان المهمة التى عهت اليكم ، هى فعلا التحقيق من المسألة ، وعليه تستطيعون الرسو فى المكان الذى تفضلونه •

وقد أظهر عبدكم ارتياحا لرد الاميرال الودى ؛ وبعد أن غادرنا المترجم ، اخبرنا أن موظفا آخر سيأتى لزيارتنا •

وبمقتضى الاصول البحرية اللازمة ، فقد بين عبدكم المطيع الى العقيد القائد صاحب العزة صالح باى ، بأننا سنتجه الى مكان قرب السفن الانقليزية والايطالية للرسو .

واثناء ذلك ، وقبل أن تمر أحدى عشرة دقيقة قدم الاميرال علينا ، وقد استقبلناه عند ظهوره ، وخاطبني بقوله : « لو لم ينقل إلى مترجمي ، صدقكم وامكانية التفاهم معكم ، لكان بامكاننا هلاككم دون التفكير فى المسؤولية المترتبة عن ذلك . أني شككت في وجود العساكر بسفنكم ؛ وحسب التعليمات التي تلقيتها من حكومتي ، فانه من المؤكد أن سياسة فرنسا هو عدم السماح مطلقا بنزول الجيش التركي الى تونس . أما بالنسبة لكم ، فقد تجرأت بغير تعليمات من حكومتي ، وكتمت ذلك ، على اجباركم على الرجوع وهلاك سفنكم، وعليه فانكم الآن بالاتفاق مباشرة مع فرنسا تستطيعون النزول ، وسوف تجدون لدى قنصلنا العام السيد دى بوفال (de Beauval) المساعدة والمشاورة ، اذ أن رغبة الامبراطور تتماشى تماما مع ما تهدفون اليه . أما قولنا سنهلككم لو ظهر الجند بسفنكم ، فاننا نأسف لمثل هذا القول . ذلك أنه لا يصح أن تواجه باخرتين مسطحتين ، تملك ما بين 15 و 20 مدفعا ، مع بارجتين كبيرتين . وأعلمكم أيضا ان اطلاق المدافع على سفينتين صغيرتين ، لا يتماشى مع حقوق الامم ؛ وعلى هذا الاساس سوف لن أقوم بذلك تجاهكم لاقتناعي بعدم جدواه . بل يجب ان اتصرف وفق تعليمات ومهمة الامبراطور » .

وعندما وصل البحث الى هذا الحد ، رددت عليه بقولي : « ان دولة فرنسا كانت تتعاون مع الباب العالي منذ السلطان سليمان . كما أن وقوع الباب العالي في بعض المشاكل ، دفعه الى مراجعة رأى الدول الاخرى ، وقد استوجب ذلك معاهدة باريس . الا أن حقوق الدولة العلية بتونس لا تحتاج قطعا الى اثباتها حتى من الباى نفسه ، وعليه فانى أؤكد لكم ان ليس هناك أصلا ، خطة سرية ستتخذ فى المستقبل » .

وقد رد الاميرال : « انكم ستتقابلون مع الصادق باشا ، والى تونس ، واذا وجدتم ارائه فاسدة ، فان ذلك يرجع الى الاشخاص الطامعين والفاسدين ، الذين تسببوا بسوء تصرفاتهم ، الى ظهور هذا الاضطراب بالمملكة ، ونتيجة لمرض الباى وتكدره ، فاننا نرى أن أكبر مفسد ، هو الوزير مصطفى خزندار ؛ وعليه فاننا نلتمس من جنابكم أن تنصحوا الباى بابعاده هو ومن شاكله من المفسدين » .

ولقد أجبته : « بأن أساس مهمتي هو التحقيق في أسباب الاضطراب ، وتقديم ذلك الى دولتي ، أما حق حكومتي في التدخل في شؤون المملكة ، فان ذلك خارج عن نطاق مهمتي ، واعتذر عن عدم ايفائي طلبكم » • واثر ذلك ودعنا وخرج •

أما نحن ، فقد اجرينا المراسيم البحرية المعتادة ، وخلال هاته الفترة ارسلت مبعوثا الى قائد الاسطول الانقليزي المتكون من بارجتين ومدرعة ، ليشرح له طبيعة المحادثات التي جرت مع الفرنسيين ، واطلاعه على جميع مراسلاتنا ، وكيف كنا سنمنع من النزول الى البر • وقد عبر القائد الانقليزي عن لومه الشديد للفرنسيين وعلى موقفهم • وشكرنا على تقديم تلك المعلومات اليه •

واثناء ذلك قدم علينا على ظهر قارب صغير ، القائمقام الرئيس أحمد اسكندراني ، وتقدم قائلا : « إن السيد الوالي يتفضل ، بمزيد من الرعاية ، بدعوتكم لمقابلته غدا » • ومن الغد في الصباح ، قدم علينا من جديد ترجمان الاميرال ، وبعد اسداء التحية ، اخبرنا : « ان اظهار العلم العثماني سيكون سبب فتنة ، وكما أن وضعية تونس المضطربة حاليا ، يجعل فرنسا لا تخفي ان تحركات الباب العالي هي لغزو البلاد ، حتى أن الشعب عندما سمع بقدومكم ، فانه اساء امس البارحة الى أحد الفرنسيين امام دار القنصلية الفرنسية وضربه ضربا قويا (2) ، وانه لما اتصلنا بقنصليتنا ، قررنا أن نمنعك من دخول المدينة » •

وقد رددت عليه : « أن وجودنا في تونس ، سيكون سببا لأمن وهدوء البلاد وعلى العكس من ذلك انه من المسلم به ، أن الاهالي لا يرغبون في وجودكم في تونس حيث تسبب ذلك في تزايد حدة الاضطراب والثورة • أما سماعنا الاقوال التي تدعي أن الدولة العلية ستغزو البلاد لاجتثاث هذا الفساد ، فليس هناك ما يدفع الباب العالي الى القيام بذلك ، فضلا عن أن هذا الرأي لا يستحق الاستماع اليه ، ولن يكلفني مشقة الرد عليه • ولكن اذا رغب القنصل الفرنسي أن يتحادث معي ، فسأكون ممنونا ومستعدا لذلك ، في الوقت الذي يراه مناسبا » •

اما رد الموظف فكان بهذا المضمون : « ان القنصل سوف يقدم اليوم على سفينة الاميرال واذا قدمتم للتناقش معه هنا ، فالرجاء منكم أن تعينوا الوقت

(2) لم نرد آقحام النص بكثير من الحواشي ، ذلك آن كتاب ابن أبي الضياف ، **اتحاف .. نفس المصدر** ، ج. 5 ، يقدم لنا عرضا كاملا للحوادث السياسية .

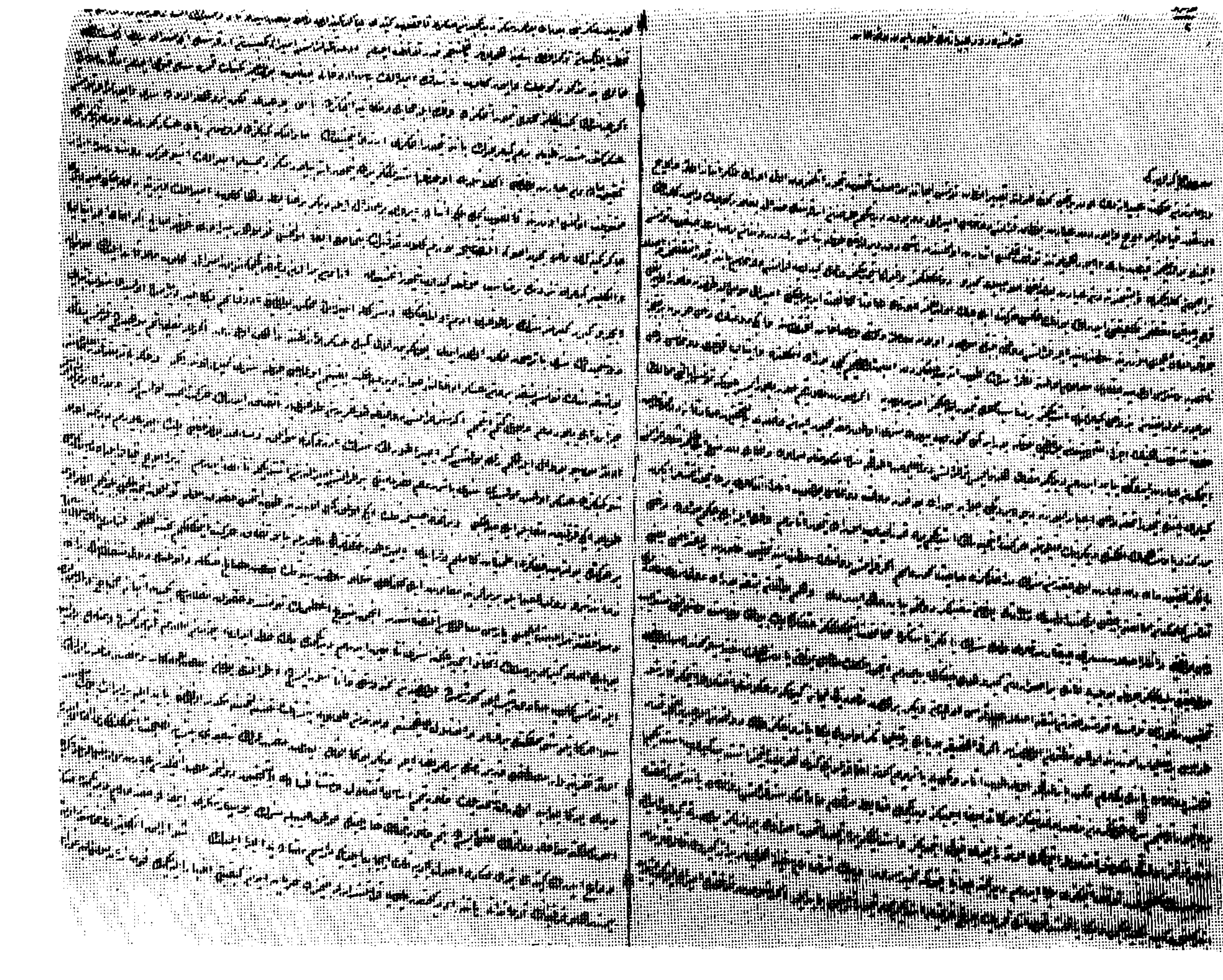
مع ملاحظة أن يوافق ذلك رغبة الاميرال أيضا » • ولقد اجبته : « بانه اذا لم يأت مبعوث الباشا الآن ، ولم يعرض على الدعوة ، فانـى سأقـدم على الساعة الحادية عشر صباحا » • اثر ذلك ، نهض ترجمان الاميرال ، وقال : « أنـا مكلف بالاعتذار لديكم عن تصرف الاميرال البارحة تجاهكم اثنـاء دخـولكم الميـناء » •

وقبل أن تمر نصف ساعة على ذلك ، قدم علينا أحد امـراء وخـدام الوالى بلباس رسمى ، هو الفريق أحمد أغا مع شخص يتكلم التركية قليلا ، وقال : « لقد حضرنا لنبلغكم سلام الوالى ، وقد دعاكم للنزال فى دار الباى » • الا أن ارتين أفندى اعتذر عن مصاحبتنا وذلك ليتمكن من مقـابلة حضرة الاميـرال الفرنسى •

أما الآغا المشار اليه القادم من طرف حكومته ، فقد احضر قاربـا صغيرا ربط الى سفينة صغيرة ، وبعدها نزلنا فى ميناء حلق الوادى ؛ وهناك كانت توجد الادارة البحرية • وقد توقفنا قليلا ، ومنها سعدنا الى العربات • وبعد عدة ساعات اشرفنا على مدينة تونس التى يقع بها مقر اقامتنا ؛ واثناء نزولنا فى الطريق صادفنا القنصل الفرنسى بلباس رسمى ، وقد استقبله عبدكم فى عربته ليتناقش معه حسب مقتضى الحال ، الى أن وصلنا الى مقـر مكـان الاقامة وقد ودعناه عند الباب • وقد اخبره عبدكم بكل ما جرى مع الاميرال الفرنسى وقد شكرنى القنصل لافادته ما وقع ، واضاف : « ان اتخاذ الاميرال موقفا ضد علم الدولة العثمانية لا يعد عملا لائقا ، ولا يصح القول انى قدمت لمثل هذه الشكون العادية ، والرجاء ان تغضوا الطرف عن تصرف الاميـرال تجاهكم ، وفيما يتعلق بهذا الموضوع فان اى حل ترونه نافعا لاصـلاح ذلك فسأعمل على تحقيقه ، وانى ارجوكم من جديد ان لا تكبروا تصرف هذا الرجل المسن ، الذى لا يستطيع ان يدرك شيئـا فى مثـل هـذا العمـر من الخـدمة العسكرية » •

سبـب الاضطـراب

إن القناصل الفرنسيين يرون أن سبب الاضطراب،أن ولاة تونس السابقين كانوا يشعرون باحتياجهم الى 30.000 جندى للمحافظة على الامن وادارة المملكة بنجاح ، وكذلك أيضا لجوارها مع الجزائر • وعليه فان قوة عسكرية تقل عن هذا العدد ، سوف لن تتمكن من التغلب على القبائل المتوحشة ، ولذا فان الولاة المشار اليهم ، قد وقعوا فى نزاع مع فرنسا ، التى لم تسمـح لهـم ابـدا ان



الشكل رقم 6 ــ تقرير حيدر أفندي رقم 2 إلى السلطان ، B.A. ؛ ملف رقم 78 ،

يتخذوا أكثر من ثلاثين ألف جندى ، وفى نفس الوقت فان تجار فرنسا الذين كانوا يبيعون باستمرار بضائعهم بأغلى الأثمان ، قد جعلوها تسقط مدانة لهم.

وفى زمن الوالى السابق أحمد باشا ، كانت واردات البلاد تفى بحاجياتها فقط ، الا أن الوالى المرحوم محمد باشا كان يشعر باستحالة ايفائه تكاليف ثلاثين ألف جندى ، فضلا عن تسديده ديون البلاد ، ومن هنا كان لا بد من العثور على مخرج .

نصح قنصل فرنسا الباى بتنزيل عدد الجيش الى النصف،فرأى الباى فى ذلك تدبيرا عاجلا ، فاذن بتسريح 15.000 ، والحفاظ على النصف الآخر . وعندما درست الحكومة سياستها المصرفية ، انتهت الى عدم الارتياح ، ولم تصوب الحكومة فكرة الاقتراض . غير أن نصحاء الباى ومستشاريه اشاروا عليه من جديد بتقليل الجيش الا أن الاجل وافاه ، فاستلم صادق باشا الوالى الحالى ، امارة البلاد ، وانتهى الى أنه اذ لم يعثر على وسيلة لتسديد الديون ، فان تقليل الجيش يؤدى الى كسر نفوذه .

ارادت تونس أن تقترض من شركة البنك ارلنجى (Erlanger) فى باريس ما مقداره : 35.000.000 فرنك . الا أن شركة البنك رفضت تسليم ذلك الى تونس ، ومن جهة أخرى فان الفائض سوف لن يسلم نتيجة طبيعة المعاملات. ولوحظ انه اذا لم تقدم مخصصات (معاشات) الجيش ، فانه سيدفع حتما الى تسريحه . وعليه فقد ابلغ الشعب أن كل شخص عوض أن يدفع 36 ريالا سيدفع 72 أو 120 ريالا .

هذا بالاضافة الى أن قتل الشعب التونسى ليهودى ، سب الدين الاسلامى قد دفع الى وضع قانون يتماشى مع العصر الحديث . وبموافقة فرنسا وتدخل انقلترا صدر القانون اى دستور العمل(3)، آخذا الشىء الكثير من التنظيمات الخيرية الانقليزية والكثير من قوانين فرنسا .

ومن أحكام القانون المذكور ، تشكيل محاكم فى اماكن متعددة لفصل نوازل الشعب ، على أنه اذا بدأت النظر فى قضايا العرب المقيمين فى البادية ، فلها أن تفصل فى قضاياهم الطويلة بسرعة ، الشىء الذى جرهم سابقا الى التخلى عن زراعتهم وبيعهم وشرائهم ؛ الا أنه بمقتضى القوانين الجديدة فان المحاكم المذكورة ما زالت أيضا تطيل فى فصل دعاوى الفقراء ؛ وعليه فقد اشتكوا منها واضطروا الى مغادرتها . وبالاضافة الى هذا ، فان مضاعفة الرسوم على الشعب،قد جعل البدو ينصبون حسب اصولهم القديمة،

---

(3) يقصد بذلك عهد الامان .

رئيسا وقاضيا ومفتيا فى مشائخ جلاص وونيفة • وقد أبانـوا للحكـومة عن مطالبهم ويتمثل ذلك فى ، اولا : طرح الزيادة الجديدة من الرسوم ، واصرارهم على عدم دفعها • ثانيا : عدم اعترافهم بالقانون وبالمحاكم الجديدة •
ان ما ذكرته الآن يشكل اسس الاضطراب ، ومنشىء البلاء بتونس •

اللقاء الاول مع حضرة والى تونس

ان التعليمات التى تسلمها عبدكم يوم أن غادر دار السعادة استنبـول ، مفادها أنه اذا سقط الوالى عن كرسى الحكم ، فعلى ان أتصرف بها أراه نافعا • الا أن الحال غير ذلك ، فان الوالى الباشا مـا زال على رأس الحكـومة ، وعليه فأساس مهمتى عدم الاساءة الى عبدكم ، والتصرف وفق مصالح الباب العالى •

ارسل الوالى مبعوثا لاستقبالنا فى الميناء واعلمنا رغبته لمقابلتنا ، واتجهنا الى مقر اقامتنا فى دار الباى بتونس ، وهم باختيارهم هذا المكان ، أظهروا لنا عدم الرعاية والاهتمام •

ومن الغد قدم أحمد آغا ليصحبنا الى قصر باردو للتحادث مع الباى ، وقد قابلته وهو يعانى قليلا من تعكر مزاجه ، ولما رآنى نهض من فراشه وسار الى وسط الغرفة ليستقبلنى ماسكا يدى وقائلا : « ان مبعوث سلطانى العظيم قد قدم علينا ، وكان يجب أن استقبله بنفسى فى الميناء ويحصل لى الشرف لولا مرضى الذى حال دون ذلك » • وقد دعوته الى الجلوس حتى لا أسبب له مشقة الوقوف وقلت له : « يكفينى رعاية انى قابلت حضرتكم باعتباركم أحـد ولاة سلطاننا ، خادم الحرمين الشريفين وهذا بالنسبة لى رتبة قد حـزت عليها » • وقد اجابنى : « لقد ارسلنا خير الدين باشا الى دار السعادة ليشـرح لهـم وضعية البلاد ثم رفع يديه الى رأسه وقال : أنا عبد من عباد السلطان » •

وبعد أن بينت للوالى سبب عدم ارتياحى لما جرى اثناء قدومنا ، أردفت قائلا : « ان الاضطراب الذى حصل بتونس ، وارسـال السفـن الفـرنسية والانقليزية والايطالية الى ميناء حلق الوادى ، قد دفع الباب العـالى بصـورة مباشرة الى التحقيق فى المسألة بقرار ارسالى الى تونس » •

ان صهر الوالى السابق مصطفى خزندار مع خير الدين باشـا ، يشكـلان الشخصيتين الاكثر نفوذا وادراكا بالنسبة لكـل المـوظفين التـونسيين • وقد توجهت الى الباى قائلا : « لم قعدتم حتى الآن عن عـدم اخبـار الـدولة

العلية ، ولم تكتبوا لها عن سبب هذا الاضطراب وبواعثه ؟ » • فرد قائلا : « ان هذه الحوادث التى وقعت بتونس ، لم أكن فى أى وقت مضى ، لاعرف مضاعفاتها • ولو كنت أعلم أنها ستتفاقم الى هذا الحد ، فانه لا يوجد أحد مثل سلطاننا ، لاعرض عليه حقيقة الامر ؛ وبالتأكيد كنت سأفعل ذلك » ، ثم أضاف مبينا : « بأى صورة تعبث فرنسا به وبأسلافه حتى الآن ، ثم بين أن وضعية تونس خطيرة ، ولا بد من ايجاد مخرج لذلك » • وكان ردى : « ان السبب فى ذلك ، نتج عن اسلافكم • وقد ادركتم سوء النتيجة المترتبة عن تلك التصرفات وانكم باختياركم طريق الدين القويم ، وكسبكم عطف الباب العالى ، لابارك لكم المكانة التى ستحوزون عليها ، ذلك أن علاقتكم بفرنسا لا تجدى نفعا ، بل على العكس ، ان اطاعتكم للسلطنة العلية سيؤدى ولا شك الى كسبكم رضاء الله يوم الآخرة ثم رضاء وعطف الدولة العلية •

انظروا الى ولاية مصر وواليها كيف اطاع الدولة العلية ، فمن عليه بالغناء والراحة •وسلمت بلاد مصر من شر الاعداء • فياترى لو أبديتم الى السلطان مثل ما فعلوا ، الا يقبل منكم ذلك ؟ أم أن ذلك لا يوافق الاسلام ؟ وعليه فان مآخذنا على اسلافكم كثيرة جدا • اما اذا كانت توجد لديكم حسن النية ، فانه ليس لدى غير تقديم الشكر لكم » •

وأجابنى بعد ان توقفت عبراته : « ليس الآن وقت معرفة الغيب • على أنه اذا امنت لى بعض الشروط ، وجعل الحكم وراثيا كمصر ، لماذا لا أكون مطيعا بقدر ما يفعله المصريون ؟ وليس اليوم وقت تحسر ، فلكم أن تطلعوا حضرات السنية العلية ، وما يقرونه ، فسأكون مستعدا لتقبل شروطهم التى ستتفضلون بتوجيهها الى ، حتى نتمكن من انقاذ البلاد من هذا الخطر • غير انى أوجه نظركم الى أن موقع تونس البعيد عن الباب العالى ، خلاف موقع مصر القريب منها ، يحتم عليكم مزيدا من الاهتمام والاعتناء بهاته المملكة ، وان شاء الله سوف يسوى قريبا هذا الخلاف » • ثم ختم كلامه قائلا : « ان تفضلكم بقرار مساعدتنا لتسوية هذا الاضطراب ، سيقابل بمزيد من الارتياح كما أن ارادة سنية ستمكننا من انقاذ البلاد » •

وبعدها غادر عبدكم القصر ورجع الى محل اقامته •

اللقاء الثانى والثالث

منذ أن قدم عبدكم الى تونس ، تقابلت مع الوالى ثلاث مرات ، وقد عرضت عليكم ما جرى فى اللقاء الاول • أما اللقاء الثانى فقد ابنت للوالى أنه يستوجب

اعلام .بباب العالى وشرح أسباب هذا الاضطراب واظهار الطاعة والولاء للدولة العليـــة ٠

أما لقائى الثالث فقد دعيت قبل يوم الى قصر بـاردو ؛ وعندمـا قـابلت الوالى ، ستفسرت ما اذا كانت توجـد بعض الاوراق لارسالهـا الى السـدة السنية ؟ أجابنى الوالى بما يلى : « انه صحيح أنى من أتباع السلطان وانى مستعد لتقبل اى قرار يأتى منه ، ولكـن اذا لـم يصـدر سفـراء الـدول الاجنبية بالباب العالى قرارا فيما يتعلق بتونس ، فأنا لا أجرؤ على ذلك خوفا من مسؤولية مجابهة الفرنسيين ، لانهم أعداؤنا ٠ ولو كنت أعلـم مضاعفات هذا الاضطراب ، لكتبتت قطعا الى الباب العالى ، شارحا الوضعية برمتها ٠ والبارحة قدم على قنصل فرنسا وكعادته فقد صدرت منـه أقـوال تنـم عن الحقارة ٠ ولو أردت أن اشتكى للباب العالى لحررت لكم رسالة غير ممضاة عن كيفية ذلك ٠ واقدمها لكم غدا لترسلوها الى الباب العالى حتى تحصل منه على الجواب (4) وانى لارجوكم أن ترسلوا مذكرة عن ذلك ، مع العلم اننا لا نعلم ما سيحدث عن اتفاق الدول مع الباب العالى » ٠ وفى المساء قدم الى الـوالى تحريره دون امضاء والذى ستجدونه ملفوفـا ضمـن الاوراق التى تشـرفت بتقديمها الى الدولة العلية ٠

لقائى مع قناصل الدول الصديقة بتونس

فى هذه الاثناء كان يفهم ما تصرف أعضاء القنصلية الفرنسية ، أنه للحد من النفوذ الانقليزى على الباى ، واتخاذ هذا الاخير أصـول جـديدة للحكم حسب متطلباتهم ، فان الفرنسيين مستعدون ان يظهروا مزيدا من الاخلاص لحقوق الباب العالى بتونس ٠

وعندما قدمت بيوم على تونس ، زارنى قنصـل فـرنسا ثـلاثة مـرات ، وأعلمنى أنه يأمل أن نعمل باتفاق حسب التعليمات التى تلقاهـا من دولته ، وأنه لو راجع السلطان امبراطور فرنسا مباشرة ، لتأكيد حقوقه فى تونس . فانه مما لا شك فيه أن صاحب الامبراطور ، سيظهر عطفه وتأييده لذلك ٠ وقد شكرته على قولته تلك ٠

---

(4) لقد عثرنا فى أرشيف رئاسة الوزراء باستنبول ، على الرسالة الغير المضاة والتى أرسلهـا محمد الصادق باشا الى الباب العالى ، راجع مختصر تلك الرسالة فى : ابن أبى الضيـاف ، **نفس المصدر** ، ج. 5 ، ص ٠ 50 –I 153 ٠

ولما سألته عن طبيعة المساعدة التى يمكن أن تقدمها دولـة فـرنسا بشأن تبعية وانقياد والى تونس الى الباب العالى ، أجابنى القنصل بقوله : « ان دولة فرنسا لا تريد أن تجعل من تـونس ولايـة كمصـر ، ذلك أن ولاة تـونس السابقين ، لم يظهروا فى كل حالاتهم ، الطاعة والتبعية للباب العالى ، بـل حافظوا على استقلالهم » ٠

وقد أجبته : « ان ولاة تونس السابقين وكذلك واليها الحالى ، قد أيـدوا حقوق الدولة العلية وصادقوا عليها ، ولو لم يكن كذلك ، لما صدرت اليهـم ارادتنا السامية ٠ أما عن مهمتى الآن فهى التحقيق فى الحوادث الجارية واعلام دولتى التى آنتدبتنى لذلك ٠ ولو لم تعرضوا على بحث هذا الموضوع ، لمـا فضلت الخوض فيه » ٠

وقد عارض القنصل نفسه عندما قال : « ان ما قلته صدر عنى وهى افكار شخصية » ، ثم نهض وخرج ٠ أما الزيارة الثانية فقال : « لقد قدمت بصورة رسمية لاسألكم ، هل ستتدخلون فى شؤون تونس الداخلية أم لا ؟ » ٠ وقد اعدت على مسامعه ما بينته له سابقا ، الا أن القنصل ، وقبـل أن تمـر على مغادرته لى ساعة من زمن ، قدم على من جديد وقال : « أود أن أقدم لكم هاتين الرسالتين اللتين تتناولان بالتفصيل ما وقع بمدينة سوسة ، وأخرج من جيبه رسالة أخرى وقال لى : « فى حالة رغبة الدولة العلية اتخاذ قرار بشأن ادارة مملكة تونس تحت بعض الشروط المدروسة بالاشتراك مع فرنسا ، فانى بعد أن أطلع على رأى الامبراطور ولدى استلامى تعليماته الجديدة واذنه بـذلك ، فلكم أن تخابرونى للقيام بهاته الاتفاقية » ٠

أما الرسالة المذكورة فكانت تتضمن المواد التالية ، أولا : ان تعترف الدولة العلية بتونس وتمنحها استقلالا محدودا مع تعهد تونس بدفع شيء من المال الى الباب العالى٠ ثانيا : على أن سائر التفصيلات ستكون محل مذاكرة وبحث٠

ومن الغد تقابلت مع القنصل الانقليزى السيد وود (Wood) وتباحثنا حول علاقة تونس بالباب العالى ، والوضعية الخطيرة التى عليها تونس الآن ٠ وقال القنصل : « انى أرى انه حان الوقت لاتخاذ الدول المتفقة ، قرارا بشأن انقاذ تونس من الاحتلال الفرنسى لها » ٠ وعندما ابنت له اقتراحات القنصل الفرنسى دى بوفال ، لم يظهر القنصل الانقليزى اى وعد حول ذلك ٠

على أنه اذا كانت سائر الدول راضية على تصديق قرار بخصوص تونس مع الباب العالى ، فان الانقليز غير راضين بمنح تونس امتيازات أخرى غيـر

التى قدمت للمصريين • ومن جهة أخرى فانى ألاحظ أنه اذا طبقت القوانين والمعاهدات العلية بتمامها فى تونس ، فان الدولة الانقليزية سوف تحرس على تنظيم وتطبيق ذلك بالتعاون مع تونس ، وأوضح القنصل الانقليزى أن قانون استملاك الاراضى فى تونس سيزال ، وأفاد أنه اذا لم تكن اصلاحات وتنظيمات الباب العالى نافعة وجارية بتونس ، فان دولة فرنسا سوف لن تقبل بحقوق الباب العالى بالمملكة •

وقد رددت عليه: «ان دولة انقلترا عندما ارادت ضم أو عدم ضم الجزر السبع الى اليونان ، فانها لم تهمل رأى الاهالى فى ذلك ، بل اخذت رأيهم وموافقتهم على هذا الانظمام • واذا أظهر والى تونس ميلا وطاعة الى الباب العالى ورغب أن يوفق فى ادارة تونس، كما هو الحال بالنسبة لادارة مصر ، هل سيطلب من انقلترا مساعدة لحل المسألة التونسية ، كما قدمتها الى اهالى الجزر السبع ، عندما ضمتها الى اليونان ؟ » •

الا أن القنصل الانقليزى رد على بقوله : « لا يصح مطلقا ان نقيس وضعية تونس بالجزر المذكورة » • ويفهم من كلامه ان الانقليز لا يرضون بمزيد من ولاء تونس الى الباب العالى •

لقد كتب الى القنصل المذكور رسالة يتناول فيها ما جرى بمدينة سوسة ، وقد أرسلت ذلك الى الباب العالى مع الرسالة التى قدمها لى قنصل فرنسا بنفس الواقعة ، حتى يلاحظ الاختلاف وليساعد ذلك على فهم الوضعية •

ومن الغد تقابل عبدكم مع القنصل الايطالى والاسبانى والامريكى والنمساوى • ولاحظت انهم يوافقون على اتخاذ الباب العالى قرارا بشأن تونس اذ آن الاوان لذلك • على انى ألفت نظركم ، الى ان كلام القنصل الايطالى لا يختلف كثيرا عن القنصل الفرنسى ، وعندما غادرنى أسر إلى قائلا : « أنه لا يرغب ان يرى الفرنسيين قريبين من جزيرة صقلية وسردانيا ، والايطاليون بالرغم من انهم يماشون الفرنسيين ، الا انهم لا يريدون ان تحتل فرنسا تونس » •

مشاهداتى بتونس

اثناء مرورى فى الشارع كنت اسمع الشعب يردد قائلا : « اننا من أتباع لسلطان ، صاحب الاخلاق الحميدة والاوصاف السامية ، فريد زمانه وحضرة مولانا وولى النعم ، فطاعته موجب فوز وفلاح ان شاء الله » •

ان الشعب هنا فى كمال الشوق لحضرة السلطنة العلية وهو لا يفتأ يردد بصوت عال أدعيه خيرية للسلطان حتى إنى عندما توجهت لصلاة عيد الاضحى فى جامع حمودة باشا ، لاحظت أن الناس لا يكتفون بذكر السلطان مرة واحدة ، بل على العكس ، فمحافلهم ومنابرهم لا تألوا جهدا فى تنشيط الناس جماعات جماعات ، على اظهار الولاء والاخلاص للدولة العلية ٠

يا صاحب السلطان ، ان هذه الملة مسلمة ، وليبقكم الله ذخرا لها ، أمين ٠

ان واردات الحكومة التونسية القارة هى عبارة عن 15.000.000 ريال ، ويأتى من الضرائب المشتملة من عشر المحاصيل ما مقداره 5.000.000 ريال ، وتكون الجملة 20.000.000 ريال ٠

ان ريالا واحدا يساوى ثلاث غروش وبذلك تمثل واردات تونس حوالى 60.000.000 غروش ٠

ان ما شاع فى الباب العالى ان والى تونس قد غير ضرب النقود والخطبة بأسمه ، لا أصل له من الصحة ، وحتى زمن الولاة السابقين ، كانت العملة المضروبة هنا ، تحمل فى احد وجهيها اسم السلطان وفى الوجه الثانى ضرب فى تونس ، اما العملة المضروبة الآن ، فتحمل فى احد وجهيها اسم السلطان وفى الوجه الثانى (مدت فلان تونس) وهذا تفسير ما يراه عبدكم لتغير العملة ٠

وبالتالى لاحظت فى تقريرى ان عدد تلك العملة قديمها وجديدها تبلغ تسعة ، وهى تبين اسم الوالى ومدة حكمه اثناء ذلك ٠

بعض الحوادث

لقد اصيب التجار الاوروبيون الساكنون مدينة سوسة الواقعةعلى الساحل، بخوف أثر الحوادث الجارية ، ويوجد بالمدينة القائمقام (أمير الامراء) السيد رشيد ومعه 500 نفر للمحافظة على أمن المدينة ، الا أن نصف هذا العدد فر ، ولا يعرف السبب ٠ وقد وجد القائمقام نفسه مضطرا ان يبلغ وكلاء القناصل الاجنبية رسميا ، بأن رعاياهم الموجودين بالمدينة فى خطر ٠ واثر ذلك اعلن القناصل ان رعاياهم سوف يغادرون المدينة ٠ واثناءها كانت البواخر الايطالية والفرنسية راسية فى مدينة تونس ؛ وتسرب الى المدينة من البواخر الايطالية أربعين نفرا مسلحين مع قائدهم ٠ وصادف ان خرج فى تلك الليلة الجند ،

وظن الاهالى أن المسيحيين الذين نزلوا المدينة ، سوف يحتلونها ، وعليه فقد تفاقم الامر حتى وصل الى درجة تسليح الاهالى ٠

الا أن الايطاليين عندما شاهدوا ما آلت اليه الوضعية ، أمـروا برجـوع الاشخاص المذكورين الى بواخرهم ٠

لقد عرض الرؤساء الثائرون بمدينة صفاقس الطاعة على الحكومة ، وانهم يرغبون فى توسط انقلترا في ذلك ، ومن جهة اخرى حسب بعض الروايات ، ان القيروان التى احتلها عربان المشاة (البريين) عرضوا أيضا الطـاعة على الـوالى ٠

مطـالعـات

ان نفوذ فرنسا وانقلترا وايطاليا فى تونس قد وضع تحت المحك ؛ وقد تدخلت السياسة فى هاته الثورة الحالية ، الا أن انقلترا استطاعت أن تنتصر بقوة نفوذها على اعدائها ، أما فرنسا واتباعها كالايطاليين فانهـم لاستيلائهم على هاته المملكة كانوا عادة يحرضون المسلمين ضد المسيحيين ليحصل بينهم القتال وتمكن فرنسا وايطاليا من تحقيق مطامعهم ٠ ولا يستبعد أن تكون هناك وسيلة أخرى لذلك ٠ ذلك أن الحوادث التى كنت عرضتها عليكم ، توضح أن العربان المشاة ، بعرض طاعتهم على الوالى ، التجأوا الى تـوسط انقلتـرا فى الامر ، ويجب أن نتصور هاته القبائل البدوية المتعصبة كيف طلبت توسط الاجنبى ٠

ومعلوم أيضا أن استمرار هذا الاضطراب ناتج عن نفوذ الاجـانب الـذين استفادوا منه ، وفى الواقع ان دولة انقلترا لم تمس الدولة العلية بسوء ، وفى بعض المصالح لم تعارض فى تقديم المساعدة والنصيحة ، ولا أعلم شخصيا سر ذلك ، أهل للابقاء على نفوذها فى تونس أم لانها غيرت أرائها حول المسائـل الشرقية ؟ لقد عقدت انقلترا أخيرا مع الحكومة التونسية اتفـاقية لضمـان حقوقها فى استملاك الاراضى ، كما انها مستعدة أن تحمى استقلال تـونس من الاطماع الفرنسية فى الاستيلاء عليها ٠ وهى لا تنكر حقوق الباب العالى الشرعية فى تونس ٠

ان أسباب عداوة الانقليز مع الفرنسيين ، ترجع الى انهما يراقبان نفـوذ بعضهما البعض ٠

ان الموظفين التونسيين كانوا يجارون فرنسا منذ زمـن ، فكانت هـاته

ترى ان ادارة تونس تحتاج الى 30 ألف جندى حتى تتمكن فرنسا من تخريب وافلاس المملكة ، وبعدها تنصح بفضل نفوذها ، تقليل الجيش ، وترغب الشعب في استعمال ما يستورد من أوروبا ، وعليه كانت فرنسا تدعى ، وعلى غير اساس ، ان الاهالى والحكومة قد استلما منها الملايين ؛ وعليه فان تونس ستسقط شيئا فشيئا وبمرور الزمن في يد فرنسا ، ويكون مصيرها كمصير الجزائر ٠

ولانقاذ البلاد من اى هلاك ، يمكن أن يلحق بها فى المستقبل ، فان مصطفى خزندار وخير الدين باشا كانا يحتمان ارتباط تونس بالباب العالى بشروط معينة وموثوق بها ؛ على أن الانقليز اذا لم يحصلوا على اتفاقية استملاك الاراضى ، فانهم لا يساعدون على ذلك ٠ وقد عقدت انقلترا مع تونس ، ودون علم فرنسا ، اتفاقية منذ سنة أو ستة أشهر ، غير أن الفرنسيين عندما سمعوا بذلك وعلموا مضمون المعاهدة ، دفعهم الحسد الى أخذ الثأر من تونس ووضع العراقيل ، وليسوا بقاصرين على القيام بذلك ؛ استغلوا مثلا ، مضاعفة الضرائب وادعوا انه عمل مخالف للشرع وكذلك تطويل الدعاوى فى المحاكم الشرعية ٠

الا أن حضرة الوالى قد الغى أخيرا الضرائب المزادة والمحاكم الحديثة ٠

ان المرء لا يحتاج الى عمق تفكير حتى يدرك الفساد الذى أحدثه الفرنسيون هنا ، ومن جهة أخرى فان الفرنسيين يرغبون فى عزل مصطفى خزندار وخير الدين باشا ، ذلك أن هاذين الشخصيتين نصحا الوالى بربط تونس بالباب العالى وأثرا على تفكيره ٠ وبما أنهما أيضا نظما وعقدا الاتفاقية المذكورة ، فانه مما لا شك فيه أن هذين الشخصيتين لو وقعا فى يد الفرنسيين ، لشربوا من دمهما ٠

وقد اتخذت فرنسا ، من الجزائريين المسلمين الذين لا وطنية لهم ، وسيلة لتحريك العربان المشاة ، فنادى هؤلاء بعزل الوزيرين المذكورين وأوضحوا انه ما لم يعزلا فان الايالة لن تعرف الاستقرار والامن ، كما أن مرادهم واما نيهم لن تتحقق كاملة ٠ غير أن الوالى الباشا لم يقبل قطعا عزل الوزيرين المذكدرين ٠

ولو كانت تونس ملزمة على القيام ببعض التضحيات والتنازلات ، فان تحصقيق هاته الرغبة لم يكن فى موضعه ٠ واذا لاحظ أصحاب هاته الرغبة ان لا مخرج ولا منفذ لهم ، فان فرنسا سوف تحتل تونس باتخاذها ذلك حجة وسببا ، وسوف لن تفتأ تقوى من نفوذها حتى تجعل تونس مع ممر الزمن

بلادا ضعيفة، وعلى أساس هذا التقييم للوضعية، فانه يتحتم على الباب العالى، تسوية المسألة التونسية بسرعة • ذلك أن الباب العالى لا يعلم كيف يعامل تونس ولا يعرف مكانته منها • وبذلك يتوجب عليه أن لا يتمادى فى تردده بل أن يغير رأيه من تونس ويحدد علاقته بصورة رسمية معها •

واذا استمرت الوضعية على ما هى عليه الآن ، فان تونس سوف تسقط ويكون لها وضعية أخرى ، وبما أن الوالى الحالى قد أظهر طاعة وميلا للسلطنة العلية وكذلك اعتراف كل اوروبا بحقوق الباب العالى بتونس ، فانى أرى أنه بشىء من التضحية ، يمكن القضاء على هذا الاشكال ، اذا صدر من السلطنة العفو•ذلك أن دعوى النفوذ بين القناصل جميعا ، سيدعهم يتدخلون شخصيا فى هذا الاضطراب ، ولذا يصعب علينا حل القضية • فالباب العالى صاحب الشأن هو الذى سيتذاكر كيفية تسوية القضية فى دار السعادة ويحصل على موافقة الدول الصديقة حتى يتمكن من اصدار قرار عادل فى ذلك •

ان عبدكم يرفع اليكم ما يلى : ان خير الدين باشا بالاضافة الى ذكائه ودرايته واطلاعه ، قد أظهر أيضا محبة خالصة للباب العالى ، وسوف يقصد مع بعض الامراء التونسيين ، عتبة الباب العالى قريبا •

15 ذى الحجة 1280 (1)

حيدر أفندى

مأمور تحقيق

---

(5) 22 ماى 1864 .

الوثيقة رقم 3

الحمد لله (1) وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الصدارة العظمى والرتبة الشامخة الشماء وباب الدولة الاحمى، عز الوزارة وصدر رجالها ومركز دائرة أعمالها ، والمتصرف فى عزيز أحوالها ، تاج العظماء والاركان ، وموضع الامانة والامان ، الكافى الصيت بكل مكان ، وهل تخفى الشمس ليس دونها حجاب عن العيان ، الصدر الاعظم والركن المنبيع الاعظم والمشير الافخم السيد فؤاد باشا ، لا زالت الدولة بارائه باسمة الثغور ، مملوءة باليمن والسرور ، المتمتع بمحاسن الشيم والآداب الفائقة ، المتخلق بالاخلاق الجميلة ، والاوصاف الرائقة ، فخر الاعيان ومن لا يعى بشمائله البيان، أن المشير المفخم السيد حيدر باشا لما قدم الى هذا القطر، وعلمنا منه أنه بلغ للابواب السلطانية العالية وقوع تحيير خطير بتونس وأعمالها ، رأينا لاجل ذلك ، تحرير هذا الكتاب لوزارتكم العظمى ، لاعلام الحضرة العلية بحقيقة الحال ، وان ما وقع لم يبلغ لدرجة ما نقل . ومحطها ان بعض الرعايا ادعى ثقل الاداء وتشكى من تأويل فصل النوازل بالمجلس ، وداخل فى ذلك بعض آخر منهم حتى حـ (2) لاغراضه وعند ذلك حرروا بمطلبهم المذكور ، من غير أن يقع منهم سفك دم ولا مد يد لأحد ، إلا شرذمة متفرقة ، تعرضت لعاملها الهمام الأعز أمير الامراء ابننا فرحات آغا ، وغدرت به وقتلته . ومد البعض من امثالهم يده لاخذ ما يجره من كسب من لم يدخل مدخلهم ، وكثير من العروش لم يفعل ما فعلوا . فبادرنا لارشادهم بطرق سياسية ، منها التخفيضات فى الاداء ، وتسهيل فصل النوازل وغير ذلك . فاذعن غالبهم ، ورد ما أخذه (كذا) وطلبوا الامان فأمناهم رفقا بهم ، وشرعت فى القدوم وتباشروا بعدم المؤاخذة عما صدر منهم ، هذا كله والحاضرة لم يقع بها شيء

---

(1) .B. A ؛ ملف رقم 78 : مجلس مخصوص خارجية ملف 5 ، 1221 ، وثيقة عربية ، رسالة من الصادق باشا الى الصدر الاعظم فؤاد باشا .

(2) كلمة غير مقروءة .

من التحيير كما هو مشاهد للعيان ، كذلك جميع بلدانها الا قليلا منها ، فان من لا دراية له من رعاع العربان المجاورين لها ، مدوا أيديهم لنهب متاع قليل، ولم يقع سفك دم من أحد لا فيها ولا في غيرها · على أن ذلك كاد أن ينقطع الآن بالمرة والحمد لله ، حسبما علم ذلك وسمعه رسول الحضرة العلية ولم يقع شيئا والشكر لله ، ولو وقع ذلك لكان أول ما نفعله أخبار الحضرة السلطانية أدام الله جلالتها ، وحرس سعادتها ، وأيد ملكها وعزها وبهجتها ، ودمتم ودام لكم الاسعاد وبلوغ المراد على ممر الآماد والسلام من معظم قدركم الفقير الى الله تعالى عبد المشير محمد الصادق باشا باي ·

كتب في 12 ذي الحجة 1280 (3)

---

(3) 19 ماى 1864 .

الوثيقة رقم 4

يتشرف عبدكم باعلامكم ما يلى : (1)

يشترى ولاة تونس وافراد العائلة الحاكمة الاقمشة والتحف ، من المغازات الاجنبية وخاصة مغازات الايطاليين ، بالدين ، ولم يتخل هـؤلاء التجـار عن أموالهم التى انتظروها كثيرا ، دون ان تجلب لهم أى ربح ٠

وعندما يتسلم أفراد العائلة المالكة معاشاتهم الشهـرية ، يصـرفونها فى اغراضهم الخاصة ، فلا يتمكنون من تسديد ديونهم وعليه يلجؤون الى استعمال طرق اللين والتسويف التى لم تعد تبرر اعتذاراتهم،مما دفع التجار الى تقديم شكواهم الى قناصل دولهم ، وهؤلاء بدورهم قد عرضوا المسألـة على الحكومة التونسية ، مما دفع الوالى الصادق باشا الى تسديد ديون حاشيته كلها ٠
قرر التجار المذكورون عدم بيع بضاعتهم من الآن بالدين الى أفراد العائلة المالكة ، كما أبلغ أصحاب البنوك الاوروبيين أفراد العائلة بانهم لن يقرضوهم شيئـا ٠

واذا باع التجار بالدين أو اقرضت البنوك ، ولم يستلموا أمـوالهم ، فان دعواهم هاته المرة تعد لاغية ، ولا يحق لهم مطالبة الحكومة بذلك ٠

وعندما سلمت مذكرة بهذا الشأن الى القنـاصل الدول الاجنبيـة ، ابلـغ بعضهم رسميا قبولهم بذلك ، أما البعض الآخر فقد عبر عن معارضته ٠

لم يستغرب الايطاليون الذين كانوا يقرضون بربى فاحش ، ما آلت اليه الوضعية ، بل استمروا يبيعون بالدين كما فى السابق ، ونتج عن ذلك قدوم بعض البواخر الايطالية لطلب أموالها من أفراد العائلة المالكة ومن بعض أفراد

---

(1) **B.A.** **؛ ملف رقم** 78 ، احتلال الجزائر وتونس ، وثيقة تركية ، تقرير حيدر أفندى رقـم 4 والمرسل الى الباب ، أنظر الشكل رقم 7 ، ص. 65 ـ 64 .

الشعب ، وبررت قدومها بأنها تريد أن تنهى هذا العمل ، وهم بهذا يريدون اكتساب قاعدة فى افريقيا للتوسع ٠

توجد الآن أربع فرقاطات وأربع بواخر بين كبيرة وصغيرة ، كما قدمت البارحة 2 فرقاطات جديدتان محملتان بعدد وافر من المهمات الحربية والبارود ، وبها 1.200 جندى ، وقد وصلتنى أنباء تقول بأنه بالاضافة الى 3 فرقاطات ، توجد الآن 3 بواخر حربية فى طريقها الى تونس ٠

زارنى قنصل انقلترا يوم الاحد الماضى، ومن خلال احاديثى معه، انتهينا الى أنه سيجرى تحقيقا حول أمر البواخر الايطالية الموجودة هنا ، والتى تتكون من 10 فرقاطات و 3 بواخر حربية والتى تشكل قوة بحرية ، وسوف تحقق ايطاليا رغبتها الشديدة بانزال العساكر الى تونس منتهزة أى سبب للضغط على الحكومة التونسية ٠

تتمتع انقلترا وايطاليا باتفاقية تنص أحد بنودها أنه اذا حصل نزاع بين التونسيين والايطاليين ، فان على هؤلاء الاخيرين ان يراجعوا انقلترا ليأخذوا رأيها فى ذلك ، واذا تناسى الايطاليون هذا البند ، فانى على يقين ان انقلترا ستذكر ايطاليا بذلك ٠

يقول وود : « يجب أن يتخذ قرار بشأن مشكلة تونس قبل فوات الاوان ، ويكون ذلك من طرف الباى والباب العالى ، لان هذا الوقت هو أنسب الاوقات وأصلحها » ، وأضاف القنصل وود قائلا : « مما لا شك فيه أن ايطاليا ستراجع انقلترا قبل أن تضغط على الحكومة التونسية » ٠

وقد اجبته : « لا يوجد تباعد بين سياسة فرنسا وايطاليا ، لذلك لا يمكن لايطاليا أن تتجاسر على هذا ، معتمدة على قوتها الحاضرة ، ومعتبرة المعاهدات التى بين ايطاليا وانقلترا لاغية » ٠

وأجابنى القنصل : « سيتيسر وجود مخرج الى ذلك الاحتمال ، ولكنه يتحتم على الباب العالى ، الوصول الى حل عاجل لوضعية تونس المضطربة » ٠

وأجبته : « آمل أن تتخذ الدولة العلية قرارا بشأن تونس بعد أن تتفق مع سائر الدولة الاجنبية الاخرى » ٠

ارسل أمس السيد دى بوفال كاتب سره الاول ليخبرنى ، سماعه ان الدولة العلية تنوى ارسال العسكر الى تونس ، وقد وصلت الآن الى مالطة ،

باخرة تحمل عددا وافرا من العسكر . وكما وصل الى الاسكندرية 500 نفر ، واضاف قائلا : « بانى (أى حيدر أفندى) سأسافر الى الباب العالى ، ولذا طلب من كاتب السر باسم القنصل استفسارا عن ذلك » .

وأجابه عبدكم : « لماذا يتخذ قنصل فرنسا من الاراجيف ، حقائق ؟ ولو كان فى نية الباب العالى اتخاذ مثل هذه الاجراءات ، فان ذلك يكون بواسطة سفيرها فى باريس ، او سفير فرنسا لدى الباب العالى ، ويتفق الباب العالى مع فرنسا فى اى اجراء ينوى اتخاذه ، ولا داعى لازعاج قنصل فرنسا بتونس ، أما سفرى الى الباب العالى وتاريخه فان ذلك من متعلقات دولتى وانا تحت امرتها » . ثم شكرنى الكاتب وانصرف .

وحسب رأيي ان فرنسا تحسدنا على ولاء الوالى والشعب التونسى للباب العالى ، وقد لجأت فرنسا الى هاته الالاعيب السياسية حتى توحى الخوف الى الوالى تجاهنا ، ولتتمكن بعد ذلك من تجميد العلاقة القائمة بين الايالة والباب العالى .

ولقد اخبرت القنصل الانقليزى أمس بسير الحوادث .

ان البدو الذين قد انتخبوا فى أول الامر على بن غذاهم رئيسا لهم،قد تخلوا عنه أمس وأطردوه،ففر هذا الاخير صحبة عشرين أو ثلاثين شخصا الى ناحية ما ، كما أن اثنين من مشائخ العرب سيقدمان على الوالى ليعبرا عن طاعتهما .

ولو تخلى الطرف المستفيد من الثورة عن مقصده اللعين ، بتشجيعه الثوار ، لما طرأ على أمن مدينة تونس شيئا ، ولا زالت آثار هذه الثورة مع مرور الايام .

18 ذى الحجة 1280 (1)

حيدر أفندى

مأمور تحقيق

---

(2) يوم الاحد فى 25 ماى 1864 .

الوثيقة رقم 5

الحمد لله نسخة مكتوب نصه (I)

الحمد لله وحده من عبد الله سبحانه بوفال قنصل الفرانسيين بتونس الى الاعز المحترم العالم السيد على بن غذاهم ، وبعد السلام عليكم ، نعلمكم خير ان شاء الله ، ما تقره به أعيونكم (كذا) وتطمئن لهم قلوبكم ، فأول ما نقسم لكم بانله الذى انزل الانجيل على عيسى عليه السلام الا نخفى عليكم شىء(كذا) من الواقع وما هو متعلق به غرض دولتنا الفخيمة فان قدوم مراكبنا لمرسة (مرسى) حلق الوادى فى تأكيد على دولتكم لتجيبكم فى مطالبكم ، التى من فقرها تغيرت أموالكم وابدانكم وحمايتكم،ولما خطبنا(كذا)السيد الباى لايجابه (كذا) مطالبكم طلب منا الامهال فى رد الجواب نحو أربعة أيام . فبعد انقضاء الاجل أجابنا بكونكم لم طلبتم (كذا) ما بينا له وانما بعض السفهاء يروجون فى هذه الاخبار والبلبل (كذا) عن هذا . ها وقادمين (كذا) مشائخ الجباهية ليلحق علينا على عادتهم ، فالزمنا نترقب . فبعد الايام (كذا) قدموا له البعض من مشائخ الجباهية على دعواهم ، وبعدهم أتت جماعة أخرى . وهذا فعند قدوم هؤلاء الناس عرفنا بأن بقية العروش كلها قادمة . ونحن نتحقق بأن ذلك لا أصل له ، وان هؤلاء القادمين من الرعية النازلين بالبحاير الذين لا عمدة عليهم ، وانما قدومهم لما يوعدونهم (كذا) العمال بلبس الجبايب (كذا) اكرام الدولة معهم ، وكما نتحققوا (كذا (أن ذلك لم يتغير به عصبتكم التى منشأها (كذا) على مصلحتكم ، ومصلحة بلدانكم وكما نعلموكم (كذا) بما هو يقوى غيرتكم عن خراب بلدكم ان وزراءكم عقدت شروطا مع الانجليز فى هذه المدة الفارطة قبل ثورتكم .

أول شرط ، أن تملك رعايا(كذا)آربع والعقار والاراضى،وبهذا لميبقمنكم

(I) **.B.A ملف رقم 78 احتلال تونس والجزائر 1231** : وثيقةعربية ، رسالة موجهة من قنصل فرنسا الى على بن غذاهم. وقد أرسل محمد الصادق باشا نسخة من هاته الرسالة الى الباب العالى ليدلل على تدخل دى بوفال فى شؤون البلاد الداخلية بتشجيعه على بن غذاهم على الانتفاضة .

الشكل رقم 7 – تقرير حيدر أفندي رقم 4 إلى السلطان . B.A. ؛ ملف رقم 78 .

مالك في هذه الانوار لان كسبكم لم يطابق كسبهم ، وبيان ذلك : الارض الذى (كذا) لم قدر (كذا) أحدكم على تقدير ان يزرع فيها قفيز قمح وقفيز شعير ، فلرعية المذكور أن يشتروها بعشرة آلاف على مقتضى حرفتهم ليزرعون (كذا) فيها القطن وغيرها فى المهمات التى لا طاقة لكم عليهم (كذا) ، ولاجرت بها عادتكم ولا يقتضيها كسبكم .

والشرط الثانى : أن يجعلون (كذا) ثنايا الحديد كالذى فى بلداننا ، وتبقى فى حوزكم الى أن يخلصون (الى أن يسددوا نفاقتها) من مدخولها ، وهم مصدقون فى حسابها . وهذا عين تملكهم عن بلادكم (كذا) لان مقتضى قوانينهم ما انحاز شيء وبقى بيده عشرين سنة ، يصير ملكا من املاكه ، ولا يجاب لطلبه ولو كان بيده عقده ، لان شريعتهم ..... (2) ، لحوز المذكور على الرسم .

الفصل الثالث : ان يجعلوا دارا بالحاضرة بها مالا كثيرا وهى الذى تسما (كذا) عندهم بالبانكة ، لمن أراد السلف يؤدى المائة فى كل شهر وبهذا تصير جميع اهل بلدانكم مدينين لهم ، بحيث اذن (كذا) ترجعوا لما قالته العرب : مديانك سلطانك .

الفصل الرابع : مهما ارض بوطنكم ، ان جبل به معدن كالذهب والفضة والرصاص وغير ذلك من المعادن ، تكون على ملك الانقليز ، وهما عليهم بالتفتيش على أنفوسهم (كذا) بحيث أن الانسان بهنشيره وهم قادمون عليه ، لتفتيش عارفتهم ، فان وجدوها يصير ذلك المكان الذى يجدون به المعادن على ملكهم ، ولا يبقى لمالكه فيه حق لانه صدر البيع من دولته . وبهذه الامور الفاحشة الذى لا يرضاها من له شفقة على ابناء جنسه ، ولهذا اشتد غيض دولتى وعزمها بارسال الشقوف الحربية لاجابتكم بعزل الوزير وابطال القانون الناشيء عنه الشروط ، لان زوالها تزول بزوال القانون ، والوزير وهو البائع . ولا يلزم اهل عمالتكم بحول الله هذه الفواحش شيء (كذا) . كما يلزمنا أن نبين لكم ان اجتهاد دولتى أفرنسا (كذا) الفخيمة مصروف فى مصالح جميع الاقاليم وخصوصا فى عمالة تونس التى هى مجاورة الجزائر ، وسياسة ملوكها الحسينية معه . ولكن الذى نعلمكم به أيضا وان وزارتكم (كذا) يحرضون فى الباى ليوجه لكم المحلة بالعسكر والمدافع على طريق باجة او القيروان وان مرادهم ليحرضوا عليكم العروش قبل قدومكم بيوم لتضعيف حزبكم . فعليكم بالقدوم الى سيدى على الحطاب بقدر أربعة آلاف خيل وتخبرونا قبل قدومكم بيوم ان شاء الله لما تتقدموا تطلبوا

---

(2) كلمة غير مقروءة .

الحلقة . وان شاء الله أنا نكون معكم على لسان الجد . يكون الا الخير والسلام من كاتب الحروف جانينو قنصل صفاقس لمقيم الآن بتونس المـأذون بكتيبـة (كذا) هذا الجواب من سيدى القنصل دى بوفال نائب سلطان فرنسا ومن محبكم كانبو كاردينال الفرنساوية .

25 ذى الحجة 1280 (1)

---

(1) 31 ماى 1964 .

الوثيقة رقم 6

يتشرف عبدكم باعلامكم ما يلي : (1)

عندما قدمت اليكم تقريرى السابقين ، أبنت لكم عوارض هذا الاختلال وكيف ان العصاة كانوا يتمنون الغاء الضرائب المزادة والمحاكم الجديدة ، وتعيين قواد منهم ، ولو قبل حضرة الوالى هذه الطلبات ، لامكن القول أن الثورة قد خمدت شيئا فشيئا ، ولدخل العصاة الطاعة .

ان فرنسا بتاريخ 24 ماى قد عززت فجأة قوتها البحرية الموجودة هنا ، وأصاب العرب الخوف ، خصوصا من كان منهم على السواحل الجنوبية من صفاقس وسوسة ، وأشيع أن فرنسا ستستولى على البلاد ، لذا أراد الباى تسكين روعهم بارساله القائمقام عثمان آغا الى صفاقس ، وعندما وصلها تجمع الاهالى فجأة فى المسجد وتساءلوا عن سبب قدومه ، فرد عليهم عثمان : « أنه مكلف من طرف الحكومة للمحافظة على الامن وقرأ عليهم صورة البيان عن مأموريته » . الا أن الاهالى ردوا قائلين : « نحن لا نعترف بالوالى ولا باطاعتك، أننا ندين بالولاء لسيدنا لسلطان عبد العزيز خان ، وصاحوا بصوت عال ، الله ينصر سلطاننا الاعظم » .

ثم ان الاهالى أخذوا من عثمان مفاتيح قلعة المدينة ورفضوا قبوله واليا عليهم .

يوجد بالمدينة عدد كثير من الاجانب ، الذين لم يمسهم سوء ، بل على العكس من ذلك ، قد اركبوا بكامل الرعاية سفنا فرنسية وايطالية للرجوع الى بلادهم . ونص على أنه اذا قدمت باخرة فرنسية فى المستقبل لغرض ما ، فان على المدينة أن تغلق موانئها دونها .

---

(1) **H.A.** ؛ **ملف رقم 707 ، احتلال الجزائر وتونس** ، وثيقة تركية ، تقرير حيدر أفندى رقم 5 والمرسل الى السلطان .

أشيع أن أهالى مدينة سوسة صرحوا بعدم اعترافهم بالوالى ، اثر مغادرة الاجانب المدينة سالمين •

ان هاته التعليمات قد تسلمتها من التقرير السرى الذى ارسله الى عبدكم ، قنصل اسبانيا ، وسوف تجدون هذا التقرير ضمن هاته الرسالة (2) •

زارنى قنصل فرنسا السيد دى بوفال أمس على اثر هاته الحوادث ، وذكر لى انه حسب تحقيقات القنصل وما وصلته من معلومات ، تؤكد أن وجودى هنا ، قد حول الامر الى مسألة دينية• ذلك انه كلما ازداد الاسطول الفرنسى قوة فى السواحل المذكورة ، كان الشعب يعتريه الخوف من ذلك •

ومن رأيى أن وكيله بسوسة ، هو الذى أكد مثل هذا القول • وقد أحضر القنصل رسالة بهذا المضمون ، الا ان عبدكم رد عليه : « لو كان موظف الباب العالى قد جاء لتحريك الناس على العصيان ، لزاد الطين بلة ، ولاقتضى وجوده بالبلاد اكثر من شهر الآن ، ظهور حوادث اخرى مثل ما وقع بصفاقس • الا أن الحقيقة على العكس من ذلك ؛ فعند وصولى الى البلاد أخذ الشعب ينقاد الى الطاعة شيئا فشيئا على الرغم مما أصيب به من هلع ، نتيجة تعزيز فرنسا قوة اسطولها ، وعليه فان ما اسند الى موظف الباب العالى ليس من الحقيقة فى شىء ، بل كنتم السبب فى حادث صفاقس • وان ما كتبتموه الى قنصلكم بسوسة يثبت صحة ذلك ، بالاضافة الى أن وجود (بارجتين) فرقاطة للمحافظة على سلامة رعاياكم ، يشكل بالنسبة لتفكير الشعب ، قوة بحرية ضخمة هدفها الاستيلاء على البلاد • ويعزى عدم استقرار الشعب واستمرار الاضطراب وعدم حصول الامن ، الى تزايد قوة اسطولكم • وهذا ما حدا بالدولة العلية لارسالى الى تونس ، وقد ادركت من المعاملة التى وقعت لى مع أميرالكم عند دخولى تونس ، أن أى اعتراض لكم على وجودنا سيكون غير مجد ، ان قناصل الدولة الصديقة لم يعترضوا على نشاطى وهم راضون تماما » •

وبعدها غادرنى القنصل دون أن ينبس ببنت شفة •

ان القنصل المذكور سيعرض على حكومته ما جرى بيننا • وقد قدمت لصاحب الدولة جميل باشا (3) صورة عن تلك المحادثة كما عرضتها عليكم الآن •

---

(2) راجع نص هذا التقرير منشورا فى النسخة الفرنسية لكتابى هذا ، وهو الوثيقة رقم 7 ، ص. 5I .

(3) راجع نص رسالة حيدر أفندى والمرسلة الى جميل باشا ، فى النص الفرنسى لكتابى هذا . وهى الوثيقة رقم II . ص. 54 – 56 .

أخبرت قنصل انقلترا بما وقع لى مع قنصل فرنسا ، واستحسن ردى . واخبرنى انه سيكتب ايضا مخبرا اللورد بذلك ٠

ان القبائل العصاة من العرب قد نصبت على بن غذاهم واليا عليها ، واتخذ قرار بتشكيل حكومة فى مدينة القيروان ٠ واخبر كـل المشائـخ بوجـوب حضورهم جميعا ، ذلك أن بعض المشائخ قد تظاهروا بالتأييد كرها لعلى بن غذاهم وجماعته ٠ فالعربى البيومى الذى كان يأمل انقضاء على الثورة ، كان قد بعث برسالة الى أحد المشائخ ، ولكن لا يعرف كيف سقطت هاته الرسالة فى يد على بن غذاهم الذى أمر باعدام العربى البيومى فورا ، فاتجهـوا الى مقره ، واتلفوا منزله ولم تسلم نساؤه من القتل أيضا ٠

ولو أظهر على بن غذاهم الطاعة ، وقدم على الى تونس ، لما اتهم بمثل هذه الاعمال الشنيعة ٠ ولكنه صحبة 5.000 أو 6.000 وربما اكثر من هذا ، قـد حط رحاله بضواحى مدينة الكاف الواقعة بالتـراب التـونسى وعلى حـدود الجزائر ؛ اما فرنسا فانها شجعت موظفيها فى الجـزائر بالعمـل على اتسـاع الثورة فى تونس ٠ وعندما يلاحظ سريان الثورة الى الجزائر ، فان فرنسا ترى من الضرورى عليها تعزيز قوة اسطولها من جديد ٠ ولن يقع هذا الامر بحول الله ، لان الدولة العلية مع الدولة الانقليزية تعملان معا على تأسيس وتدعيم حقوق الباب العالى بتونس ، الشىء الذى سيدفع فرنسا أن تنظـر الى هـذا العمل بحسد ، لضياع مصالحها ونفوذها ، وسوف لن تصبر على ذلك ٠

على الرغم من مكانة وسمعة فرنسا ، فان صاحب الامبراطور بتصرفه هذا ، قد دفع شعبه الى الانحطاط ٠ هل كان يعمل قنصل فرنسا ، لزيادة نفوذه فى البلاد ؟ أم كان يهدف الى فشل مهمة الباب العالى او عزل قنصل انقلترا ؟ أم كان يعمل على الغاء المعاهدة التى عقدها الوالى مع انقلترا والتى بموجبهـا تستطيع انقلترا استملاك الاراضى ؟ وعليه يستوجب علينا الاجراءات اللازمة حتى لا يظفر القنصل بتحقيق اى منها ٠

أخبر قنصل فرنسا الوالى انه اذا رغب هذا الاخير ، فى دخول الجيش الى تونس ، فان 30.000 ستكون تحت طلبه ٠ وقد أردت التحقيق فى المسألة ٠ فاتجهت أمس الى قصر باردو ، وعندما قابلت الوالى سألته عن احتمال دخول عسكر الفرنسيين الى تونس ؟

وقد رد على الباى : « من الذى قال هذا الكلام ؟ » وأضفت أنا : « معاذ الله أن يدخل الجيش الى تونس ، ولو وقع ذلك لقـدم الشعب التـونسى تفسيرا

آخرا ولاتتخذوا من معارضتهم لكم ، حجة لاعلان الجهاد ، وعليه ليكـن العقـل والادراك رائدكم ولا توافقوا على مثل هذا الرأى » ٠

واثناء احاديثنا تطرقنا الى حوادث صفاقس وكيف أن الشعب اصابه الخوف من تزايد الاسطول الفرنسي ، وكيف نادى الناس جميعا بكلمة واحدة الله ينصر السلطان ٠ اما الاجانب فلم يصابوا بسوء ٠ ورد على الوالى : « انى مع الشعب انادى الله ينصر لسلطان ٠ ولم اتردد لحظة عن ذلك ؛ ثم ان قنصل فرنسا نسب اليكم الاضطراب الاخير ولكن الحقيقة غير ذلك فوجودكم هنا ، من شأنه أن يهدىء من اشتعال الثورة ويسكن من حدتها ، بل ان الاسطول الفرنسى هو الذى عقد المشاكل ٠ وقد شكرته على ذلك ؛ وقد عرضت عليكم ما جرى بيننا ، ليكون ذلك فى شريف علمكم حتى تتخذوا ما ترونه صالحا من أوامر وتعليمات ٠

محرم 1281 (4)

(4) يوم الاثنين 8 جوان 1864 .

الوثيقة رقم 7

ان عبدكم يتشرف اعلامكم بما يلي : (1)

لقد كتب قنصل فرنسا السيد دى بوفال الى وزارة الخارجية الفرنسية ، يخبرها ان الباب العالى سيرسل الى تونس اسطولا وعساكر ، وعليه فقد طلبت وزارة الخارجية بواسطة سفيرها السيد مستيى (Moustier) أن يستفسر عن حقيقة الامر من الباب العالى وان يبرق الى السيد دى بوفال بذلك ٠

وقد تقابل القنصل الفرنسي مع حضرة والى تونس ، وذكر له أنه لا يرى فائدة من اقامة مبعوث الباب العالى هنا، وان وجوده يساعد على اثارة التعصب لدى الشعب ٠ وعندما ذكر عدة اراء من هذا القبيل ، رد عليه الوالى بقوله : « ان السلطان قد أرسل حيدر أفندى في مهمة اسلامية الى تونس ، وهو الآن ضيف عندنا ٠ ومهمته هو التحقيق في الوضعية ، ليعرض ذلك على مسامع الباب العالى ٠ أما دولة فرنسا فلا يحق لها أن تعارض مهمته بهذا الشكل السافر » ٠

لقد سمعت ذلك من الفريق سالم ٠

ان البدو المسلحين أصحاب هذا الاضطراب قد انتخبوا لانفسهم رئيسا ٠ أما علي بن غذاهم فقد فر حسب المعلومات الاخيرة ، صحبة جماعته الى ضواحى الكاف وقتل العربى البيومى ٠ الا أن حاشيته قد أصابها الخوف وقدمت على الوالى ، عارضة ولائها وطاعتها ٠ وحسب ما يذكر الآن ، ان مشائخ قبيلة جلاص الذين كانوا منذ بداية الاضطراب سندا قويا لزعيم الحركة ، قد أوضحوا رأيهم قائلين : « بناء على اعفاء الوالى الضرائب ، والغاء المحاكم الجديدة ، وتعيين رؤساء منهم ، فان آمالهم قد تحققت ولا يوجد الآن باعث للاستمرار على الثورة ولا الى ما يدعوهم الى مساندة زعيمها » ٠

---

(1) B.A. ملف رقم 78 ، **احتلال تونس والجزائر** : وثيقة تركية تقرير حيدر افندى رقم II ، الموجه الى السلطان . أنظر الشكل رقم 8، ص . 72 — 73 .

لقد لوحظ استحالة جمع العساكر واخراجها لمجابهة الثوار ، وذلك للافلاس الذى تعانيه الحكومة التونسية • وعليه فقد ارتأى الوالى فكـرة استقـراض 400.000 فرنك فرنسى مرسلا الصراف القايد نسيم اليهودى الى باريس ، لغرض ذلك • وعندما وصل نسيم الى باريس اظهر تشبثا لذلك ، مما دفـع الفرنسيين الى عدم قبول ذلك ، إذ لم تتوفر الشروط اللازمة •

يوجد الآن ، مدافع وسرية ونصف من العسكر مع 2.000 من المتطوعين للجيش • ولو أخرج هؤلاء جميعا من قصر باردو لرد العصـاة ، فان هـؤلاء الجنود الذين لا يعرفون ماهية ما يجرى ، سيهلكون جميعا ، ويتمكن الثـوار من احتلال تونس ، اذ هؤلاء الثوار لا يعرفـون شيئا من مظـاهر المـدنية ، وسوف يصطدمون بالمسيحيين هنا • وهو الشيء الذى ترغب فيه فـرنسا ، حتى تتخذ ذلك الاصطدام ، سببا لانـزال جيوشهـا ؛ وهـذا ادراك قـوى الاحتمـال •

واذا لم ترسل العساكر فانه لا يصح القول بـأن ثـورة عـلى بن غـذاهم ستنتهى ، اذ حسب البرقية التى اتصل بها قنصل فرنسا بتونس ، يفهم من مضمونها أن فرنسا ستعمل باتفاق مع الدولة العلية • على انى لا اعلم هـل ستمانع فرنسا دخول العساكر العثمانية الى تونس أم لا ؟ كما أننا نتساءل هل لدى القنصل فعلا تعليمات أم هى أشياء اختلقها من عنده ؟

ان القنصل المذكور أصبح يتردد على الوالى باستمرار هذه الايام ، ليضغط عليه قبول فكرة ارسال العسكر الى تونس • فاى طريقة تأمـرون عبـدكـم الضعيف اتباعها ، واى تدبير يجب اتخاذه ؟ ذلك أن دوام هـذه الثـورة قد عطلت الاعمال التجارية كلها وبدأ التجار يشكون •

وقد فكرت فى احتمال محاولة قنصل فرنسا وايطاليا اتخاذ شكوى التجار وسيلة لتحقيق مبتغاهم ، بتحريض حكومتيهما على اتخاذ موقف حازم • وقد تقابلت مع قنصل انقلترا واطلعته على الامر • وقد بين لى أن الحكومة التونسية مفلسة وان دوام الحالة بهذا الشكل خطير • واقترح على ان يقرض الباب العالى حكومة تونس ، مبلغ 4.000.000 غروش ، ويسلم هذا المبلغ بواسطة صراف ، ويكون ذلك تحت كفالة القنصل الانقليزى • وقد رددت عليه : « سـوف لن أوافق على هذا الاقتراح ، قبل أن أتلقى تعليمات من الباب العالى » • وأجابنى بقوله : « انه سيعرض هذا الاقتراح على سفير انقلترا بالبـاب العـالى » • وبالنتيجة لا يستبعد احتمال التجاء صادق باشا الى المحادثات مع الفرنسيين ، اذا لم تؤمن البلاد وتحل مسألة تونس •



الشكل رقم 8 – تقرير حيدر أفندي رقم 11 إلى السلطان . B.A. : ملف رقم 78 .

واذا كان ما رويناه صحيحا ، ان قبيلة جلاص قد تخلت عن علي بن غذاهم ، فان هذا الامر سيؤدى قريبا بعناية الله تعالى ، الى خمود الثورة شيئا فشيئا ٠

اجتمعت مع القناصل هنا واقترحت عليهم اتخاذ تدبير مشترك غير مرة ، الا انهم رفضوا ذلك ٠ ولى أمل انى لو توسطت بين الدولة التونسية والثوار لنجحت فى مسعاى التوفيقى ، بفضل سمعة سيدنا ومولانا سلطاننا الاعظم، ذلك أن عدله واستقامته ومكانته من الناس ، تساعدنى فى مهمتى ، غير أن الفرنسيين لن يوافقوا على هاته المحاولة ، وزيادة على ذلك فانى لم اتلق امرا ولا اتصلت بتعليمات بهذا الشأن ، فاخترت السكوت ٠ وها انى اعرض عليكم ذلك قائلا ان الامر والفرمان لحضرة سلطاننا الاعظم ٠

17 محرم 1281 (2)

---

(2) يوم الاثنين فى 22 جوان 1864 .

الوثيقة رقم 8 (1)

قد وصلنا تقريركم المؤرخ في 11 من الشهر السابق ، والذى يحمل رقم 2 ، وهو يشتمل على ثمانية بنود وتحدثتم فيه عن وصولكم الى ميناء تونس ، واستقبال الوالى لكم ، ومعارضة الاميرال الفرنسى لكم ، ومقابلتكم القناصل الصديقة وبيانكم لمنشيء الاضطراب واقتراحاتكم الاصلاحية الممكنة · وقد عرضنا على السلطان ما ارسلتموه من بيانات بالعربية والفرنسية · وبأمر السلطان اطلعنا على محتوياتها ، وعرضنا خلاصة مناقشاتنا على السلطان ، ونحن الآن ، بأمر منه ، نبلغكم القرارات التالية :

فهم أن سيادة الوالى مخلص للدولة العلية ، ولكنه يشتكى من عدم اهتمام الدولة العلية له ، كما كان ذلك بالنسبة للولاة السابقين · وهو يخاف خطر وقوعه تحت تأثير القناصل الاجنبية · كما أنه عازم على سلوك مسلك مستقيم مع الدولة العلية · واقر ذلك بعد التجربة التى مر بها · كما أننا نلاحظ أنكم قمتم بوظيفتكم التى أنيطت بعهدتكم أحسن القيام ، باستعمالكم الحكمة والاذعان والصبر ·

إن موضوع تدعيم ولاة تونس بالباب العالى ، هى مسألة واضحة لا تستدعى منا التأكيد عليها ، ولم يصدر عن الباب العالى حتى الآن قرار بجعل الحكم وراثيا فى العائلة الحاكمة كما هو الحال بالنسبة لمصر · ومع ذلك فان الولاة قد عينوا وصودقت ولايتهم أكثر من مائة سنة ، بالنسبة لاعضاء العائلة المالكة · واعطى لهم استقلال داخلى لادارة البلاد فى القديم ، بالاضافة الى ان الباب العالى لم يعترض على المعاهدات التونسية التى عقدت مع الدول الأجنبية ، وبالنتيجة إن علاقات الباب العالى مع تونس قد وصلت الى حد ، كان الباب العالى يصادق على تنصيب الوالى فقط ، وهذا الاخير يرسل بدوره هدايا كل 5 أو 6 سنوات ·

---

(1) H.A. : ملف رقم 707 ، تونس : وثيقة تركية ، وهى التعليمات السرية المرسلة الى حيدر أفندى أثناء مأموريته التحقيقية بتونس .

ومن ناحية أخرى ، كان الباب العالى يرغب التدخل فى هاته النواحى من أراضيه منذ استيلاء فرنسا على الجزائر ، ولكن هاته الاخيرة عارضت بشدة وابانت انها ستحارب لو اقتضى الامر ذلك • ولو أرسل الباب العالى عسكرا او اسطولا الى تونس ، استجابة لطلب الشعب والوالى ، لقوت فرنسا من اسطولها ، بارسالها مزيدا من العساكر والمهمات الحربية • وقد أخبركم قنصل انفلترا ان نية فرنسا هى تقوية اسطولها ، الى حد يتسنى لها معها ، الاستيلاء على تونس •

ومن ناحية أخرى ، ان لرعايا الانفليز فى تونس ممتلكات ، ومن البديهى أن لا تسمح انفلترا باجراء المعاهدات السلطانية فى تونس • وستتشبث كل من فرنسا وانفلترا بما حصل عليه من امتيازات ، وعليه لا يمكن التفكير بجعل تونس ايالة مباشرة للباب العالى ، كما هو الحال بالنسبة لطرابلس • ولو حاولنا تحقيق ربط تونس بالباب العالى ، لتحتم علينا مواجهة الحرب مع فرنسا ، وهذا أمر خطير • ونظرا للظروف الحالية فلا ينبغى أن نحاول ذلك بالقوة ، وانما يستوجب علينا تدعيم تابعة تونس للباب العالى ، مستغلين طلب الباى والشعب التونسى ، وهذا ما يبدو اتخاذه مجديا •

ان تسوية المسألة التونسية تقتضى حلين ، اولا : أن يتفاهم الباب العالى مع الدول الصديقة فى جعل تونس تحت كفالة دولية كولاية مصر وبعض الولايات الاخرى • ثانيا : ان يجرى الوالى مع هاته الدول محادثات ومعاهدات تبلغ صورتها الى الباب العالى ؛ والظاهر أن انفلترا سوف لن تخالف فى ذلك ، كما أن فرنسا لن تظهر سوء النية وذلك للحفاظ على علاقاتها بالباب العالى ، وللجوار مع تونس التى تعتبر ولاية صغيرة ، وبهذا لا يسمح بتغيير شىء من وضعية البلاد • ويظهر أن الحل الثانى هو الاقرب الى التحقيق ؛ يعمد الوالى الى تأكيد تابعية تونس للباب العالى ولا صلاحية لاحد فى الاعتراض على ذلك • كما يجب أن تحافظ الولاية على العادات القديمة والاتفاقيات المعقودة مع الدول الاجنبية ، مع أخذكم بالاعتبار لشروطها والتى ستستمد من القانون ، وتشرحوا لحضرة الوالى اصولها وأحكامها الجارية ، ثم ترسلوا لنا نسخا منها للاطلاع عليها • وعلى اساس هذه الشروط ، يقع تقوية مفهوم التبعية بتحرير رسمى ويقدم للباب العالى • وعليكم أن تنصرفوا بكامل الاعتناء لتحقيق ذلك ، مع أخذكم بالاعتبار ردود الفعل وانعكاساتها •

عندما سلمت اليكم التعليمات فى بادىء الامر للتحقيق فى المسألة ، كنا قد علمنا أن العصاة قد استولوا على ادارة البلاد • وبما أن الوالى الباشا ما زال قائما ، وان العصيان تحول مسرحه الى داخل البلاد ، فان وظيفتكم التى

هي التحقيق في الحوادث الجارية ، لم تعد ملائمة · وعليه ستجدون معارضة الفرنسيين الذين سيندفعون الى تعزيز أسطولهم ، ويسبب ذلك زيادة هلع الاهالي · وقد ذكرتم أن الفرنسيين يعملون على احتلال مدينة صفاقس وسوسة ·

تتمثل وظيفتكم الآن في اسداء النصح للوالي في مقابلات خاصة · وبما أن الوالي قد نصب بموافقة السلطان · فان عصيان الاهالي يصبح عملا غير مشروع ، وعليه تجب مقاومته · ولكم أن تتصرفوا بالطريقة التي ترونها صالحة باعلانكم على الاهالي ، افكار الباب العالي ، حتى تتمكنوا من القضاء على هذا الاضطراب ومقاومة الثوار ، وتأمين الرعايا الاجانب على أرواحهم وممتلكاتهم ، وتبلغوا الوالي الرسائل التي سنبعثها له ·

لقد أرسلنا الى سفارتنا بباريس طالبين استفسارا من وزير خارجية فرنسا ، للمعاملة الغير الودية ، التي أظهرها أميرال الاسطول الفرنسي بميناء تونس ، وكذلك قنصل فرنسا بتونس تجاه حيدر أفندي ؛ وقد اعتذرت وزارة الخارجية عن هذا العمل ·

لقد اطلعنا على التقارير رقم 4 و 5 و 6 و 9 و 10 وعلمنا منها ان اهل صفاقس في بادىء الامر ، لم يظهروا الطاعة للوالي واخيرا قبلوا ذلك · كما أن العرب اطردوا من حضيرتهم على بن غذاهم ، وعلى ضوء هاته التعليمات الجديدة ، تصرفوا بحكمة مع قناصل الدول الصديقة واخبرنا بنتيجة ذلك (2) ·

---

(2) لم اعثر على تاريخ لهاته الوثيقة .

الوثيقة رقم 9

كانت يوجه (I) لقب المشير والرتبة الوزارية السامية الى ولاية تونس منذ قديم الزمان ، وكان ينتخب أكبر العائلة الحاكمة ، ليعين واليا •

أما أصول الحكم الداخلية في تونس ، فكانت تسير وفق احكام قديمة مع تفويض الوالى كل شيء • ومن أجل المحافظة على الايالة ، يؤذن للوالى باتخاذ قوة برية وبحرية لاحتياجه ، ويترك له تقرير ذلك • وتجرى فى تونس كافة الاحكام والاتفاقيات التى عقدتها الدولة العلية مع الدول الاجنبية ، ولكن في صورة عدم نقض ولاة تونس الاحكام العامة للاتفاقيات ، وعدم الاخلال بحقوق الايالة التابعة للدولة العلية ، وكذلك عدم وضع امارة البلاد بصورة اجبارية ودائمة للسلالة الحاكمة ، فانه فى هاته الحالات ، يؤذن بتنظيم وعقد الاتفاقيات الخاصة • غير أنه فيما يتعلق بغير هاته الشؤون ، فانه يستوجب مراجعة الباب العالى •

تشكل تونس مع الجزائر التى تديرها فرنسا الحدود المشتركة • وعليه يجب مراعاة هاته الحدود ، كما يجب رعاية الاهالى • ولاجل استتباب الامن على طرفى الحدود ، فان ذلك يقتضى اتخاذ التدابير مع الموظفين الفرنسيين ، على أن تراعى معهم أسباب الامن وحسن الاتفاق •

ان كافة الموظفين المدنيين والعسكريين يستطيعون عزل وتنصيب الوالى ؛ وتوجه الى العسكريين رتبة الميرالى (اى امارة) ومقابلها الى المدنيين فى الدولة العلية •

وبقدر ما يطلب الينا ارسال الرتب والمكافئات ، فان الباب العالى،سيتفضل

(I) .**B.A** ؛ **ملف رقم 78** ، مجلس خارجية ملف I224،I،وثيقة تركية . هاته التعليمات صادرة عن الباب العالى ، ولكن لم اعثر خلال ابحاثى ، عن تاريخ ارسالها .

بذلك . ليبقى علم تونس كما هو الشأن علم الدولة العلية أحمر يتخلله قوس ونجمه .

بمناسبة تبدل الولاة من حين لآخر ، كانت تونس تقدم الهدايا السنوية الى السلطنة العثمانية ، الا أنهم كانوا يقدمون فقط 10.000 كيس آقجـه (2) ثم ان تونس منذ عشرين سنة لم تقدم شيئا لضعف امكانياتها .

---

(2) أسم للنقد المالي في الامبراطورية العثمانية ، وتعادل كيسه أقجه (Kisa Akçe) حوالي 125 فرنك ، خلال منتصف القرن الماضي .

الوثيقة رقم 10

الحمد لله (1)

حفظكم الله تعلى (كذا) الاعز الامثل العالم المتوكل ، على فضل مولاه الطيف (كذا) السيد علي بن محمد بن اغذاهم (كذا) الشريف ، اكرمه الله أمين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد اتصل بنا الاعز جوابكم ، وعلمنا ما فيه وحمدنا الله على عافيتكم ، وقولكم انا (كذا) لم نرسل لكم جواب (كذا) ضد جوباكم الذى ارسلتم (كذا) لنا صحبت (كذ) السياى (كذا) الذى أتاكم بالزوج اصغير (كذا) . تعلم سيدى لما تحققنا انه من جنابكم استغنينا من كتيبت (كذا) الجواب وملينا (كذا) عليه جميع نصايحكم (كذا) وكتبها بخط يده الذى كنا عرفناكم عليهم(كذ) فى أجوبتنا وهما(كذا) ان تقيموا وثيقة مشهودا فيها على جميع العروش بعسرة (كذا) او اثنا عشر عدل مطبوعتا (كذا) بطابع الفضى الموجود عندكم ، مثل قاضى ادريد (كذا) وقاضى تستور ، وطبعك ، وترسلوها لنا عن (كذا) الفور من غير تراخي وتخاطبنا بجواب صرته (كذا) الى القنصر (كذا) جنرال دولة فرنسة بتونس الذى نعرفوكم (كذا) به خير ان شاء الله ، كما في علمكم مما اصابنا من الضر والاسى الذى لاطفت للبشر عليه (كذا) فبهاذا (كذا) التفقنا (كذا) على زواله ، وزوال الناس الذى كانت لنا فيه واصطه (كذا) بيننا وبين دولتنا وبقينا على هاذه (كذا) الحالة مترقبين ، ولم نرو (كذا) علامت (كذا) خير فى ذالك (كذا) ، بل تحققنا الضرر والهرج الذى سيقع من ذالك (كذا). ونحن نتحقق ان مطالبنا على الحق (كذا) كما ذالك (كذا) تتحققه كل دولة ساعيت (كذا) فى مصالح العباد . المطلوب منكم ان تكونوا واسطة بيننا وبين دولتنا على عادت (كذا) سياستكم والسلام من علي بن اغذاهم (كذا) . وبعد ما ترسل لنا هاذه (كذا) بيومين او ثلاثة ، تقدم الى سيدى على الحطاب فى خمسة او ستة آلاف خيل وتخاطب الباى ليرسل لكم من تحلف لميه ،

---

(1) أ. ح. ت ، ملف رقم 1031 ، صندوق 184 ، وثيقة رقم 45 . رسالة من قنصل فرنسا بتونس الى علي بن غذاهم . أنظر الشكل رقم 9 ، ص. 80 ـ 81 .

وتخاطبنا لنقدم لكم الى سيدى على الخطـاب المذكور ، وان شـاء الله بذالك (كذا) تنم جميع مطالبكم. وهاذه (كذا) مرة المطالب الذى تبينوهم (كذا) في الوثيقة وفى الجواب الذى ترسلوهم (كذا) لنا(2). ازالت (كذا) الوزير واتباعه وعدم رجوع القانون والتخفيف في الادا (كذا) وامر الامان فيمـا صدى منكم وفيه ضمانتنا وقولكم اننا عرفناكم مع السياى ، لان لا تأخذ كلام الحاج العروص (كذا) ، لم يصدر منا ذالك (كذا) . وان العروص المذكور من جنابنا وصديقنا ولا تضنوا (كذا) فيه سوء . ونحن غنيناكم (كذا) عن كلام كل واحد لان بيننا لكم في اجوابتنا (كذا) جميع مصالحكم . وقـولكم ان السياى ذكر لكم ان الجوز من عندنا لا اصـل لـذالك (كذا) وانـه للحـاج العروص . ونعرفوكم (كذا) اننا مستغربين (كذا) فيكم الذى الان (كذا) مدة ونحن نتكاتب تحن نعرفوكم (كذا) بجميع الامور تفصيل (كذا) وأنتم جميع اجوبتكم فارغة لم تبينو (كذا) لنا فيها الامور تفصيلا ، الذى هي في مصالحكم، وقولكم نرسل لكم قبر وفلس فضة وان شاء الله يوم الـذى تنتـم (كذا) مطالب الجميع نهادكم (كذا) بالاموز (كذا) المهمـة الـذى تليـق بمقـامنا ومقامكم . واما مطلبكم هذا لا عبرت (كذا) به والسلام من محبكم القنصر (كذا) جنرال دولة فرنسة بتونس حرسه الله أمين .

(3) 1281 محرم 10

---

(2) كان القنصل الفرنسي دى بوفال يعمل على الحصول على نص رسالة بخط وخاتم على بن غذاهم متضمنة كل المطالب التى نادى بها الثوار ، وبها يطلب على بن غذاهم توسط القنصل الفرنسي، حتى تكون تلك الرسالة مبررا شرعيا لمساندته الثورة وسندا قويا للتقارير الخاطئة والتى ما فتىء يوفدها الى وزير الخارجية الفرنسية ، والتى تتحدث بتفاؤل عن نجاح هاته الأنتفاضة ومن هنا ندرك خطة دى بوفال عندما أقترح على بن غذاهم أن يحرر له هاته الرسالة .

(3) 15 جوان 1864 .

الحمد لله

حفظكم الله تعالى الامير الاجل الهمام المتوكل على فضل مولاه [illegible]
الطيب السيد علي بن محمد بن غذاهم الشريف اكرمه الله امين السلام
عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد اتصل بنا الامير جوابكم وفهمنا ما فيه و
حمدنا الله على عافيتكم [illegible] وقولكم انكم لم يصل لكم جواب من جوابكم الذي
ارسلتم لنا صحبت السباعي الذي اتاكم [illegible] اعني [illegible] سيدي لما تحققنا
انه من جنابكم استغنينا عن كتيبت الجواب وفهمنا عليه جميع نصايحكم [illegible]
بخط يده الذي كنا عرفناكم عليه في اجوبتنا وهو ان تفيدوا وثيقة مشهودا
بيعها على جميع العروش [illegible] مطبوعة بطابع القضاة [illegible]
عندكم مثل قاضي [illegible] وقاضي تستور والكاف وترسلوها لنا مع العونا من غير
تراخي وقد طلبنا بجواب [illegible] الى القنصل جنرال دولة فرانسة بتونس الذي [illegible]
به حتى ان شاء الله كما في علمكم [illegible] من الهم والناس الذي لا طاقت
للعيش عليه فيما اذا اتفقنا على زواله وزوال الناس الذي كانت لنا فيه واسطة
بيننا وبين دولتنا وبقينا على هاذه الحالة متخالفين ولم تبق علامة خير في
ذلك بل تحققنا [illegible] الذي سيقع من ذلك ونحن نتحقق ان مطالبنا
على الحق كما ذلك تتحققه كل دولة ساعيت في مصالح العباد والسلام المطلوب
منكم ان تكونوا واسطة بيننا وبين دولتنا على عادت سياستكم والسلام من علي
بن غذاهم وبعد ما [illegible] لنا هاذه الكتايب [illegible] تقدم الى سيدي
علي الحطاب في [illegible]
وطلبنا لنقدم لكم الى سيدي علي الحطاب المذكور وان شاء الله [illegible] تتم
جميع مطالبكم [illegible] وهاذه هي المطالب الذي [illegible] في الوثيقة وفي الجواب
الذي [illegible] لنا ازالة [illegible] وتوابعه وعدم رجوع القانون [illegible]
[illegible] فيما [illegible] منكم وفيه ضمانتنا وقولكم [illegible] مع السباعي
انا لا ناخذ كلام العلايج [illegible] من ذلك وان العلايج [illegible] المذكورين من
[illegible] ومدينتنا ولا [illegible] ونحن [illegible] كلام كل احد [illegible] لكم
في اجوبتنا جميع مطالبكم وقولكم ان السباعي ذكر لكم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] القنصل جنرال دولة فرانسة بتونس
[illegible]

الشكل رقم 9 ـ رسالة من دي بوفال إلى علي بن غذاهم .

أ. ح. ت ، ص. 184 ، ملف 1031 ، وثيقة رقم 45 .

الوثيقة رقم 11

نصه بعد (فاتحته) : (1)

المعروض به اشراف مسامعكم الزكية الخير والعافية ، انه لما زادت عنا المظالم من جانب السادة ، فميزنا ذلك ، فليس وجدنا (كذا) لها طاقة مع ما كان ممنوعا عنا ، من الاغاثة من نظر السيادة فيما نلجوا (كذا) اليك لرفع المظالم عنا ، ونهى البغاة والعمال التي طالت أيديهم عنا من وجه ما ذكر ، وما أصابنا من خرق العادات السلطانية الماضية وتبطيل عاداتهم العربية ، وخفضهم للغير ، فلا غرو نفرت النفوس وطلبت عدمها من دار الدنيا أهون من ذلك ، فحضرت جميع العروش واتفقوا معنا على كلمة واحدة من غير خلاف بينهم بأننا نكون رئيصا (كذا) عنهم لاجل مصلحة الجميع ونهى الظالم عن المظلوم،ونقف عند باب الحق بقدر الطاقة،اى ان تشفق عنهم وتحلم على جميع رعاياك وترحمهم ، وانت محل ذلك ويرجع كل منهم تحت نظر اسياده كالعادة . ثم الآن لما أن بلغنا بأنك حلمت عنا وشفقت عنا لانك والد حنين فحفظنا لما أمرت به ، وصرت ننهى في الاعراش ، ونسكن في روعهم بالسياسة ، فقبل جلهم بنا ونحمل في آخرهم . والان هنا نازلين قرب قرية تبرسق بجبل أعراش أفريقية ، ومعنا الاجلاء الذاكرين الزاهدين السيد مصطفى بن عزوز ، والسيد أحمد بن عبد الملك بن عبد الوارث ، ومقايدهم (كذا) ونازلين (كذا) معنا . ويطلب (كذا) الصلح وبجاه الله يتم أمرنا على قريب بالخير ، مع تمام للشروط ، شرطتها (كذا) الاعراش . كما تأتيك عن قريب بعد اجتماع المشايخ..... (كذا)واعيان العروش على يد المكرم الاجل الامجد الارشد السيد اسماعيل.....(2)، صاحب وأيضا يا نعم السيادة أنا محسوب شريف وصاحب طريقة نريد الفضل من الله ثم منك ، انك تتفضل عنا بهنشير الروحية لنستعان به على زاوية أبو (كذا) القطب الاعظم السيد

---

(1) .B.A ؛ ملف 78 احتلال الجزائر وتونس 1231 : وثيقة عربية . نسخة من رسالة لعلى ابن غذاهم الى محمد الصادق باشا .

(2) كلمة غير مقروءة .

أحمد التيجانى رضى الله عنه . وكذلك ان عرش اخواننا ماجر خاطبتهم على ما يتولى عنهم فطلبوا أخينا (كذا) سيــدى عبــد النبى لتطمين (كذا) به نفوسهم ويصلح به حالهم ان استوى للسيادة وتفضلت عنا بذلك مظهر لنــا أوامر مع العاملين والسلام الى آخره .

مؤرخ فى I7 صفر I28I (3) .

---

(3) يوم الاثنين 22 جويلية 1864

الوثيقة رقم 12

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (1)

الصدارة العظمى ، والركن الاعظم الاحمى ، والرتبة الشامخة الشماء صدارة ركن الدولة والوزارة ، ومنتهى الآمال ، ومصدر الاشارة ، ومن لا تفى بمحاسنه العبارة ، الوزير المشير الصدر الاعظم السيد محمد جواد باشا ، لا زال كما يختار ، سعيد الاراء ، محمود الاثار ، ومناقبه تخلدها اقلام الاقدار .

أما بعد التحية السنية المحلية بما يلزم لتلك الرتبة العلية ، فالمنهى لابواب الصدارة العظمى ما لنا من الشكر لفضائل الخلافة العلية وجميع اعتنائها بالاقطار الاسلامية ، كيف وقد رأينا من عنايتها واعانتها ما يقصر اللسان عن القيام بشكره وحبه أن يعمر الاوقات بترديد ذكره ، والسلطنة العظمى أهل لكل كمال ، وموضع لساير (كذا) الامال والدعاء بدوام هذه الدولة وتمكين ما لها من ميادين الفخار من الجولة (كذا)، وان يديم جلالتها الشامخة ومزاياها الباذخة وأن يمنحها من مرضاتها الامل ، ويعينها على ذلك بالقول والعمل ، وحسن التبليغ الذى قرره أحد الاعيان ، أهل الرفعة والشان الثقة الاكمل السيد حيدر أفندى . فاننا رأينا من كمالاته ما يقصر عن عده بيان اللسان ، ولا يختلف فيه اثنان . وقد أحسن التبليغ بما نقطع به عن الفضل البليغ وأرانا من (كذا) انتجته أنوار الخلافة ذات الفضل والانابة من الاعتناء والانعام ، الذى رأيناه عيانا ، وأقام على ذلك دليلا واضحا وبرهانا . ولا غرابة فى صدور الفضل من موضعه ، واشراف النور من مطلعه ، هذا وان العافية قد تقررت ، فى العمالة بفضل الله تعالى أصولها ، وتمهدت ، وعادت الراحة لاهلها ، كما عهدت ورجع كما عرش لمكانه قانعا بما حصل له من الاسعاف ، ولم يبق بينهم نزاع ولا خلاف . وذلك كله من غير أن يقع لاحد

(1) .H.A: ملف رقم 78 ، مجلس خصوص . خارجية ملف 8 ، وثيقة عربية ، رسالة من محمد الصادق باشا الى الصدر الاعظم محمد جواد باشا .

ضرر في بدن ولا مال ولا ارتياع بحال • فانبسطت لذلك امالهم ، وحسنت ، والمنة لله ، أحوالهم • كل ذلك باعانة الله تعالى ، التي منهـا رضى الخـلافة وحسن اعتنائها ، ونصرها الجميل وولائها • ولم يبق الا القليل الآن ببعض قرى الساحل ، ونرجو من الله تعالى لجميعهم دوام الهدى والرشاد وما يثمر الخير الذى هو غاية المراد ، ودمتم ودام لكم الاسعاد على ممر الاماد • والسلام من معظم قدركم العالى الفقير الى ربه تعالى عبده المشير محمد الصادق باشا باى وفقه الله تعالى •

كتب في 15 ربيع الاول 1281 (2) •

---

(2) يوم الاربعاء 22 جويلية 1964 .

الوثيقة رقم 13

الحمد لله (1)

نصه بعد افتتاحه :

وبعد نعم سيدى رعاك الله ، ها قادمين (كذا) لكم حاملين الجواب (كذا) السيد العمارى بن السلامى وسى مصباح ، بأيديهم جواب الى السيد المشير ، هنأه الله أمين ، لتبلغه بيده وتفهمه عنه ، وتكون لنا اعانة من ذلك ، ويحكوا لك الحاملين المذكورين مشافات (كذا) على مـا صـدر بين وبين الاعـراش جملة . وعلى ما وقع جمله خطاب من المحروسة تونس فى جانبك انت وليس رضيت (كذا) لانك أنت مصباح المملكة ومفتاح أفريقية وربنا يستر الجميع .

آمين والسلام .

مؤرخ فى 17 صفر 1281 (2) .

---

(1) B.A. ، ملف رقم 78 احتلال الجزائر وتونس ـ ملف 6 ، 1231 ، وثيقة عربية ، رسالة من على بن غذاهم الى مصطفى خزندار .

(2) 22 جويلية 1864 .

الوثيقة رقم 14

الحمد لله وحده (1)

نصه بعد فاتحته :

فالمعروض على الجناب العلى هو أن ساعة كتبهم (كذا) ، قدم علينا للمحلة المنصورة المشار سيدى مصطفى بن عزوز وسيدى أحمد بن الوارث وسيدى الحاج محمد الصديق بن الشيخ سيد محمد الصالح ، وصحبتهم أعيان العروش المذكورين علاه بقصد اتمام مصالحهم . واما على بن غذاهم ومن كان معه من عرش ماجر فانهم توجهوا الى منازلهم، بعد أن اشهد المذكور، الشيخين سيدى أحمد بن عبد الوارث وسيدى مصطفى بن عزوز ، لانه لم يعد لمباشرة ما يتعلق بالعروش اصلا ، واعطى خط يده وطابعه للشيخ بن عزوز فيما يتعلق بالصلح بعد رياضه (رضائه) به . وان شاء الله بعد التاريخ نعرف الجناب الاعلى بما يقع بيننا من مخاطبتهم ودمتم للمعالى على ممر الليالى والسلام الى آخره .

مؤرخ بصبيحة 23 اربعاء من صفر 1281 (1) وباعلاه المكتوب ما نصه :

عرش دريد ، اعيانه ؛ اعيان عرش اولاد سيدى عبيد ، اعيان العرب ؛ اعيان مشارق الخمامسة وذرفان ؛ اعيان جندوبة ، أولاد يعقوب ؛ اعيان الزعـالمة ، اعيان أولاد عيار ، اعيان ورتان ، اعيان أولاد بو سالم .

---

(1) B.A. : ملف رقم 78 احتلال تونس والجزائر ، وثيقة عربية ، رسالة من صاحب الطابع الى محمد الصادق باشا باى .

(2) يوم الاربعاء 28 جويلية 1864 .

الوثيقة رقم 15

الحمد لله وحده نسخة مكتوب نصه بعد افتتاحه : (1)

حفظكم الله تعالى ذات المكرم الاجل الاكمل الامثل الاشمل الانجم الاحزم الامجد الارشد الاسعد الاوحد أمير الامراء وزير العمالة سيدى خزندار ، اكرمهم الكريم ، ولا يفارقه النعيم ، وشأنه عند الله وعند الله عظيم ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وازكى تحياته واعم فضله ورضوانه · وبعد : نعم سيدى رعاك الله بعين الرعاية ، انه لما تفضل عنا سيدنا نصره الله بولاية اخينا ، على اخواننا ماجر ورتبت انت معنا فى جميع امورنا ، فحمدنا فضل السيادة عند كل من حضر بين أيدينا ، من عمالة الشرق والغرب ، وهاته الساعة ولينا (كذا) خدام السيادة وان شاء الله الخديم وسيده ، اذا اجتمعت نيتهما يكون الخير بين الجميعين·والحال رب يبقيك،الهنشير التى(كذا)كلمتكم عنه وهنشير ووعدتنى به ، وسمعت به أفريقيا ، وباركوا بذلك ، وان هاته الساعة نقيم فى الزاوية ومهيبها لوعد الكرام · وكذلك يا نعم السيادة عندنا رجلين من ماجر يخوضوا فى العروش ويقولوا لهم فلان غدركم وراح الزماله ستة وثلاثين ريالا · فهانى كتبت فيهم جوابا الى مولانا وسيدنا نصره الله ، فلتفهمه على ذلك وهما المكرمان أحمد بن حسين العمرانى ، وابراهيم بن عبد الله الخلفاوى لا غير ، وأوصيت لنا على أجل أجوبة الفرنسيين نرسلها الى السيادة فها تأتيك وتطلع عليها وتنظر ما قالوا فيها · ولو كان انسان غيرى ليس عنده عقل لعمل بكلامه · وأنا أول وقت ارسلت لهم بعض الاجوبة ضد جواباتهم لعلهم يأتوك بها ، ليس عندى معهم نية ، لانك أنت وزيرينا وسيدنا وظهرت رجال لا لهم اهل و لانسب ، ولا فعل سليم لا مع الخالق ولا مع المخلوق ، وفازوا فى وقتك · ولو علمت بافعالهم لقتلتهم بيدك · والله يبقى لنا وجودك ووجود ساداتنا ومواليننا ، هنأهم الله آمين · والسلام من خدامكم

---

(1) B.A. ؛ ملف رقم 78 احتلال الجزائر وتونس ــ 1231 ، وثيقة عربية ، رسالة موجهة من على بن غذاهم الى مصطفى خزندار .

وغرس احسانكم على بن محمد بن غذاهم ، وأخيه عبد النبى ، مصباح بن عباس العمرانى وجل أعيان عرش ماجر ، لطف الله بالجميع آمين ٠

7 ربيع اول 1281 (2) ٠

---

(2) يوم الخميس 10 أوت 1864

الشكل رقم ١٠ – تقرير حيدر أفندي رقم ١٨ إلى السلطان . B.A. ; ملف رقم 78 .

الوثيقة رقم 16

يتشرف عبدكم باعلامكم ما يلي : (1)

وصلت الى تعليماتكم ونص أمركم الى حضرة الوالى الباشا بواسطة الباخرة العثمانية « بك شرف » التى وصلت الى حلق الوادى يوم الاثنين 20 صفر .

لقد قابلت حضرة الوالى بعد اطلاعى على تعليماتكم ، وفهمى اياها ، وأبلغته أن حضرة السلطان المأمور بخدمة الحرمين الشريفين ، قد أهدى 10.000 كيسه أقجه ، لتصرف لصيانة أمن تونس . وارسل نصف هذا المبلغ الآن على أن يلحقه النصف الآخر عند الطلب . ولما سلمته امركم وقف احتراما له ، شاكرا حضرة السلطان . ثم سألنى الباى عن كيفية تسلم المبلغ وزمانه وقد اجبته وفقا لمأموريتى : سأسلم لكم هذا المبلغ ان استلامى وصلا منكم . وعندها أمر الباى مصطفى خزندار الذى كان حاضرا بتسليم الوصل وأخذ المبلغ قائلا ، الله ينصر السلطان .

ومن الغد وصلتنى رسالة ممضاة ومختومة بطابعه ، والتى أرسلتها اليكم .

تسبب افلاس تونس عن عدم قدرتها على مواجهة مشاكلها من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فان اقتراب على بن غذاهم من الاماكن التى تبعد 7 أو 8 ساعات عن تونس فقط ، واقتراح الفرنسيين ارسال العسكر الى تونس ، سبب اضطراب الشعب والوالى ، وبلغ ذلك حدا منهما لا يمكن تصوره .

ان الوالى والشعب التونسى ينتظران الاغاثة من الله ، ثم من وصول الباخرة العثمانية « بك شرف » الى تونس ، وقد تسبب قدومها فى سرور الشعب ، فكان ذلك عيدا لهم .

ارسل ثلاثة أشخاص من الصالحين الذين وردت اسماؤهم فى الرسالة الواردة من على بن غذاهم الى الوالى ، وقد ارسلت لكم صورتها مترجمة الى

---

(1) B.A. ، **ملف رقم 78 احتلال الجزائر وتونس** : وثيقة تركية ، تقرير حيدر افندى رقم 18 والمرسل الى الباب العالى . أنظر الشكل رقم 10 ، ص. 88 ـ 89 .

التركية • ان هؤلاء الاشخاص الثلاث المحترمين ، قد توجهوا الى معسكر العصاة ، وتكلموا مع على بن غذاهم لامالته الى الطاعة • وقد ذكر لهم انهم لن يطيعوا الباى دون كفاله وتوسط السلطنة السنية • وقد سمعت هذا الكلام • الا أن الباى لم يكن يرغب فى مصارحتى بذلك • وعندما اطلعت الباى بانى مستعد للتوسط فى مثل هذا الامر الخير ، وتحمل المسؤولية التى تترتب من شكاية الفرنسيين بهذا الشأن ، شكرنى على ذلك • وعندها بدأنا فى اتخاذ التدابير اللازمة •

قدمت الباخرة « بك شرف » التى سلمتنى تعليماتكم والتى ساعدتنى فى مهمتى • ولقد ترجمت تلك التعليمات الى العربية وارسلت نسخا منها الى على بن غذاهم ، والى مساجد مدينة تونس لقراءتها على الناس ، ومن الغد أطاع على بن غذاهم ورجع الى مقره ، ثم ان اكثرية العصاة البالغ عددهم 200 قد التحقوا بالجيش، وتبين أن لا مجال لهم للاعتراض الآن• اتفقت الحكومة مع العصاة على تخفيض 20 قرشا من الضرائب الشخصية والتى كانت تبلغ 36 قرشا يدفعها العرب •

ثم ان هذا التخفيض قد تسبب فى نقص وارادت الدولة ، وبينت لحضرة الباشا بالادلة المقنعة ، انه يجب عليه تحمل ذلك النقص للخلاص من هاته البلية والتى صعب التغلب عليها • لقد زالت تلك الثورة بفضل عناية السلطان والصدر الاعظم • وعليه نصب اهالى القرى والمعتمديات الساحلية وضواحى مدينة سوسة ، اعلام الدولة العلية معلنين ولائهم للدولة العثمانية ، وعدم اعترافهم بالوالى • وادى حماسهم الى جمع المال من الاثرياء لشراء المدافع والسلاح • وارسلوا جماعة منهم الى جزيرة مالطة لذلك الغرض ، الا أنهم لم يوفقوا •

وارسلت مخبرا اياهم (2) سرا انهم اذا رادوا عدم الخروج عن طاعة السلطان ، فعليهم أن ينقادوا للوالى الذى نصب بفرمان منه ، ولا ريب انهم سيطيعون الوالى وتهدأ نفوسهم ، حينما يعلمون أن ما سيقومون به ، مخالف لرضى السلطان •

ان وزير خارجية فرنسا دورين لويس قد أرسل رسالة الى والى تونس،وقد حصلت على نسخة منها ، وسأرسلها مع بقية الرسائل الاخرى ، لتعرضوها على السلطان الذى له الامر والنهى (3) •

22 و 33 ربيع الاول 1281 (4) •

---

(2) راجع الوثيقة التالية وهى نص رسالة حيدر أفندى الى أهل الساحل .
(3) راجع نص هاته الرسالة منشورا فى النسخة الفرنسية لكتابى هذا ، وهى الوثيقة رقم 18 ص. 64 – 65 .
(4) يوم الخميس ، 25 أوت 1864 .

الوثيقة رقم 17

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبة وسلم

نهدى السلام التام (1) والتحيات والاكرام الى الاعيان الكرام من أهالى سوسة وغيرهم من أهل الاسلام ، وبعد قال سبحانه وتعالى انما المؤمنون اخوة فهذه الآية نصت بان كافة المؤمنين اخوان ومتحدون بالقلب والجنان . فلهذا يا اخوانى المسلمين واهل التوحيد واليقين ابسط لكم مقال الحكمة فى اجراء الوعظ والنصيحة كما روى عن سيد الانام عليه افضل الصلوااة (كذا) والسلام أنه قال : الدين النصيحة ، فننصحكم بان سلطاننا المعظم ومولانا مولى ملوك العرب والعجم اعنى به السلطان ابن السلطان مولانا السلطان عبد العزيز خان دامت نصرته ، وما دامت الازمان المظهر لهم آيته : انا جعلناك خليفة في الارض ، فى طول ممالك الاسلام والعرض لما قرع سمعه السلطانى واذنه الخاقانى ، وقوع بعض الاختلال فى حوالى تونس ، ارسلنا وبعثنا الى هذه الحاضرة ، لنصلح بالنصح ما فيها من الاختلالات الظاهرة ، ونحن لما جئنا وتلاقينا مع الباشا المتصف بالنصفة (كذا) والعدالة ، الوالى لهذه الايالة ، المنصوب بفرمان سلطاننا صاحب الشوكة والجلالة ، اعنى حضرة المشير محمد الصادق باشا ، رأينا ووجدنا افكاره للعدل والحقانية (كذا) موافقه . ولما التزم مولانا المفتخر بعنوان خادم الحرمين الشريفين من العدل والانصاف مطابقة ، فظهور هذا الاختلال والفساد فى هذه البلاد ليس مرضيا لرب العباد . قال الله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم ؛ فبموجب تفسير هذه الآية الكريمة ، يجب شرعا على كل احد من المؤمنين الاطاعة والانقياد اولا لرب العالمين ، وثانيا لرسوله الامين ، وثالثا لظل الله فى أرضه إمام المسلمين . ثم ان طاعة الولاة العظام المنصوبين من طرف خليفة الاسلام لما كانت راجعة لحضرته الخاقانى ، واجبة ايضا على الاهالى المقيمين فى ايالاته السلطانى ، فعلى هذا ما ستحسنا وقوع هذا الاختلال فى هذه الحكومة

---

(1) أ. ح. ت. ملف رقم 1026 ، ص. رقم 184 ، وثيقة رقم 79 ، رسالة حيدر أفندى الى أهل الساحل . أنظر الشكل رقم 11 . ص. 96 — 97 .

المشروعة ، بل قبحنا تابع هذا الاختلال ومتبوعه . وغير أهالى سوسة لما عرفوا حسن افكار حضرة مولانا السلطان وعرفوا ايضا موافقة افكار الباشا لافكاره العادلة المنتشرة في الاكوان ، تركوا الخشونة وابرزوا الانقياد والسكونة ، والذوات الذين انتم بعثتموهم بالوكالة من طرفكم ، أعطى لهم الباشا التأمينات اللازمة ، فلتكن قلوبكم مطمئنة ، بأنه لا يلحق بكم من طرف الباشا بعد اليوم لا عتاب ولا عقاب ، فيجب عليكم ان لا تخرجوا من دائرة الاطاعة المرضية وان لا تقصروا فى تقوية ما يترتب على عهدة الرعية ، وان تجهدوا الايفاء وظائف التابعية (كذا) وان تسعوا لاطفاء ثائرة الاختلال فى هذه البقعة المحمية، وهذا هو الواجب عليكم بالشرع.هذا ونحن على المشى (كذا) والذهاب من ههنا فيا اخوانى اذ علمتم انتم بما يوافق لهذه النصائح ، يصير حضرة مولانا المعظم وسلطاننا المفخم عنكم راضيا ، وكذلك الباشا يصير مسرورا . ولا شبهة ان اموالكم وارواحكم واولادكم فى سلامة وامنية . وقد نصحتكم نصيحة الوالد المشفق ، واكتفينا بهذا المقدار من الاخطار ، فلا زلتم دائمين وعلى التيقظ مقيمين بحرمة سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه اجمعين . والسلام من المأمور من طرف مولانا المعظم وسلطاننا الافخم السيد ابراهيم حيدر بحرمة سيد البشر أمين ، أمين .

فى 21 ربيع الثانى 1281 (1) .

---

(2) سبتمبر 1864 .

الوثيقة رقم 18

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الصدارة العظمى (1) والركن الاعظم الاحمى والرتبة الشامخة الشماء صدارة ركن الدولة ، وعز الوزارة ومنتهى الآمال ومصدر الاشارة ، ومن لا تفي بمحاسنه العبارة ، الوزير المشير الصدر الاعظم السيد فؤاد باشا ، لا زال كما يختار سعيدا الاراء محمود الاثار تخلد مناقبه اقلام الاقدار ، أما بعد :

التحية السنية المؤدية لما يلزم لتلك الرتبة العلية ، فالمنهى لابواب الصدارة العظمى الدعاء بتأييد السلطنة الفخيمة واشكر لاثار نعمها الصميمة ، على ما شاهدناه من اعتنائها وحسن التفاتها ، وعظيم افضالها المناسب لعليائها وجلالها ، فقد رأينا من اثار رضى السلطنة الجليلة لا زالت الاقدار بها مساعدة والقلوب على تعظيمها متعاضدة ، ما نشكر الله تعالى عليه من امتداد العافية ورجوع الراحة والامن على سبيلهما المعتاد حتى أن بعض قرى الساحل التى سبق منا الاعلام ببقاء بعض التحيير فيها ، ابتدأت الآن فيها الراحة والامن والاقبال على الطاعة ، ورأينا من المحترم بحرمة الدولة العلية ، الموشح بنعمتها نخبة الاعيان السيد حيدر أفندى ، ما يملأ العين قرة والاذان مسرة ، بحسن قيامه بالوجهة التي أنيطت خدمتها بعهدته ؛ ولا غرابة في كمال من قدمته السلطنة العلية ، أدام الله تعالى عزها . ولما عزم على السفر للتشرف بالحضرة السلطانية المخدومة بالعمل والمنية ، وجهنا لابوابها العالية هذا الكتاب ، شكرا لفضلها . وأسأل الله تعالى من فضله أن يمتعنا ببقاء هاته السلطنة العلية ، رفيقة المقدار ، طائرة الصيت من سائر الاقطار ، عصمة للاسلام من جميع الاكدار مؤيدة لما تجد وتختار ، ودمتم ودام لكم الاسعاد ، على ممر الآماد . والسلام عن معظم قدركم العالى الفقير الى ربه تعالى عبده المشير محمد الصادق باشا باى وفقه الله تعالى .

وكتب فى 21 ربيع الثانى 1281 (2)
ذلك ختم محمد الصادق دون امضائه

(1) B.A. ؛ داخلية 36640 ملف 5 رسالة وثيقة عربية ، رسالة من محمد الصادق باشا الى المصدر الاعظم فؤاد باشا .

(2) 22 سبتمبر 1864 .

الوثيقة رقم 19

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبة وسلم (1)

جناب فخر الاعيان وفارس ميادين العرفان ، ومن لا يختلف فى كمالاته اثنان ، الاعز الهمام ، ومن لا تفى بتعداد مزاياه الاقلام ، السيد حيدر أفندى ، أدام الله تعالى حفظه ، وجزل من العز حظه • أما بعد : السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، فقد كنا أعلمنا جنابكم بقدوم العروش للمحلة لطلب العفو وعرض مطالبهم وبالامس ورد الاعلام من أميرها فانهم رضوا بما وفينا لهم به ، ورجع كل منهم لوطنه لمباشرة أحواله ، ووجد أمر المحلة المحجة التى كتبها العروش على أنفسهم فى رضاهم ، بما ذكر وحررنا لجنابكم هذا لما نعلمه من مسرتكم به ، والله يديم اسعادكم وفوزكم • والسلام من الفقير الى ربه تعالى عبده المشير محمد الصادق باشا باى وفقه الله تعالى •

وكتب فى 18 ربيع الانور 1281 (2)

يلى ذلك ختم محمد الصادق باشا باى دون امضائه

---

(1) B.A. : ملف رقم 78 مجلس مخصوص خارجية ملف 1 ، 1231 ، رسالة بالعربية من محمد الصادق باشا الى حيدر أفندى .

(2) 19 اكتوبر 1864 .

الوثيقة رقم 20

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (I)

الباب العالى ومصدر المعالى ومدعم الفضل المقدم بالفضل التالى وحامى حوزة الاسلام على ممر الليالى خليفة رب العالمين وجامع كلمة الدين ومحيى سنة الخلفاء الى الشريف ومن طاعته من فروض الدين سلطان السلاطين وخاقان الخواقين ولباب آل عثمان العباد الصالحين عن اختياره العزيز سبحانه لعباده واعده لقبول مواهبه واجداده ، وخصه بعنايته واسعاده،واحيى به سنن ابائه واجداده ، اللهم اعنا على ما أوجبت له من فروض الطاعة واحفظ بسياسته الملة من الاطاعة واجمع به العصابة الاسلامية ، حتى تكون يد الله مع الجماعة . أما بعد السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله : تتمة الخلفاء الراشدين وأئمة الدين وأداء ما يجب من الآداب بين يدى ذلك الجناب ، وان ناب فيه الكتاب عن التشرف بالخطاب فان العبد الناشيء كسلفه فى خدمتكم المغذا (كذا) بنبان نعمتكم المتقرب الى الله بطاعتكم وأداء ما يجب لخلافتكم ، لم تزل صنوف نعمتكم تتوالى عليه ، وعنايات السلطنة وارادة الله ، تتجدد الى هذا الآن بتجدد الازمان ، واعظمها رضى مولانا السلطان . وتوالى هذه النعم مع عظم قدرها اعجزت العبد الفقير عن واجب شكرها ، فأوكل كل ذلك الى العالم بسرها وجهرها ، ووجه الى باى أمير الامراء ومحط رجال الآملين مقام ابنه الوزير الهمام المفخم أمير الامراء خير الدين وبث امانته وصدقه ونجابته ، ما ينهيه الى مقام الخلافة من اداء بعض الشكر الواجب والعمل الطيب لا يحجبه صاحب فان القدرة لا تفى بشكر النعم التى يقصر عن تعدادها لسان القلم ، والله تعالى المسؤول أن يديم العز والنصر لمولانا السلطان ، ويحمى به شعاير (كذا)

(I) .B.A؛ ارادة 36800 داخلية ملف 1 ، وثيقة عربية ، رسالة من محمد الصادق باشا الى السلطان العثمانى .

الايمان عن أروق الخلل او نقصان على ممر الاحقاب والازمان ؛ والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله تعالى ، من أسن بيت طاعته وخدمته ، الرافـل فى ثيـاب حرمته ، السابح فى بحار نعمته ، المشير محمد الصادق باشا باى ٠

وكتب فى 15 جمادى الثانى 1281 (2)

يلى ذلك ختم المشير دون امضائه

(2) 5 نوفمبـر 1864 .

ترجمة هذا المكتوب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

[illegible] قال سبحانه وتعالى إنما المؤمنون اخوة [illegible]

الشكل رقم ١١ ــ رسالة من حيدر أفندى إلى أهل الساحل .

أ. ح. ت ، صندوق 184 ، ملف 1026 ، وثيقة رقم 72 .

الوثيقة رقم 21

الحمد لله صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (1)

الصدارة العظمى والرتبة الشامخة الشماء وباب الدولة العليا الاحمى عز الوزارة وصدور رجالها ، ومركز دائرة اعمالها ، والمتصرف فى عزيز أحوالها ، تاج العظماء ، وموضع الامانة والامان ، الطاير (كذا) الصيت بكل مكان ، وهل تخفى الشمس ليس دونها حجاب عن العيان ، الصدر الاعظم والركن المنيع الاعصم ، والمشير الافخم السيد فؤاد باشا ، لا زالت الدولة بارائه باسمة الثغور ، مملوة باليمن والسرور ، ناجحة المقاصد فى كل الامور. أما بعد التحية المناسبة لتلك الرتبة العلية . فقد كنا أنهينا لجناب وزارتكم السامية من الشكر الذى يقصر عن أدايه (كذا) اللسان ولا يحيط بتفاصيله الجنان وذلك عن النعم الفاخرة الحسان الظاهرة للعيان ، الغنية عن الشرح والبيان ، الواردة لنا من الابواب العلية والسلطنة الاسلامية المخدومة بالعمل والنية ، على الاعتناء الذى لا يتسنى ذكره على ممر الازمان ، ولا يختلف فيه اثنان . ولما لم يزل ذلك نصب العيان أوفدنا الى بابكم وعلى جنابكم مقام ابننا الاعز الهمام المفخم الوزير أمير الامراء خير الدين ، مصحوبا بمكتوب منا لابواب السلطنة العلية القدر ، الغنية بما لها من المفاخر عن الذكر من الشكر على النعم المتوالية والفضائل العالية . وحسبنا الدعاء لها ببلوغ المرام ودوام الاجلال والاعظم؛ وأصحبناه بكتابنا هذا،لرفع جنابكم من الشكر على ما تتحقق من أنك أعظم الاسباب من هذه النعم ، التى يقصر عنها لسان القلم ، وقد زال والمنة لله سبحانه وتعالى ، ما بقى من التحيير ببعض قرى الساحل ، وذلك أنهم لما وجهنا اليهم من يرشدهم ويدلهم على طريق النجح ، سولت لهم أنفسهم الاقدام عليه فدفعهم فى موقف واحد (كذا) وبذلك عادت لجميع الوطن الراحة وامنت كل ساحة ، والله المسؤول أن يديم العافية لاقطار المسلمين ، ويجمع

---

(1) B.A. ارادة 36800 داخلية ملف 1 ، وثيقة عربية ، رسالة من محمد الصادق باشا الى الصدر الاعظم فؤاد باشا .

كلمتهم على اعلاء الدين ، وان يديم لكم الاسعاد على ممر الاماد ؛ والسلام من معظم قدركم ، الفقير الى ربه تعالى المشير محمد الصادق باشا باى ·

وكتب فى 15 جمادى الثانى 1281 (2)

يلى ذلك ختم المشير دون امضائه

---

(2) 15 نوفمبر 1866

الوثيقة رقم 22

قدم علينا (1) صاحب السعادة خير الدين باشا ، ليشرح لنا الاحداث المحزنة الاخيرة التي كانت تونس مسرحا لها ، وتفضل السلطان بالاطلاع على التحريرات التي سلمها له خير الدين ·

ان الخلافة الاسلامية قد وشحت عبر الدهور بالعدل ، ويقتضي ذلك منا ومن اتباعنا حسن الادارة واللباقة في تسيير أمور المسلمين ، وان الفضل والمنة لله وحده · صرفت الحادثة الخطيرة التي وقعت بتونس ، هم ومساعي الباب العالي لحلها ، باحثا عن فرص الامن والاستقرار ، ولاجل ذلك فان الباب العالي لمثل هذه القضايا لا يضن بتقديم المساعدة ؛ وعلى هذا الاساس اذا ظهرت مشكلات في المستقبل ، فانه يجب رفعها الى الباب العالي حتى يتسنى له حلها·

تعتبر تونس من الاجزاء المتممة للخلافة الاسلامية ، والسلطنة العظمى ، وترتبط معها بروابط دينية · وفي القديم كانت تجري الخطبة والسكة باسم السلطان ، وما زالت تونس حتى الآن حريصة على اجراء ذلك ؛ كما أن سائر المعاملات ما زالت مرعية، بحيث أن الولاية سلكت تلك الرشد والصلاح وستستمر على ادارة البلاد حسب الشرع الشريف حتى تؤمن حياة الأهالي وارواحهم وممتلكاتهم ، بما يتماشى مع روح القوانين العادلة ، كما أن الشؤون العسكرية والمالية تخضع هي الاخرى في تطبيقها الى القانون ·

أما معاملات تونس مع الدول الصديقة فتبقى جارية كما كان مرخص لها من قبل · أما والي البلاد فيكون من أكبر العائلة سنا ، ويبعث الى السلطنة العلية بمحضر توليته ، ونحن بمقتضى أمرنا العالي السلطاني ، نرسل منشور الوزارة ورتبة المشير ونصدر فرماننا العالي بكامل الامتنان اذا طلب منا ذلك·

---

(1) B.A. ؛ **ملف رقم** 707 ، وثيقة تركية ، رسالة الباب العالي الى محمد الصادق باشا باي .

قدم لنا خير الدين افادته الشفاهية حول الحادث وهذا هو عنوان اخلاص، تمكن الباب العالي بواسطته أن يعرف معطيات الوضع ·

لاشبهه أن علاقات تونس مع الباب العالى تتشكل فى تلك الروابط القديمة والدينية معها ، وللحفـاظ على أسس البـلاد وسلامتهـا ، يجب التخلص من الاشخاص الذين يسيئون الى ذلك مع رغبتنا في دوام الرعاية للولاية ، كما أن حضرة السلطان سوف لن يألو جهدا فى تقديم المساعدة ·

23 رجب 1281 (2)

(2) 22 نوفمبر 1864 .

II

في الذكرى المئوية لانتفاضة المقراني 1871 - 1971 :

سياسة الباب العالي

تجاه انتفاضة شرق الجزائر 1871

سياسة الباب العالى تجاه انتفاضة شرق الجزائر

سنـــة 1871 (*)

ان كل المؤرخين الذين درسوا انتفاضة المقرانى بشرق الجزائر سنة 1871 ، لم يضعوا السؤال حول سياسة الباب العالى هل كانت وراء هاته الانتفاضة أم لا ؟

إن ذلك يرجع حتما الى قلة الوثائق من جهة ، ومن جهة أخـرى الى عـدم الاطلاع على السياسة العثمانية فى البحر الابيض المتـوسط ، وتأثيرهـا على الولايات العثمانية الافريقية فى ذلك الوقت (1) .

ولكن الصدف قد أتاحت لنا العثور على رسـالتين قد وجهتـا من زعمـاء جزائريين الى الصدر الاعظم محمود نديم باشا ، اثناء آنتفـاضة المقـرانى ، وبذلك وجدنا أنفسنا منساقين الى بحث هذا العنصر الجديد،والذى سيساعدنا على توضيح بعض النقاط التاريخية الاخرى ، والمجهولة حتى اليوم .

(*) طلب الى الصديق الاستاذ أبو القاسم سعد الله ، مدير مجلة كلية الآداب لجامعة الجزائـر ، بتاريخ 1970/11/17 « أن أساهم فى تحرير مجلة كلية الاداب بمقال أو مراجعة كتاب أو نحو ذلـك ... »
وايمانا من أنه آن الاوان لخلق تعاون علمى مثمر بناء بين بلدينا أرتأيت ارسال هاته الدراسة الى الدكتور سعد الله ، حتى يتمكن من نشرها فى العدد رقم 3 من المجلة المذكورة ، وأذكـر أين أوفدت اليه دراستى هاته ، قبل موفى شهر نوفمبر 1970 .
آمل أن يتم ظهور هاته الدراسة قريبا بالمجلة المذكورة حتى توفى بالغرض الذى قصدته .

(1) نلاحظ ان المؤرخ الفرنسى شارل اندرى جوليان (Charles-André JULIEN) قد ذكر فى كتابه : Histoire de l'Algérie Contemporaine ، ص. 484 ، اغنية شعبية جزائرية : « عبد المجيد العثمانى وباى تونس سيأتيان لمساعدتنا . كنا نامل ان يكونا لنا رفيقى معركتنا ... »
وقد علق المؤرخ جوليان على هاته الاغنية : « ان الامال التى علقت على المساعدة الخارجية قد باءت بالفشل ، فسلطان تركيا وباى تونس ، لم يتدخلا اثناء اندلاع هاته الانتفاضة »
ان السلطان عبد المجيد المنصوص عليه فى هاته الاغنية قد تولى الحكم من 1839 الى 1861 ، ولا شك ان هاته الاغنية لم تذع اثناء انتفاضة المقرانى لتعكس الخيبة التى شعر بها الجزائريون حينما اخل بهم العثمانيون والتونسيون ! الا تكون هاته الاغنية قد قيلت اثناء كفاح الحاج احمد باى قسنطينة والامير عبد القادر !

ان نابليـون الثـالث (Napoléon III) ، امبراطـور فرنسا قد اهتم كثيرا بمشاكل الشرق الاوسط ودفعه ذلك الى تتبع تطوراته باهتمام بالغ •
اعتبرت الحكومة الفرنسية الاتراك « الرابطة الوحيدة والقـادرة على منـع تجزىء ملل الامبراطورية العثمانية من صقالبة ويونان وعرب الى اتباع لروسيا والنمسا أو انقلترا (2) » •

وبذلك شجعت الحكومة الفرنسية القادة العثمانيين على تبنى التنظيمـات واصلاح الادارة والتعليم واعادة تنظيم الجيش ، وقد لقيت تركيا تأييدا مطلقا من طرف فرنسا (3) •

لقد اظهر عالى باشا الصدر الاعظم ميلا الى سياسة فـرنسا (4) وسعى الى تطبيق الاصلاحات ؛ الا أن الحرب الفرنسية الالمانية والتى دارت رحاها سنة 1870 قد اثرت بصورة سلبية على تطبيق تلك التنظيمات ، وادى ذلك بالتالى الى ضرب النفوذ الفرنسى فى الصميم (5) •

ان نتائج الحرب الفرنسية الالمـانية على التحزبات الاوروبيـة الصغيـرة وخاصة على تركيا ، كان عميقا •

ادرك عالى باشا (6) أهمية فقدان التوازن الناتج باوروبا ، وعليه فقد سعى الى كسب سياسته الخارجية ، آتجاها جديدا ، خصوصا وان : « التحالف بين بروسيا وروسيا والنمسا ، قد جعل الامبراطورية العثمانية فى وضعية تبعث على القلق ويعرضها الى مجابهة القوة ، وعليه كان شغل القـادة العثمـانيين

---

(2) ص. 187 ، باريس . 1918 DRIAULT, Edouard, La question d'Orient,

(3) ENGELHART, Ed, La Turquie et le Tanzimat, ص 7 ـ 56 ، ج 11 ، باريـس ، 1884 ؛ كذلك راجع :
LEWIS, Bernard, The Emergence of Modern Turkey.
ص . 112 ـ 116 ، الطبعة الاولى ، لندن ، 1961 .

(4) **تاريخ مصاحبلرى** ، ص . 95 ، استنبول ، 1920/1339 .

(5) دريو ، ادوارد ، **نفس المصدر** ، ص . 190

(6) يعد عالى باشا من اكبر رجال الدولة العثمانية كصدر اعظم فى النصف الثـانى مـن القـرن التاسع عشر ، ارسل فى سنة 1835 كسكرتير اول لدى سفارة الدولة العثمانية بالنمسا ثـم بعدها بلندن مع السفير مصطفى رشيد باشا . وعندما احرز على تجربة سياسية عالية ، كلـف بمهمات عديدة وارسل سنة 1846 الى لبنان لتهدئة البلاد ، شغل منصب وزير الخارجية ثـم الصدر الاعظم ، وقد بقى فى هذا المنصب حتى ميعاد اجله .



الشكل رقم 12 ــ المقراني ·

ESQUER, G, *Iconographie historique de l'Algérie*,
t. III, planche, n° 147.

الشرعي ، هو التفكير في ايجاد الوسائل الكفيلة للدفاع عن وحدة الامبراطورية (7) » ٠

هذا الاهتمام قد فرض : « تغييرا مضعفا على أساليب وتفكير مستشاري السلطان ؛ وكان هؤلاء يقترحون تقوية الدولة باتباع سياسة مركزية تجاه الولايات العثمانية مع التخلص من النفوذ الاجنبي على البلاد (8) » ٠

ان الصدر الاعظم عالي باشا الذي كان يقوم بمهام وزير الخارجية في نفس الوقت اراد : « ان تعتمد تركيا على نفسها قدر ما تستطيع لتبني اصلاح البلاد ، وان تفند الحكم الذي صدر ضدها في سنة 1867 بعجزها على القيام بذلك » ٠

ان عالي باشا رغم تحفظه ، يقترب هنا من اراء اعضاء تركيا الفتاة حيث كان مذهبهم يتمثل في هاتين الفكرتين : « شن الحرب على الاجانب ، وانقاذ الامبراطورية ، معتمدين في ذلك على وسائلها الدفاعية الخاصة (9) » ٠

ان عالي باشا الرجل الحازم والمستبد برأيه ، قد استطاع ان يحتفظ لنفسه بالسلطة وان يقود باصالة رأيه ، مصير الامبراطورية العثمانية ٠

لقد وهب هذا الرجل فطرة سياسية وعمق نظر للمشاكل ، وقد عمل بكل نشاط على ربط الولايات العثمانية بالمركز ٠

هاته السياسة التي تبناها عالي باشا ، هي التي دفعته الى ان يرفض سنة 1866 طلب اسماعيل باشا ، تغيير نظام الخلافة بولاية مصر ، كما ولم يسمح له ، عند تدشين القناة ، استدعاء الدول الاجنبية ، بحجة ان الباب العالي وحده له صلاحية القيام بذلك « باعتباره مالكا للبلاد (10) » ٠

ولكن اسماعيل باشا لم يعط اهمية لآنذارات عالي باشا ، بل على العكس من ذلك ، اظهر مزيدا من الاستقلال في تصرفاته حيث قوى اسطوله الحربي وسلح كل سواحله ، الشيء الذي جعل الباب العالي يرى في هاته

---

(7) انفلهرت ، **نفس المصدر** ، ج. 11 ، ص. 90 .

(8) **المصدر السابق** .

(9) **المصدر السابق** .

(10) (تاريخ العثمانيين) ص . 45 ، ج . 7 ,**KARAL, Enver Zuya, Osmanli Tarihi** انقرة ، 1956 .

« الاستعدادات نوعا من التحريض والتحدى (11) » ٠

الا انه بعد هزيمة فرنسا فى حربها مع بروسيا ، تبنى عالى باشا سياسة خارجية اكثر صلابة ، الشىء الذى حير مساعديه ، عندما اتخذ عالى موقفا صلبا تجاه والى مصر بقرار اخضاعه وفرض ارادة الباب عليه وتغييره : « كما اقترح على السلطان مصادرة استقلال مصر (12) » ٠

الا ان اسماعيل باشا كان حذرا هاته المرة تجاه ارادة عالى باشا ؛ وعندها اضطر الى تغيير سلوكه ، وبذلك تحقق ما كان يهدف اليه الصدر الاعظم بربط مصر الى الامبراطورية العثمانية ٠



ان سياسة عالى باشا قد تبنت نفس السلوك تجاه طرابلس الغرب وتونس والجزائر : ارادة ربط الولايات العثمانية بالمركز وحزم الباب العالى لتحقيق تلك الاهداف ، معتمدا على وسائله الخاصة ٠

كان عالى باشا على علم بمشاكل الولايات الافريقية العثمانية ، فبعد احتلال الجزائر سنة 1830 والمحاولات الفاشلة لاسترجاع تلك الولاية ، واقدام الباب العالى بجرءة على ضم طرابلس الغرب سنة 1835 ، اخذ عالى باشا على نفسه « امضاء معاهدة سنة 1871 والتى تنص على ان ولاية طرابلس الغرب ستكون مرتبطة بالمركز ، شأنها فى ذلك ، شأن بقية الولايات العثمانية الاوروبية والآسيوية المتمتعة بشروط معينة» (13) ٠

اما تونس ، فهى الاخرى لم تسلم من نتائج هاته السياسة ، فبعد الازمة التى اجتاحت البلاد على اثر آنتفاضة 1864 ، اخذ الباب العالى بزمام المبادرة عندما ارسل خيدر أفندى (14) الى تونس للتحقيق فى المسألة ، مظهرا بذلك اهتماما خاصا ، ومتمنيا ربط البلاد بالامبراطورية العثمانية عندما اعلن فرمان 1864 (15) ٠

---

(11) آنفلهرت ، نفس المصدر ، ص. 93 .
(12) المصدر نفسه .
(13) نفس المصدر ، ص . 95 .
(14) راجع دراستنا الاولى : من الجديد فى انتفاضة سنة 1864 بتونس. والوثائق التى نشرت اثرها ، ص. 19 ــ 37 .
(15) راجع نص هذا الفرمان المنشور فى كتاب قانياج ،نفس المصدر ، ص . 275 ــ 276 ، كذلك ، منتران ، نفس المصدر ، ص . 29 ــ 31 .

اما في خريف 1870 فقد انتشر على الحدود التونسية الليبية خبر تدخل الباب العالي في تونس ، وان الذخائر الحربية قد وصلت الى طرابلس الغرب لاحتلال تونس مما دفع « الباشا الى ايفاد مبعوثين عنه الى جربة وصفاقس وقابس ليعملوا على اثارة الرأي العام المؤيد للسلطان كما وان ثمانية ضباط اتراك يتقنون اللغة العربية ، قد جابوا الجنوب التونسي في مهمة ، وهذا ما يفسر المبالغ الضخمة التي كانت في حوزتهم . ولكن فرنسا قد تحصلت على الاذن بعودتهم الى طرابلس الغرب في شهر ديسمبر ، ثم ترحيل المؤن الحربية في شهر افريل 1871 . لقد كذب الباب العالي قطعا ، أي رغبة له بضم تونس الى المركز ، ولكنه كان يؤكد من جديد ، حقوق السيادة السلطانية على تونس » (16) .

ان تونس التي كانت مسرح تنافس فرنسا وايطاليا وانقلترا قد اثارت اهتماما بالغا لدى المسؤولين الاتراك والتونسيين على حد سواء ، الشيء الذي دفع هؤلاء الى ايفاد الجنرال خير الدين مرة ثانية الى استنبول سنة 1871 لعقد معاهدة جديدة تضبط بموجبها تبعية تونس للسلطان (17) .

ولكن خير الدين عندما وصل الى استنبول ، اخبر بوفاة الصدر الاعظم عالي باشا الذي كان من مؤيدي صدور ذلك الفرمان ، واضطر خير الدين الى امضاء المعاهدة مع خلفه محمود نديم باشا في شهر اكتوبر 1871 . ولكن هذا الفرمان لم يلق اى صدى بعد وفاة عالي باشا .

***

---

(16) مرتال ، أندري ، الحدود ... نفس المصدر ، ج . 1 ، ص . 141 ـ 142 .

(17) MZALI, M.S. et PIGNON, J. Documents sur Kheredine. A mes enfants. Mémoire de ma vie privée et politique, in R.T.

المجلة التونسية ، ص . 200 ـ 199 ، سنة 1934 ، يذكر خير الدين في مذكراته ما يلي :
« في سنة 1870/1288 خلال الحربية الالمانية الفرنسية كنت ارى بقلق ان ايطاليا التي استغلت ضعف فرنسا ، بدات تحيك مؤامراتها بتونس ، لقد خشيت ان يؤدي ذلك الى تنافس فرنسا وايطاليا ، وان يؤدي الامر باحدى هاتين الدولتين الكبيرتين ، عاجلا ام اجلا الى ارتكاب اعمال تضر الولاية ، وقد وجهت انذاك الى الصدر الاعظم عالي باشا ، رسالة مثيرا اهتمامه الى هذا الخطر وشارحا له الوضعية السياسية لمطامع فرنسا بتونس ، وكذلك سياسة ايطاليا الجديدة ، وفي النهاية طلبت منه اتخاذ فرمان سلطاني يقع اعلانه بدون تاخير ، وهذا الفرمان الذي وعدت به سابقا وجب احترامه من طرف دول اوروبا باسرها ، حتى يكون ذلك الفرمان الهمايوني ، الضمان الناجع لسلامة تونس .

اهتم الباب العالي بمقترحاتي ، ونتيجة لذلك ، كتب عالي باشا الى باي تونس ، طالبا منه تعيين معبوث له لدى الباب العالي للتدارس في هاته القضية الشائكة . لقد وقع تعييني مرة اخرى ووصلت الى القسطنطنية بعد ايام من موت عالي باشا . الذي خلفه في الصدارة العظمى محمود نديم باشا » .

هل سعى عالي باشا الى تطبيق سياسته المركزية وانقاذ الامبراطورية العثمانية تجاه الجزائر ؟ هل كان يفكر في اثارة شرق الجزائر ضد فرنسا المهزومة في حربها مع الالمان سنة 1870 ؟

ان الوثيقتين اللتين سننشرهما اثر هاته الدراسة ، تؤكدان ذلك بوضوح ؛ ولكنه كان من المستحيل علينا ، ايضاح بعض المشاكل نتيجة الطابع السري وغموض بعض فقرات الرسالتين من جهة ، ومن جهة أخرى ، عدم وجود رسائل اخرى (18) من شأنه ان يساعدنا على استكمال الصورة التاريخية للحوادث ٠

ان هاتين الوثيقتين لا تكشفان عن اسماء الزعماء الذين وجهوا هاتين الرسالتين الى الباب العالي ، ولا عن الاماكن والتواريخ التي كانت مسرحا للحرب مع العدو ٠ الا ان الوثيقتين بينت لنا أن « زعماء الجمعية الخيرية الاسلامية » هم الذين كانوا على اتصال بالصدر الاعظم عالي باشا ثم مع خلفه محمود نديم باشا ٠

لم يذكر لنا ولا مؤرخ واحد ، شيئا عن هاته الجمعية ، ومن هنا كان الغموض قد احاط القضية كلها ٠

***

ففي الرسالة الاولى المؤرخة في 25 سبتمبر 1871 والموجهة الى الصدر الاعظم محمود نديم باشا،كان زعماء الجمعية الخيرية الاسلامية يعلنون ان (19) « أصل محاربتنا وعصياننا على اعداء ديننا (كذا) ، كان باختيار ورغبة الدولة العلية ولا حصل منا التقصير في شيء لما رغبته الدولة العلية واشارت به علينا بواسطة المرحوم عالي باشا الوزير السابق وحضرت تورس باشا (20)

---

(18) نذكر ان قسم وثائق رئاسة الوزراء باستنبول ، اين وجدت هاتين الرسالتين ، لم يرتب بعد حتى نعثر على بقية الرسائل . راجع كلمتنا لمدخل الوثيقتين ، ص . 123 .

(19) راجع نص الرسالة الاولى المنشورة اثر هاته الدراسة ، ص . 124 — 125 .

(20) لم نعثر اثناء تحرياتنا على بعض المعلومات حول تورس باشا .

وما وعدنا به من الاعانة السرية والجهرية بالاسلحة والنقود ، واحيل أمر توزيع ذلك على حضرة مصطفى باشا فاضل المصرى » (21) .

وعليه فقد طلب عالى باشا من اعضاء الجمعية ان يعينوا ممثلا جزائريا عنهم حتى يستطيع ان ينظم معه المسائل المرتبة ، وقد عهد بذلك الى العالم « محمود (22) الذى طلب حضوره لطرفكم عالى باشا الوزير السابق » (23) .

لقد ارسل زعماء الجمعية الخيرية الاسلامية بتاريخ 18 محرم 1288 / 28 مارس 1871 عريضة مفصلة الى الباب العالى (24) حيث كانوا يقترحون على المسؤولين العثمانيين حلين : « نطلب من فضلكم ومن مراحم حضرة مولانا السلطان الاعظم ، عظم الله له الاجور ، النظر لحالنا بعين الشفقة والرحمة والانصاف والغيرة الاسلامية ، التى جبلت عليها ملوك الدولة العثمانية العلية بتوسيط باقى الدول الاجنبية ، بطلب حقه (الباب العالى) الثابت له فى اقليمنا من الدولة الفرنساوية .... او ان يجرى مخاطبة الدولة الفرنساوية المذكورة بالزامها فى التنازل عن اقليمنا فى مقابلة على حسب الاقتضاء ، ونحن نتعهد بتسداده لسدته الملوكية حالا وسريعا حسب الشروط التى تربط لذلك ، وان ابت الدولة المذكورة عن هذا وذاك ، فيصير اعلان الحرب معها فى اقرب وقت » (25) .

وبالفعل كان الباب العالى بتأثير عالى باشا قد قرر مساعدة الجزائريين وانها « (اى الدولة العلية) موجهة عنايتها فى خلاص اسرنا من تحت يد الدولة الفرانسوية وافكارها مشغولة بذلك اناء الليل واطراف النهار ، بعد تقديم عرض محضرنا الى حضرة السلطان الاعظم ، خليفة الله فى ارضه وصدور

---

(21) رجل دولة من مصر ، بعد ان كلف بمهمات وزارية اطرد من الامبراطورية العثمانية حيث غادر استنبول فى 4 افريل 1866 ملتجا الى باريس .
كان اسماعيل باشا والى مصر ، قد سعى الى ضمان ولاية مصر لابنائه فقط مانعا اخاه ، مصطفى فاضل باشا من التمتع بحقه بالولاية .
تعاون مصطفى فاضل باشا مع زعماء تركيا الفتاة حيث دعاهم الى الالتحاق به فى اوروبا كما وساعدهم بفضل امواله على شن حملتهم الصحفية ضد الحكومة الاستبدادية باستنبول .
اما فى افريل 1870 فقد اصبح وزيرا للمالية الا انه اقيل من منصبه فى 18 ديسمبر من السنة نفسها ثم بعدها اصبح وزيرا للعدل من اكتوبر 1871 الى جانفى 1872 . راجع : E-I ج . II ، مادة مصطفى فاضل باشا .

(22) لم نعثر على اية معلومات حول شخصية هذا العالم ، كما جاء فى الوثيقة .

(23) راجع نص العريضة الموجهة الى محمود نديم باشا ، ص . 126 . 129 .

(24) **المصدر نفسه .**

(25) **المصدر نفسه .**

أمره العالى بالمساعدة لنا بصرف خمسين ألف جنى (26) (كـذا) لنشترى مهمات حربية بها بمعرفة مصطفى فاضل باشا والوزير السابـق ، ليجـرى امدادنا بها حالا وسريعا على طريق تونس او طرابلس الغرب ، اشتد عضدنا وقوى عزمنا وتضاعف سعينا فى امداد القبايـل (كـذا) والعربـان بالمـال والتحريض لهم على زيادة الحرب والقتال ، املا فى ورود تلك الاعـانة لهم ، لعلمنا ان امر الحضرة الشاهانية لا ينقض ، وان انجازه محقق ، وصرنا فى انتظار ورود تلك الاعانة لنا مدة اشهر ، بناء على الجوابات التى تـرد لنا من وكيلينا المحمودين (27) فى الدنيا والآخرة نقلا عن لسان الوزيـر السـابق وحصرة تورس باشا » (28) ٠

بماذا نعلل السبب فى تدخل عالى باشا فى شرق الجزائر ؟

لقد كانت الجزائر جزءا من الامبراطورية العثمانية ، ولكن فرنسا اغتصبتها بقوة السلاح ، وقد آن الاوان الالتجاء الى السـلاح ، وتشجيـع الشعب على الثورة لاسترجاع البلاد واعادة هيبة الامبراطورية العثمانية ، بضم كل ولاياتها اليها ، سواء كانت اوروبية أم آسيوية أو افريقية ٠

ان زعماء الجمعية الخيرية الاسلامية قد وجهوا سبع رسائل الى مصطفى فاضل باشا عندما كان وزيرا للمالية ، طالبين منه ان يشرح حقيقة الوضع على السلطان ، وليتفضل بعدها بتقديم المساعدة ٠

يبدو ان عالى باشا ومصطفى فاضل باشا ، اللذين كان يسيران تقريبا فى نفس الاتجاه ويعملان على تحقيق المركزية ، كما ويعطفان على قادة « تركيـا الفتاة » ، كانا السبب فى هاته المبادرة عندما شجعا الجزائريين على القيام ضد فرنسا ووعدوهم بمساعدة وتأييد الباب العالى ٠

ولكن عندما سقط عالى باشا مريضا ، وهو الذى كان وراء هاته المبادرة وكف عن مباشرة مهامه فى شهر جوان 1871 الى ان وافـاه الاجـل فى 7 ديسمبـر 1871 (29) ، احبطت محاولة مساعدة الجزائريين وخابت الامال ٠

---

(26) الا تكـون جنيـه ؟

(27) هما ممثلا الجمعية الخيرية الاسلامية لدى الباب العالى ، راجع نص الرسالة الثانية ، ص. 126 ـ 129 .

(28) المصـدر نفسـه .

(29) INAL, Mohamed, **Osmanlı Devrinde Son Sadriazmalar**
(اواخر الصدراء العظـام للامبراطوريـة العثمانية) ، ص . 25 ، استنبول ، 1940 ، توفى عالى باشا عن عمر لم يتجاوز السادسة والخمسين .

وأما خلفه محمود نديم باشا ، فلم يعمل على تحقيق المشروع رغم رسائل ونداءات الزعماء الجزائريين اليه ٠

وعندها حرر الوكيلان الى زعمائهم بالجزائر،رسائل عديدة يؤكدان فيها «ان الدولة العلية مشتغلة بالتبديل والتغيير ، ولا بد لها من النضر (كـذا) الى حالنا ولو بعد حين » (30) ٠

ان عدم اكتراث الباب العالى المفاجىء ، قـد ضـرب فى الصميـم حمـاس الجزائريين وعرضهم بالتالى الى مشاكل خطيرة : الذخيرة الحربية والمال لمتابعة الكفـاح (31) ٠

لم يدرك زعماء الجمعية الخيرية الاسلامية سبب سكوت الباب العالى للمساعدة التي وعدوكم بها والتى لم تصل بعد ٠

ومن هنا كان الافتخار بشجاعتهم في الحروب وطاعتهم للباب العالى ، وهـم بذلك يهدفون الى اثارة اهتمام الحكومة العثمانية لمشاكلهم ، ومحاولة اعلان الحرب على الفرنسيين بحجة ان الوقت مناسب لذلك اذ أن : « أهالى اقليمنـا يبلغون الخمسة ملايين وكلهم تحت أوامر الدولة العلية ، ومستعدون لمقـابلة المترايوز (كذا) بصدورهم كمقابلتهم اياه مدة السنة المذكورة ، وشجاعتنا ليست منكورة ، ويشق علينا ضياع هذه الفرصة التى اغتنمت فيها ايطـالية رومـة » (32) ٠

كان زعماء الجمعية الخيرية الاسلامية فى الرسالة الثانية يشرحون فيهـا هجماتهم ضد الجيش الفرنسى : « ان جهة الصحراء لم تزل عاصية ومحاولة الى الآن ، وان من مـدة العشـرين يومـا (33) قد نصـر المسلمين وكسـروا العرضى (33 مكرر) الكبير ، امتاع (كذا) جنرال قسنطينة الذى توجه الى جهة تغرت بالغرب من جهة جريد ، كسرة عظيمة ، ولم يبق فيه احد ، وهـذا العرض هو الذى كان عليه اعتماد الفرنسيين ٠ وما بقى المحال التى خـرجت الى الجهات القريب (كذا) صار فيهم خلل كبير ، الله ينصر من نصر الدين ويخذل من خذل الدين بجاه سيد المرسلين ٠٠٠ » (34) ٠

---

(30) راجع نص الرسالة الثانية . ص . 126 ـ 129 .
(31) **المصـدر نفسـه** .
(32) **المصدر نفسه** ، احتلت القوات الايطالية مدينة رومة بتاريخ 2 اكتوبر 1870 واعلنت على انها عاصمة ايطاليا الموحدة .
(33) هاته الرسالة وجهت الى الباب العالى بتاريخ 28 مارس 1872 وعليـه فان اصحـاب هاتـه الرسالة يشيرون الى معارك دارت رحاها فى مطلع شهر مارس 1872 !
(33 مكرر) يقصد بالعرضى هنا ، فيالق الجيش الفرنسى بمنطقة قسنطينة .
(34) راجع نص الرسالة الثانية ، ص. 126 ـ 129 .

هل يمكن ان يساعدنا هذا النص على تخمين بعض اسماء زعماء انتفاضة شرق قسنطينة « والمحتملين ان يكونوا من اعضاء الجمعية الخيرية الاسلامية ؟ » ٠

هاته الرسالة حررت وارسلت الى الباب العالى بتاريخ 28 مارس 1872 ٠ من هم اذن ، القادة الذين ما زالوا يكافحون فى الصحراء حتى هذا التاريخ ؟

« ان الانتفاضة التى بدأت فى 15 مارس 1871 فى مدجانة باعلان عصيان الباش آغا (المقرانى) قد انتهت فى 20 جانفى 1872 (35) عندما اعتقل بومزراق فى ورغلة ٠٠٠ ان طلقات بنادق جيوشنا الاخيرة كانت بتاريخ 17 جانفى 1872 فى عين طيبة على بعد 640 كلم من جنوب مدجانة » (36) ٠

من هم اذن بقية الزعماء الذين شاركوا فى الانتفاضة فى جهة الصحراء واستولوا على طوغرت (تغرت) وواجهوا الجيش الفرنسى فى أواخر سنة 1871 ؟٠

ان كتاب رين (Rinn) المفصل عن الانتفاضة ، يقدم لنا فى فصل بعنوان « صفوف الصحراء » اسمين لزعيمين لهاته الانتفاضة وهما : ناصر بن شهرة وبوشوشة ٠

اعلن بوشوشة على الشعب بعد انتصاره : « انتم اعضاء الجماعة لينعم الله عليكم ببركته بفضل شفاعتنا وليديم الخير بيننا ٠٠٠ ان خلافتنا ستحكم فيكم بالعدل والقسطاس وسوف نقتدى بأوامر الشريعة المحمدية وليرفع الله هاته الشريعة الى أوج علاها ! امين » (38) ٠

---

(35) جوليان ، **نفس المصدر** ، ص . 490 ، ليس صحيحا ما ذهب اليه من ان اعتقال بومزراق كان بتاريخ 20 جوان 1872 . ألا يكون ذلك ناتجا عن خطىء مطبعى ؟

(36) **RINN, Louis, Histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie,** الجزائر ، 1882 ، ص . 645 .

(37) حسب المؤرخ رين ان الاستيلاء على طوغرت كان بتاريخ 5 ماى 1871 ، وبالرغم من ان الرسالة تعطى لتاريخ الاستيلاء اواخر مارس 1872 ، فانه من المحتمل ان يكون زعماء الجمعية الخيرية قد ارادوا بذلك ، اثارة الباب العالى باشادتهم للانتصارات التى حصلوا عليها آثر المعارك التى شنوها قبل ذلك بقليل .

(38) رين ، **نفس المصدر** ، ص . 612 ، يعتبر بوشوشة احد المغامرين ، ولم يصبح زعيم الصحراء بفضل مزاياه الشخصية ، بل على العكس من ذلك ، انما هى الظروف الاستثنائية التى دفعته الى ذلك .

نذكر هنا ان العبارات التى تفوه بها بوشوشة عند موتته البطولية التى لاقاها رميا بالرصاص ، هى فى الحقيقة رمز حى للمعانى الوطنية التى تختلج على كل لسان زعيم حقيقى! آنظر الشكل رقم 13 ، ص. 112 — 113 .



الشكل رقم 13 ـ بوشوشة .

ESQUER, G, *Iconographie historique de l'Algérie*,

t. III, planche n° 995.

ان بوشوشة الذى اعلن الجهاد على الفرنسيين فى نواحى الصحراء ، اصبح في زمن قليل ، الزعيم بلا منازع وحاكم الصحراء من نفطة الى ورغلة (39) : « كما لوحظ ان نقل البارود لبوشوشة في جنوب تونس ، اصبح رائجا بصورة لم تعهد سابقا » (40) ٠

ان الصديق الحميم لبوشوشة هو ناصر بن شهرة ، اذ كان هذا الاخير لا يكف عن اسداء النصح واظهار مزيد من الاخلاص لصديقه فى كثير من المناسبات ٠

وعندما قرر بوشوشة التوجه الى متليلى ، ترك صديقه ناصر بن مشهرة كخليفة له بمدينة طوغرت (41) ٠

كان ناصر بن مشهرة زعيم سلاح ضد الفرنسيين منذ سنة 1855 ، وقد انحدر من قبيلة كبيرة وهو ذو شخصية لامعة ، وقد ارتبط اسمه بقضية محى الدين بن الامير عبد القادر ، وظهوره بنفطة ، وسريان الشائعات باستعداد الحرب ضد الفرنسيين بجنوب قسنطينة ، تلك الشائعات التى هزت السكان واثرت عليهم تأثيرا عميقا ٠

اعلن زعماء القبائل ان « المقدمين وشيوخ الطرق هم المثقفون الوحيدون فى البلاد ، قد قرؤوا على جماعاتنا رسالة من محى الدين بن الامير السابق عبد القادر،الذى قدم الى الجزائر على الرغم من ارادة أبيه ، معلنا : « لقد قدمنا لانقاذ الاسلام الذى هو فى خطر ، ان الله سيهلك الفرنسيين اذ لم يبق لهم لا اراضى ولا جيش ، ان ساعة انطلاقتكم قريبة جدا وخلاصنا مؤكد ٠٠٠ خذوا حذركم ٠٠٠ » (42) ٠

وقد ذكر في احدى الرسائل التى حررها محى الدين وناصر بن شهرة لرؤساء القبائل وللشعب ان : « محى الدين قد نزل عند ناصر بن شهرة لاعلان الجهاد المقدس وان سلطان استنبول قد ارسل جيشا الى طرابلس

---

(39) رين ، **المصدر السابق** ، ص. 615 .

(40) مرتال ، الحدود .. **نفس المصدر** ، ج. 11 ، ص . 415 .

(41) رين ، **نفس المصدر** ، ص . 615 .

(42) GENLAUX, Charles, **La Kabylie, 1871** - in, La Revue de Paris, Juillet, 1917, ص . 27 .

الغرب ، وهو يرغب من عرب الجزائر ان يتخلصوا من الفرنسيين قبل ان يقع احتلالهم من طرف البروسيين » (43) ٠

واعلن ناصر بن شهرة في احدى رسائله التي بعث بها الى الوجهاء والقضاة « ان سيدنا محي الدين بن الامير الحاج عبد القادر قد وصـل الينـا باذن من السلطان (كذا) وبمشيئة الله، سيتوجه من هنا الى الجزائر ليلتحق بأبيه الذى يحتاجه ٠٠٠ ان جنود السلطان الغزاة قد وصلوا الى طرابلس الغرب » (44) ٠

ينقل لنا الشيخ عبد الرزاق البطيار ، صديق محي الدين الحميم الاسباب التي دفعت محي الدين الى الظهور في الجزائر : « وقع بين دولة فرنسا والمانيا للقتال اعظم سبب ، فانتشبت بينهما نار الحرب وتقابلت الدولتان بالسفك والطعن والضرب ، وآل الامر في مدة اربعة اشهر الى انتصار المانيا على الدولة الفرانساوية ، وتكبدت فرنسا خسائر ومشقات قوية فخطر في بال المترجم (محي الدين) ان الحرب يطول بين الدولتين ، فينتهز الفرصة لتخليص وطنه الجزائر من يد فرنسا ويزيل عن الوطن الكدر والغبن ، فتوجه بقصد الزيارة في الديار المصرية ، فحينما وصل الى مدينة اسكندرية ، توجه منها الى تونس الغرب » (45) ثم الى جنوب الجزائر ٠

رأى محي الدين : « ان اسباب اغتنام الفرصة متسهل بواسطة الخلاف الذى وقع بين فرنسا والمانيا (46) » وعليه فقد نادته نخوته واصالته ان يأخذ المبادرة لتحرير الجزائر (47) ٠

ويمكن لنا ان نتساءل ، هل كان لمحي الدين اتصالات مع الصـدر الاعظم

---

(43) رين ، **نفس المصدر** ، ص . 107 .

(44) **المصـدر نفسـه** ، ص . 106 ـ 107 .

(45) الشيخ عبد الرزاق البيطار ، **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر 1213 ـ 1335** ج . 3 ، ص . 1426 ، تحقيق محمد بهجة البيطار ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق دمشق ، 1961 ـ 1963 .

(46) **المصدر السابق** ، ص . 1428 .

(47) يروى لنا الشيخ عبد الرزاق البيطار هاته الابيات الشعرية التي نظمها محي الدين :

على ماذا الخمول وانت قرم	مطاع في العشائر لاتمارى
وانك لا تنال المجد حتى	تقود عرمرما يملا القفارا
تعوض من شذا الشاذى صهيلا	وعن طيب الغوالي اغتض غبارا
واطيب من عناق الخرد حقا	عناق مدرع يورى الشرارا
فقومى سادة عرب كرام	بغير الحرب مانالوا فخارا

عالى باشا ومع وزير المالية مصطفى فاضل باشا ؟ وهل طلب منهما مده بالاعانة فى حالة نجاحه اثارة الشعب الجزائرى ضد فرنسا ؟ هل تبوأ محى الدين مقاما رفيعا لدى رجال الدولة العثمانيين ؟

ان وجود شخصية الامير عبد القادر التاريخية بدمشق ، قد سهلت ولا شك الاتصال بين افراد عائلة الامير وبين رجال الدولة العثمانيين ٠

والذى يهمنا هنا ان محى الدين الذى عرف بسعة علمه وثقافته الواسعة ، قد احرز على وظيفه « ازمير بابا مجردى » (48) وعلى وسام الصنف الرابع من النيشان العثمانى (49) كما وقع تعيينه سفيرا للدولة العثمانية فى مراكش (50) ٠

---

(48) **أ. ه. ت. ملف 929 ، رزمة 78 ، وثيقة رقم 2 و 3** ، وفيما يلى نص الفرمان السلطانى :
« جناب اقضى قضاة المسلمين واولى ولاة الموحدين ، معدن الفضل واليقين رافع اعلام الشريعة والدين ، ووارث علوم الانبياء والمرسلين المختص بعناية الملك المبين ، ابن عبد القادر افندى الجزائرى محى افندى احيلت هذه المرة الى عهدته وظيفة ازمير بابه مجردى (وظيفة قضائية) عند توقيعى الهمايونى الرفيع يكون المعلوم ، انه لما كنت موصوفا بين اقرانك وامثالك بجوهر العلم ومنحل بالادب والفضل واستحقيت العناية بكل وجه قد اصدرت امر بتوجيه وظيفة قضائية ازمير المذكورة الى عهدتك اعتبارا من اليوم السابع من شهر صفر الخير سنة الف ومائتين واثنين وثمانين ، وذلك بالاشارة من طرف مولانا عمر حسام الدين افندى حفيد شيخ الاسلام ومفتى الانام ، جلال الدين افندى عاطف زادة وقد اصدرت فرمانى هذا وامرتك بان تتصرف فى الوظيفة المذكورة اعتبارا من التاريخ المذكور وان تواظب بدوام الدعا (كذا) و .. الاقبال لدولتى العلية اعلم هكذا واعتمد علامتى الشريفة وحرر فى غرة شهر صفر 1282 / 27 جوان 1865 » .
لقد عثرنا على نص الفرمان السلطانى باللغة التركية وبامضاء رئيس الكتاب ومن الغريب ان يوجد هذا الامر الهمايونى بارشيف الدولة التونسية مع العلم ان محى الدين لم يكن مقيما بتونس يوم صدور الفرمان !

(49) **أ. ح. ت ، ملف 929 ، رزمة 78 ، الوثيقة رقم 81 و 82** ، وفيما يلى نص الفرمان السلطانى:
« الحمد لله ، انه لما كان مولانا محى الدين افندى بن عبد القادر افندى الجزائرى المقيم بالشام زيدت فضائله متحليا بالعلم ومنصفا بالمعارف ومحرزا من كل الجهات (...) السنية الملوكية ، وبناء عليه قد استحق اصدار امرى الشريف السلطانى الصنف الرابع من النيشان العثمانى احسانا منا وعناية . وبموجبه كتب امرى هذا فى اوائل صفر 1288/21 جوان 1865 » .

(50) عادل الصلح ، **سطور من رسالة** ، ص. 166 ، بيروت ، 1966 . حدث تعيين محى الدين سفيرا لدى بلاط مراكش يرجع الى ان ملك المغرب ، لما راى ان تهاتف الدول الاجنبية على بلاده وعلى البلاد الاسلامية ، فكر فى ربط علاقاته السياسية مع الدولة العثمانية والاستفادة من خبرات رجالاتها خصوصا ، وان السلطان عبد الحميد يعمل على انشاء جامعة الدول الاسلامية. وقد ارسل مولاى حسن بعد مؤتمر مدريد وفدا برئاسة الوزير بريشة الى استنبول وقد استقبل بحفاوة بالغة من طرف السلطان عبد الحميد الذى كان عظيم الاهتمام بقضية الشمال الافريقى ، وقد اتفق الطرفان على تبادل التمثيل الدبلوماسى ، وعليه قررت الدولة العلية ايفاد الامير محى الدين كسفير لها بمراكش .

يدلنا هذا على ان محى الدين قد تبوأ بالفعل مكانة رفيعة لدى رجال الدولة العثمانيين (51) ويبدو انه لعب دورا فى تنشيط الجامعة الاسلامية والعمل على استرجاع الجزائر الى حضيرة الباب العالى ·

غير اننا لا نملك اى سند علمى لعلاقة محى الدين بالصدر الاعظم عالى باشا او بوزير المالية مصطفى فاضل باشا للعمل على اثارة الجزائر ، اثر انكسار فرنسا فى حربها مع الالمان ·

لا نعلم بالضبط متى وصل محى الدين الى تونس ولماذا قصدها قبل الجزائر؟ الا اننا من جهة اخرى نعلم ان اقامته بتونس كانت فى شهر نوفمبر سنة 1870 وان باى تونس محمد الصادق ، قد قلد محى الدين نيشان الافتخار بتاريخ 18 نوفمبر 1870 (51) ·

غير أن قنصل فرنسا الذى آتصل بمحى الدين ينقل لنا أن محى الدين قد أظهر له تعلقا بفرنسا وأنه وصل تونس نتيجة بعض الخلافات مع والده وقد كتب الى مصطفى خزندار ليتدخل له لدى والده لحل مشاكله المادية معه ·

ويضيف قنصل فرنسا أن محى الدين قد آهتم خلال اقامته بتونس بالمخطوطات والخطوط العربية وقد عاش منعزلا وبعيدا عن كل التيارات والمحافل (51مكرر) ·

ويبدو ان محى الدين اراد الاطلاع على اراء رجال الدولة التونسيين ومدى استعدادهم لمساعدته ، اذا ما تزعم حركة الثورة ، دون ان يكشف النقاب صراحة عن مقصده · وقد تظاهر بالانعزال وبدراسة المخطوطات العربية حتى يصرف عنه كل الشبهات وظنون المخابرات الفرنسية والتونسية التى أحاطت به خلال اقامته بتونس ·

---

(51) **المصدر نفسه** ، ص . 146 .

(51 مكرر) A.O.M; 25 H 18 ، الوثيقة رقم 16 من رسالة قنصل فرنسا بتونس الى وزيرالخارجية الفرنسية بتاريخ 5 نوفمبر 1970 .

(52) **ا. ح. ت ، ملف 929 ، رزمة 78 ، الوثيقة رقم 79** ، وفيما يلى نص الامر التونسى :
« من عبده صبحانه المتوكل المفوض جميع الامور اليه المشير محمد الصادق باشا باى صاحب المملكة التونسية سدد الله اعماله وبلغه من اعزاز هذا القطر اماله الى من يقف على هذا المنشور والخطاب المحرر المسطور ، اما بعد فان الاعز الاكمل سى محى الدين ابن الهمام نخبة الاعيان السيد عبد القادر الحسنى (كذا) بمقتضى مطلب وزيرنا الاكبر بما له من الشان والخصال الحسان الظاهرة للعيان ، البسناه نيشان افتخار ليظهر للابصار ماله من الرفعة والمقدار مطرزا باسمنا وهو من الصنف الثانى من رسمنا ، وهو بهذه الرتبة حقيق ولنيلها خليق وعلى الواقف على هذا الكتاب ، والمتدبر قدرما فيه من الخطاب ان يعرف مقامه ويظهر احترامه والله ولى التوفيق الى سبيل الهدى وطريقه ، وكتب فى 23 شعبان الاكرم 1287 / 18 نوفمبر 1870»

ولما تبين له صعوبة ، بله ، استحالة مساعدة التونسيين له ، قصد مالطة ومنها الى طرابلس الغرب ·

تذهب التقارير السرية التونسية التى حررها اعوان الحكومة بالجريد والكاف والاعراض انه : « فى يوم عيد الفطر قدم ابن السيد عبد القادر بن محى الدين الى وطن نفزاوة ، متنكرا بلباس غرابة ومعه اربعة انفار قصدوا محمد بن الناصر الغربى القاطن بوطن نفزاوة واقام عنده يومين ثم توجهوا معا الى ناحية سوف وركب معهم جميع الغرابة القاطنين بالمكان المذكور واخبر انه أتى من طرابلس الغرب ·

ثم انه فى التاريخ قدم لطرفنا خمسة انفار غرابة من طرابلس على طريق البحر وصحبتهم عشرة نساء وبعض اثاث وبيوت شعر وغير ذلك من اثاث العرب ، صحبة الرئيس مصباح العجيمى الجربى ، فعند ذلك جلبناهم الينا بسياسة،لنستفسر احوالهم فذكروا انهم قاطنين(كذا)بنواحى طرابلس الغرب وبلغهم ان وطنهم ، وطن الجزائر متحير ، وأن السيد عبد القادر المذكور (اى محى الدين) قدم من مالطة الى طرابلس الغرب فاخبرهم انه متوجه الى عمالة الجزائر على طريق نفزاوة ····· كما بلغنا ايضا ان اناسا كثيرين من غرابة من عمالة الجزائر القاطنين بنواحى طرابلس قادمين(كذا)الى بلادهم···»(53)·

ويذهب تقرير آخر الى ان : « ناصر بن شهرة المغربى القاطن بغرب نفزاوة قدم له نفران احدهما من الشرق وسما (كذا) نفسه من ابناء السيد عبد القادر بن محى الدين والثانى من الغرب يسمى ابراهيم بن عبد الله وتوجها صحبة ابن الناصر المذكور الى جهة الغرب · كما ونعلم جنابكم السامى ان لزام محصولات نفطة عشر على قفل من اهل سوف متوجهين الى نواحى الغرب حاملين جانبا من البارود وزنه بضرفة (كذا) ثلاثة وستون رطلا ، وقد وضعنا البارود المذكور تحت يد محبنا البنباشى بتوزر ··· » (54) ·

---

(53) أ. ح. ت. ، ملف 929 ، رزمة 78 ، وثيقة 26 ، تقرير محمد ناصف خليفة الى وزير الحرب سيدى رستم بتاريخ 9 شوال 1287 / 2 جانفى 1871 .

(54) أ. ح. ت. ، ملف 929 ،رزمة 78 ، وثيقة 28 ، تقرير الامير لواء حسن اغا الجريد الى امير الامراء سيدى خير الدين الوزير المباشر بتاريخ 11 شوال 1287 / 4 جانفى 1871 .
تثبت هنا رد الحكومة التونسية على رسالة عامل الجريد : « بلغنا مكتوبكم المؤرخ فى 11 شوال فى التعريف بما بلغكم من قدوم ابن السيد الحاج عبد القادر ومعه ناصر بن شهر ودخلولهما للناحية الغربية من جهة نفزاوة وعلمناه والموكود (كذا) عليك ان تعمل حزمك فى التمكن على المذكورين او احدهما وتسجنهما وقد كان الواجب على خليفة نفزاوة ان يتمكن عليهما حين قدما لنفزاوة ، اذ من الواجبات التى فى عهدته ، رد البال من امثال هاته النوازل والمبادرة بفعل ما يلزم فيها قبل فواتها ، لان ما قصده ابن السيد الحاج عبد القادر وهو تحيير بعض اعمال الجزائر يقضى الى وقوع تحيير بالمملكة (التونسية) والغفلة عن ملاحظة ذلك ، تعود بالضرر على سكان المملكة ، فالتغافل عن اعماله ، يعد من القاء النفس للتهلكه ، فتنبه لمثل ذلك فان الواجب التنبه فى كل حال والسلام » . راجع هاته الوثيقة ب : أ. ح. ت ، ملف 929 ، رزمة 78 ، الوثيقة رقم 29 ، بتاريخ 11 شوال 1281 / 4 جانفى 1871 .

لقد شعرت حكومة محمد الصادق باى بخطر حركة محى الدين على البلاد التونسية وتأثير ذلك على العلاقات التونسية الفرنسية ، وعليه فقد طلبت من كل ولاتها على توقيف محى الدين وجماعته وسجنهم ثم ارسالهم الى تونس ·

غير ان محى الدين الذى أدرك موقف ولاة تونس منه ، عمل بفضل عارفي مسالك الصحراء وسرعة التنقل والتنكر بلباس اهل البادية ، على النجاة من الوقوع فى قبضة التونسيين ·

لقد لوحظ ان ظهور محى الدين بالجنوب كان مرفوقا بعدد من الالمان اذ كان يصحبه : « اوروبيا ذا عينين زرقاوين ولحية ضاربة الى الحمرة وشعرا كستنائى اللون وبشرة لامعة ، كما انه يجيد العربية » (55) ·

ان آنكسار فرنسا سنة 1870 وخسارتها الحرب مع المانيا قد شجع هاته الاخيرة على ايفاد بضعى أعوانها لاثارة الشعب العربى ضد الفرنسيين ·

وعليه أوفدت الحكومة الألمانية جرار روهلس (Gerald Rohls) الى تونس لاثارة القبائل الجزائرية ، وكان روهلس ، الذى كان مرفوقا بالاستاذ وتزتاين (Wetzstein) ، قد وصل ميناء حلق الوادى بتاريخ 19 أوت 1870 · غير أن مصالح الأمن التونسية التى أخبرت بمهمة روهلس من طرف قنصل فرنسا بتونس ، قد نجحت فى آحباط محاولته ، وأن مهمة الألمانيين قد آنتهت بتاريخ 2 سبتمبر 1870 عندما آجبرا على مغادرة البلاد على ظهر باخرة أبحرت بهما فى آتجاه ميناء مسينة بايطاليا (56) ·

كما ذكر أيضا أن جرار روهلس الذى اشتغل سابقا كجندى فى حرس الشرف بالجزائر : « قد اثار الانتباه اثناء اقامته بطرابلس الغرب سنة 1869 بسيرته الغريبة ، وبعزة نفسه مع العرب وخاصة بأحاديثه معهم حول « عدم تسامح الفرنسيين الدينى تجاه الجزائريين ، وعدم شرعية احتلالهم البلاد وسهولة العصيان عليهم ··· كان جرار روهلس الذى يتكلم العربية قد اخذ على عاتقه ثلب النظام الفرنسى فى الجزائر ، كما وان احتلالنا للبلاد قابل للزوال وليست له القدرة على البقاء ، اذا اجبرنا تحت ظروف استثنائية تخفيض عدد جيوشنا بالبلاد » (57) ·

---

(55) ريـن ، **نفس المصدر** ، ص · 105 ·

(56) GHERING, Gilbert, **Les relations entre la Tunisie et l'Allemagne avant le protectorat français**, pp. 25 - 28, in, Les Cahiers de Tunisie, t. XVIII, n^os 71 - 74, 3^e et 4^e trim. 1970, نشر سنة 1971 ·

(57) FERAUD, Charles, **Annales Tripolitaines**, p, 424, Tunis, 1929.

ان المؤرخ الفرنسي رين يذكر انه في شهر جانفي 1871 كان المواطنون مقتنعين ان الاراضي التي احتلها الالمان ستبقى خاضعة لهم ، وانه اذا سقطت باريس فان فرنسا والجزائر ستصبح بلادا تابعة لالمانيا . اما الجزائريون الذين علموا بقوة وسرعة الشعب الالماني ، فلم ترضهم هاته الفكرة ، وكان هذا الرأي يعبر عنه بصراحة في كل القبائل الصحراوية (58) .

***

هل سعى محي الدين الى كسب تأييد المانيا باتخاذه بعض المستشارين حركته الثورية ؟

سؤال لا نستطيع تأكيده ولا تفنيده .

عندما وصل محي الدين الى جنوب الجزائر « حرر لرؤساء الجزائر نحو المائتي كتاب لكي يتهيأوا لمحاربة فرنسا ، عند قدومه المستطاب وارسلها من تونس مع الرسل الخفية » (59) .

« لقد استبشر رؤساء الجزائر بالجنوب بقدوم محي الدين ، فتراسلوا وتآمروا واظهروا العصارة على دولة فرنسا وانتشب القتال بينهم في كل مكان ، فلما وصل اليهم بايعوه على السمع والطاعة ووقعت بينهم وبين الجيوش الفرانساوية مقاتلات عديدة » (60) .

حاول محي الدين ولكن بدون جدوى ، التحالف مع المقرانيين واضطر بعدها ان ينزل بنفرين بتاريخ 9 مارس 1971 ولم يتمكن من الاستيلاء على تبسة .

ان انتهاء المانيا الحرب مع فرنسا ، جعل هاته الاخيرة توفد جيوشها الى الجزائر لقمع حركة الانتفاضة التي عمت البلاد . وعندما : « تيقن (محي الدين) بعدم اقتداره على مقاومتهم والتمست فرنسا من حضرة والده ارسال امر ونصيحة له ، فعندها رجع الى حدود تونس بمن معه » (61) .

---

(58) رين ، **نفس المصدر** ، 110 – 111 .

(59) الشيخ عبد الرزاق البيطار ، **نفس المصدر** ، ص . 1426 .

(60) **المصدر السابق** ، ص . 1427 – 1428 .

(61) **المصدر السابق** ، ص . 1428 ، راجع الوثيقة ، رقم 3 . ص 130 والمنشورة اثر هاته الدراسة، والتي دعا فيها الامير عبد القادر قنصل فرنسا بطرابلس الغرب ان يعمل على ترحيل ابنه الى الشرق .

هل كان ناصر بن شهرة الذى يعد صديق محى الدين ، عندما وقف الى جنبه واعلانه الحرب المقدسة ضد الفرنسيين للدفاع عن البلاد ، واشهاره مساعدة السلطان ، قد استمر فى طلب الاعانة من الباب العالى ؟ (62) ·

انه من المحتمل جدا ان يأخذ ناصر بن شهرة بعد انسحاب محى الدين ، مبادرة الاتصال بالمسؤولين العثمانيين · ان وجوده الى جانب بوشوشة واخوان الطريقة الرحمانية الذين اعلنوا الجهاد بتاريخ 8 افريل 1871 (63) قد دفعه الى الاتصال بالباب العالى واستمراره طلب الاعانة حتى شهر مارس 1872 ، فى الوقت الذى لم يبق زعماء فى جهة الصحراء غير ناصر بن شهرة وبوشوشة ·

ان هاته النتيجة التى توصلنا اليها لا يمكن ان تتأكد ، الا بوجود هاتين الرسالتين واللتين توضحان وجود بعض الزعماء فى الصحراء القسنطينية ·

لا نستطيع فى هاته الدراسة الوجيزة ان نتعرض لدور ناصر بن شهرة وبوشوشة وبقية زعماء الصحراء الذين حرضوا الشعب على الثورة ، فهذا يتجاوز حدود موضوعنا ، الا اننا من جهة اخرى نذهب الى الاعتقاد ان هاته الانتفاضة التى هزت الشعب الجزائرى (64) ، وجعلت المعمرين يعيشون ايام قلق وحيرة ، لا يمكن ان تبدأ الا فى اواخر 1870 بظهور محى الدين بن عبد القادر · وعلى الرغم من ان هذا الاخير لم يقم بدور حاسم فى هاته الانتفاضة ، الا انه يبدو ان ظهوره وسط زعماء الجنوب ، قد ساهم فى تهيئة جو الانتفاضة بشرق البلاد ، وهذا ما يؤكد فيما بعد ، تلقائية وسرعة وعموم الانتفاضة فى طول البلاد وعرضها ·

اكس اون بروفنس (فرنسا) 9 ماى 1970

---

(62) راجع الفصل رقم . 2 ، ص . 27 – 53 ، باريس ، 1965 .
SAHLI, Mohamed, **Décoloniser l'histoire**,

(63) **المصدر السابق** ، ص. 41 .

(64) للاطلاع على العرض التاريخى لانتفاضه 1831 بشرق الجزائر ، راجع :
AGERON, Charles-Robert, **Les Algériens musulmans et la France** (1871 - 1919).
ج. 1 ، ص. 3 – 36 ، باريس ، 1968 .

قســـم الــوثـــائـق

1) رسالة من زعماء جزائريين الى الصدر الاعظم محمود نديم باشا •

2) رسالة ثانية من زعماء جزائريين الى الصدر الاعظم محمود نديم باشا •

3) رسالة من عبد القادر الجزائرى الى قنصل فرنسا بطرابلس الغرب •

المدخل الى الوثيقة رقم 1 و 2

اثناء تحرياتي في وثائق رئاسة الوزراء باستنبول ، طلب الى احد الموظفين يوما ، ان اساعده على تلخيص رسالتين باللغة العربية وبخط مغربي •

وبعد ان قمت بهذا العمل طلبت تصوير الرسالتين نظرا لاهميتهما التاريخية ، الا انه اعترض بادىء الامر على تحقيق ذلك ، بحجة ان هذا القسم من الوثائق لم يفهرس بعد •

غير اني تقدمت بطلب خاص الى مدير المركز ، حيث تفضل بالقبول •

انتهز هاته الفرصة لاقدم شكري للسيد مدير وثائق رئاسة الوزراء الاستاذ مدحت سرت اوغلو لاعطائه الاذن بتصوير الرسالتين •

وعليه فاني انشر هاتين الرسالتين دون ان اتمكن من معرفة ارقام مصادرها ذلك ان اهميتهما التاريخية كانت الدافع الوحيد لنشرهما •

امل ان يتم فهرست هذا القسم من الوثائق حتى يتمكن الباحثون قريبا من العثور على بقية الرسائل لدراسة جوانب جديدة للسياسة العثمانية تجاه انتفاضة قسنطينة 1870 ـ 1871 •

ع• ت•

الوثيقة رقم 1

الحمد لله رب العالمين والصلات (كذا) والسلام على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه اجمعين (1) ·

حمدا لمن جعل كلمة الذين كفروا ، السفلى (كذا) وكلمة الله هى العليا ، وانعم على المسلمين بتولية الوزارة ، لناصر الشريعة والدين ، وجرد من الملة الاسلامية سيفا عثمانيا ، اذل به كل كافر فى الدنيا ، وصلاة وسلاما على من جاهد فى اعلاء كلمة الله ، حق جهاده ، وعلى آله واصحابه الذين بذلوا انفسهم من مرظاته (كذا) فباءوا بالسعادة والاسعاد · فان رؤساء الجمعية الخيرية بالجزائر المحمية ، قد رفعوا الى الله اكف الطلب (2) ··· التى بها يستفتح كل ارب على ان يديم لهم ايام فخر الاسلام والمسلمين ، ناصر شريعة سيد المرسلين ، سيد الوزراء فى العالمين ، مغيث الغزاة والمجاهدين ، الواثق بربه الكريم ، حضرت (كذا) سيدنا محمود باشا نديم ، ادام الله ايامه الزاهرة ، وافاظ (كذا) على القاصدين غيوث مكارمه الماطرة ولا برح الزمان بوجوده دايم (كذا) المسرات ، والبلاد امنة مطمينة (كذا) تهمى عليها بحسن نظاره (كذا) سحب الخيرات ، امين ·

ثم الذى نعرضه على مراحمكم السنية واخلاقكم الذكية بظرورة (كذا) علم حضرتكم بان اصل محاربتنا وعصياننا على اعداءنا (كذا) كان باختيار ورغبة الدولة العلية ، ولا حصل منا التقصير فى شىء ، لما رغبته الدولة العلية ، واشارت به علينا بواسطة المرحوم عالى باشا ، الوزير السابق،وحضرت (كذا) تورس باشا · وما وعدنا به من الاعانة السرية والجهرية ، بالاسلحة والنقود واحيل امر توزيع ذلك على حضرت (كذا) مصطفى باشا فاضل المصرى بعد تلاوة عرظ (كذا) محضرنا على حضرة مولانا السلطان المعظم الذى يسأل

---

(1) **B.A.**؛ رسالة باللغة العربية موجهة من رؤساء الجمعية الخيرية الى الصدر الاعظم محمود نديم باشا : انظر الشكل رقم 14 ، ص · 129 ـ 128 ·

(2) كلمة غير مقروءة ..

عنا وعن دمائنا وانفسنا بين يدى الله سبحانه وتعالى • ومفصلات هذه القضية تعلم ، لحضرتكم العلية من العالم العلامة الدراكة الفهامة النحرير ، الشيخ المفتى سيدى محمود بن المرحوم المنعم برحمة الله العلى الاكرم ، امير عساكر بلدنا سابقا ، وحضرة الوجيه الفاضل السيد محمود ابن (كذا) المكرم الاجل السيد على احد اعيان وجوه بلدنا القايمين (كذا) بطريق النيابة عنا وعن كافة اهالى اقليمنا فى التكلم وطلب الاعانة وغيرها من العرظ (كذا) محضر المرسل (كذا) منا سابقا للحضرة السلطانية ، وجواب عالى باشا امين (؟) لاننا اوضحنا له فيه كافة اضرارنا وما نحن فيه من المشقة والتعب والتجلد الفايق (كذا) عن طاقة البشر بمصادمة الاعداء وحث المسلمين على القتال خين ورود المساعدة التى صدر لنا بها الامر السلطانى الذى لا ينقظ (كذا) وغاية رجانا (كذا) ان تنظروا لنا بعين الرحمة والشفقة والغيرة الاسلامية ، بعرظ (كذا) حالنا على حظرة (كذا) مولانا السلطان المعظم ، لعل وعسى ان يرحمنا ويفك اسرنا ويمسح دموع صغارنا وكبارنا ، بانقاذنا من تحت يد ظلم اعدائنا الكافرين • وما علمنا اسباب سكوت الدولة العلية عن انجاز ما وعدتنا به بعد تحريظنا (كذا) على القتال والعصيان (1) •••• على اى شيء مع اننا نحن نبلغ نحو الخمسة ملايين ، وكلمتنا كلمة واحدة وايماننا ، لله الحمد ، ثابت وجسارتنا فى الحروب ، سارت بها الركبان • ولو كان عندنا مدافع واسلحة ونقود وغير ذلك مما يلزم الحروب ما كنا نطلبوا (كذا) الاعانة من الدولة العلية وكنا بعد الزاله (كذا) الكفرة من اقليمنا ، اعداء ديننا ، نسلمه لها ، لاننا من ضمن رعاياها سابقا ولاحقا ، لتحكم فيه بما يرضى الله ورسوله والمسلمين والله على ما نقول شهيد • ونطلب منك يا حضرة سيدنا الوزير الاعظم ان تقرأ كتابنا هذا ، على حضرة مولانا السلطان الاعظم وكلما صدر به امره الكريم تعرف به وكلانا (كذا) المحمودين لان المدة قد طالت والفتن زادت والهول تضاعف لانك الآن صرة (كذا) انتى (كذا) عنا المسؤول دنيا واخرى ، جعلك الله ملجأ للقاصدين بجاه سيدا الاولين والآخرين والسلام عليك من كافة المسلمين والمجاهدين فى سبيل رب العالمين•

الجمعية الخيرية
فى 10 رجب سنة 1288 (2)
يلى ختم الجمعية الخيرية

---

(1) كلمات غير مقروءة .

(2) 25 سبتمبر 1871 .

الوثيقة رقم 2

الحمد لله رب العالمين والصلات (كذا) والسلام على سيدنا محمد ، امـام المرسلين ، رسول رب العالمين (1) ٠

المقام الذى يجب احترامه ويتأكل اعظامه ، وتفتتح بالنصر ايـامه وتخفـق بالظفر اعلامه ، سيف الدولة العلية وركن الملة المحمدية ، سيد الوزراء أمير الكبراء ، ذو الرأى السديد والبطش الشديد ، المتوكل على السميع العليم ، حضرة محمود باشا نديم ، خادم الملة والدين ، زاده عزا واقبالا ، امين ٠

فان رؤساء الجمعية الخيرية والغيرة الاسلامية والجسارة الربانية يعرضون على ساحة حضرتكم السنية ، بان اقليمنا ما تجاهر بالحرب والعصيـان مـع الدولة الفرنساوية ، الا باشارة الوزير السابق وامره لنا ، على باشا ٠٠٠ (2) الملة الاسلامية والحضرة الشاهانية ٠ ولما تحقق لنا من مكـاتبة وكيلينـا بان الدولة العلية موجهـة عنـايتها فى خـلاص اسرنـا ، من تحت يـد الـدولة الفرنساوية ، وافكارها مشغولة بذلك اناء الليل واطراف النهار ، بعد تقديم عرض محضرنا الى حضرة مولانا السلطان الاعظم ، خليفة اللـه فى ارضـه وصدور امره العالى بالمساعدة لنا ، بصـرف خمسين جنى (كذا) لنشتـرى مهمات حربية بها ، بمعرفة حضرة مصطفى باشا فاضل والوزير السابـق ، ليجـرى امـدادنـا بهـا حـالا وسـريعـا على طـريق تـونس او طـرابلس الغرب ، اشتد عضدنا وقوى عزمنا وتضاعف سعينا فى امداد القبايل (كذا) والعربان بالمال والتحريض لهم على زيادة الحرب والقتال ، املا فى ورود تلك الاعانة لهم ، لعلمنا بان امر الحضرة الشاهانية لا ينقض ، وان انجازه محقق وصرنا فى انتظار ورود تلك الاعانة لنا مدة اشهر ، بناء على الجوابات التى ترد لنا من وكيلينا المحمودين ، فى الدنيا والآخرة ، نقلا عن لسان الوزير السابق وحضرة تورس باشا ٠

---

(1) B.A. : رسالة باللغة العربية موجهة من رؤساء الجمعية الخيرية الى الصدر الاعظم محمـود نديم باشا : انظر الشكل رقم ٠ 15 ، ص. 129 ـ 128 .

(2) كلمـة غيـر مقـروءة ..

ولما طال علينا المدا (كذا) والتسويف ، ومن الله علينا وعلى باقى المسلمين بتولية حضرتكم الصدارة العظمى ، استبشرنا بنوال المقصود ، وبالظفر بالاعداء ، لانه بلغنا بان لكم غيرة اسلامية وجسارة ربانية موروثة عن الاباء مع الصدق فى خدمة الملة المحمدية ، وانه لا بد من وصول تلك الاعانة لنا ٠ بوقتها بادرنا بتحرير جواب لعواطفكم الرحيمة فى عشرة رجب سنة 1288 (3) استرحمنا فيه بعد طلب عرضه على حضرة مولانا السلطان المعظم ، اغاثة لهفتنا وفك اسرنا لما نحن فيه ، وبامدادنا بما صدر به امر الحضرة السلطانية، وسبعة جوابات الى حضرة مصطفى باشا فاضل اوضحنا له فيهم (كذا) الحقيقة والتمسنا منه بعد عرضهم (كذا) على مسامعكم الكريمة يجرى قراتهم (كذا) مجلس الوكلاء الفخام ٠ وكلما صدر استصوابه ، يعرفنا به بواسطة وكيلينا المذكورين ٠

فوردت لنا (كذا) جملة جوابات من وكيلينا المومىء اليهما مضمونها بان الدولة العلية مشتغلة بالتبديل والتغيير ، ولا بد لها من النضر (كذا) الى حالنا ولو بعد حين ٠ فبوقتها ضعفت همتنا وقل ما بايدينا من الاموال والنقود ٠ والقبايل (كذا) والعربان صاروا لا يجدون ما يكلونه (كذا) فضلا عن الاصلحة (كذا) والبارود ٠ وسبب ذلك تغلب الفرنساوى على اغلب الجهات ، بعد تجلدهم على المحاربة معه ، وظفرهم بعساكره مدة عشرة اشهر ، وزيادة ونهب اموالهم واخذ اسلحتهم ، واستولى على اراضيهم البالغ قدرها مليون ونصف المليون اكتار (4) (كذا) بطريق الغصب والعدوان ، وشنع بهم التشنيع العجيب الذى لا يخطر ببال ٠

ومن جملة الاراضى التى غصبها خمساية (كذا) اقطار (كذا) ملك السيد محمود امر وكلينا (كذا) الذى طلب حضوره لطرفكم عالى باشا السابق ، الله ينتقم منه فى قبره وممن لا يرحمنا بفك اسرنا من تحت يد ظلم الدولة الفرنساوية المتعدية علينا وعلى اموالنا وانفسنا ، وان جهة الصحراء لم تزل عاصية ومحاربة الى الآن ، وان من مدة نحو العشرين يوما قد نصر الله المسلمين وكسروا العرضى الكبير امتاع (كذا) جنرال قصنطينة الذى توجه الى جهة تغرت بالغرب من جهة جريد ، كسرة عظيمة ، ولم يبق فيه احد ٠ وهذا العرض هو الذى كان عليه اعتماد الفرنسيين ٠ واما باقى المحال التى خرجت الى الجهات القريب (كذا) صار فيهم خلل كبير ، الله ينصر من نصر الدين ويخذل من خذل الدين بجاه سيد المرسلين على آله عليه وسلم ٠

---

(3) راجع الوثيقة رقم 1 والمنشورة أعلاه . ص . 124 ـ 125 .

(4) هكتار . من الكلمة الفرنسية Hectare وهو ما يساوى عشرة آلاف متر مربع .

ومن حيث انه الآن ليس خافيا على حضرتكم ، بان جميع ما اصابنا من ضياع الاموال والانفس والمشاق ، التى لم نزل نكابدها فهو ناش (كذا) من امتثالنا لاوامر الدولة العدلية ، الصادرة لنا من وزيرنا السابق ومن حضرة تورس باشا ۰۰۰۰ لان نحن الجميع نطلب من فضلكم ومن مراحم حضرة مولانا السلطان الاعظم ، عظم الله له الاجور ، النظر لما لنا بعين الشفقة والرحمة والانصاف والغيرة الاسلامية ، التى جبلت عليها ملوك الدولة العثمانية العلية ، بتوسيط باقى الدول الاجنبية بطلب حقه الثابت له فى اقليمنا من الدولة الفرنسوية المذكورة بموجب العرض ، محضر المقدم منا للحضرة العلية فى 21 محرم الحرام سنة 1288 (5) ، او ان يجرى مخاطبة الدولة الفرنساوية المذكورة بالزامها فى التنازل عن اقليمنا فى مقابلة على حسب الاقتضاء ، ونحن نتعهد بتسداده لسدته الملوكية حالا وسريعا على حسب الشروط التى تربط لذلك ۰ وان ابت الدولة المذكورة عن هذا وذاك ، فيصير اعلان الحرب معها فى اقرب وقت ، لان اهالى اقليمنا يبلغون نحو الخمسة ملايين ، وكلهم تحت اوامر الدولة العلية ، ومستعدون لمقابلة المترايوز (كذا) (6) ، بصدورهم كمقابلتهم اياه مدة السنة المذكورة ، وشجاعتنا ليست منكورة ، ويشق علينا ضياع هذه الفرصة التى اغتنمت فيها دولة ايطالية رومة ۰

وان كانت عدالت (كذا) الحضرة الملوكية قضت عدم التدخل فى امرنا ، وما نحن فيه من المشاق والتعب والظلم والجور والعدوان بعد تحريضنا على الحرب والعصيان ووقوعنا فى البلاء التى لا تتحملها الجبال فضلا عنا وعن كل انسان ، بضياع الانفس والاموال ، فنسترحم عواطفها الرحيمة المبادرة بارسال الشى مسلم (كذا) من طرفها كباقى الدول الاجنبية ، بعد تصديقها لدولة فرنسا المذكورة ، بان اقليمنا صادر حقا (كذا) وملك لها ، كى بوقتها نقطع امالنا ويمكننا ان نحتمى بحمايته ، بدخولنا تحت سطوطه (كذا) ۰

وها نحن جميعا قد اقمنا ، حضرة العالم العلامة ، النحرير الشيخ سيدى محمود بن المرحوم المنعم ، أمين العساكر والمحاربة الاسلامية السابقة ، ودولتكم الوزرية (كذا) مقام انفسنا فى التكلم عنا فى هذا الامر ، الذى تثابون عليه دنيا واخرى ، وفى عرض جميع ما ذكر على حضرة مولانا السلطان المعضم (كذا) وفى قراءة جوابنا هذا حرفيا ، بمجلس الوكلاء الفخام وجميع ما يلزم لذلك على حضرته وغيره من الاشارت (كذا) ، يجرى تعريفنا عنها بوسطة (كذا) وكيلين المحمودين ۰

---

(5) 28 مارس 1872 .

(6) من الكلمة الفرنسية (Mitraillette) أى مدفع رشاش .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

[illegible]

الشكل رقم 14 ـ رسالة من زعماء جزائريين إلى الصدر الأعظم
محمود نديم باشا .
B.A.

الشكل رقم 15 ـ رسالة من زعماء جزائريين إلى الصدر الأعظم
محمود نديم باشا .
B.A.

وها نحن قد عزمنا على ارسال شخص آخر على طريق تونس ، ليكون معينا لهما فى ما يلزم واذا كنت الدولة العلية صرفت النضر (كذا) عن هذا الامر ، واقتضت عدالتها تمكين الكفرة اعداء الدين من رقابنا واموالنا ، فنفوض الامر الى الله .

ونطلب ايضا من مكارم اخلاقكم الحاتمية ، بذل الهمة المشهورة فى مشارق الدنيا ومغاربها، فك السيد محمود ابن (كذا) على، احد الوكيلين المذكورين، الذى طلب حضوره لطرفكم ، الوزير السابق ، من مدة سنة وكسور ، ولم يفتقد حاله شىء مطلقا ؛ وهو مقيم بمنزل السيد محمد المفتى ، وارساله لطرفنا بعد مكافئته على مدة عطلة وارضه التى غصبت ضمن الاراضى المذكورة سابقا ، البالغ قيمتها تقريبا نحو الافين (كذا) ، بنقد لويز من مبلغ الاعانة الذى صدر به امر حضرة السلطان المعظم السابق ، توضيحه او عمال دولتكم لازلتم ملجا (كذا) للقاصدين بجاه سيد الاولين والآخرين صلى الله عليه وسلم والسلام عليكم من كافة جميع المسلمين المجاهدين فى سبيل رب العالمين ، فى 18 محرم الحرام سنة 1289 (7) من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلات (كذا) وازك (كذا) التحية .

يلى ذلك ختم الجمعية الخيرية ، الايالة (؟) الجزائر محمية .

---

(7) 28 مارس 1871 .

الوثيقة رقم 3 (1)

الحمـد للـه

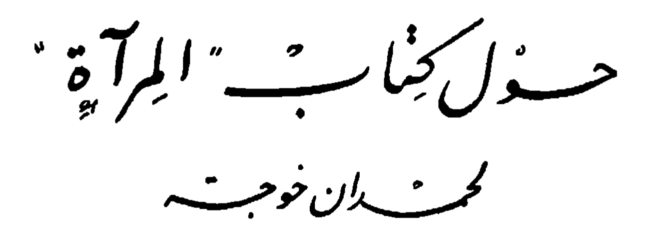
ذو المزايا الباهرة والسجايا الـزاهرة قوصـل (كذا) جنـرال الـدولة الفرانسوية الفخيمة بطرابلس الغرب ، بعد السؤال عن احـوالكم السنيـة ، نخبـر حضرتكم العليـة انـه لنـا ولـد اسمه محي الـدين كان قد اعتـراه مرض فى هذه البلاد الشامية قد اعجز الاطباء ثم ان بعضهم اشار عليه ان يغير الهواء فى البلاد الحارة ، فاذنت له ان يتوجه الى الاسكندرية ومصر ثم انه بلغنى فى تشرين الثانى ، انه توجه الى تونس ٠

ولما كان ذلك بغير اذنى ، ولا ارضى به ، كتبت الى قونصل جنرال بتونس والى الوزير السيد مصطفى ، واخبرتهم بعدم رضائى لتوجهه الى ذلك القطر ، وظننت انهم يردونه حالا الى هذه البلاد ؛ فاذا بهم تغافلـوا عنه ، وقد بلغنى الآن انه جاء الى مالطة ومنها الى طرابلس ، وانه توجه منها الى نواحى الصحراء٠ فالمرجو من جنابكم والمؤكد به عليكم ان تخبرونا عده وان طالت يدكم الى رده فلا تقصروا ، وبذلك تصير لكم مزية عظيمة علينا ، ودمتم كما رمتم ٠

المخلص عبد القادر الجزائرى
فى 18 ذى القعدة 1287 / 9 فيفرى 1871
يلى ختم عبد القادر

(1) .A.O.M ، 2 × 10 ، رقم . 110 ، رسالة بالعربية من الامير عبد القادر الى قنصل فرنسـا بطرابلـس الغرب .

III



حول كتاب « المرآة » لحمدان خوجة

ظهر في باريس في شهر اكتوبر 1833 كتابا بعنوان :

« Aperçu historique et statistique sur la Régence d'Alger »

وبالعربية « المراة » لحمدان بن عثمان خوجة مترجما من العربية الى الفرنسية بقلم : H. D. ... Oriental. أى ح· د···· الشرقى · (1)

ولنا ان نتساءل هل الترجمة الفرنسية كانت عن مخطوطة عربية ام هو من املاء مؤلفه ؟ هل حسونة الدغيس هو فعلا المترجم الحقيقى ؟ ولماذا اكتفى عند نشر الكتاب بوضع « ح· د···· الشرقى » دون ان يكشف النقاب عن شخصه ؟ سنحاول الاجابة عن هاته الاسئلة متخذين لهذا البحث وثائق جديدة ·

***

يعد حمدان بن عثمان خوجة الشخصية الجزائرية الوحيدة التى تمتعت بثقافة واطلاع واسعين جدا والذى ترك عددا من الوثائق السياسية الهامة حول احداث الجزائر اثناء الاحتلال الفرنسي للبلاد ·

ان كل الوثائق العربية والتركية التى تركت لنا حول هاته الفترة ، اذا أستثنينا حمدان خوجة ، تعكس ضعف المستوى الثقافى للدايات والبايات والاغاوات ، أما الانكشاريون رجال سلاح وحرب ، فلم يعلقوا اهمية بالغة لهذا الميدان ·

وبذلك كانت الوثائق العربية او التركية صعبة القراءة ، لكثرة ما اشتملت عليه من اخطاء متنوعة · (2)

---

(1) هى الحروف الاولية للطرابلسى حسونة الدغيس ، انظر دراستنا السادسة : « **حسونة الدغيس الطرابلسى وقضية الماجور لاين** ص . 263 ـ 264 . انظر أيضا الشكل رقم 16 ، ص . 136 ـ 137 .

(2) ان الدفاتر العربية والتركية بالجزائر والتى درسناها لاعداد فهرست محتوياتها ، لكافية للدلالة على ما ذهبنا اليه . كذلك الرسائل العربية الكثيرة الموجودة بمركز الوثائق باكس أون بروفنس (بفرنسا) وهى الوثائق التى كانت سابقا بجزائر العاصمة وانتقلت الى فرنسا قبيل الاستقلال.

ان كتابات حمدان خوجة تعد الاستثناء الوحيد ، ذلك ان حمدان كان يجيد العربية والتركية كتابة كما ويتكلم الفرنسية والانقليزية بطلاقة ، ولكنه لا يكتبهما ، وهو يعد عالما كبيرا فى جزائر العاصمة • (3)

وبالنتيجة لم يحرر احد من مواطنيه بمثل ما عرف عن حمدان ، من طلاقة ووضوح فى الراى وتلاعب بمترادف الكلام والافكار ، يضاف الى ذلك خط شرقى جميل •

ودون ان نقف على جزئيات حياته ، نؤكد ان حمدان خوجة كان قبل احتلال بلاد الجزائر كما قال هو عن نفسه : « احد كبراء واغنياء المدينة ، لقد كنت املك فى منطقة المتيجة (Mitidja) بمزارعى عشرة الاف راس غنم وستمائة راس بقر ومائتى زوج بقر (للحراثة) وستين جملا ، مائتى ما بين فحول وفرسان ، وستين بغلا ، وعددا اخر من الحيوانات •

كنت املك بالاضافة الى هاته الثروة الفلاحية ، ستمائة معسلة ، وخمسة آلاف كلية(4) من القمح والشعير وعدة آلاف من المساحة الصالحة للحراثة(5)•

وما عدا هذا كنت تاجرا بالجزائر ، ولى تجارة واسعة براس مال تجاوز ثلاثمائة ألف فرنك،اتعامل بها فى جزائر العاصمة وبقية اطراف البلاد(6) »•

اما تجارته الخارجية ، فقد كانت هى الاخرى هامة اذ قد اشترك مع بعض اليهود فى ذلك كما كان يقوم بشراء ازوطات البوطاس « Azotate de Potasse » من انقلترا للجزائر (7) •

غير انه بعد احتلال الجزائر وتغيير دفة الحكم التى اصبحت بيد الفرنسيين دفع حمدان خوجة إلى تبنى سلوك الحذر والتوفق بين الطرفين• من ذلك أنه

---

(3) A.O.M; 15 MI 12, Vol. 14

(4) ان عيار الكيلة يساوى 25 كيلو غرام .

(5) A.M.G; H 32 الجزائر : من التقرير الذى حرره حمدان خوجة وقدمه الى ملك فرنسا لويس فيليب Louis PHILIPPE بتاريخ 19 جوان 1835 ، راجع نص هذا التقرير، الوثيقة رقم 6 ، ص . 189 ـ 194 .

(6) **المصدر السابق** ، انه من الصعب جدا تقدير ثروة حمدان خوجة ، الا ان الادارة الفرنسية كانت تعدها بحوالى اربعين مليون فرنك ، من رسالة حمدان خوجة الى بوضربة ، الموجهة اليه بتاريخ 26 ماى 1836 الموجودة فى A.O.M; 1 H 1 ؛ راجع كذلك : F.O; 3/33 رسالة من سان جون ، قنصل انقلترا بالجزائر ، وهو بتاريخ شهر أفريل 1831 ، والتى جاء فيها : « يعد حمدان بن عثمان خوجة هنا ، اهم تاجر بالبلاد » .

(7) A.O.M; 15 MI 12, Vol. 4 ، راجع أيضا حول تجارة حمدان خوجة مع أنقلترا : A.O.M; 15 MI 49, Vol. 381.

أنظر الشكل رقم 17 ،ص 137 ـ 136 وهو الرسم التى تخيله الرسام التونسى زرياط لشخصية حمدان بن عثمان خوجة .

عندما سقطت مدينة الجزائر في يد الفرنسيين ، ارسل حمدان ابنه للتفاوض مع الجنرال المنتصر بورمن (BOURMONT) وقد عد حمدان فيما بعد من الاشخاص الذين اظهروا ميلا للفرنسيين ٠

واثناء تولى الجنرال كلوزال (CLAUZEL) القيادة العامة للجزائر ، عينه هذا الاخير عضوا لبلدية مدينة الجزائر لمساعدة الادارة الفرنسية على ادارة أموال الاوقاف ، وبعدما كلف بمهمات كثيرة ، عينه الجنرال كلوزال عضوا باللجنة التى عهدت اليها مهمة تعويض الاشخاص الذى تضرروا بهدم ممتلكاتهم لفائدة النفع العام ، كبناء الشوارع والمستشفيات وغير ذلك (8) ٠ الا ان حمدان قد عزل بعد قليل من هاته اللجنة لمعارضته مشاريعها ٠

وبذلك يكون حمدان خوجة قد عاش مشاكل ومشاغل الادارة الفرنسية واظهر انذاك سلوكا ذكيا مع المسؤولين الفرنسيين للحفاظ على امتيازاته من جهة ، ومن جهة اخرى لغرض إفهام القادة الفرنسيين معطيات البلد وعاداته ، محذرا اياهم عدم مس الدين ونظام الحبس وهتك حريات الاشخاص والاستيلاء على ممتلكاتهم غصبا ٠

ولكن عددا من القرارات التى اتخذها القادة الفرنسيون قد اثرت بعمق على الشعب ، عندما استولت الادارة الفرنسية على المساجد وحولت بعضها الى ملاجىء لفرق الجيش ، والبعض الآخر الى مستشفيات وكنائس (9) ٠ اما احباس مكة والمدينة فقد وضعت تحت الادارة الفرنسية المباشرة (Domaine) (10) كما ان دور وجهاء المدينة قد استولوا عليها الجنرالات ، اما اتراك البلاد فقد نفوا من البلاد بدون حق شرعى مع مصادرة اموالهم جورا ، واتخذت اقل الحجج لمصادرة اموال المواطنين الشخصية ٠



ان التجربة التى حصل عليها قادة الجيش الفرنسى اثناء حملتهم على مصر ،

YVER Georges, **Hamdan Bin Othman Khoja,** in, R.A. 1913, p. 100.

JULIEN, Charles-André, **Histoire de l'Algérie Contemporaine,**

ص؛ 91 باريس . 1965 ، يذكر ان حاكم الجزائر العام دوك دوروفيقو (Duc De Rovigo)

عندما اخبر انه لم يسلم له الا مسجدا غير لائق واقل اهمية من غيره ، ثار انذاك غضبا وقال : « لا اريد هذا المسجد بل اطلب الأجمل ، اننا اسياد البلاد والمنتصرون ، لا اود ان اكون مثار ضحك (بقبوله ذلك المسجد) » .

(10) هو القرار الصادر عن الجنرال كلوزال بتاريخ 7 ديسمبر 1830 .

لم تمكنهم بعد، من فهم الشعوب الاسلامية ، فقادة الحملة الفرنسية على الجزائر كانوا يجهلون معطيات الشعب الجزائرى دينا وادارة ، بل على العكس من ذلك كان الحقد الاعمى الذى تضاعف فى اوروبا فى اوائل القرن التاسع عشر ضد الولايات العثمانية بشمال افريقيا ، قد تشبع من نفوس قادة الحملة الفرنسية على الجزائر •

كل هذه العوامل تفسر الاخطاء الفادحة التى ارتكبتها الادارة الفرنسية والغير المبررة والتى توضح تناقضاتها وعجزها وروح الانتقام التي سادت مشاعر قوادها •

ان حمدان خوجة الذى اصطدم بعناد الادارة المدنية وبارادتها السيئة عندما داست حرمة المعاهدة ، قد ثار ضد هتك الاتفاقية التى عقدت يوم 5 جويلية 1830 بدون موجب قانونى • وادى ذلك الى دوس حقوق الجزائريين وسلب ثرواتهم بما فى ذلك ممتلكاته وثروته الشخصية •

فضيعته بمصطفى قد افتكت منهم غصبا (11) ، « لقد فرض على كما يقول حمدان اداء ضريبة غصبا عنى ، مقدارها 1.200.000 • لا ادفع شيئا لانى لست مطالبا بشيء فرضه على القانون ، لقد رمونا فى السجن ، خالى المسن والبالغ من العمر ثمانين سنة وانا ، عبدكم الحقير ، كما ختمت منازلنا ولم نستطع الخروج من السجن الا بعد ان دفعنا ضريبة مقدارها 132.000 فرنكا » (12) •

لقد احس حمدان باستبداد الادارة المدنية الفرنسية بالجزائر وان المصائب التى حلت بسكان البلاد كانت نتيجة للتعسف والابادة وكل افات الحرب التى كانت جميعا يرتكبها باسم فرنسا ، اعوانها بالجزائر اذ كان يعمل هؤلاء ضد مبادىء التحرر والحضارة (13) •

---

(11) ان الجنرال فوشار (Feuchères) هو الذى استولى على ضيعة حمدان خوجة ، وعندما طلب منه حاكم الجزائر العام دوك دوروفيقو التخلى عن الضيعة وردها الى صاحبها ، رد عليه الجنرال بانه « ان الدوك دوروفيقو » كان خاضعا لتاثير معين وان هذا الاخير يعمل على سلبه حق التمتع الى الابد بهاته الضيعة . ذلك الحق الذى فرض اثر النصر الفرنسي فى الجزائر » راجع **ESQUER, Gabril, Correspondance du Duc de Rovigo,** ج. 1 ، ص. 582 ـ 583 ، الجزائر ، 1914 .

(12) A.M.G; H 32 الجزائر ، انظر الوثيقة رقم 1 ص . 146 ـ 165 . المنشورة اثر هاته الدراسة ، قارن ايضا ، اسكر ، **نفس المصدر** ، ج. 111، ص. 104 : « ان حمدان خوجة قد دفع 59.074،80 فرنك كضريبة فوق العادة ، فرضت على الشعب الجزائرى » .

(13) ايفر ، **نفس المصدر** ، ص. 113 .

APERÇU

HISTORIQUE ET STATISTIQUE

SUR

LA RÉGENCE D'ALGER,

INTITULÉ EN ARABE LE MIROIR,

PAR

SIDY HAMDAN-BEN-OTHMAN KHOJA,

FILS DE L'ANCIEN SECRÉTAIRE D'ÉTAT (MAKATAGI) DE LA RÉGENCE D'ALGER,

TRADUIT DE L'ARABE

PAR H.... D...., ORIENTAL.

Quand c'est l'égoïsme qui renverse la tyrannie, il ne sait que se partager la dépouille des tyrans.

Benjamin Constant.

Tome Premier.

PARIS,

IMPRIMERIE DE GOETSCHY FILS ET COMPAGNIE

RUE LOUIS-LE-GRAND, N° 35.

1833

الشكل رقم 16 ـ الصفحة الأولى لكتاب « المرآة » لحمدان خوجة .



الشكل رقم 17 ـ حمدان بن عثمان خوجة ·

رسم زرياط ·

الشكل رقم 18 ـ صورة من تقرير حمدان الى وزير الحربية الفرنسى

A.M.G; H 20.

naturel, sans vernis ni éducation rhétorique qui vous intéresse l'histoire habit qu'il a été toujours en traduisant les langues orientales on perd l'énergie, les tournures des phrases, et même les sens des auteurs, sans relire même, tandis qu'en français vous me comprenez mieux, quoique l'orthographe n'est pas parfaite et les règles de grammaire n'est pas suivies, considérez comme sténographie,

voici donc l'analyse en résumé de cette lettre contenant en huit principes fondamentaux, pour éviter tout équivoque

savoir

1 = ma reconnaissance à vous monsieur et au Gouvernement de S. M. B.

2 = mon départ pour Londres sera par la voie de Livourne aussitôt que ma santé me permettra

3 = j'accepte le secours de Gouvernement de S. M. B.

4 = mon service ne sera que après le jugement de l'affaire

5 = le Gouvernement de S. M. me considère comme un anglais ou naturalisé

6 = l'adversaire doit être présent à Londres pendant le procès

7 = le Gouvernement me rend garant de son agent au Consul

8 = l'affaire sera plaidoyer devant le parlement en publique

présentez mes respects à monsieur votre père, votre beau-frère, mon [illegible] et votre estimable famille, mes compliments à Sir James Macki nucKintosh et notre ami Mr Blunt of Broad Street

Recevez je vous prie l'assurance de mon inviolable attachement et sincère amitié

Votre ami Hassuna D'Ghies

الشكل رقم 19 ـ صورة من رسالة حسونة الى سكارلوط .

F.O: 76/37.

ان الله يحتقر كما يقول حمدان خوجة ، الذى يتألم ويحتمل الاحتقار (14)٠
وعليه فقد قرر حمدان ان يشد رحاله الى باريس لغرضين اثنين : جلب انتباه الحكومة الفرنسية لما يجرى من فضائح وظلم بالجزائر ، ورفع شكايته الى العدالة الفرنسية ٠

ان حمدان خوجة وابراهيم بن مصطفى باشا الذى يسانده ، كانا العضوين النشيطين اللذين اخذا على عاتقهما مسؤولية اعلام وتنبيه السلطان العثمانى لما يجرى فى الجزائر ، وطلب مساعدته لاسترداد البلاد من جهة ومن جهة اخرى جلب عطف الوسط الفرنسى الذى عرف بمناهضته احتلال الجزائر ٠

٭٭٭

قدم حمدان بن عثمان خوجة فى 3 جوان 1833 عريضة الى المرشال سولت (Soult) وزير الحربية الفرنسى ، بسط له فى ثمانية عشر بندا ، شكايات الشعب الجزائرى ٠

بأى لغة كتبت وقدمت هاته العريضة الى وزير الحربية الفرنسى ؟

ان اكتشافنا لهاته العريضة بارشيف وزارة الحربية بفنسان (Vincennes) بباريس ، يثبت لنا ، ان حمدان قد حررها اولا بالعربية ثم اتبعها بترجمة فرنسية بحيث نجد فى نفس الصفحة، النص العربى وترجمته الفرنسية (15)٠

لقد نشر حمدان نص الترجمة الفرنسية كاملا وبدون اى تحريف ما ، فى كتابه « المرآة » (16) ٠

ان على رضا باشا ، ابن حمدان خوجة ، قد الف هو الاخر كتابا بعنوان « مرآة الجزائر » وقد ذكر فى مقدمة كتابه،ان اباه : «عندما كان مقيما بباريس اراد ان يطلع وزراء الحكومة الفرنسية على مساوىء الادارة المدنية بالجزائر ،

---

(14) **A.O.M.** ؛ **ملف 1H1** ؛ رسالة من حمدان خوجة الى احد اصدقائه بالجزائر مرسلة بتاريخ 22 ماى 1836 .

(15) **A.M.G; H 20** ، **الجزائر** ، ان كل الرسائل التى وجهها الجزائريون الى وزير الحربية الفرنسى كانت محررة بالعربية فقط ولاول مرة اعثر على وثيقة تحمل النص الاصلى بالعربية مرفوقا بترجمته الفرنسية ، انظر الشكل رقم 18 ، ص . 137 ـ 136 .

(16) حمدان خوجة ، **نفس المصدر** ، ص . 328 ـ 351 .

(17) لا نملك مع الاسف الا الترجمة التركية لهذا الكتاب عن اصل عربى ، قام بالترجمة على شوقى ، استنبول ، 1876 .

الناتجة عن احتلال البلاد، فألف كتابا **بالعربية** ثم ترجمه الى الفرنسية وطبعه. لقد اتخذ ابى لتحرير كتابه مصادر تاريخية بالعربية والفرنسية (18) » .

ان الرسائل الكثيرة التى حررها حمدان خوجة الى السلطان العثمانى والى اصدقائه خلال إقامته بباريس ، تشهد بغزارة مراسلاته وكتاباته كما قال هو عن نفسه : « وانا يا اخى وحدى واولادى وعيالى تحت ايدى الكفار ، لا اقصر فيما اقدر عليه بلسانى وقلمى ولوان الكفار يعلمون شطر ما فعلت من تحريرات وتاليف كتب ومراسلات مع الاجناس ، وغير ذلك ممالا اقدر على تحريره ، كل ذلك لاجل انقاذ البلاد ، لاكلوا لحمى واوقعوا بى؛والحمد لله سترنى الله»(19) .

نستنتج من ذلك ان حمدان قد الف فعلا كتابه باللغة العربية (20) اولا ، ولاشك انه قام بجل العمل اثناء اقامته بباريس وانه على اية حال قد اعد كل عناصر كتابه التاريخية .

***

ان قول معاصرين (21) ان حمدان املى كتابه ، يبدو صعب الاحتمال ان لم يكن مستحيلا .

يبقى علينا الان ان نعرف من الذى قام بالترجمة من العربية الى الفرنسية ؟ هل هو حسونة الدغيس ؟

هل يتقن هذا الاخير اللغة الفرنسية حتى يستجيب لترجمة عمل يتطلب كثيرا من الدقة والمعرفة اللغوية ؟

هل حسونة الدغيس هو فعلا المترجم الحقيقى والوحيد للكتاب ؟

لنحلل الان نصا باللغة الفرنسية حرره حسونه الدغيس فى شهر جويلية 1830 : (22)

---

(18) **المصـدر السابق** ، المقدمـة .

(19) **B.A., H.H 37528** رسالة من حمدان خوجة الى محمود الوكيل السابق للجزائر بتونس ، والمقيم بازمير . راجع نص الوثيقة رقم 3 ، ص. 174 — 181 .

PLAYFAIR, Sir R. LAMBERT, **A bibliography of Algeria from the expedition of Charles V in 1541 to 1887,** nº 528, London, 1898.

(21) جوليان ، شارل اندرى ، **نفس المصدر** ، ص. 74 يذكر ان رولان دى بسى (Roland DE BUSSY) هو الذى كان يذهب الى تلك الفرضية .

Veuillez je prie (sic) de présenter mes respects et témoignier (sic) mes connaissances à son Excellence le Ministre de S.M.B. Sir Georges Murry (sic), pour la communication (sic) qu'il a vous avoir (sic) fait à mon sujet et de la haute opinion forma (sic) de moi, assurez le de nouveau de mon innoncence et que je suis incapable de pensé (sic) même à une affaire si noire ; dit (sic) à lui que mon intention toujours est de me rendre en Angleterre, j'ai proposé même à Warrington de nous rendre ensemble pour que l'affaire sera jugé (sic) là, il m'a refusa (sic) pour à vous (sic) eprouve (sic) de plus la vérité, voyez de la copie d'une lettre ci-jointe écrite en Consul de france (sic) à Tanger reponse (sic) à une qui m'été adresse (sic) par lui et Mr. Drammund Hay, Consul de S.M.B. à Tanger le 3 juin...

Voici mon cher Scarlett, je vous reponds en français bien ou mal toujours vous le dechiffrez et connaître mes sentimens naturel (sic) sans verais (sic) ni élucution (sic) rhetorique (sic) qui embrasse l'interprete habil (sic) qu'il ne soit toujours en traduisant les langues orientales on perd de l'énergie, les toujours de phrases et même les sensés (sic) des discours sans vouloir même, tandis qu'en français vous ne comprenne (sic) mieux, quoique l'orthographe n'est pas parfait (sic) et les réglés (sic) de grammaire n'est (sic) pas suivre (sic) considérez le, comme sténographie » (23).

نلاحظ كثرة الاغلاط الكتابية والنحوية ثم تركيب الجمل ، يضاف الى ذلك هذا الاسلوب الركيك الذى يوضح قطعا ان حسونة الدغيس لم يكن هو المترجم .

هل يمكن تصور فكرة احتمال ان حسونة الدغيس قد اتقن اللغة الفرنسية فى الفترة الفاصلة بين كتابته هاته الرسالة فى جويلية 1830 وبين ترجمة الكتاب الذى ظهر فى اكتوبر 1833 ؟

يمكن قبول ذلك ، ولكن يبدو من الشك ان حسونة الدغيس قد اجاد اللغة الفرنسية تماما خلال هاته الفترة حتى استجاب لمتطلبات ترجمة دقيقة وامينة وموفقة كل التوفيق لغة واسلوبا .

لنحلل نصا ثانيا كتبه حسونة الدغيس باللغة الفرنسية بتاريخ 18 سبتمبر 1832 :

---

(22) F.O; 76/37 : رسالة من حسونة الدغيس الى زميله سكارلوط بتاريخ 20 جويلية 1830 : راجع الوثيقة ، رقم 2 من الدراسة السادسة ص. 291 ــ 294 . أنظر الشكل رقم 19 ، ص. 137 ــ 136 .

(23) المصدر السابق .

« Naturellement on n'oubliera jamais la cause ni l'auteur de ces désastres ; cependant votre Excellence veut prendre en considération mes remarques sans préventions ni préjugés, je ne doute pas qu'il ne s'empesse de chercher à remédier un mal et de faire représenter cette grande nation comme elle doit l'être. Je me ferais un devoir de prêter mon assistance si ce plan est adopté, comme je réponds à la bonne disposition de mon beau frère Sidi Ali Bey, qui ne demande pas mieux que de lier et d'augmenter les communications des deux peuples sur des bases solides et durables » (24).

يتبين لنا من هذا النص ، ان حسونة الدغيس الذى اقام بباريس طيلة سنتين اصبح يتكلم اللغة الفرنسية بطلاقة وقد مكنه ذلك من ترجمة كتاب (المراة) ويمكن ان تكون هاته الترجمة قد روجعت من طرف بعض المتعاونين الآخرين .

يكون من المحتمل جدا أن يكون قد ترجم كتاب فطل (Vattel) (25) عن الفرنسية الى العربية كما يخبرنا بذلك حمدان بن عثمان خوجة (26) .

هل تعاون حسونة الدغيس مع حمدان خوجة على أدراك وسبر اغوار معطيات الوسط الفرنسى واتجاهاته السياسة ؟ هل السفارة العثمانية بباريس ، قد شجعتهما على اتمام هذا العمل ، حتى يكسبا عطف الفرنسيين الذين كانوا يناهضون آحتلال بلاد الجزائر ؟ هل مترجمو السفارة العثمانية بباريس كانت لهم يد بشكل أو بآخر على تحقيق نشر كتاب المرآة » ؟

ان قلة الوثائق حول هاته النقاط ، تجعل من العسير علينا ، فى الوقت الحاضر ، أن نقرر حكما ما .

ولنا ان نتساءل الان لماذا نشرت فقط الحروف الاولية للمترجم حسونة الدغيس ؟

للاجابة على هذا السؤال ، لابد ان نتعرض لنشاط حسونة الدغيس السياسى بباريس .

---

(24) F.O., 76/33 ؛ رسالة حسونة الدغيس الى الوزير البريطانى قودريك (GODERICH)

(25) VATTEL, Emer, Le droit des gens ou prinicipes de la loi naturelle appliqués à la conduite et aux affaires des nations et des souverains, 3 t, nouvelle édition, Paris, 1863.

لم نعثر على أية معلومات لترجمة هذا الكتاب أو جزء منه ، على يد حسونة الدغيس .

(26) ايفر Mémoire de Hamdan Khoja, ص. 138 ، المجلة الافريقية ، 1913 .

نعلم ان حسونة الدغيس كان على علاقة طيبة مع وزير خارجية فرنسا آنذاك دوك دوبروفلي (Duc De BROGLIE) •

لقد استقبل هذا الاخير حسونة فى جلسة خاصة فى مبنى وزارته ، للنقاش معا حول احداث طرابلس الغرب فى صيف 1832 (27) وحول الاقتراح الـذى سلمه حسونة مسبقا الى وزارة الخارجية •

طلب حسونة الدغيس من الوزير الفرنسي تدخل فرنسا فى طرابلس الغرب « سوف يكون من المناسب لملك فرنسا ، كما يقول حسونة ، ان يضع مبادئـه الانسانية موضع التطبيق وان يظهر شعوره الوفى تجاه الافارقة بل ايضا عليه ان ينتهز الفرصة ليعطى الدليل القاطع على حسن عطفه وخلقه وليمسح ايضا التأثير السيىء الناتج عن سلوك الحكام الفرنسيين بالجزائر » (28) •

كان دافع حسونة الدغيس شخصيا عندما اظهر عطفه للفرنسيين والتمـس تدخلهم وبالتالى وجودهم بطرابلس الغرب • هذا النشاط السياسى قد منع حسونة الدغيس ان يتحول من يوم الى اخر الى مناهض لهم ، ويبـدو ان هـذا السبب هو الذى جعل حسونة يقبل نشر : ح د ، اوليات حروف اسمه ، دون ان يكشف النقاب عن شخصـه •

هل ترجمة كتاب « المراة » قد تمت بمساعدة بعض المتعاونين الفرنسييـن الذين عرفوا بمناهضتهم لاحتلال الجزائر وان حمدان خوجة وحسونة الدغيس استطاعا بذكاء ان يستخدماه لانجاز ترجمة ادبية رائعة ؟

اذهب الى الاعتقاد الى ذلك •

ان قنصل انقلترا بالجزائر سان جون (St JOHN) قد اوضح من جهته « ان الكتاب الذى نشره اخيرا حمدان بباريس يتضمن اتهامات عنيفة ضـد المرشال كلوزال ، الشىء الذى دفعنى الى الاعتقاد بانه لم يتجاسر عن القيام بذلك الا بعد حصوله على ضمانات مسبقة من الوزارة الفرنسية » (29) •

---

(27) لمزيد من الاطلاع على نشاط حسونة واقتراحاته لتدخل فرنسا راجـع دراستنا : **حسونـة الدغيس الطرابلسى وقضية الماجور لاين** ، ص. 263 – 274 .

(28) .A.E ؛ **طرابلس الغرب** ، رسالة من حسونة الدغيس الى وزير خارجية فرنسا بتاريخ 13 سبتمبـر 1832 ، راجع الوثيقة رقم 3 ص. 295 – 302 .

(29) F.O.3/35؛ رسالة من سان جون الى الوزارة الخارجية الانقليزية بتاريخ 10 ديسمبر 1833 .

اما المؤرخ الفرنسي شارل اندرى جوليان فيذهب الى الاعتقاد بان كتاب حمدان « الصادر عن رجل يتكلم الفرنسية ولا يقرؤها يتضمن تعابير وطنية وبعض الافكار لبنجمين كونستن (Benjamin CONSTANT) وغروتيوس (GROTIUS) وطاسيت (TACITE) بحيث لا تصدر مثل تلك الاقوال عن فكر متشبع بالروح الاسلامية بل على العكس من ذلك ، هي وليدة افكار احرار ملكيةجويلية (Monarchie de Juillet) الذين كانوا جميعا معجبين بانتفاضات اليونان وبولونيا وبلجيكا » (30) ٠



بعد ان اتم حمدان الترجمة بمساعدة حسونه وبعض الاشخاص ، وجد نفسه مضطرا لسبب سياسي او لغيره ، ان يكتم السر وان لا يكشف عن اسمائهم ٠

ومن هنا ندرك سبب حذر حمدان خوجة بوضعه اوليات حروف اسم حسونة الدغيس متبوعة بهاته الصفة ٠٠ الشرقي (Oriental) وذلك ليوحى ان تحقيق الكتاب تاليفا وترجمة كان من عمل مغربى صرف ٠



هذه هى النتائج التى استنتجناها من الوثائق الجديدة التى اكتشفنا فى دور الارشيف ٠

هل نامل ان تكشف لنا وثائق اخرى يوما ما ، مزيدا من الايضاحات حول هذا الموضوع ؟

اكس اون بروفنس (فرنسا)
1970/4/26

---

(30) جوليان شارل اندرى ، **نفس المصدر** ، ص. 74 .

قسـم الـوثـائـق :

- مذكرة حمدان خوجة الى الوزير الفرنسي للحربية ، ورد هذا الاخير عليها•
- رسالة حمدان خوجة الى السلطان محمود الثانى •
- رسالة حمدان الى صديقه محمود بن أمين السكة •
- أسئلة اللجنة الافريقية المطروحة على حمدان خوجة ورد هذا الاخير عليها •
- رسالة حمدان الى وزير الحربية الفرنسى •
- رسالة حمدان الى الملك لوى فيليب •

مدخل الوثيقة رقم 1

قدم حمدان بن عثمان خوجة مذكرة الى وزير الحربية الفرنسي بتاريخ 3 جوان 1833 ، عدد فيها الاخطاء التي آرتكبها حكام الجزائر وشكايات الجزائريين ضدهم • وقد طلب حمدان ردا على مذكرته • غير أن وزير الحربية الفرنسي لم يرد عليه •

ولنا أن نتساءل ، لماذا لم يستلم حمدان خوجة ردا على مذكرته ؟

ما هي التأويلات السياسية لمواقف وزارة الحربية تجاه حكام الجزائر ؟ هل كانت تؤيد سياستهم الداخلية بالبلاد ؟

ان رد وزارة الحربية على مذكرة حمدان ، يقدم لنا الاجابة عن هاته الاسئلة •

***

ان تحليل المشاكل السياسية بالجزائر من طرف السلط العليا الفرنسية بباريس ، يجعلنا نلمس مدى التناقض الذى كان يفصلهم عن الحكام الذين عينوهم ببلاد الجزائر ، وعدم موافقتهم للسياسة التي اتبعوها هناك ، بحيث ان حكام الجزائر يتحملون المسؤولية الكاملة لخرق الاتفاقية المعقودة في 5 جويلية 1830 ؛ وقد جاء في رد الوزارة الحربية : « يجب علينا ان لا نثق بعمى في السلطة المحلية بالجزائر والتي يمكن ان تحاول تغطية الاخطاء التي ترتكبها هناك » •

اعتبرت وزارة الحربية مذكرة حمدان ، هامة • اما رد الوزارة الحربية على المذكرة ، فهام جدا ، بحيث عكس لنا بامانة وبدقة ، السياسة الفرنسية المركزية بالجزائر • وهذا هو السبب الذى جعلنا نذهب الى الاعتقاد ، بأن نشر النص الكامل سيكون مفيدا لفهم معطيات الاحداث السياسية الخطيرة والتي كانت الجزائر مسرحا لها •

ع• ت•

الوثيقة رقم 1

الحمد لله (1) .

حضرة الوزير الاعظم وفقه الله .

بعد التحية اللائقة والادعية الفائقة ، المعروض منا هو ان دخول الدولة الفرنسوية للجزائر ، كان بشرط صيانة ديننا وحريمنا واملاكنا واموالنا ، واحترام مساجدنا وشريعتنا .

رد وزارة الحربية :

ليس الآن وقت دراسة ما اذا كانت المعاهدة ضرورية لاحتلال الجزائر أم لا .

لقد وقعت تلك المعاهدة ووجب ان تخلق مفعولها ؛ وفضلا عن ذلك فان المعاهدة لم تنص على ان لا تطبق السياسة والعدل حسب المبادىء المعروفة .

شكاية حمدان خوجة رقم 1 :

اول ما وقع من المخالفة بعد نفي القاضي والمفتي بغير حق ، ان استولوا على اوقاف مكة والمدينة ، وهي صدقة منا ومن والدينا على الفقرا (كذا) بمقتضى الشرط بعد الموت على وفق ديننا ، لا طريق لهم الى الاستيلاء عليها وأخذ ما كان عند الوكيل من النقود .

نطلب ردها كما كانت وان يردوا كلما اخذوا من نقود وكراء ، وما سكنوا من ديارها وبساتينها ، بدون اجرة ولا تقدير ، فيسلموا كل ذلك للوكيل على وفق ديننا المشترط صيانته واحترامه .

---

(1) لقد راينا من المفيد نشر نص مذكرة حمدان خوجة بالعربية على ان نتلو كل بند من بنودها بترجمة رد وزارة الحربية الفرنسية عليها من الفرنسية الى العربية .
راجع هاته الوثيقة بـ : A.M.G. ; H 20.

رد وزارة الحربية :

ان الاجراءات التى اتخذت تجاه القاضى والمفتى ، قد كانت زمن حكم الجنرال بورمن (Bourmont) والجنرال كلوزال (Clauzel) فى الوقت الذى كانت فيه دسائس الاتراك بالولاية قد حتمت طردهم منها .

يبدو ان القاضى والمفتى ، اللذين لم يستخدما نفوذهما لمسانـدة السلطة الفرنسية ، بل كانا على العكس من ذلك ، سندا للاتراك ، يبدو ان ذلك هـو السبب فى اتخاذ آجراء نفيهم (2) .

اما احباس مكة والمدينة فقد استولوا عليها كمـا هـو الشـان بالنسبـة للمساجد ولاملاك الاتراك ، بقرار من الجنرال كلوزال بتاريخ 8 سبتمبر 1830.

الا انه عند التنفيذ ، فان هذا القرار لم يؤد الى مصادرة تلك الاملاك . اما القرار الذى اتخذه الجنرال برتزين (Berthezène) بتـاريخ 10 جوان 1831 ، فانه لم يقض الا بالحجز ؛ وعليه فان الاجراء قد قضى بالحجز فقط .

ان الادارة الفرنسية بالجزائر لم تصدر رأيها بعد بشأن الملكيات . لقـد عرضت هاته القضية على مجلس رئاسة الوزراء ، مصحوبة بقضية اخرى تتعلق بطلبات داى الجزائر حسين باشا .

لقد بينا فى كثير المناسبات للوزير ، ضرورة اعـادة تلـك الملكيـات الى اصحابها .

شكاية حمدان رقم 2 :

الثانى : هدموا املاكنا واملاك الاوقاف ، وادعوا ان الهدم لتوسيع الازقة ولعمل البلاصة (3) . وكتب كلوزال وشهر ان الكوبيرنو (4) يعطـى كـراء المهدوم وقيمته ، وعين كومسيون (5) كنت انا واحدا منهم ، وامرنا ان نقـوم المهدوم بالسعر الذى كان فى مدة الترك ، ثم اعطوا كراء نحو الثمن مما قومنا فى مدته ؛ وتوالى الهدم الى يومنا هذا ، فهدم نحو ثلث البلاد من املاكنا ، والى

---

(2) هى المحاولات التى ترتبت عن احتلال الجزائر : تعسف واستبداد وجـور وانتهاك لحقـوق المواطنيـين .

(3) من الكلمة الفرنسية (Place) اى ميـدان .

(4) من الكلمة الفرنسية (Gouverneur) اى حاكم الجزائر .

(5) من الكلمة الفرنسية (Commission) اى اللجنة .

مدة مسيو بيشون (5) كانوا يقيدون ما هدموا · وفي مدة مسيو جنتيل تبيوسي (6) صاروا يهدمون ولا يقيدون كالمال المباح · فنطلب كراء ما هدموا ، وقيمته سواء كان لنا او كان اوقاف مكة والمدينة ، او من اوقاف المساجد ·

ثم نحن قابلين بحكم الشرع ، وذلك حيث ان املاكنا كانت في مدة الترك بسعر ، وفي هاته المدة بسعر زائد ؛ فان كان حكم الشرع بأقل السعرين ، فلا محيص لنا عنه · وان حكم الشرع بازيد السعرين ، او بالتوسط ، فلا نرضى ان يضيع حقنا ·

رد وزارة الحربية :

ان طلب حمدان هذا يبدو عادلا · يوجد بالميزانية رأس مال للتعويضات ·

ويتعلق الامر فقط باعطاء الاذن بتصفية ذلك ، على ان تقوم السلطات المحلية بدفع تلك التعويضات ، ويبدو ان تلك السلطة لم تقتنع بعد ، بضرورة احترام هذا الوعد ، خلافا لرغبة الحكومة ·

ان تطبيق ذلك سيؤدى الى وقف عملية الهدم ، التى نفذت بكثير من العجلة والتى ما زالت جارية حتى الآن بصورة مخيفة جدا ·

شكاية حمدان رقم 3 :

الثالث : هدموا جامع السيدة واخذوا سارياته وابوابه الرخام وزلايجة (7)

---

(5) (PICHON) هو وكيل الادارة المدنية بالجزائر (Intendant Civil)
ان وظيفة الوكيل المدنى قد أحدثت بقرار شهر ماى 1831 قصد فصل السلطة العسكرية عن السلطة المدنية ، وتنحصر وظيفة الوكيل المدنى بالاشراف على الخدمات المدنية والمالية والعدلية ، على أن يكون الوكيل تابعا لرئيس الوزراء الفرنسى مباشرة . راجع :
Pellissier DE REYNAUD, Annales Algériennes,
nouvelle édition, t. 1, pp. 224-225, Paris, Alger, 1854.

(6) (M. Genty DE BUSSY) هو الوكيل المدنى الذى خلف الوكيل بيشون .

(7) H 20, A.M.G. : رسالة من رئيس الشرطة بالجزائر الى الجنرال تريزل (Trézel)
عزيزى الجنرال :
« ان امام مسجد سيدى عبد الرحمان الواقع خارج المدينة عند باب الوادى ، قد اتانى مشتكيا من السرقات التى يرتكبها الجنود يوميا لهذا المسجد . وبالرغم من وجود لافتة على الباب ، فان الجنود المذكورين ينفذون الى المسجد ، ويأخذون الخشب والاحجار الموضوعة بين مربعات الخزف ، التى تحيط بالنوافذ .
ان هؤلاء الجنود الذين يرتكبون هاته السرقات ، هم من قسم المدفعية والذين لهم حدائق فى الضواحى ، وانى لارجوكم ان تصدروا اوامركم ، لاحترام هذا المسجد الذى يتمتع باحترام كل المواطنين ... » .

وأنواحة الارز الذى يأتى من فاس وهو يقرب من لوح السرو ، كما هدموا ثلاث او اربع مساجد حوله صغيرة لاجل البلاصة ·

اما اولا : فان البلاصة ليست مذكورة فى الشروط حتى يهدم بها المشترط صيانته · وثانيا : ليس فى بلاد المسلمين بافريقيا بلاصة · وثالثا : المضمون بالشرط ، اذا اقتضته المصلحة بزعمهم ، تعطى قيمته ·

فنطلب ثمن ما هدموا من الجوامع والمساجد ، وثمن ما اخذوه من آلاته ونقضه · لان المساجد للمسلمين ، كل واحد منهم له فيها حق ، لا خصوصية لسلطان ولا قاض ولا مفتى ، كالملك المشترك ، لا يأخذ منه احد شيئا ، ولا عبرة باذن الحاكم بالاخذ بل اذنه مردود عليه ؛ لانه لا يختص بزمان دون زمان ، بل لمن سيوجد الى يوم الدين ، وكل مسلم له حق المطالبة بما اخذ منها·

رد وزارة الحربية :

ان انشاء ذلك الميدان كان ضروريا ، الا ان المساحة التى اتخذت لذلك كانت كبيرة جدا ، مما الحق الاضرار بالآخرين ، وعد خطأ لكثير من الاسباب·

لا يمكن لنا ان نقبل مبدأ أن المعاهدة قد رفعت عنا ، حق هدم مسجد لبناء مكان عام · وعندما وعدنا باحترام الدين الاسلامى ، فاننا لم نلتزم مطلقا عدم مس تلك الاماكن لاى سبب من الاسباب ·

نستطيع ان نتصرف باى ملكية ، سواء أكانت دينية أو غيرها لفائدة النفع العام ، شريطة أن تعوض عن قيمتها (8) ·

اما اذا كانت الملكية لاحد الافراد ، فان ذلك لا يشكل اى صعوبة ، خلافا اذا كانت الملكية لنفع عام· وهنا ايضا يجب ان نعرف اى الجماعة التى تستطيع ان تطالب بحق مسجد قد تهدم ؟ ان هذا المسجد قد شيده واقام على رعايته أحمد باشا (9) وجماعة الانكشاريين · واستعمل من طرف المفتى الحنفى (التركى) وكان مختصا لعباده هاته الفرقة الدينية الاخيرة · اما اليوم فلم

---

(8) ان كل المصائب الى حلت بالجزائر ، كما يؤكد حمدان · قد نتجت عن خرق روح الاتفاقية المعقودة ، ورد وزارة الحربية هنا يؤكد ذلك .

(9) حكم أحمد باشا بالجزائر من 1 سبتمبر 1805 الى 7 ديسمبر 1808 .

يعد هناك دايا ولا انكشاريين ولا اتراك بالجزائر ، بحيث يمكن لهم ان يشكلوا مجموعة خاصة بهم · كما ولا يوجد جمعية انكشاريين ، بحيث تستطيع ان تطالب بقيمة هذا المسجد المهدوم ·

واخيرا كيف يمكن تثمين هذا المسجد ؟ ما هى قيمة أى مسجد ما اذا اخذ بالاعتبار ان المسجد فى نظر المسلمين لا يستعمل لغير أداء الصلاة ؟ وعليه فليس للمسجد قيمة مالية الا فى حالة واحدة ، عندما يلمس الاحتياج لاقامة الصلاة · ففى ذلك الوقف ، يعمد الجزائريون على بناء مسجد آخر ؛ غير ان كثرة المساجد اليوم ، لا يؤدى حتما الى ذلك ·

ان الاشياء الزخرفية المتأتية عن الهدم قد سلمت الى الدومان (Domaine) (10) غير ان الوزير قد امر منذ اشهر عديدة الوكيل المدنى تسليم تلك الاشياء الى المساجد الاخرى لتنتفع بها ·

شكاية حمدان رقم 4 :

والرابع : اخذوا جوامعنا ومساجدنا ، ولم يبق بيد المسلمين الا اربع جوامع وعدة مساجد صغار ، ونحو ثلاث ارباعها اخذوه وسكنوها واكتروها للتجارة ·

فنطلب رد جميعها بحكم الشرط ، ونطلب ترميم ما افسدوه ، وثمن ما اخذوه من سوائرها والواحها ، لانه لا يجوز للمسلم ان ينتفع بالمساجد بغير الصلاة واوقات التدريس ، وان خربت وان تعطلت ، هذا ديننا ·

رد وزارة الحربية :

تعد هاته النقطة من المسائل التى تؤثر تأثيرا عميقا على الجزائريين ، وكانت موضع جدال بين الوزير والسلطة المحلية ·

شكاية حمدان رقم 5 :

والخامس : اخذوا جامع كجوة وصيروه كنيسة وهو اجد جوامعنا ، ومشيد بما لا مزيد عليه ، فنطلب رده لما ذكرنا ، ولان الدولة الفرنسية لا تعجز عن بناء امثاله ، حتى تنفر القلوب ، وتغير امر الدين وتخالف الشروط ·

---

(10) اى الادارة المدنية المكلفة بذلك .

رد وزارة الحربية :

ان يقين ادارة الجزائر لم يطرأ عليه أى تغيير ، وعلى الرغم من مرافعاتها الجديدة ، فان الادارة المذكورة ما زالت تستحوذ على مساجد اخرى ، نظرا لقلة الاماكن حاليا ، لايواء مختلف خدمات الجيش ·

سيكون من المفيد صرف زيادة ثلاث او اربع آلاف فرنك لمصاريف البناء والحفظ وكراء المغازات ، على الاستمرار فى الاستيلاء على المساجد· ان ذلك لذو فائدة اقتصادية ·

هناك وسيلتان لاخضاع الولاية ، اما استعمال اللين المعزز بقوة السلاح ، او استخدام السلاح فقط · مع العلم ان هاته الوسيلة الاخيرة تكلف ثمنا باهضا من الاولى ·

ان احتلال المساجد لا يدع لنا مجالا للاختيار !

شكاية حمدان رقم 6 :

والسادس : اخذوا زاويات ، وهى بيوت مبنية وقفا على فقراء المسلمين ، يسكنونها بدون كراء على شرط المحبس ، كما سبق ؛ ولكل فقير فيها حق ، كما لكل غنى اذا افتقر ؛ هذا ديننا ولا وجه لاخذها ·

فنطلب ردها ورد ما اخذوه فى كرائها ، فنعطيه للفقراء الذين اخرجوهم منها بدون مهلة ، كل واحد بفراشه على ظهره ·

رد وزارة الحربية :

نفس الملاحظة السابقة ، يجب ان نضيف : ان اعادة هاته المؤسسات الى اصحابها الاول ، سيكون وسيلة للحد من البؤس الذى سجل تقدما بانتشاره بين المواطنين ، ولهذا وجب على الادارة ، ايجاد حل للتخفيف عن المواطنين ·

شكاية حمدان رقم 7 :

والسابع : بيوت الخلا (كذا) مياه جارية وقف على المسلمين ، وعلى من اراد قضاء حاجته ، ويتوضئون منها ، اخذوها واكتروها ، وهى من جملة اوقافنا حتى لا ينجس الناس الازقة · لا وجه لاخذها ولكل واحد فيها حق ·

وسامحني في سوء الادب بذكرها لانهم لم يستحيوا باخذها وكرائها للتجار ، فكيف نستحي بطلبها ؟

فنطلب ردها ، ورد ما اخذوه من كرائها ، فنفرقه على الفقرا (كذا) في مقابلة انها وقف لاجل الثواب ٠

رد وزارة الحربية :

لا تملك ادارة الجزائر اى معلومات حول هذا الحادث ؛ ويمكن ان يكون قد اتخذ هذا الاجراء لنفع جبائي ، او لفائدة صحية عمومية ٠ وعليه وجب طلب شرح ذلك من السلطة المحلية بالجزائر ٠

شكاية حمدان رقم 8 :

والثامن : مقتضى ديننا وسياستنا ، احترام الاوليا (كذا) واحترام تربتهم ، حتى ان من هرب الى تربة ولى ، ولو كان عليه قصاص شرعي ، لا نخرجه من التربة ، بل نترصد خروجه بنفسه ، احتراما لذلك الولى وتعظيما لمن اطاع الله ، فهي بمنزلة الجوامع في الاحترام ، واشتراك الناس في زيارتها والاحتماء بها ٠ ولكم ما يقرب من ذلك في الكنايس (كذا) فاخذوا منها مواضع عديدة ، داخل البلاد وخارجها ؛ فمنها ما هو مسكن لهم ومنها ما هو مستأجر للتجار ، وكتبوا لنا من الجزائر انهم اخذوا بعد سفرى ، تربة سيدى الجودى واكترؤه بماية فرنك (كذا) ٠ كيف يلوثون اسم دولتهم بماية فرنك وليست من املاك البايلك ؛ فاى طريق لهم لاخذها ؟

فنطلب ردها كما كانت ؛ وترميم ما أفسدوه ، واعطاء ما اخذوه في كرائها ، نتصدق به على ذلك الولى لمن له اهلية لقبول الصدقة ٠

رد وزارة الحربية :

ان ما لاحظناه سابقا حول المساجد ، يطبق هو الآخذ على مدافن الاولياء ٠ وعليه يجب اعادتها خصوصا اذا علمنا ان هاته المدافن لا تشكل اماكن ذات اهمية ، وان احتلالها بالتالى لا يستند الى اى عذر ٠

ان الفائدة التي يمكن ان نستنتجها ، من كرائها ، قليلة الاهمية ولا تعلل في اى حال من الاحوال ، انتهاك اماكن المسلمين المقدسة ٠

شكاية حمدان رقم 9 :

والتاسع : أخذوا بساطات جوامعنا ، افترشوها في ديارهم • وآخر من اخذ مسيو برندات دخل جامعنا بدون رضائنا واختار البساطات بنفسه ، واخذها • واختار قناديل وثريات رفعها ، ووجد منبر رخام كنا آتينا به من جامع السيدة المهدم فرفعه • وافترشوا البساطات بدياهم ، واوقدوا الثريات فى جمعياتهم •

فنطلب رد المنبر والقناديل والثريات ، او قيمتها ان عدمت وقيمة البساطات ، لانهم وطئوها بنعالهم فلا تجوز الصلاة عليها • وهى كالجوامع وقف لا ينتفع بها فى ديننا فى غير الجوامع ، ولكل مسلم فيها حق ، ولا ينفذ عطاء من اعطاها ولو كان اميرا او قاضيا •

رد وزارة الحربية :

هذا الطلب يوافق النتائج التى سجلت فى تقرير ، ورفع اخيرا الى الوزير بمناسبة طلبات حسين باشا داى الجزائر السابق (II) •

شكاية حمدان رقم 10 :

والعاشر : اخذوا املاك الترك المتزوجين مع بناتنا ، بعد ان نفوهم بغير حق ، بل بمجرد الدعوى • وسافر بعضهم بلا نفى ، نحن لا نرضى ان يضيع حق بناتنا واولادهم ، لان مئاله اليهم • وما زوجناهم لبناتنا ، الا لاجل عقارهم ومالهم • ولم يكن فى شروط الصلح الا تسليم القصبة والابراج وما يتبعها املاك البايلك • اما سائر الاملاك فانها مضمونة •

فنطلب ردها الينا بجمع كرائها لمصرف بناتنا الباقين عندنا بلا ازواج ، ونرسل لمن سافروا مع ازواجهم ، ونطلب كرائها وكراء ما سكنوه منها بتقويم المقومين •

رد وزارة الحربية :

اذا كان هذا الحادث صحيحا ، فيجب ان يعاب بشدة ، ان ظروف الحادث التى نقلها حمدان فى تقريره ، هى ولا شك ، مرتبطة بامتلاك الدومان للاشياء المتاتية عن هدم مسجد السيدة وبعض المساجد الاخرى •

(II) المعلوم ان داى الجزائر رفع تقريرا الى الحكومة الفرنسية بواسطة وكيله حسونه الدغيس الطرابلسى طالب فيه ، ان تمده فرنسا بمبلغ مالى لتسديد حاجياته ، على أساس أن قسما من ثرواته الشخصية لم يحملها معه حينما أضطر الى مغادرة البلاد اثر الاحتلال الفرنسى للجزائر .

هاته الاشياء التى لا يمكن ان تطالب بملكيتها اى جمعية الآن ، قد استحوذ عليها الدومان ، ويكون من اللائق اعادتها الى شعائر الدين الاسلامى ؛ وقد أمر الوزير بذلك منذ مدة ٠

شكاية حمدان رقم 11 :

والحادى عشر : لنا ولغيرنا املاك واوقاف مسكونة للعساكر وللجنرالات ونحوهم ، حتى للاطبا (كذا) وامثالهم ، لم يعطوا كرائها ولا قوموها ، وبساتين كذلك ، قطعوا اشجارها وقلعوا سقوفها وابوابها ، فاحرفوها حطبا ٠

فنطلب كرائها وثمن ما افسدوه منها بتقويم المقومين ٠

رد وزارة الحربية :

ان مسألة التعويضات الناتجة عن احتلال عسكرى ، هى من المسائل التى لم تجد حلا بعد ؛ لقد طلب الوزير من السلطة المحلية بالجزائر بيانات عن ذلك٠ واذا اثير من حيث المبدإ ، احترام المعاهدة كما نذهب الى التفكير فى ذلك ، فانه يكون من المستحيل عدم ترضية طلب حمدان هذا (12) ٠

شكاية حمدان رقم 12 :

والثانى عشر : انهم عملوا طرقا لطلوع الكراريط للمواضع العالية ، اخذوا بها يمينا ويسارا ، فدخلوا باكثرها بساتيننا ، وجعلوها طريقا عريضة ؛ وافسدوا ما حولها من اشجار وبناء ٠ نحن لا نستخدم الكراريط (12 مكرر) ٠

فنطلب ثمن التراب الذى اخذوه ، والشجر والبناء الذى افسدوه ، كما هو مقرر فى كل الاوروبا ٠ ولكون نسائنا يحتجبن ، نكره البستان المكشوف ، فنطلب الفرق بين الذى تشقه الطريق والذى لا تشقه ٠

رد وزارة الحربية :

نفس رد الاعتراض السابق ، اذ النتيجة متأتية عن نفس المبدإ ٠

شكاية حمدان رقم 13 :

والثالث عشر : من يوم دخول الفرنسويين للجزائر الى يومنا هذا ، لم يزالوا يحفرون مقابر ابائنا واجدادنا ، يستخرجون الاجر والاحجار ، فيبنون

---

(12) تعترف وزارة الحربية هنا وهى اعلى سلطة ، بشرعية مطالب حمدان خوجة .

(12 مكرر) أنظر الشكل رقم 20 ، ص. 160 ــ 161 .

بها ؛ وعظام موتانا يبيعونها ، فترسل الى مرسيلية بالمراكب ومسيو بيشون عمل تأويلا لعدم بيعها ، وبعزله بطل • وعينوا لنا لدفن موتانا موضعا • مع كونه لا يكفينا ، شرعوا في حفر مقابرنا فيه •

اما ارضها فاكثرها مملوك ، وباقيه وقف على الفقرا (كذا) وعلى من ليس له جبانة المحبس لاكثرها اسمه بوقندورة • لكل واحد من المسلمين فيها حق ؛ وقد اتلفوها بان جعلوا بعضها بلاصة ، وبعضها طريقا ، وبعضها بساتين باعوها او اكتروها •

فنطلب رد ما امكن رده منها ، واعطاء ثمن ما لم يمكن رده بتقويم المقومين• واما عظام ابائنا التي باعوها ، فنطلب ان يحكم الشرع العيسوى او الموسوى او المحمدى فيها ، بما يسترضى ابن الحلال عن عظام ابائه وامهاته • كنا نرى رؤس (كذا) النسا (كذا) بشعورهن والرجال بلحاهم • فانظر مروة الدولة الفرنسوية في جبر ما لا يمكن جبره •

رد وزارة الحربية :

ان مدافن المسلمين كانت على جانبي مداخل أبواب المدينة ، وكان يجب عبورها لشق طرق ضرورية ، من جهة ، ومن جهة اخرى ، لايجاد محل عام لعمليات التدريب العسكرى • وعليه كان اتخاذ ذلك الاجراء ، ضروريا ؛ غير أنه نفذ بقليل من الرعاية وبالمبالغة في الهدم بحيث ان سرعة تلك الاعمال، لم تسمح بوضع حد لها في الحال (13) •

اما مسألة فتح القبور ، فقد اصبح من العسير عدم انتهاكها من طرف اشرار المسيحيين واليهود ، حيث كانوا يترددون لاخذ الاحجار الثمينة او العظام ليرسلوها لصنع فحم العظام بمصانع مرسيليا (14) •

---

(13) بليسيي ، **نفس المصدر** ، ج. I ، ص. 227 ، يذكر : « ان اشغال احداث طريق حتى قلعة الامبراطور (Fort d'Empereur) مع اشغال الساحة التي وقعت خارج طريق باب الوادى ، قد ادت الى هدم مقبرتي المسلمين . لقد كان من المستحيل تجنب ذلك ، وكان من الواجب ، احتراما للاموات ، ان لانعطل حرية تنقل الاحياء . ولكن كان من الواجب ايضا ، التصرف بلطف وليس بفظاظة كما حدث ، حتى لا يقترف الشعب المتحضر فضائع انتهاك حرمة القبور لقد كان من الواجب ان يتم نقل رفات القبور بنظام واحترام الى مكان لائق ، بدل ان تشتت شذر مذر » .

(14) ان كل المؤرخين الذين درسوا حوادث هاته الفترة التاريخية ، قد رفضوا بشدة شكاية حمدان خوجة ، غير ان رد وزارة الحربية هنا ، يؤكد ما ذهب اليه حمدان ، من ان نقل رفات الاموات قد تم فعلا ! !

راجع أيضا : F.O. ، 3/35 ، رسالة من سان جون ، قنصل انقلترا بالجزائر موجهة الى جولى دى بسى (July DE BUSSY) بتاريخ 23 جويلية 1833 ، ومما جاء فيها : « بعد أخذ بعض المقابر الجديدة ، يلاحظ أن مقابر الاموات قد أنتهكت وبقاياهم الآن قد نقلت الى فرنسا كبضاعة للتجارة . وليس من المعقول ان الاشخاص الذين دفنو أباءهم أو أجدادهم أو أقربائهم ،سيقبلون فكرة التخلي عنهم » .

لو سلط عقاب شديد على هؤلاء الاثمين الاول ، لوضع حد لذلك ، او على الاقل يخفف من شره • ولكنه من المحال ان نعزو التفتيش عن عظام المقابر والقيام بتجارتها ، الى السلطة المحلية بالجزائر • وعندما علمنا بهذا الحادث ، فاننا امرنا بمراقبة دقيقة لمنع ذلك ؛ وسوف يعاقب بشدة كل الاشخاص الذين سيقترفون مثل ذلك العمل •

ان مسالة اعادة الاراضى التى كانت سابقا مدافن المسلمين ، لها عواقب وخيمة جدا• توجد هاته الاراضى ، ليس فقط،فى منطقة التدريبات العسكرية، بل عند حدود المكان العام ؛ وعليه ليس من الممكن السماح باعادة بناء هاته الاماكن ، التى تعد احيانا هامة ، والتى استعملها المسلمون لبناء قبورهم •

سيكون من اللائق تنفيذ المشروع الذى يقترح انشاء ثلاث مقابر على بعد من المدينة ؛ احداها للمسيحيين ، والثانية للمواطنين ، والثالثة لليهود • لقد اعطيت الاوامر منذ مدة لتنفيذ ذلك ؛ ان مخطط البناء وتقويم تكاليفه ، هو الآن بصدد الانجاز •

شكاية حمدان رقم 14 :

الرابع عشر : انهم التزموا ان يدخلوا ديار المسلمين ويروا نساءنا وحريمنا ، ويقيدوا اسماءهن واعمارهن واولادهن وصحتهن ومرضهن• فعينوا مسلما مع اليهود والفرنسويين ؛ فشرعوا يدخلون دارا دارا ، ونساؤنا يحتجبن بقدر الامكان ، فربما يستعملون المروة فى ديار نحو القاضى والمنسبال (15) فتصدى بعض خدام كران بريفو (15 مكرر) الادب فغضب المسلم الذى معهم ، فلم يحضر بعد ذلك المسلمون ؛ وبقي اليهود والفرنسيون يدخلون الديار •

وهذا مع مخالفته للشروط ، لا منفعة فيه ، لانه لا يتم فى مدة ستة اشهر• وفى كل شهر يرتحل الناس من دار الى دار ، فرب اهل دار دخولها ، يرتحلون الى دار لم يدخلوها بالعكس على حسب انقضاء مدة ما اكتروا ، وهم يعلمونه • فتعين ان مرادهم هتك حرمة المسلمين ، ويدل عليه ما وقع لى بنفسى لما زوجت ابنى قبل التاريخ بنحو ثلاثة اشهر •

استدعيت بحكم المروة زوجة الدوك وزوجة اتندان ميلتير

---

(15) هى الكلمة الفرنسية (Municipal) وهو القائم بشؤون البلدية ، أنظر الشكل رقم 18 لاعتراض حمدان رقم 18 ، ص. 136 ــ 137 .

(15 مكرر) يمكن أن تكون من الكلمة الفرنسية (Grand prévôt)وهو اسم بعض موظفى الادارة الفرنسية بالجزائر .

(Intendant Militaire) (16) وزوجة اتندان سفيل (Intendant Civil) (17)
وذكرت لكل واحدة بحضرة زوجها ، انه لا يمكن حضور الرجال ، حتى انني ولو كنت اباه ، فلا احضر . فأتين ليلا وقت العرس ومعهن مسيو جنتيي دى بوسى (Genty DE BUSSY) وفرنسوى اخر ؛ فدخلن ودخلا معهن . فلما توسط (كذا) الدار تصايح النسوان ؛ فبادر اليه ابني وأخرجه بالتلكف والدفع . ثم رجعا ووصلا الى قرب بيت العروس ، فتصايح النسوان فرجع اليه ابني واخرجهما بعنف ، وصار الفرح حزنا .

فنطلب ان تمنع هذا الفعل الشنيع الذى تتحاشى الدولة الفرنسوية عن قبوله مهما علمته . واما جزاء من فعله فموكول الى انصاف حضرتكم . وقد سمعنا بان مبدا هذا الامر ، انه وقع حكم بتفقد الاموال والمصوغ والنسا (كذا) وغيره وبان يقيدوا ، ثم مهما ارادوا يعيدون النظر مرة ومرات ، فيرون هل زاد او نقص كيلا نصرفها او نضيعها .

وحين عرضوا هذا الامر على الحكام الثانويين ، امتنعوا وقالوا لا بد في مثل هذا ، من اذن الوزير . فلم يوجد عندهم اذنكم ، فابطلوا . وبقى امر تفقد النسا (كذا) فاسأل عنه ، الغالب انه كذلك .

رد وزارة الحربية :

لقد تمت هاته الزيارات حسب القرار الصادر بتاريخ 8 اكتوبر 1832 ، والذى وافق عليه الوزير .

ان الهدف من القرار ، هو القيام باحصاء السكان والمنازل ، حيث كان عدد كبير منها ، في حالة خراب وقذارة خطيرة على الصحة العمومية ، خصوصا لمرض الكوليرا ، والتى كان يعتقد ان المدينة كانت مهددة بها . واخيرا فان هذا الاحصاء سيسمح بتقييم تقريبى ، للملكيات العقارية ويساعد على تحديد قواعد الضريبة العقارية . ومع ذلك فان الوزير عندما وافق على هذا القرار ، قد طلب لتنفيذ ذلك ، مزيدا من الرعاية ، خصوصا لكل ما يمس عادات المواطنين . واذا تجوهلت هاته التعليمات فانه يجب تذكيرها بشدة .

لقد ذكر حمدان بعض الحوادث استوجب ذمها بشدة . سيطلب هنا ايضا مزيدا من الشرح من السلطة المحلية بالجزائر ؛ ودون ان نكذب هاته الحوادث

---

(16) الوكيل العسكرى .

(17) الوكيل المدنى .

بادىء الامر ، حيث اننا لا نمك حجة على نقضها ، فانه يجب ملاحظة ان طبيعة وسوابق حمدان ، تجعلنا نفترض المبالغة فى عرض شكاياته • لقد نشرت احدى الجرائد احتجاجات مماثلة ، وقد طلبنا شرح ذلك من السلطة المحلية ، وتحصلنا عليها •

ان اهم اعضاء لجنة التحقيق وهم وكيل الملك ومدير الدومان وقائد الحرس ، قد رفضوا بشدة وبنفي قطعي ، اتهامهم هتك حرمة المواطنات • لقد اكد هؤلاء انهم جوبهوا فى البداية ، نتيجة عدم ثقة الجزائريين (وهو شيء طبيعى) ، ان هاته المقاومة هي من يوم لآخر ، اخذة فى الاضمحلال ، ليحل محلها ، علامات الاحترام واللطف •

ان تقرير الضابط السامى والذى وجهه الوزير بدوره الى السلط المحلية بالجزائر ، يحدد حسب التعليمات المنصوص عليها ، السلوك الواجب اتخاذه • يجب ان لا نثق بعمى فى السلطة المحلية التى تسعى الى اخفاء غلطاتها التى آرتكبها ، ولا الجزائريين الذين كانت ارتباطاتهم ومنافعهم الطبقية والقبلية والشخصية ، قد جابهت الاحتلال الفرنسى •

شكاية حمدان رقم 15 :

والخامس عشر : انهم نبهوا ان يعطوا اغنياء الناس قدرا من الدراهم ، ليشتروا بها الحنطة ويبيعونها فى زمان الشتا (كذا) ؛ فامتنع الناس وشكوا ، وكثر القيل والقال ، فجبرونا وهددونا بالحبس ، فاعطينا جبرا ، فان كان لاجل الثواب ، فلا يكون على ايدى الحكام ، كيف الظلم يقطع الطريق ونحن ندفع المال (كذا) •

فنطلب رد اموالنا ونرجو العدل حتى تتأمن الطرق ، وتأتى الحبوب من حيث كانت تأتى فى مدة الترك منذ ثلاثماية (كذا) عام؛ فكنا نشتريها رخيسة (كذا)، وترسل الى بلاد الاوروبا • والترك على ضعفهم بالنسبة للدولة الفرنسوية ، يشترون الحبوب وقت الحاجة من خزائنهم ، ويبيعونها للفقراء برأس مالها ، ويؤمنون الطرق ثم بالسيف بعد السياسة والعدل •

رد وزارة الحربية :

ان الوزير على علم بقضية الذخيرة ، لقد تمت هاته القضية بحسن النية فى الوقت الذى كان فيه عداء العرب ، يبرر مخاوف الادارة المحلية ، عندما طلبت هاته الاخيرة من المواطنين العمل على ايجاد ذخيرة من الحبوب ، تكون ملكا للمواطنين ، على ان يقوم هؤلاء بكل نفقاتها •

ان الوضعية بعد ذلك بينت ان هذا الاجراء ، لم يكن ضروريا كما بدا اول وهلة • وعليه تحصلت الادارة المحلية ، من المواطنين الذين كانوا يتعاملون مع بلدية المسلمين واليهود ، تخفيض التموين الى النصف •

لم يؤيد الوزير ذلك الاجراء منذ البداية ، حيث كان يرى فيه حملا فرض على الاهالى على الرغم من ان ذلك يخدم مصلحتهم • ولكن والحق يقال ، ليس لضرورة مقنعة • لقد امر الوزير السلطة المحلية ان تعمل ما بوسعها ، لتخفيف ذلك ، دون ان تعرض سمعة السلطة الى الخطر فى نظر المواطنين •

ادى موقف الوزير هذا الى تخفيض الذخيرة الى النصف ، كذلك رضى الممون ان يتحصل عوضا عن رأس المال الذى وضعه، فوائد التسبقة التى سعى للحصول عليها •

اما اعادة المبالغ التى دفعها المواطنون سابقا ، سيكون سببا فى فقدانهم الثقة تجاه السلطة المحلية ؛ هذا بالاضافة الى ان مثل هذا الاجراء لا دافع ولا سبب ضرورى لاتخاذ ، خصوصا اذا علمنا ان تلك المبالغ المالية هى بعد ، ملك المواطنين وسترد اليهم لا محالة ، عند زوال الذخيرة التى ما زال تنتفع بها حتى اليوم • وعلاوة على ذلك ، يوجد سوق للتعامل بين البلدية والممون ولا حق للادارة فى الغائه •

شكاية حمدان رقم 16 :

والسادس عشر : الزمونا ان ندفع عشرة صولدى من كل دار ، كل شهر ؛ واخذوا تقديم ثلاثة اشهر ، ثلاثين صولدى وذكروا ان رجلا من ودان ، اسمه طوير الجنة خارج عن حكومة سلطان مراكش ، كان حج واجتاز بالجزائر فى رجعته • فأقاموه فوق مقامه ؛ ولم يشاوروا اهل البلاد • فادعوا انهم صرفوا عليه ألف ومائتى فرنك (1.200) وبمقابلة ذلك ، جعلوا هاته الغرامة •

اما كونه لا يلزمنا ، فظاهر • ولو كان يلزمنا ، فكوننا نبقى غرامين على طوير الجنة على (كذا) الابد • لا نقبله • وكوننا كل شهر نعطى أضعافه ، لا يجوز •

فنطلب رد ما أخذوه وإبطال هذا الظلم ، ورد ثلاثين صولدى لكل دار لا يغنيهم ؛ الا ان فيه اظهار عدل الدولة الفرنسوية ، واعلام بانها لم تسمع ذلك ، ومهما سمعت ، ترفع الظلم •

رد وزارة الحربية :

اعتقدت الادارة المحلية انها تستطيع ان تطلب من المواطنين المساهمة فى المصاريف الطارئة التى سببها اقامة احد الزائرين المسلمين،حيث كانت تعامله باكرام • ومن هنا جاءت المساهمة التى حددت بـ 1.000 فرنك لمواطنى الجزائر العاصمة • اما بقية المصاريف ، فقد وصلت الى 3.815 فـرنك حيث اخذتهـا الادارة على عاتقها • على انه ليس من همة الحكومة الفرنسية ان تجبر الاهالى على تحمل المصاريف ، التى سببها رعايتها لاحد الاجانب •

يرى الوزير ان هذا الاجراء يخلو من أدب اللياقة مع العلم ان المواطنين لا يدفعون أى ضريبة ؛ ذكر الوزير بذلك الى الوكيل العمومى بالجزائر دون ان يأمره باعادة المبالغ التى استلمت من المواطنين • الا ان اعادتها سيكون ذا اثر طيب ، شريطة ان يتم ذلك دون أن تخطأ الادارة المحلية فى نظر الاهالى ، باى حال من الاحوال •

واخيرا عندما علم الوزير ، ان المبالغ التى استلمت من بلدية المواطنين ، قد تجاوزت بكثير ، المبلغ المحدد لها دفعــه ، اثــار الوزير انتبـاه الـوكيل العمومى ، لسوء الاستعمال والذى يبدو انه محاولة من صغار بعض الموظفين ، دون ان يكون لكبار المسؤولين ، يد فيها •

شكاية حمدان رقم 17 :

السابع عشر : المرابطون فى جميع نواحى الجزائر احياء واموات ، محترمون كما سبق ؛ وشأنهم اطعام الطعـام واطفاء الفتنــة وتـأمين الطـرق • وكان بالقليعة اهل زاوية مرابطين•ولما قصد البغاة الجزائر فى مدة الدوك(18) خرج من القليعة كل من اراد البغى والشقاق ؛ وبقى المرابطون وضعفاء النــاس • فلما قرب اليهم العسكر الفرنسوى خرجوا مترجلين بدون سلاح ، مـذعنين بالطاعة ، متبرئين عمن خرج من ناسهم واتوا بين يدى الجنرال ، فكان الواجب اكرامهم ، لانهم لا قوة لهم حتى يمنعوا من خــرج ، ولا وكالة لهــم على احــد منهم • فحبسوا المرابطين والقاضى ؛ والزموهم غرامة ميلون فرنك ، فباعوا املاكهم ومواشيهم وحبوبهم حتى البــذر ، فبلــغ ذلــك عشــرة آلاف فــرنك دفعوها ، وتخلد حبسهم اليوم نحو ثمانية اشهر ، هم محبوسين (كــذا) ، وتحميلهم مليون ، بمنزلة تحميل حمار جبلا كبيرا ، فى كــل ديــن لا تــزر

---

(18) أثناء ولاية الحاكم دوك دو روفيغو .

على الفقرا وعلى من ليس له ديانة المجلس لاكثرها
اسمه بوقندوره   ولكل واحد من المسلمين فيها
حق   وقد اتلفوها بان جعلوا بعضها بلا صفة
وبعضها خربا وبعضها بساتين باعوها او اكروها
فنطلب ودعنا انكون رده منها   واعطاء ثمن ما
لم يكن رده بتقويم المقومين
واما عقار آبائنا التي باعوها فنطلب ان تحكم الشرع
العيسوي او الموسوي او المحمدي فيها
بماذا يسترضى ابن الحلال عن عظام آبائه وامهاته
كما نرى رؤوس النساء بشعورهن والرجال بلحاهم
فانظر مروة الدولة الفرنسوية في جبر ما لا يمكن جبره

والحادي عشر   لنا وللغير املاك واوقاف مسكونة
للعساكر والجنرالات ونحوهم حتى للاطبا وامثالهم
لم يعطوا كراءها ولا ترميمها   وبساتين كذلك قطعوا
اشجارها وقلعوا سقوفها وابوابها فاحرقوها حطبا
فنطلب كراءها وثمن ما افسدوه منها بتقويم المقومين

الثاني عشر   انهم عملوا طرقا لطلوع الكراريط للمواضع العالية
اخذوا بها يمينا ويسارا فدخلوا اكثرها بساتينا
وجعلوها طرقا عريضة   وافسدوا ما حولها من اشجار وبناء
نحن لا نستخدم الكراريط
فنطلب ثمن التراب الذي اخذوه والشجر والبناء الذي افسدوه
كما هو معتاد في كل الاوروبا   ويكون ثمنا لحقين
بكره البستان المكترى   فنطلب الرقبة بيد الذي شقه
الطريق والذي لا نشقه

ثالث عشر   من يوم دخول الفرنسويين لجزائر الى يومنا
هذا لم يزالوا يخربون مقابر آبائنا واجدادنا يستخرجون
الاحجار والاحجار يبنون بها   وعظام موتانا يجمعونها
ويرسلونها لمرسيليا بالمراكب   ومسيو جيشون عمل
تأويلا لعدم جبرها   وبرهانه باطل   وعينوا للذين
موتانا موضعا   متكونة لا يكفينا شرعوا في حفر
مقابر باقيه
اما ارضها فاكثرها مقراء   وباقيه وقف على الفقرا

الرابع عشر   انهم [illegible]

الشكل رقم 20 ــ صورة من تقرير حمدان .

A.M.G; H 20.

وازرة وزر اخرى ، فمن ذلك اليوم تعطل مجيىء الحبوب من واجر ، التى كان يأتى منها معاش الجزائر ومتيجة ، لان هذا المرابط له حرث فى واجر ؛ فالطرق الغربية فى مدة الكومسيون ، هو الذى كان يؤمنها ؛ وعن هذا غلت اسعار بلادنا منذ حبسوا ، وصارت معايشنا (كذا) تأتى من الاروبا (كذا) فصارت اسعارنا اغلى من اسعار الاروبا ، وعنه لزمهم ان اخذوا منا ما ذكر فى الظلم الخامس عشر ·

فنطلب اطلاقهم ، ثم العدل والمرورة تستدعى رد ما اخذ منهم، واسترضاؤهم لاجل صلاح حالنا وانتم مكلفون به ·

رد وزارة الحربية :

ان مدينة القليعة وبليدة قد ايدت العرب فى الانتفاضة الاخيرة التى اندلعت هناك · وعليه فرض الجنرال الحاكم العام بالجزائر ضريبة تأديبية بمليون فرنك على كل منهما ؛ واتخذ اولياء مدينة القليعة كرهائن لدفع هذا المبلغ عن مدينتها ؛ وعندما اعلم الحاكم العام الدوك دوروفيقو الوزير بهذا الاجراء ، لم يخف عنه ، ان اهالى المدينتين لا يستطيعان مطلقا دفع تلك المبالغ كاملة ، ولكنه يكون من المفيد تخفيض ذلك المبلغ الى النصف ، مقابل طاعة الاهالى ·

ان اسقاط المبلغ كله ، واطلاق سراح الاولياء من طرف حاكم الجزائر الجديد (19) والذى سيلتحق قريبا بمنصبه ، سيكون ذا اثر طيب لمباشرته الادارة ·

ان الاولياء المرابطين يعدون من هؤلاء الشعوب المتعصبة، وهم ذو تأثير كبير على الاهالى ؛ الا ان استخفافنا الطبيعى لكل المعتقدات الدينية ، جعلنا نهمل اهميتهم كثيرا ؛ وكل ما قاله حمدان حول التأثير الذى يتمتعون به ، لدى القبائل ، يستحق اهتماما جديا وبالغا ·

شكاية حمدان رقم 18 :

الثامن عشر : كتبوا خطوطا شهروها بان حضرة الوزير الكبيرة (Ministre de la Guerre) (20) امر ان يعطى الناس عقود املاكهم للدومان (Domaine) حومة بعد حومة · فأول حومة طلبوها من باب الواد الى دار

---

(19) تولى الجنرال فوارول (VOIROL) قيادة ادارة البلاد بتاريخ 16 مارس 1833 ، خلفا لدوك دو روفيقو ، الذى التحق بباريس للمعالجة ، غير أن الموت لم يمهله ، فتوفى بعد بضع أيام من وصوله باريس .

(20) وزير الحربية .

الامارة ؛ فأتى الناس بعقودهم ، فبعد ايام ، رد عقود خمسة ديار وبقي الباقي عنده ازيد من شهرين ؛ فارتاع اهل البلاد وظنوا ان الدولة الفرنسوية تريد اخذ املاكهم ، حتى ان البعض التزم ان يبيع ملكه بابخس ثمن ، وانضم الى ذلك ان السماسرة من اليهود يخوفونهم ٠

نعلم جنابكم انكم ان اردتم اجراء قواعد الفرنسوية في عقودنا ، فلا تجد عقدا يبقى لصاحبه ؛ وان التزمتم بحكم الشروط صيانة ديننا واملاكنا ، فعقودنا وحكم قاضينا وقوانين ديننا ، تكيفنا فى تصحيحها ٠ منطوق القرآن بان شهادة العدلين هى المعتبر ة، والكتابة والعقود اضعف من العدلين للاحتمال فى الخط بالتمثيل ، وايضا اكثر اصحاب الاملاك سافروا ، واخذوا عقودهم معهم ؛ وايضا كم من دار تلف عقدها ، والشرع المحمدى يحكم بانها له بسبب اليد ، وعدم المعارض مع امتداد الانتفاع بها ، وايضا كم من دار مكتوبة على جد عال ، وتنوسى فيها اسم الوسائط ، اذ ليس لنا سجل يجمع من ولد ومن مات ؛ فالشرع يكفيه الشهرة مع عدم المعارض ٠

فتوهم اهل بلادنا ، انكم تريدون الحكم بالشرع الفرنسوى فى امر عقودنا ، وهو تلفيق من شرعين ، فلا يجوز ٠

فنطلب رفع هاته الفتنة حتى لا يتلف الناس املاكهم بالبخس فى البيع ، وان لزم ولا بد ، فليكن بحكم شرعنا المشترط احترامه ؛ ثم ان لمن اغراكم بهذا الامر ، ان صح اغراض آخر نتيقنها ولم يسمح الوقت بذكرها ٠

رد وزارة الحربية :

ان ذلك الاجراء كان مفيدا جدا بالنسبة للدومان ، حيث سيسمح بوضع حد للحيرة الكبيرة لتحديد ملكيات الدومان ، هذا من جهة ومن جهة اخرى ، لمعرفة ملكيات الافراد حتى يتجنب في المستقبل اى اعتراض على ذلك ؛ ومع هذا فان ذكر اسماء الملكيات فقط ، يتخذ كحجة على الصدق ، بل على العكس ، اتفق ان تكون حجة الملكية خاضعة لقوانين وعادات البلد٠وعليه وجب التذكير بهاته النقطة لاعضاء لجنة التحقيق ٠ ان تطبيق ذلك الاجراء كان خطأ ، وقد سبب روع وعدم ثقة الاهالى ، بدل ارتياحهم ٠

تكملة شكاية حمدان رقم 18 :

واما ما لا يحصى من الجزئيات الشنيعة ، فكثيرة ؛ مثل اخراج الناس من سكناهم بدون مهلة ، وبمهلة يوم وليلة وثلاثة ايام ، سواء كان ملكا لهم او بكراء ، قبل تمام مدته ، ليسكنها فلان وفلان ٠

ومثل هذا ما وقع فى ثالث عيدنا فى I3 من محرم ، ان نبهوا على عدة ديار من اوقاف مكة والمدينة ، ان يفرغوها ويعطوها للدلال ، لزيادة الكراء . فامتنع من فيها ، وقالوا نحن اكتريناها من الوكيل الذى نصبتموه على الكراء ، وهو مذكور بدفتره . والعام القابل بذمتنا ، لان العادة انهم فى رجب قبل رأس العام بستة اشهر ، اما يأمروهم بالخروج او يجددوا لهم كراء سنة ، فيلتمسون ما بين ستة اشهر ، دارا اخرى ؛ والا ففى مدة ثمانية او عشرة ايام ؛ كيف يجدون دارا يرحلون اليها والشرع لا يخرجهم جزما ؛ فلم يقبلوا لهم عذرا واخرجوهم .

رد وزارة الحربية :

لم نتصل باى شيء رسمى لهذا الحادث ؛ ان عددا من التقارير التى وصلت بصورة غير مباشرة الى قسم الجزائر بالوزارة ، قد دفعت الوزير الى الاعتقاد انه يكون من المفيد ، طلب شرح ذلك من السلطة المحلية بالجزائر . ان هذا الاجراء كما عرض على الوزير ، يجب ان يلام بشدة .

ان الادارة المحلية بالجزائر لا تستطيع ان ان تبرر ذلك بالفوائد الاكثر قيمة ، والتى ستتحصل عليها عندما تعرض فى مزايدة علنية ، اسعار الكراء.

ان عقود الكراء الموجودة الآن ، يجب احترامها وليس بمبلغ I.500 او 2.000 فرنك كراء فى العام ، ان نجازف باثارة وازعاج الاهالى .

تكملة شكاية حمدان رقم 18 :

ومثله ان اليهود يتجاسرون على المسلمين ، وبالخصوص على البدويين الذين يأتون من البرارى . ولم نر من عساكر الفرنسويين مثل ذلك التجاسر ، مع ما ترتب من الغيرة ، حيث ان اليهود لم يحفر لهم قبر ، ولم يهدم لهم ملك ، ولم تؤخذ لهم شنوغة (2I) بل شنوغاتهم اليوم ، أزيد من جوامعنا الباقية بايدينا . والشنوغات وان كانت داخلة فى الشروط ، الا انها ضمنا ، ومساجدنا صراحة . وامثال هذا مما يغير القلوب ويسيىء الظنون بالدولة الفرنسوية كثير (كذا) جدا .

رد وزارة الحربية :

يعد هذا الاعتراض،من المشاكل الاكثر اثارة وحساسية للسكان المسلمين.

(2I) اى معابد اليهود .

ان تطاول اليهود على الاهالى قد زجر سابقا ، ويجب ان يردع بشدة اذا تكرر فعــلا ٠

غير ان المسلمين يرون فى تساويهم باليهود ، اهانة لهم ؛ ولكننا ايضا لا نستطيع ان نراعى البعض ونبقى الآخرين ، شاعرين بمركب النقص ، كما هو الحال بالنسبة لعهد الاتراك ٠

اما معابد اليهود ، فعددها اربعة عشر ، اثنان منها فقط هامتان ، اما البقية فهى عبارة عن قاعات متواضعة لدى منازل الخــاصة ، استخــدمت لغــرض العبادة ، واغلبها فى حالة يرثى لها ، واحتلالها لم يكن مفيدا لاى شىء ٠

اما المسلمون فيملكون 63 مسجدا حيث 15 او 16 منها ، كبيرة جدا ٠

يكون من المجدى ان لا يؤخذ لا المساجد ولا معابد اليهود ، ولكن اعتقادا منا اننا نستطيع ان نملك بعضها خصوصا ، ونحن فى حاجة الى مــلاجىء ، فقد كان من الطبيعى احتلال الاماكن التى يمكن ان تكون مفيدة لشىء ما ٠

تكملة شكاية حمدان رقم 18 :

فهذه بعض شكاوى ومطالب ؛ والمشتكى اليه هو مالك الملــوك سبحــانه وتعالى ٠ ثم من بعده حضرة راى (22) فرانسة ثــم حضــرة ديــوان حقــوق البشر ، ثم حضرة الــوزير ؛ ونحــن ممن يأتى البيــوت من ابوابها ، حيث ان حضرتكم مقدم على نظام بلادنا ، ونعلم يقينا انه لم يبلغ جنابكم ما حل بنا او بلغكم ملفوفا فى وجوه لا أصل لها ٠

فارجو جنابكم ان لا تجيبنى بمثل ما اجبتم به سيــد ابراهيم بن مصطفى باشا ، حيث قلت له : « امشى (كذا) الى الجزائر وانا اسأل عما قلت،فان كان صحيحا نرفع الظلم » ، لاننى لا ينفعنى ان تسأل الظالم عن ظلمه ، ولا ارتضى جوابه ٠ وان كان مرادكم سؤال القاضى والمفتى ، فاعلم ان كلوزال كان نفى المفتى شيخ الاسلام ، بسبب تحريرات له اليه ، فى اشياء يقول انها مخالفة للشروط ؛ فلكونه يقول الشروط نفاه ٠ وادعى عليه ما لا اصل له ، وحبسه كما نفى برمون (Bourmont) القاضى بدون حق ؛ فلم تبق جرأة للعلماء ان يقولوا ما يغيروا خواطر عمالكم ، وما لهم الا الحكم بين المتخاصمين ٠

وايضا علماؤنا يفنون شبابهم فى تعلم العلم فى الجوامع ، لا اختلاط لهم مع

---

(22) أى ملك فرنسا وأصل الكلمة Roi الفرنسية .

الناس ، ولا علم لهم بالقوانين السياسية ، وتدبير الملك ومعاملة السلاطين ؛ فان قالوا او سكتوا عن خوف ، نفى او حبس ، فلا تعمل عليه ·

فالآن اما ان تعتمد كلامنا ونحن جماعة من اعيان اهل الجزائر ، ونتقوى بما يذكره الفرنسيون ، الذين كانوا بالجزائر ، وألفوا وتكلموا وما زالو يتكلمون ؛ واما ان تعين كومسيون (Commission) ترسله الى الجزائر ممن لا رغبة له فى اخذ اموال الناس ، وتمنعه محبة الدولة الفرنسوية عن ارتضاء الظلم ونسبته اليها ، ويشمئز عما فعلته السفهاء ؛ فترى صحة ذلك (23) ·

ومطلوبنا الشرع والحق وانت اولى من عمل به · ثم نعتمد الادب والمروة فى خطابكم مهما امكننت ؛ فان تعديت الطور عن مرارة الظلم ، فاعذرنى وسامحنى ·

وكتبه حمدان بن المرحوم عثمان خوجة فى 15 محرم 1249 (24) ·

يلى ذلك امضاء ابراهيم بن مصطفى باشا

رد وزارة الحربية :

لقد احال الوزير مصطفى ابراهيم باشا ، على السلط المحلية بالجزائر ، لاتخاذ قرار للمشاكل المتنازع عليها ، والتى لا يمكن دراستها الا بالجزائر · الا ان الامر غيره بالنسبة لاعتراضات حمدان خوجة ، المتأتية عن القرارات السياسية التى اتخذت هناك ·

يستطيع الوزير ان يبت فى ذلك او بالاحرى يجب القول ، هو الوحيد الذى يمكن له القيام بذلك ، ومع هذا وللاسباب التى شرحناها لسيادة الوزير ، فان قراره يجب ان يعرض على السلطة المحلية لتأييده · هذا اذا اردنا ان لا نعود الجزائريين على عدم احترام تلك السلطة بقدومهم الى باريس لازعاج الحكومة بشكاياتهم العادلة فى بعض الاحيان ، والمبالغ فيها دوما ، حيث اننا لا نملك الوسائل للتحقيق فى صحة شكاياتهم ·

ان مذكرة حمدان هامة · انها علامة على تكرار الانذارات التى وصلت الى الحكومة ، والتى وجب عليها عدم اهمالها · كما ان المذكرة دليل جديد على ضرورة تبنى سياسة معينة للنظام الادارى الذى تريد الحكومة تطبيقه على فتحنا الجزائر · غير اننا نستطيع القول ان اغلاطا بسيطة وكثيرة قد اوقعت

---

(23) يرجع الفضل الى تقرير حمدان بن عثمان خوجة هذا ، فى اتخاذ الحكومة الفرنسية قرارا بتاريخ 7 جويلية 1833 ، بتعيين لجنة تعهد اليها مهمة السفر الى الجزائر ودراسة وضعية البلاد وجمع كل الحوادث التى من شأنها مساعدة الحكومة الفرنسية على تبنى الآجراءات التى يتطلبها مصير تلك البلاد .

(24) 3 جوان 1833 .

السلطة المحلية فى اخطاء ، ومرجع ذلك هو التردد الذى لازم السلط المحلية ، وجعلها لا تستطيع أن تتصرف بغير الاوامر التى سلمت اليها ٠

هل نريد الحكم بقوة السلاح دون ان نعترف باى حق للسكان وتأسيس مستعمرة بطرد السكان العرب واحلال السكان الاوروبيين محلهم ؟

ان هذا النظام ليس مستحيلا ، ولكنه غير عادل ٠ وتحقيقه سيكون باهض النفقات ٠ او على العكس من ذلك ، هل نعمل على ايجاد وسيلة لاقامة احتلال اكثر رسوخا ونجاعة وبدون تكاليف ، مستعملين اللطف والاعتدال تجاه السكان المواطنين ؟

هل نريد الرجوع الى روح احترام المعاهدة ؟

يجب الرجوع فعلا وبكل صراحة الى روح احترام المعاهدة ، وخاصة باقناع السكان المواطنين والسلط المحلية ٠ ان ذلك سيكلف بعض المصاريف فى البداية ، غير انه يجب التخلى عن احتلال المساجد وتعويض ما هدم او دفع كراء الممتلكات وسيؤدى ذلك الى تخفيض ملكيات الدومان ، كما انه يجب ان ترد ممتلكات الاتراك والمساجد والاحباس ٠

ان هاته المنافع تعد ثانوية حيث يجب التخلى عنها ؛ فعندما يصبح الدومان اقل غنى أو أن يصبح فقيرا ، وعندما يقوم بصرف كل سنة فوائد رؤوس ماله فى بناء المنازل والثكنات وللتعويض والكراء بمبلغ قيمته 200.000 أو 300.000 فرنك ، زيادة عن الميزانية ، مقابل اطمئنان السكان حيث يشعرون بالثقة ، كما ان الاتصالات بين مناطق البلاد قد تمت ، والبضاعة تصل الى الاسواق ، والعلاقات تؤسس شيئا فشيئا مع القبائل الواقعة داخل البلاد ، فاننا سنكون متأكدين من وضعنا ، وسنربح اضعاف المصاريف التى قمنا بها ٠

***

اذا ارادت الحكومة تبنى هذا النظام بكليته ، فان وصول الحاكم الجديد الى الجزائر ، سيكون الظرف المناسب للرجوع فى الاجراءات التى يعتقد انه من اللائق تغييرها ٠ هذا بغض النظر عن اجبار الحكومة السلط المحلية بالجزائر على تبنى ذلك ، تلك السلط التى يجب ان تبقى دوما ، قوية وفعالة فى نظر المواطنين ٠

رئيس قسم الدعاوى
بازارى (؟)

اطلع عليه
مستشار الدولة
مرتينو

مدخل الوثيقتين رقم 2 و 3

ان مراسلة حمدان خوجة مع الباب العالي ومع بقية الدول ، مجهولة تماما ، وعليه فلا احد يستطيع ان يحكم على اهميتها التاريخية .

لقد عثرنا اثنا تدقيقاتنا في الوثائق التركية باستنبول على عدد من رسائله حول احداث احتلال الجزائر ، واخترنا رسالتين لننشرهما هنا ، احدهما وجهت الى الباب العالي بعد وصول حمدان الى باريس مباشرة ، والثانية بعد عودة اللجنة الافريقية من الجزائر وتأييدها احتلال البلاد .

ان رسائل حمدان خوجة الى السلطان قد اثرت على السياسة العثمانية تأثيرا مباشرا ، حيث دفعت السلطان محمود الى القيام بفعاليات سياسية لمحاولة استرجاع الجزائر (1) .

لقد اتهم حمدان بان كان يعمل تحت تأثير الدفاع عن مصالحه ، كما واستصغر شخصه كمدافع نزيه عن القضية الجزائرية : « كان يسعني ، كما يقول حمدان ، ما وسع غيري واسكت ، لكن يا أخي الغيرة الاسلامية حملتني على ان كتبت وخاطرت بنفسي واعلمتكم » (2) .

لقد حاول حمدان دفع الباب العالي للتدخل لانقاذ البلاد معتقدا ان ذلك هو واجبه : « أنا قد جاهدت بقلمي ، والرعايا بسيوفهم ، فجاهدوا بألسنتكم ... الغياث الغياث . الفرنسيس لا يخرج من الجزائر الا بقوة سلطانية ومواعيده لا أصل لها ، وتعديه كل يوم يزداد ... أنا كتبت وبينت وانتم يحرم عليكم السكوت » (3) .

ان هاتين الرسالتين تعكسان فعاليات الجزائريين بباريس واختلاف وجهات نظرهم حول تحليل الوضع السياسي لآحتلال البلاد ، كما وتساعدننا على آدراك تفكير حمدان خوجة ، هذا المدافع الصادق عن مبدإ « الجزائر للجزائريين » ، وتمكناننا أيضا من تعميق معلوماتنا حول هاته الشخصية العربية الجزائرية ، والتي كانت تتمتع بشعور عميق للوطنية ، وحيث كان نشاطه في باريس والجزائر يتركز حول تغليب الحق والعدالة على الظلم والتعسف والجور .

ع. ت.

(1) راجع ترجمتنا لاطروحة السيد ارجمنت كوران ، **السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر 1827 ــ 1847** ، ص 75 ــ 77 ، نشر كلية الآداب والعلوم الانسانية ، الجامعة التونسية ، 1970 .

(2) B.A., H. H 37528 ، رسالة حمدان خوجة الى زميله محمود بتاريخ 1 نوفمبر 1834 .

(3) المصدر نفسه

الوثيقة رقم 2

الى صاحب الجلالة(1)،سلطان العالم الاسلامي ومؤيد الشعوب،سيد السيف والحروب ، رمز العطف والنصر والسياسة ، الخليفة المنتصر الوحيد ، ظل الله على الارض ، جلالته ، ملجأ المسلمين والضعفاء ، رئيس الحكومة ، رمز الدين، سيدنا السطان محمود بن السلطان ، ليهبه الله من لدنه قـوة حتى يسمـوس امبراطوريته وينفذ ما يريد ويجرى نظام العالم على وفق مراده ، ويجعله نجاحا لعباده وصلاحا لبلاده ·

فبعد تقديم مظاهر الاكرام اللائقة لجلالتكم ، نعلمكم انه اثر المصائب التى حلت بالبلاد ، فان الناس قد تفرقوا شذر مذر ، وهجروا عائلاتهم وبيوتهم ، وان الكفار قد الحقوا بهم ضيقا وجورا ، بحيث ان لا ملجـأ للنـاس ، لطلب المساعدة ، غير سلطانهم ·

ان الشعب الجزائرى قد عهد الى مسؤولية الاتصال بالباب العالى واطلاعه على وضعيتنا بما سنبعثه من تقارير لسيادتكم ·

ان الرسول محمد (صلعم) قال : « الراحمون يرحمهم الرحمان ، ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء » · ايها السلطان اشفقوا على من فى هاته الارض ، فان الله سيأتى لمساعدتكم » ، لا بد من العمل بقول الرسول ·

ليعلم سلطاننا اننا قمنا بكل المحاولات لنمنع ما حدث ، ولكـن ذلـك هى مشيئة الله ، اننا نؤمن بذلك سواء أكان شرا أو خيرا ·

انكم على علم بتاريخنا وبما حدث لنا عندما تفرق شمل الانكشاريين ووقعوا تحت عبودية الفرنسيين ،نفس ما حدث للشعب المسلم الذى سقط تحت حكم موسكو ، عندما أساء اليهم القيصر ، ويبدو ان هذا الاخير لا يرغب فى الحفاظ بهم ، وسوف يعهد بتبعيتهم للباب العالى ·

---

(1) BA ، ملف 78 ، رسالة حمدان هانه باللغة التركية وقد وجهة الى السلطان محمود الثانى ؛ انظر الشكل رقم 21 ، ص . 168 ـ 169 .



الشكل رقم 21 ـ رسالة حمدان خوجة إلى السلطان محمود الثاني •

B.A. ، **ملف رقم 78** •

ان ما تلاقونه من آلام يا حضرة السلطان من هذا الوضع ، ليس مشابهـا لنا ، اذ لم يعرف خلال سبعة آلاف سنة من تاريخ الانسـان ، مأسـاة جـور واستبداد يرثى لها ، مثل التى نتحملها الآن ، ان ملجئنا الوحيد هو الله ثـم شخصكم ، اذ انتم وحدكم تستطيعون ان تقدموا المساعدة المرجوة ٠

ان عبدكم يترجاكم ان تنقذوا العباد من هاته المصيبة ؛ ولتعلموا يا صاحب السمو ان الله ورسوله قد اوصيا ان نكون محبين للخير وطيبين ، ان سلطاننا يعلم انه المسؤول عن هاته البلاد ، وعليه فاننا نطلب منكم ان تهتموا بمصير الامة الاسلامية بهاته البلاد والتى تبلغ العشرة ملايين نسمة (2) ٠

وبما انكم سر الله في الارض وظله ، لماذا تهملون بسط عطفكم على هـاته العشرة ملايين من المسلمين ٠ فان كنا مذنبين ، فلتسامحونا ، وان حكمتم علينا باننا مجرمون ، وانكم لا تغتفرون لنا هاته الزلة ، فان الـواجب يحتـم عليكم يا حضرة السلطان ، ان تعاقبونا ٠ لا تدعو العدو يعاقب ابنائكم ، لا ؛ فان سيدنا السلطان رمز الصفاء والشرف ، ذا الاخلاق الربانية ، لا يتركنا ، بل على العكس من ذلك ، اننا نعلم ان شفقته ورضاه هما دائما مؤثـران عن غضبه ٠ فاذا اذنبنا يا حضرة السلطان ، وانكم غاضبون عنا ، فاننـا نطلب منكم العفو اولا ، ثم ان تجدوا لنا مخرجا لمـا نحـن فيـه ، فبـرحمة ربكـم اشفقوا بنا ٠

ان عددا من الاشخاص قد جاؤوا الى عبدكم قـائلين : « ان سلطاننـا قـد تركنا فى ايدى الكفار ، وكان يجب حسب ديننا ان يأتى لمساعدتنا ؛ اننا يوم القيامة سنتوجه الى العالى جل جلاله قائلين : « ان سلطاننا قد تخلى عنا بحيث ان ذلك لم يكن قد ساعدنا » ٠ الا ان السلطان سيجيب : « لقد كنت مشغولا بمشاكل اخرى ، ولكن الله سوف لن يقبل منه هذا الجواب » ٠

ان هاته العشرة ملايين من المسلمين ، سوف لن تتفق مع هذا الطـاغية ، واذا كان يوجد خمسة او عشرة خونة ، فان تأثيرهم محدود ، وعليه فاننـا نأمل من سلطاننا ان يأخذ بنظر الاعتبار هاته الوضعية ٠ وهـذا هو السبب الذى حدانا هنا ، إلى طلب المساعدة ٠

نعلم حضرتكم ان هؤلاء الخونة هم البرابر ٠

ان المسلمين الذين استشهدوا ودفنوا فى هاته التربة ، سوف يسألونكم

---

(2) انه من الواضح ان سكان الجزائر لم يتجاوز الاربعة ملايين راجع : YACONO Xavier, R.A 1954 ، ص . 277 – 307
Peut-on évaluer la population de l'Algérie en 1830 ?

يوم الحساب لماذا تخليتم عنهم • ان عبدكم لا يستطيع ابدا ان يعبر عن قلقنا وشقائنا حول هذا الموضوع • ليأخذ السلطان بنظر الاعتبار ، ما حل بنا من مصائب ، ليدرك ذلك جيدا ، حتى يقدم لنا المساعدة والمعونة •

لقد شتت الفرنسيون الانكشاريين ، فلم يبق سلاح ولا ادوات حرب ؛ ان شعبكم لم يعد له حياة ؛ فلا تتركنا فى مثل هاته الوضعية • ان سكان الجزائر حضريهم وبدويهم وشيوخهم ، يرجونكم تعيين احد المواطنين ليحكم البلاد ؛ كما وتهبونه السيف والبدلة ولقب الباشا • يوجد ما بين الخمسة والعشرة اشخاص هم عقلاء البلاد ، ويدركون جيدا مشاكل الولاية • واذا عينتم احدهم باشا ففي قليل من الزمان ، وباعانة الله نستطيع ان نسترجع الجزائر (3) •

ان من يقع تعيينه من طرفكم ، سيكون مخلصا للباب العالى • اما اذا اردتم تعيين احد العلماء (4) ، فلكم ذلك •

بعد نهب كل ثرواتنا ، كان من المستحيل علينا الاعتماد على خزينة الدولة ، اذ اصبحت فارغة • لقد قال الرسول (صلعم) : « استعينوا على البلاد باهلها » ، فيجب عليكم اذن نصحنا ، والا فلا الاموال ولا الجيوش ، تستطيع ان تقدم لنا خدمات مفيدة ، ذلك اننا سنتبع اهوائنا وسنكون مستقلين • ان نبنى سياسة خاصة ، على ان تطبق لمدة سنة على الشعب الجزائرى ، لكافية ان تحكموا بنجاعة ولفائدتكم البلاد •

ان حكام تونس وطرابلس الغرب يتمتعون بحكم وراثى ، وسياستهم مرضية • اما عاداتهم وسيرتهم ، فلم يطرأ عليها اى تغيير ، بالرغم من ان احداثا هائلة قد حدثت وهزت العالم • لماذا اعرتموهم دوننا اهتمامكم وقدمتموا لهم دائما المساعدة ؟

ان كل عصر له متطلبات وخصائل جديدة ، ولدى ظهور عادة حديثة ، وجب التخلى عن القديم حتى نتفادى حدوث اضطراب وقلق فى الشعب ، وحتى لا يعرقل ذلك تسيير دولاب الادارة الناجحة (5) •

---

(3) كان حمدان خوجة مقتنعا ان الفرنسيين ، سيغادرون البلاد عاجلا ام اجلا .

(4) يبدو ان حمدان هنا يشير الى احتمال تعيينه باشا على الجزائر .

(5) ان حمدان بهذا الراى يدلل على سعة ثقافته وادراكه ناموس تطور المجتمعات وشمول وعمق نظرتـه الاصلاحيـة .

ان سكان الجزائر وتونس وطرابلس الغرب جميعا هم حوالى عشرون مليون نسمة (6) • وهم جميعا يعدون تحت كنفكم؛ واذا احتاجت الدولة العلية، فان اربعين او خمسين ألف جندى ، يستطيعون الالتحاق بالجيوش العثمانية •

لا يمكن مقارنة الجيوش الاسلامية بالجيوش الفرنسية ، ذلك ان الفرنسيين يعلقون اهمة بالغة لجيشهم ، وهذا هو السبب فى ان عددهم اكثر بكثير بما يملكه المسلمون •

يسكن جبالنا البرابر ، وهؤلاء يعدون من خيرة الجيوش ؛ كما ان لنا جنودا قد قدموا من ازمير • ان البرابر لا يشكلون جيشا منظما ، فقد رفضوا ذلك دائما • ان سمعة الجيش المغربى لا تقارن بان جيش آخر ، فهو افضل من الجيش المصرى والسورى •

واذا تفضل الباب العالى بارسال لقب الباشا الى احدنا ليكون الرئيس الاعلى ، فان على الشعب جميعا ان يطيعه •

وبالرغم من اننا لا نملك قوة فنية ، الا ان ثروتنا ستنمو ، يجب على الباشا الجديد ان يسعى للتفاهم معنا وان لا يحكمنا باستبداد ، بل عليه ان يستشيرنا فى كل المسائل • وبهاته الطريقة يستطيع ان يجلب اليه اهتمام الشعب كله ونتمنى ان يكون مثلا للعدل والحق اقتداء بالرسول محمد (صلعم) •

ويجب علينا اذن ان ننشىء ديوانا يضم الجزائريين العقلاء والمثقفين والعارفين باخلاق البرابر ، حتى نجلبهم بكل لطف ورقة • وعندها يمكن ان نسوس البلاد بنجاعة ولكن بمصاعب قليلة •

اوصى القرآن الكريم النبىء محمد (صلعم) ان يستشير اصحابه ؛ واقتداء بهذا المثل ، وجب تعيين ما بين أربع وعشر اشخاص ، ليكونوا فى عون الباشا على تسيير امور البلاد •

قبل قدوم الفرنسيين الى الجزائر ، كان سبب سوء الادارة ناتجا عن مذابح الباشاوات،خطأ كان ذلك أم صوابا،على يد الانكشاريين كل سنتين او ثلاثة• ان هؤلاء الانكشاريين اللصوص ، قد عينوا آخر وال للجزائر ، واشاعوا العصيان فى كل مكان ؛ اما المواطنون فقد استاءوا منهم لان هؤلاء الانكشاريين قد ادى بهم الامر ، الى ممارسة الاستبداد والجور حتى على بعضهم البعض •

---

(6) لا يتجاوز سكان الجزائر وتونس وطرابلس الغرب السبع ملايين على أكثر الاحتمالات .

يجب على حكام المغرب الثلاث تنسيق مجهوداتهم ليواجهوا الفساد ، انى كان • هؤلاء الحكام الثلاث ، التابعون للباب العالى ، هم دوما على استعـداد لخدمتها كما فعل سلفاؤهم منذ قرون •

واذا ظهر مشكل ما ، فان السياسة كفيلة بحله ؛ واذا ارتكبت خيانة تجاه الباب العالى ، فانه يكون من الافضل معاقبة الجانى •

ان الباشا الجديد الذى ستعينونه ، له سلطان المغرب مولاى عبد الرحمان على حدود ولايته الغربية ، وعليه فانه يكون من الواجب على الباب العالى تقديم توصية لسلطان المغرب لمراعاة حسن الجوار ولاعتبار الاشخاص القاطنين على حدود المغرب كجزائريين • واذا رفض هؤلاء البدو طاعة والى الجزائر ، فيجب حينئذ اخضاعهم بكل الوسائل •

ان الصداقة بين الحكام مفيدة جيدا وواجبة ؛ وهى لوالى الجـزائر ، اكثر جدوى وافادة • كما انه يوجد بشرق الجزائر ، حاكم تونس والذى يجب إقامة علاقة حسن الجوار معه • ان الواجب الذى يتحتم على الباب العالى القيام به ، هو ايفاد اوامره الى هؤلاء الحكـام ، حتى يتمكنـوا من خلـق تعـاون فى كل المجالات •

ان التفاهم بين هؤلاء الحكام الثلاث ، يشكل المعقل والقوة الاخيرة للبلاد •

***

ان باى ولاية قسنطينة هو عبدكم الحاج احمد باشا بن احمد باى وهو رجل شجاع وعاقل ، ويكون من اللائق تعيينه باشا على البلاد •

لم يتصالح الحاج احمد مع الفرنسيين ، وبالتالى فان قسما هاما من البلاد ليس واقعا تحت سلطة الفرنسيين •

ان المسلمين الذين تشتتوا شذر مذر ، وتحملوا كل انواع المصائب ، قد وجدوا فيه ، الرجل الذى ادركهم فى اللحظات الحرجة • لقد طلبوا منه ان يغير لقبه من الباى الى الباشا ، حتى يكون رمزا لمجد وعظمة صاحب الجلالة السلطان فى هاته الولاية (7) •

---

(7) راجع دراستنا ، **ثلاث رسائل من الحاج احمد باى قسنطينة الى الباب العالى** ، المنشـورة ـ : **مجلة تاريخ وحضارة المغرب** ، العدد ، 9 ، ص. 7 ـ 28 ، كلية الآداب جامعة الجزائر ، الجزائر . 1970

وباعتبار انى عشت تلك الحوادث ، فانى استطيع ان احكم على بينة ، مجريات الامور . ان عبدكم يعرف جيدا الشعب الجزائرى حروبه البرية والبحرية ، كما انه مطلع على اسراره .

هاته الرسالة هى عريضتى الخاصة ، اطلب منكم العفو على جسارة هذا التقرير .

ايها السلطان ليهبكم الله النصر .

كتب من طرف عبدكم الحقير الجزائرى : حمدان بن المرحوم دفتردار عثمان خوجة ، باسم الشعب الجزائرى وبموافقة ابراهيم بن مصطفى باشا .

باريس فى 29 ربيع الاول 1249 (8) .

---

(8) 16 اوت 1833 .

الوثيقة رقم 3

الحمد لله (1)

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

حضرة الجناب المحترم سيدى محمود السيرة ، طاهر السريرة ؛ بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

نعلم جنابكم انه وصلنى مكتوبكم المؤرخ فى 5 ذى الحجة وفهمت كل ما ذكرت لى ، ونعم ما فعلت ، حيث ارسلت العرضحال ، جزاك الله بحسن الجزاء ، ويرى الحاضر ما لا يرى الغائب ؛ وكنت ارسلت لجنابكم ثلاث مكاتب ، ولم تعلمنى الا بوصول واحدة .

نعلمك يا أخى وان فى باريس ، تكلموا فى ديوانهم فى القامرة (2) فى 29 و 30 افريل وفى 1 و 2 و 3 مايو بحساب الجديد : ان الجزائر لا تنفعهم لاختلاف الاديان والعادة واللسان مع ظلمهم وتعديهم ، ومصرفوها (كذا) كل سنة ، اربعون مليون ؛ والنتيجة موهومة . وذكروا جل ما فى كتابى الذى ألفته أنا ، وكل ذلك مذكور فى قازيتات (3) باريس المسمى مونتور (4) فانظره ؛ والراى والوزرا (كذا) هذا مرادهم، لكان الامر بحكم سجنق ثلاث ألوان، فى يد العوام ؛ وتصرف الراى انما هو تنفيذ لاغراض العوام ؛ والعوام لا يعلمون الجزئر وماهيتها ، الا من الذين مشوا اليها من ابناء جنسهم ، وهم ذاقوا لذة النهب والظلم ، واستولوا على املاك المسلمين باجارة سموها كراء مؤبدا ، فباعوها فى باريس بألوف . وليت شعرى كيف يباع المستأجر ، وكلهم سفلة

---

(1) H H. 37258B.A : رسالة حمدان باللغة العربية وقد وجهها الى زميله محمد بتاريخ 1 نوفمبر 1834 ، أنظر الشكلين رقم 22 و 23 ، ص. 176 ـ 177 .

(2) كلمة ايطالية بمعنى مجلس العموم ، وهنا المجلس الوطنى الفرنسى .

(3) اى صحف باريس .

(4) Le moniteur

اراذل ، ولا يمكن ان يكونوا الا كذلك ، اذ لا يترك بلاده ورفاهيته ويستوطن في بلاد خربة كالجزائر في يومنا هذا ، الا الاراذل واقل الناس • وقد رايتهم وهم شيعوا بين أبناء جنسهم في فرنسة ، بان وطن الجزائر ينبت القهوة والفلفل والكجنيلة (5) وانها اعلى من ارض الهند الى آخر الخرافات •

فلما تسامعوا كلام الديوان ، تكالبوا وكتبوا في الجرنالات (6) ما ارى ان الراى لا يمكنه ردها للاسلام الا جبرا ؛ ولا شك انه يتحيل على ذلك بتكثير الظلم والقتل والنهب ، حتى لا ينقاد له احد من الرعية ، ويرغب الدولة العلية وسائر الاجناس الافرنجية ، ان يمهلوه ريثما يلتمس وجها لتغيير رأى العوام ، وهيهات لا ينبؤك مثل خبير ؛ بل مثلهم كمن عجز عن قلعة شجرة لاستحكام عروقها ، فاخرها الى عام آخر ، فانها تزداد استحكاما ، ويزداد هو ضعفا وكبرا •

ولو بقى النصارى العيساويون وحدهم ، ولم يعنهم النصارى المحمديون لامكن ذلك ؛ لكن يا أخي هنا اللعين بوضربة (7) واضرابه ، الذين بالجزائر يمدونه • وجل ما يتحيلون عليه ان يبقى الفرنسيس في الجزائر ، وهم اعوانه ، ويضمنون له اطاعة الرعية •

ثم انه لما خاف خروجهم ، قرر لهم بان اهل الجزائر في غاية الحزن ، لتوهم خروج الجزائر من يد الفرنسيس ، وعودها للترك الظالمين ، الذين احرقونا واكلوا لحومنا واموالنا ؛ فان كان ولا بد من الخروج ، فارسلوا للجزائر ابن الراى (8) ويكون اهل الجزائر دائرته وعماله ، او سلموها للعرب ويكون الوالي من جملة خدام الدولة الفرنسوية وتحت حكمه (9) •

---

(5) كلمة غير قابلة للتعريب .

(6) الصحف ، من الكلمة الفرنسية journal journaux

(7) صرح بوضربة لرئيس شرطة الجزائر : « ان علاقتى مع حمدان كانت تتسم بالبرودة والنفرة ، وان سوء تفاهمنا الذى وصل الى درجة الكراهية ، يرجع الى اختلاف وجهات نظرنا السياسية ، فبينما كان هو يريد رجوع الاتراك إلى الجزائر ، كنت انا قد وهبت نفسى وروحى للفرنسيين» راجع هاته الوثيقة بـ : A.O.M. 1H1 من تقرير استنطاق بوضربة بتاريخ 25 ديسمبر 1836 ، الوثيقة ، رقم 9 .

(8) أى ابن ملك فرنسا .

(9) للاطلاع على اراء بوضربة حول هذا الموضوع ، راجع :
YVER, **Mémoires de Bouderbah**, المنشورة بـ : R.A. ، 1913 . ص 218 — 244
يجدر بنا هنا ان نذكر الامانة التى كان يتصف بها حمدان خوجة ، عندما نقل بامانة أراء اعدائه السياسية .

وهذا الشيء على هاته الصورة سمعته ولم اره ، وهو سبب كون زوجته فرنسوية ويعرف اللسان ، يمشى كل يوم لدار الوزير ، وسمعت بانه التزم لهم بكذا كذا مليون سنوى ، يعطيها للفرنسويين ، ولكن يشهد لصحة هذه ، انه خاف ان أهدم له ما بناه ، اذ ربما يشاورونى او يلتمسوا كفالتى او غير ذلك · فأتانى وقال لى : « الجزائر (الفرنسيون) يريدون ان يخرجوا منها ، والرعية لا تقبل ، وكونها تبقى بيد المسلمين احسن ، ولنا تأويل اذا اتفقنا على كلمة واحدة ، وهى ان يسموا علينا مسلما يكون تحت حمايتهم ونلتزم لهم بما يريدون سنوى ، ونكون سببا لاستخلاص الجزائر من ايدى النصارى » ·

فقلت له : « الرعية والحاج احمد وغيره ، لا يقبلون الذى يتولى تحت النصارى » · فأجابنى : « بان العرب وغيرهم لا يعلمون ما بيننا وبين الفرنسيس ولا يتبعون الا الجزائر · واذا يطلع (كذا) فيها سنجق الاسلام ، يطيع الحاج احمد او يقتله قومه · لان العبرة عندهم للجزائر » · فقلت له : « نعم كذلك ، لكن الرعية تسمع من تونس شرقا ومن فاس غربا · واطاعة العرب بالجزائر لانه كان فيها نائب خليفة الزمان السلطان محمود · هذا راى اظنه لا ينتج · ثم من اين المال لترتيب العساكر ثم اعطاء الفرنسيس ؟ » ·

فقال : « نقول للرعايا اننا اشترينا الجزائر وعندى خطوط يد شيوخ الوطن ، يقولوا اشتروا الجزائر بالمال ، ونحن نعطوكم ما تحتاجون ، واذا لم يكفنا نتعذر للفرنسيس بكثرة المصاريف فلا يطالبوننا مدة سنين » ·

فقلت له : « البلاد للعثمانلى ، فكيف نلتزم باخراجها من حكمه ونلتزم باعطاء الخراج للكفار بغير اذنه ؟ » ·

فقال : « العثمانلى لا يقدر ان يعارض الفرنسيس ولا يعرض نفسه لعداوة الفرنسيس لانه قوى » ·

فقلت : « انا لا ادخل فى مثل هذا الشيء ، والدولة العثمانية تصطاد الارنب بالكريطة ، ومن اين تعرف وان الفرنسيس لا يضعف ولا يضمحل ملكه · ولو كان لا يضمحل ، فانا لا اقيم فى الجزائر الا اذا كانت بيد الدولة العلية ، ولا أتفق مع احد ولا اساعد على اعطاء الجزية للكفار » (15) ·

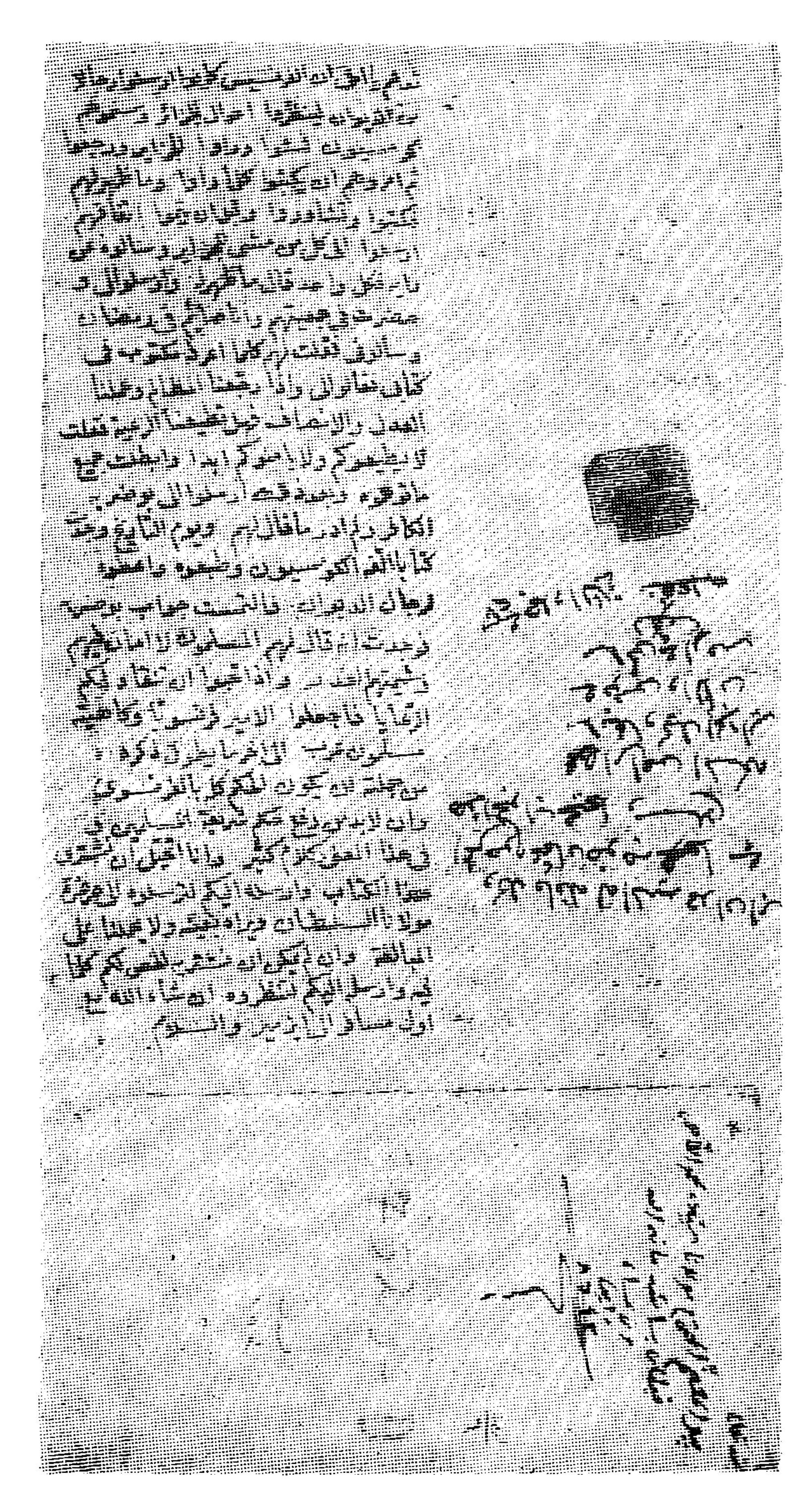
وهذا تخليط بوضربة ليس وحده ، بل له بطانة فى الجزائر ، اراذل سفلة

---

(15) حقق حمدان الوعد الذى قطعه على نفسه فقد غادر باريس متجها الى استنبول سنة 1836 وآستقر بها الى أن وافاه الاجل .

الشكل رقم 22 ـ رسالة حمدان إلى صديقه محمود .

B.A; H.H; 37528.



الشكل رقم 23 ـ تتمة الشكل السابق .

مثله ، كتبوا له بمضمون هنا ووضعوا فى خطوط ايديهم مقدار ماية (كذا) من اولاد العرب الذين فى بلادنا ، والذى ترجمها لهم بالفرنسوى ، هو الذى حكى لى صورتها ، وكلامه الذى قاله لى يشهد بصحة ذلك (11) ٠

والفرنسيس فى غاية الطمع فانظر بماذا وعد الوسايط (كذا) والكتاب من المال وكلهم سفلة مفاليس ، الواعد والموعود ؛ وانا يا أخى وحدى ليس لى الا القلم اكتب ، وعرضه على الدولة فى ذمتكم ٠

ومن جملة ما فعل هذا المرتد ، انه تحيل على ان يظهر واحـدا من العـرب وحببه للفرنسيس ، لعل ان يسموا له البلاد ، وهو عبد القادر بن محى الدين، كان فى مدة الاسلام فى وهران وفى نواحيها يدعى الولاية هو وأبوه ٠ ولمـا دخل الفرنسيس بقى مع سائر المسلمين ، يحاصر وهران بنية الجهاد ؛ فكتب اليه بوضربة ان الفرنسيس يخرج من الجزائـر ، وان تصالحـه وتعقـد معـه شروطا ، فانه عند خروجه يسلمها لك ولا يدخلها الترك ، واغواه بمثل هـذه الامـانى ٠

فكاتب عبد القادر مع الفرنسيس وصالحه (12) واخذ عنده نصارى جملة ، سموهم قنصل (كذا) واتباعه ، ورفع الحصار عن وهران ، والنصارى الذين عنده مرادهم ان يتآلفوا مع العرب ويتعلموا طريق تلمسان وغيرها ٠

ولما تسامع اهل تلمسان وآغة الدائرة مصطفى بن اسماعيل ، لم يرضوا بهذا الصلح وقالوا : « جهاد هذا الخارجى ، مقدم على جهاد الكفار » ، فقصدوه وكسروه ؛ وفر بشرذمة قليلة معه الى معسكره وهو محصور فيها ، وبوضربة فى باريس ينوه بعبد القادر ويسميه فى الكازيتات امير المؤمنين وسمعتها انا من فمه ٠٠ ولما وصل خبر انكساره وانه محصور فى معسكر ، شرع يقول : « كلما اصاب أمير المؤمنين بسبب صلحه معكم ، واذا لم تعاونـوه ، فعـار عليكـم » ٠

وشيع بين الناس هذا الكلام ، يحرض الفرنسيس على اخراج العساكـر وقتال المسلمين ٠ وهذا يا أخى آفة وفتنة ونار ، لا اقدر انـا على اطفائهـا ؛

---

(11) رغم تدقيقاتنا لم نعثر على رسالة من هذا القبيل ، ولكننا من جهة اخرى نذكر ان بوضربة ، من تقرير استنطاقه السالف الذكر ، ذكر لرئيس شرطة الجزائر : « ان حمدان كان عـدوى منذ اللحظة التى وقعت فيها مع بعض المواطنين ، ومن بينهم مصطفى باشا ، التقرير الذى وجه الى وزير الحربية والذى شرحنا فيه المظالم التى وقعت بالبلاد » راجع الوثيقة رقم 9
A.O.M.,1H1,

(12) هى معاهدة دى ميشال المعقودة بتاريخ 26 فيفرى 1834 .

والنصارى المحمديين (كذا) اضر علينا من النصارى العيساويين ، ولا حول ولا قوة الا بالله (13) ٠

وزيادة خير مما تتعجب منه ، ان تعلم في ديننا ان الكفار اذا استولوا على بلاد المسلمين ، يفترض فرض عيـن على مـن يليهـم ان يعينـوا المسلميـن ، والتونسية عوض ما يعينوننا كانوا اشتروا قسنطينة ووهران من الفرنسيس، بغير امر مولانا السلطان ، والتزموا ان يعطوا للفرنسيس مالا سنويا ٠ فعاقبهم مولانا السلطان نصره الله وفسخوا ذلك البيع (14) ٠

وفي هذه السنة الماضية استولى الفرنسيس على بلدة بجاية ، ووقعت لـه حروب مع اهلها ، واستولى عليها بدون موجب ولا سبب ، والى تاريخنا لم يزل المسلمون يحاربون الكفار بها ، ويحاصرونهم ٠ وفي اول مايو وقعت حـرب احد (كذا) عشر يوما لم ينقطع البارود والمركب الفرنسوى خرج ، والحرب مسترسل ٠ وكانوا أرسلوا فرقطون الى تونس وامروا باى تونس ان لا يمكن المسلمين من اشتراء السلاح والبارود من تونس ، ويمنعوا كل من يمشي الى قسنطينة ونواحيها من ان يكون معه آلة حرب ، فأجابهم بالسمع والطاعة ٠

فانظر يا اخى ان كان بوضربة مفلس ومرتد (كذا) ، فهـذا اميـر مسلـم تحت حكم السلطان ، يرى بلدان السلطان بجواره يستولى عليـه الكفـار ، فيمنعهم مما يجب عليه ان يمدهم به ، ويحرم بيعه لهم ٠

فهذا حال المسلمين مثل الشياه بلا راع،والفرنسيس يدعى انه اخذ الجزائر لاجل ثأره مع حسين باشا ، واى وجه له لأخذ وهران ؟ ربما يقـول : « ان حسن باى ، اعطاها له » ، فما وجه اخذ بونة ؟ ربما يقول : « ابراهيم بـاى سلم له القصبة » ، فما وجه خروجـه الى البليـدة والمـدية وقتـال المسلمين والاستيلاء على بلادهم ؟

ما وجه اخذه مستغانم وقتل المسلمين مع انهم لم يبدؤه (كذا) بالحرب ؟

ما وجه اخذ بجاية وقتال اهلها والاستيلاء عليها مـع ان مـراكب بجـاية كانوا يأتون للجزائر ولم يبدؤه (كذا) بالحـرب ٠ هـذه البـلاد باجمعهـا للسلطان محمود نصره الله ٠

---

(13) لا توجد دراسة تناولت علاقة الامير عبد القادر ببوضربة ويبدو ان هذا الاخير على علاقة طيبة مع الاميـــــر

(14) هى الاتفاقية المفقودة بين المرشال كلوزال ومبعوث باى تونس حسن مورالى وصاحب الطابــع بتاريـخ 18 ديسمبـر 1830 .

والبشدور (15) فرنسيس في اسلامبول وسنجق فرانسيس داخل وخارج الى اسلامبول ، ان كانوا اعداء للسلطان فليرفعوا بشدورهم • وان كانوا صلحا (كذا) فما هو وجه استيلائهم على ممالكه ؟

واهالى مملكتنا المرتدون فيهم افراد قليلة لا يبلغون المائة ، وباقى المسلمين كما تعلم قد نفى اغنياؤهم وبقى ضعفاؤهم ؛ اكثرهم يتكفف الناس ، يطلبون الصدقة • وأهمتهم انفسهم ولا يعرفون باى طريق يرفعون شكواهم الى سلطان الزمان مولانا السلطان محمود ، وهو فى ديار بعيدة عنهم ، لا يسمع بشرح حالهم ولا يعلم ما هو واقع بهم • والاعراب والبوادى ولله الحمد ، ايمانهم صحيح وسكتهم وخطبتهم باسم السلطان محمود ايده الله (16) ، ولم يقصروا فيما يقدرون من الجهاد وعدم تمكين الكفار من الخروج اليهم ، الا لانهم لا يعرفون كيف يرفعون شكواهم الى السلطان لانهم برابر •

وانا يا اخى وحدى واولادى وعيالى تحت ايدى الكفار ، وأنا فى بلادهم لم اقصر فيما اقدر عليه بلسانى وقلمى • ولو ان الكفار يعلمون شطر ما فعلت من تحريرات وتاليف ومراسلات مع الاجناس وغير ذلك ، مما لا اقدر على تحريره ، كل ذلك لاجل انقاذ البلاد ، لاكلوا لحمى واوقعوا بى ، والحمد لله ، سترنى الله • وبعد كل مقال انا كتبت وبينت ، وانتم يحرم عليكم السكوت•

الله الله فى دماء المسلمين ، الله الله فى ممالك الاسلام ، الله الله فى دين الاسلام ، عرفوا سلطاننا ، اعرضوا عليه حالنا ، استعطفوا لنا شفقته ومرحمته السلطانية •

انا قد جاهدت بقلمى والرعايا بسيوفهم ، فجاهدوا بألسنتكم •

انت يا اخى تعرف بانى فى سن الستين ونيف ومستور بستر الله ، لا طمع لى فى مال ولا فى منصب ولا اهلية لى ، وعزمت على الهجرة بعيالى واولادى الى بيت الله • وكانوا (كذا) الفرنسيس اخذوا منى مصادرة مالا كبيرا ، كما هو مقيد فى تأليفى ، وانا ترتافعت معهم ليردوا لى ما اخذوا منى ، سواء عطوا او منعوا ، ارجع للجزائر واتوجه الى بيت الله ان شاء الله •

فلهذا كان يسعنى ما وسع غيرى واسكت ، لكن يا اخى الغيرة الاسلامية حملتنى على ان كتبت وخاطرت بنفسى واعلمتكم • فالغوث الغوث لحال أمة

---

(15) من الكلمة الفرنسية Ambassadeur أى السفير .

(16) راجع دراستنا ، ثلاثة رسائل ... Trois - lettres ... نفس المصدر .

سيدنا محمد (صلعم) • اعلموا سلطاننا بحال الاسلام والمسلمين ، وان امتنعتم ، فهذا خط يدى ارسلوه ولو لم يكن فيه رسوم لائقة بالدولة ، الا ان حال الاستغاثة يغتفر فيه ما لا يغتفر فى غيره •

الغياث الغياث • الفرنسيس لا يخرج من الجزائر الا بقوة سلطانية ، ومواعيده لا اصل لها ،وتعديه كل يوم يزداد ، وليس فينا من يبلغ سلطاننا هذا الحال •

الله الله ، لا تقصروا وبادروا وداركوا أمة سيدنا محمد (صلعم) والسلام• من اخيكم حمدان بن المرحوم عثمان خوجة الغريب ، وفقه الله •

23 محرم سنة 1250 (17)

ملحـق :

تعلم يا اخى ان الفرنسيس كانوا ارسلوا رجالا من الديوان لينظروا احوال الجزائر وسموهم كومسيون (18) • فمشوا وراوا الجزائر ورجعوا ثم امروهم ان يكتبوا كلما رأوا ، وما ظهر لهم • فكتبوا وتشاوروا ؛ وقبل ان يتموا اتفاقهم ، ارسلوا الى كل من مشى للجزائر وسألوه عن رأيه ، فكل واحد قال ما ظهر له •

وارسلوا الى وحضرت فى جمعيتهم ، وانا صائم فى رمضان ، وسألونى فقلت لهم : « كلما اعرفه ، مكتوب فى كتابى » ، فقالوا لى : « واذا رجعنا المظالم وعملنا العدل والانصاف فهل تطيعنا الرعية » ؟ ، فقلت : « لا يطيعوكم (كذا) ولا يأمنوكم (كذا) ابدا » وابطلت جميع ما توهموه (19) •

وبعد ذلك ارسلوا الى بوضربة الكافر ولم ادر ما قال لهم • ويوم التاريخ وجدت كتابا ألفه الكومسيون وطبعوه وعطوه لرجال الديوان ؛ فالتمست جواب بوضربة فوجدت انه قال لهم : « المسلمون لا امان فيهم ، وشيمتهم الغدر ، واذا تحبوا (كذا) ان تنقاد لكم الرعايا ، فاجعلوا الامير فرنسيا

---

(17) 1 جوان 1834 .

(18) (Commission) هى اللجنة الافريقية التى ارسلتها الحكومة الفرنسية الى الجزائر للتحقيق فى وضعية البلاد .

(19) راجع نص الاسئلة التى وجهت الى حمدان خوجة من طرف رئيس اللجنة الافريقية ، ورده عليها فى الوثيقة رقم 4 التالية ص. 182 ـ 186 .

وكاهيته مسلمون عرب » الى آخر ما يطول ذكره · من جملته ان يكون الحكم كله بالفرنسوى وان لا بد من دفع حكم شريعة المسلمين وفى هذا المعنى كلام كثير ·

وانا اتحيل ان نشترى هذا الكتاب وارسله اليكم لترسلوه الى حضرة مولانا السلطان ، ويراه بعينه ولا يحملنا على المبالغة ؛ وان لم يمكن ان نشتريه ، ألخص لكم كلما فيه ، وارسله اليكم لتنظروه ان شاء الله مع اول مسافر الى ازمير والسلام ·

تعليق : كل ما قاله السيد حمدان بن المرحوم عثمان خوجة فى هذا الجواب صحيحا · محمود بن أمين السكة ، سابقا وكيل الجزائر فى تونس ، والآن ساكن ازمير فى 27 جمادى الثانى 1250 (20) يلى ختم محمود ·

---

(20) 1 نوفمبر 1834 .

الوثيقة رقم 4

فى الجلسة الرابعة عشر بتاريخ 23 جانفى 134 ، لمداولات اللجنة الافريقية حول تقرير مصير الجزائر ، استدعى حمدان بن عثمان خوجة لاستشارتـه ؛ وقد رأيت هنا من المفيد ان اقتطف ردود حمدان خوجة على اسئلة رئيس اللجنة أندوك دوكاز ٠

ع٠ ت٠

الرئيس :

سيدى حمدان،لقد احطنا علما بمحتوى الكتاب الذى نشرتموه حول الجزائر، وليس من مهمة اللجنة بحث المآخذ الشخصية (كذا) ، كاحتلال بعض المساجد وانتهاك حرمة القبور ٠ لقد عزمت الحكومة الفرنسية على ارجاع كل المساجد ، الغير اللازمة له (كذا) كما وقـرر فى المستقبل احتـرام الملكيـات ؛ الا ان التى احتلت من طرف الجيوش ، فانها ستعوض بقيمتها الحقيقية ٠ واخيرا فان الحكومة الفرنسية تريد تطبيق نفس العدالة الجارية بفرنسا ببـلاد الجـزائر ، حيث لا يطلب من الاشخاص التخلى عن ممتلكاتهم لفائدة عامة ، الا بعد تعويضهم عن ذلك ٠

الا ترون ان تطبيق هذه المبـادىء يضمن ازدهـار الممتلكـات الفرنسيـة بافريقيا ، كما ويجلب الى السلطة الفرنسية ، المواطنين الذين لم يتصالحوا بعد معها ، حيث انهم حيدوا ، ولا شك عن ذلك الغـرض ، تحت تأثيـر المـآخذ والشكايات التى بالغتم فى تصويرها ، والتى جاءت فى كتابكم ؟٠

حمدان خوجة :

لا يعتقد ان النتيجة سيتحصل عليها عاجلا ، واضاف : « ان مثل هذا لا يمكن ان يطبق فى المدن ، ولكن سوف لن يكون له اى تأثير على القبائل » ٠

---

(1) A.N. : 80 F1 ، ملف رقم 9 و 10 مجموع هاته الوثائق باللغة الفرنسية .

الرئيس :

اذا احترم الدين ووفرت حماية المواطنين ، وقامت الحكومة الفرنسية بعدالتها على تقديم ضمانات للقبائل أهم من التى كانوا يلقونها زمن حكومة الدايات ، هل ان ذلك يكفل للسلطة الفرنسية استعدادهم الطيب لقبول السلطة الفرنسية والتعايش بسلام ؟ واذا وجدت هاته القبائل منافعها مضمونة ببيع بضائعها فى سوق الجزائر ، وباثمان مرتفعة من التى كانوا يتحصلون عليها سابقا ، الا يؤدى ذلك الى ضمان طاعتهم وانقيادهم ؟

حمدان خوجة :

يصر على الاعتقاد بان هاته النتيجة تتطلب مدة طويلة ا نلم تكن مستحيلة٠

الرئيس :

ان مصلحة القبائل مرتبطة بذلك ، واذا احترمنا الدين ووفرنا لهم امتيازات كثيرة ، لماذا لا يرضون بذلك ؟

حمدان خوجة :

يكرر القول بانه لا يرى امكانية لتحقيق ذلك ، ولكنه من جهة اخرى ، قد سلم الى الرئيس بعض الملاحظات الكتابية اشتملت على معلومات جديدة تضاف لما نشر فى كتابه ٠

الرئيس :

ان القابل الاثنى عشر بسهل المتيجة يترددون على سوق الجزائر ، وهم على علاقة طيبة بالفرنسيين ، الا تفكرون ان اعادة وظيفة الآغا المكلف بالشرطة بينهم ، ليوجهوا طلباتهم اليه لحل مشاكلهم ، مستعينا فى ذلك بفرقة من الفرسان كما هو الحال فى عهد الدايات ، سيساعد على انقيادهم ؟

حمدان خوجة :

مستحيل ؛ عندما كانت حكومة الداى موجودة ، كانت القبائل منعزلة عن بعضها البعض ، اما الآن فهى متضامنة ضد بعضها البعض ٠

الرئيس :

كم هم جنود الداى الذى وفرهم سنة 1830 ، ليواجه نزول الجيش الفرنسى ؟

حمدان خوجة :

كنت فى ذلك الوقت بالجزائر ؛ يوجد ثلاثون الف محارب ، وكان باستطاعة الداى توفير ستين ألف ، ولكن ثقته بقوته ، جعلته لا يتوقع او يلقى هجوما فرنسيا عنيفا ٠

الرئيس :

تتدعون ان حاكم الجزائر دوك دوروفيڤو (Duc de Rovigo) قد كلفكم بمهمة لدى باى قسنطينة ، اخبرنا بتفاصيل مهمتكم وبالمشاكل التى لاقيتموها اثناء رحلتكم ، وكم عدد الجيوش التى يملكها هذا القائد ؟

حمدان خوجة :

قمت بهاته الرحلة عن طريق البر ، فى مدة عشرين يوما ، وكنت مصحوبا بأبنى ، وتمكنت ان امر بسلام ، بفضل وساطة احد اولياء ، وبعض الهدايا البسيطة ٠

الرئيس :

ما هى الاقتراحات التى كلفتم بتقديمها لباى قسنطينة ؟

حمدان خوجة :

هذا سر بينى وبين الحكومة الفرنسية ٠

الرئيس :

آه تستطيعون ان تقولوا كل شىء ؛ ليس هناك سر للجنة التى تستفسركم عن ذلك باسم الحكومة الفرنسية ٠

حمدان خوجة :

يجيب بحرج ، ولم يرد تبرير مهمته ؛ لقد صرح انه عرض نفسه لاخطار باى قسنطينة ٠

الرئيس :

يذهب الى الاعتقاد بان سيدى حمدان لم يكن مبعوث دوك دوروفيڤو الى الباى ، بل على العكس ، ألم يكن سيدى حمدان محل ثقة باى قسنطينة ، وان هذا الاخير قد حمله سلطات كتابية للتداول باسمه مع فرنسا ؟

حمدان خوجة :

اقر بصحة ذلك ·

الرئيس :

الا تعتقدون اننا نستطيع اخضاع هذا الباى بطريق الوساطة ؟

حمدان خوجة :

ان ذلك لامر صعب · يملك هذا الباى انصارا كثيرين فى الصحراء ، بحيث لا يمكن اخضاع تلك الجهات الا باستعمال السلاح ، كما ان الباى يملك جيشا تعداده عشرة آلاف شخص ، يقوم هو على تمويله ، هذا بالاضافة الى انصاره·

الرئيس :

من الذى يسيطر على سهل المتيجة ؟

حمدان خوجة :

لم يقدم جوابا ايجابيا عن ذلك · ولكنه يعلم ان اهم المزارع هى ملك للدولة ؛ وتوجد ستة عشرة مزرعة لاعراب السهل ؛ ويمكن التحقق من ذلك اذا روجعت وثائق الحكومة السابقة ·

السيد صادة ، أحد أعضاء اللجنة :

ما هى العلاقات التجارية بين ولاية الجزائر والسودان قبل الاحتلال الفرنسى للبلاد ؟ وهل يمكن ايفاد قوافل تجارية الى السودان بعد اجتياز بلاد قبائل البربر ؟

حمدان خوجة :

ان التجارة المذكورة كانت تتم على ظهور الجمال ، وخاصة على يد قوافل قبيلة بنى عزول ، التى توجد على بعد عشرين يوما من جنوب مدينة الجزائر ·

واذا اريد تجديد تلك الاتصالات التجارية ، فان العراقيل التى ستواجه ذلك ، ليست متأتية من بلاد قبائل البربر ، بل على العكس من ذلك ، توجد شعوب وحشية اخرى متكالبة على النهب بحيث ليس من اليسير اجتيازها دون التعرض الى الاخطار ؛ يوجد فى كتابى بعض المعلومات حول هذا الموضوع ·

الرئيس :

سيدى حمدان ، ان اللجنة ستحيط علما بالملاحظات الكتابية التى سلمتوها اليوم ، وستدرس طلباتكم بكل دقــة ، وستقوم بذلك بكل استقامة وعدل ٠ هل لكم ان تضيفوا لنا شيئا آخر ؟

حمدان خوجة :

صرح بان ليس له ما يضيفه ، ويدعو اللجنة ان تراجع ملاحظاته التى سلمها ايــاهــا ٠

الوثيقة رقم 5

الحمد لله (I)

نقدم التحيات اللائقة والالقاب الفائقة لحضرة الوزير الاعظم دامت معاليه ، توفرت رافته وحنانه ؛ المعروض على معلومات دولتكم الرفيعة اننى اول قدومى لحضرة باريز قدمت عرضحالى (كذا) بالشكاية على حضرة وزارتكم ولم يأتنى جواب (2) ، وتانست بما ظهر من بعض اثار العدل ، حيث ارتفعت بعض المظالم التى ذكرتها فى شكايتى واملت ان سياسة الدولة الفرنسوية لم تسمعه ولا ترتضيه ؛ وازداد سرورى حيث عينتم الكوميسيون المحترم ليتفقد جميع احوال الجزائر ، ويرفع المظالم ويسمع الشكايات ، حتى يتحقق عند الدولة الفرنسوية، صدقنا فيما قلناه ٠

ثم بعد وصول الكومسيون الى الجزائر ، اتانى مكتوب،واخبرونى ان الدومين (كذا) طلب من المفتى قيمة ما صرف على هدم الدار ، وهى دار وقف حبوس على الجامع الكبير، هدموها لتوسيع الزقاق٠وايضا طلبوا من حجام اسمه يدام مصروف هدم حانوته ، التى كان يخدم لمعيشته فيها ، وهدمت لتوسيع الزقاق ، وطولها نحو خمس اونات (3) وعرضها اونتان ونصف ، فطلبوا منه المصروف 150،82 مائة وخمسين فرنسا واثنين وثمانين سنتم (كذا) ، وايضا ارسلوا لغيرهما يطلبون ثمن الهدم ٠ ومن ادعى الفقر ، طلبوا منه رهن عقد المهدوم او بيعها لهم ؛ وهذا امر لا مدخل لى فيه ، الا انى وكثير ممن انا وكيلهم ، لنا املاك كثيرة مهدومة ؛ فلا شك ان يطلب منا كما طلب من غيرنا ، وحضرة الوزير الاعظم لا شك انه لم يأمر بهذا ، ولا علم له ، ولا يرتضيه ٠ وليس فى شرع من الشرايع (كذا) ان الانسان تقطع يده ، ويعطى مصروف القطع وثمن السكين ، الذى قطع به يده ، التى كان يأكل بها ٠

(I) A.M G. ; 22 .H ، **الجزائر** ، رسالة حمدان هاته ، قدمت باللغة العربية وقد رفعها الى وزير الحربية الفرنسى .

(2) راجع عرضحال حمدان المنشور أعلاه ، وهو الوثيقة رقم I ، ورد وزارة الحربية عليه ص. 145 ـ 165 .

(3) لم نتمكن من تحديد معنى الكلمة ويبدو أنه تعريف للمقاييس !

فنرجوا (كذا) من حسن سياسة حضرة الوزير الاعظم ومن رافته ورقته لحال المظلومين والاسارى ، ان يرفع هذا الظلم (الذى) لم يحك فى التاريخ مثله ، وتنهاهم عن ارتكاب مثله ، كما هو شأن الكرام ، ومنقص عرض الدولة الفرنسوية والنسيون (4) •

واقبل باليمن والسعادة والاقبال ، ايها الوزير الاعظم ، تعظيم واحترام خديم وزارتكم ، حمدان بن المرحوم عثمان خوجة ، وفقه الله وسامحه فى عرض حاله •

باريس 5 اكتوبر 1883
نهج الجامعة رقم 88

---

(3) هى الكلمة الفرنسية (nation) اى الامة .

الوثيقة رقم 6

ايها الملك (1) .

ان عجوزا ناهز من العمر الثانية والستين ، قد وجد نفسه وعائلته في وضعية محزنة ويأمل من سمو الملك العظيم ، الذى يرحم الفقراء ، ان يسمح له بمقابلته ليجلب شفقته عليه . أجرأ على طلب مقابلتكم وذلك لاتمكن من شرح الوضعية على جلالتكم ، مبينا له المصائب التى حلت بى .

بعد ترجمة عرض حالى على سمو جلالة الملك ، سيتفضل بتشريفى بحضرته وليتمكن الملك من تصور الحالة التى تردى فيها أب لعائلة كبيرة ، وليجد له علاجا لكل هاته المشاكل .

ان عبدكم يطلب مرافقته بمترجم لدى الملك حتى يؤدى بامانة ، الاراء التى ستعرض على جلالته ؛ كما ويطلب عبدكم العفو ، اذا اقترف بعض الاخطاء الغير الارادية .

عبدكم المتواضع حمدان عثمان خوجة
باريس 19 جوان 1835

---

(1) A.M.G. ؛ 32 H. الزائر ، عريضة حمدان خوجة هاته باللغة التركية وقد رفعها الى الملك الفرنسى لوى فيليب بتاريخ 19 جوان 1835 ، راجع الشكل رقم 24 . ص. 192-193 .

عـرض حـال

هذا عرض حال يقدمه الى سمو جلالة الملك بكل احترام ، عبدكم المتواضع حمدان خوجة ، الذى ناهز من العمر الثانية والستين ، والذى اصبح فقيرا وبدون موارد ٠٠ اما اليوم فانه تحت حمايتكم وفى ظل عدلكم الملكى ٠

قبل ان تستولى الحكومة الفرنسية على الجـزائر كنت انـا عبدكـم احـد الاغنياء والمعتبرين بهاته المدينة ؛ كنت املك بمنطقة المتيجة بمزارعى عشرة آلاف رأس غنم ، ستمائة رأس بقر ، ومائتى زوج بقر للحراثة ، ستين جملا ، مائتين ما بين فحول وفرسان ، وستين بغلا ، وعددا آخر من الحيوانات ٠ كنت أملك بالاضافة الى هاته الثروة الفلاحية ، ستمائة معسلة ، ما بين خمس وست آلاف كيلة من القمح والشعير ، وعدة آلاف من المساحة الصالحة للحراثة ٠

وبعد سقوط الجزائر فى يد الفرنسيين ، نهب الاعـراب كل هاته الثـروة التى تقدر بـ 400٠000 فرنك ٠

وبالاضافة الى فلاحتى ، فقد كنت تاجرا بالجزائر ، وكانت لى تجارة كبيرة ورأس مال اكثر من ثلاثمائة الف فرنك ، اتعامل بها فى ولاية الجزائر (2) ٠

غير انه بعد احتلال الفرنسيين للبلاد ، كان من المستحيل على ان أتحصل على الديون التى كنت اقرضها فى خارج مدينة الجزائر ؛ اما الديون التى كانت بمدينة الجزائر ، فان اصحابها قد غادروا البلاد ٠

ان الضباط الفرنسيين الذين اجروا تحقيقـا حـول قيمـة هـاته المبـالغ المفقودة ، قد قدروها بحوالى 300٠000 فرنك ٠

كذلك كنت املك بمغازتى عددا من البضائع والاقمشة التى لم تبع ، نتيجة عدم تمكن القوافل القاطنة بداخل البلاد، من دخول الجزائر العاصمة؛ واجبرت اثر ذلك ، على بيع تلك البضائع ، بالخسارة ٠

(2) ان الدفاتر التركية والعربية بالجزائر تبين ذلك ، راجع A.O.M;15.MI 49, Vol. 381

وعليه فقد اضطررت الى ترك الفلاحة والتجارة ٠

وعندما نزل الجيش الفرنسي بسيدي فروج ، اخذ حسين باشا من مغازتي بما قيمته مائة ألف فرنك ورقا آستعمل لصنع الخراطيش ، دون ان يسدد لي الثمن ؛ ذلك اننا في ذلك الوقت لا نفكر بغير الحرب ، فلم اجرؤ على المطالبة بـذلك ٠ لقد تحصلت على وصل بذلك من بعض المسؤولين الكبار في حكومة الجزائر ، وقد طالبت المرات العديدة من المرشال بورمن تسديـد ذلك ، غير اني لم اتلق ردا بعد ٠

وقد وجهت نسخة الـوصل الاصليـة الى المرشال كلـوزال ، ولكن بدون جدوى ، اذ لم اتلق ردا ، ولم يرد الى الوصل ٠

وبعد هذا التعب الشديد والخسارة التي لحقت بي ، فاني أؤمل باعتباري احد رعايا الحكومة الفرنسية وفي ظل عدالتها ، ان اتمكن من استرجاع حقوقي كاملـة ٠

وفي تلك الاثناء فرضت علي قهرا اداء I2.0000 فرنك ، اما انا فلا ادفـع شيئا ، اذ ليس واجبا علي ، اداء ذلك ؛ وقد رميت في السجـن أنـا وخـالي المسن ، البالغ من العمر الثمانين ، كما وختمت منازلنا ولم نتمكن من الخروج من السجن الا بعد ان دفعنا I32٠000 فرنك ٠

وايمانا مني بعدالة الحكومة الفرنسية ، فقـد التجـأت الى مجلس شـورى الدولة ، للفصل في هاته القضية ٠ وبعد ثلاث سنوات من السعـي ، اذن لي باعادة المبالغ التي اخذت مني غصبا ، كما وطلب التحقيق في دفاتـر مـدينة الجزائر ، بحيث لا يمكن تسديد تلك المبالغ الا بعد التأكد باني لست مدينـا لخزينة الدولة ٠

والآن مرت ثمانية اشهر على هذا القرار ، ولم يبدأ بالتحقيق في الدفاتر ، بحيث يؤجل ذلك من اسبوع الى آخر ٠

لقد مر على الآن ستة وعشرون شهرا بباريس لمتابعة هـاته القضيـة ، وقد سبب لي ذلك مصاريف كثيرة ، بحيث نفذ المال الذى كان بحوزتي ، واضطررت الى اقتراض 7٠000 فرنك ٠

وعندما كان دوك دوروفيقو حاكما على الجزائر ، كلفني بمهمة لدى الحـاج احمد باي قسنطينة ، غير ان هذا الاخير لم يأخذ مهمتي على محمل الصدق ،

لأنى كنت محملا بتعاليم شفاهية وليست كتابية ؛ واضطررت اثرها الى تسليم الحاج احمد باى ، اوراق تكليفى والتى سلمها لى الدوك دوروفيقو ٠

وقد ذهبت الى قسنطينة مرتين ، رغم كبر سنى ، والمخاطر التى تعرضت لها مدة عشرين يوما ، قاطعا قبائل الاعراب ؛ وقد صرفت 19٠000 فرنك لأداء تلك المهمة ٠

ولدى رجوعى من تلك المهمة التى قمت بها ، خدمة للحكومة الفرنسية ، كنت اؤمل ان تسدد لى تلك المصاريف وان تعهد الى بعض الاكرامات ٠

الا ان الدوك دوروفيقو سقط مريضا ، وفى الايام الاولى من رجوعه الى باريس ، عبر عن رغبته لمقابلته ٠

وعندما وصلت باريس مؤملا الشيء الكثير ، وجدت ان الدوك قد توفى ؛ وبعد ذلك بايام ، طالبت المرشال سولت (Soult) بتلك المصاريف التى دفعتها ؛ غير ان المرشال طالبنى بالاوراق الرسمية التى سلمت لى اثناء تكليفى بهاته المهمة ؛ وبما انى لا املك اوراق اعتمادى ، فقد رفض طلبى ، على الرغم من علم الحكومة الفرنسية بموضوع تلك المهمة ٠

وقد التجأت اثر ذلك الى مجلس شورى الدولة متجسما مصاريف القضاء٠ وبعد عام من ذلك اخبرت بان السلطة القضائية عاجزة عن محاكمة مثل هاته القضايا وانها لا تستطيع ان تحاكم امثال هاته التصرفات ، الصادرة عن بعض الوزراء (3) ٠

وبذلك اكون فى اواخر حياتى قد اضعت وقتى وجهدى فى خدمة الحكومة الفرنسية ، ولم استلم حتى مقدار 19٠000 فرنك ، التى صرفتها من اجله ، عندما سلطت على آنذاك انواعا من صروف الدهر ونكباته ٠

وبعد احتلال الجزائر ، امرت السلطات المحلية بهدم عدد كبير من المغازات ، لبناء مكان عام ولغرض توسيع الطرقات ٠ وقد اعلن المرشال كلوزال فى

---

(3) A.O.M. ، 1 H 1 ، ملف حمدان ، (1832 ـ 1839) ، وبتاريخ 21 اكتوبر 1834 ننقل الملاحظة التالية : (ان مجلس القضاء بامر من النيابة العمومية الملكية ، قد امر باعادة النظر فى هاته القضية للشك القانونى ، وسوف تحال على النيابة العمومية لمجلس القضاء الاعلى بالجزائر ، والذى ستحيل اليه القضية مرفوقة بوثائقها مع ابداء رايه فى ظرف ثلاثة اشهر ، ابتداء من يوم اتصاله بهذا الامر) .

الشكل رقم 24 ـ رسالة حمدان إلى الملك لوى فيليب •

A.M.G; H 32.

منشور علق فى المدينة ، ان الحكومة الفرنسية سوف تسدد للاشخاص الذين تضرروا بهدم ممتلكاتهم • وايمانا من ان المرشال سوف لا يقوم بذلك ، فقد قدمت الى المحكمة ، رسما يضم كل مغازاتى المهدومة ، وقد ختمه القاضى الذى شهد بصحة ذلك •

وقد حملت معي الى باريس رسما عاما ، ختمه القاضي ايضا ، وهو يوضح كل هاته المغازات المهدومة ، ومنذ عام وانا اطالب المرشال سولت بتسديد الضرر ، بعد ان رفعت اليه الرسم المذكور •

وقد رد على المرشال جرار (Gérard) بما يلى : « وجب ارسال هذا الرسم الى الجزائر حتى يتأكد من صحته » •

وفى الجزائر استدعى الوكيل كلبار دوهامن (Golbert d'Hammon) ابنى وافتك منه غصبا ، الرسم الاصلى •

وقد مرت الآن سنة ولم نتحصل على قيمة املاكنا المهدومة • كما استحوذت الادارة الفرنسية على كل الرسوم ، ولم نتلق ردا ايجابيا فى الموضوع حتى الآن •

اما فى فرنسا فان الحكومة الفرنسية مضطرة وحسب القانون ، ان تسدد قيمة الممتلكات التى استوجب هدمها ، اذ القانون يعد ذلك واجبا مقدسا •

اما انا المصاب بكثير من النكبات ، فقد كنت اطالب منذ خمس سنوات ، ولكن بدون جدوى ، اموالى الشخصية ؛ ان هذا التصرف يعد عملا غير مشرف لعظمة الحكومة الفرنسية •

ومنذ ان اصبحت فرنسا سيدة الجزائر حتى اليوم ، اصبحت القموح لا تصل الى العاصمة من داخل البلاد كما كان الشأن سابقا ، بل على العكس اليوم ، فان الحبوب وغيرها من المواد الغذائية تصل عن طريق البحر وبالوسائط التجارية ، وقد ارتفع ثمنها خمس او ست مرات عن ذى قبل •

***

لقد كنت احد اعيان واغنياء مدينة الجزائر ولى عائلة اقوم على معاشها ؛ اما اليوم فانه لا استطيع ان افى بحاجيات عائلتى البالغ عددها اثنين وثلاثين نفرا •

لقد تطوعت بالمنازل والحدائق التى بقيت لى ؛ اما مجوهرات افراد عائلتى ، فقد سلمت الى القنصل الانقليزى المقيم بالجزائر ، مقابل قرض مالى وباداء مفرط جدا ٠

ونتيجة لهذا الوضع فانى لم اعد قادرا على كفالة افراد عائلتى ، وقد امرت ببيع حديقتى ، ومما لا شك ، انه فى آخر هاته السنة ، سنضطر الى مد يد التسول ٠ وحتى شخصى فانى فى اواخر ايام حياتى ، اصبحت لا اقدر على تحمل مزيد من عبء الهوان والذل ٠ وعليه وجب على النزوح من باريس راجلا، دون ان اتمكن من تسديد الديون التى على ، والالتجاء الى بلد آخر ، اذ لم يبق لى ، الا استجداء لقمة العيش ٠

ان عرض اسباب خسارتى على الامير الرحيم الذى هو اليوم بمثابة ملكى ، أؤمل منه ، ان يشملنى جلالته بشفقته الملوكية وسيحمينى بفضل عدالته ، التى يتمتع بها كل سكان فرنسا الخاضعين لسلطته ٠

اتوسل الى سيادتكم ان تلقوا عين رعايتكم على وضعيتى المؤسفة ، وان لا تردوا عرض حالى هذا ٠

حمدان بن عثمان خوجة
باريس فى I9 جوان 1935

IV

انطباعات حول علاقة الأمير عبد القادر بانقلترا والباب العالي سنة 1840-1841

انطباعات حول علاقة الامير عبد القادر بانقلترا
والباب العالى سنة 1840 ـ 1841 (1)

ان دراسة علاقة الامير عبد القادر بانقلترا وبالباب العالى ، يدفعنا الى استعراض بعض الملاحظات العامة حول ولاية الجزائر ٠

لقد كان سقوط الجزائر على يد فرنسا حدثا غير متوقع الحدوث ، إذ ليس فى حساب أحد ، ان أتراك الجزائر الذين اظهروا طوال تاريخهم بالبلاد، مقاومة عنيدة لكل الهجمات الداخلية والخارجية ، سوف ينكسرون بسرعة ٠

لم يكن أتراك الجزائر أسياد البلاد المحترمين من طرف الشعب ، بل على العكس ، كان الأهالى يخشونهم ويطيعونهم ٠

ان هذا الشعور السائد لدى الاعراب والاولياء قد ضعف من حقدهم تجاه أتراك الجزائر ويمكننا على ضوء ذلك ، ان ندرك موقف الامير عبد القادر تجاههم دون ان نبالغ فيه ٠

لقد تجرأ الامير عبد القادر ان يكاتب السلطان عبد المجيد ، متحدثا بازدراء عن انكشارى الجزائر : « وذلك ان الينيشارية (كذا) الذين كانوا بالجزائر لما خرجوا عن طاعة امير المؤمنين والدك المرحوم ، عاقبهم الله بسوء فعلهم ، وسلط عليهم من لا يرحمهم ، العدو الكافر الغشوم ٠ فبدد شملهم واجتث اصلهم وملك القرى والمداين (كذا) ٠٠٠٠ واهل هذا الوطن بالاصالة ضعاف منذ عاملهم عمال الجزائر فى السابق بالظلم الكبير والاعتساف ٠٠٠ » (2) ٠

كان عبد القادر يرى ان مهمة تاريخية قد القيت على عاتقه ، ويتمثل ذلك فى طرد الفرنسيين من البلاد واقامة دولة اسلامية عربية : «احتاج الناس اذ ذاك،

---

(1) قدمت هاته الدراسة فى المؤتمر التاريخى للدراسات المغربية بكاليرا (ايطاليا) المنعقد ما بين 22 و 25 ماى 1969 .

(2) B.A. ؛ ارادة خارجية رقم 820 ، ملف رقم 2 ؛ راجع الوثيقة رقم 5 المنشورة اثر هاته الدراسة ، ص. 221 ـ 226 .

كما كتب الى السلطان ، الى من يضبط جهادهم ويقوم بجميع امورهم ويجمعهم ويجمع ما به قوام جهادهم ويتكلف سياسة خاصتهم ... » (3) .

لم يهتم الامير عبد القادر في بادىء كفاحه بالاعانة التي يمكن ان يقدمها له الباب العالي ، بل على العكس من ذلك ، اظهر عدم الاكتراث ، خصوصا وعلى حدوده الغربية ، توجد مملكة سلطان المغرب عبد الرحمان ، الذي وعده بكل اعانة للعمل من اجل الجهاد ضد المسيحيين .

غير ان اندلاع الحرب بين عبد القادر وفرنسا وما سببته من تأثيرات على الاطراف المتنازعة ، وتطور المسألة الجزائرية لدى المسؤولين الفرنسيين ، ثم الاهتمام البالغ الذي اظهره المستعمرون بالجزائر للحفاظ على امتيازاتهم باي ثمن ، ثم قلة الذخائر الحربية لجيش الامير عبد القادر،واخيرا سوء التفاهم بين الحاج احمد وعبد القادر ، كل هاته العوامل قد خلقت عدم توازن في القوى لصالح فرنسا ، عندما تمكنت من عقد معاهدة تافنا مع الامير عبد القادر بتاريخ 20 ماي 1837 .

وقد هدفت فرنسا من تلك المعاهدة ، تسكين الضفة الغربية للجزائر ، لتجد حريتها المطلقة للقضاء على الحاج احمد باي قسنطينة ، الذي الحق جيش فرنسا هزيمة نكراء ، امام جدران مدينة قسنطينة في اكتوبر 1836 .

اما موقف الباب العالي فكان سلبيا : ذلك انه بواسطة سفيره بباريس احتج على عقد المعاهدة بل واعطى الامر للسفير ، ان يعمل على عرقلة عقد معاهدة تافنا ؛ ذلك ان الامير عبد القادر يعد في نظر الدولة العثمانية ، احد رعايا السلطان ، وامضاء معاهدة كتلك ، كان اولى ان تتم بين الحكومة العثمانية والفرنسية (4) .

لقد كان موقف السلطان هذا طبيعيا ، اذا اخذنا بنظر الاعتبار ، ان الامير عبد القادر لم يعترف بالسلطان العثماني في بدء جهاده ، خلافا للحاج احمد الذي ما فتيء يوجه رسائله الى الباب العالي معبرا عن ارتباطه للسلطان ؛ ونتيجة لذلك ، كان الباب العالي يفكر في تعيينه واليا على الجزائر ، اذا ما نجحت مساعي الباب العالي لاسترجاع البلاد ؛ ولعل مآخذ الحاج احمد ضد عبد القادر قد دفعت الباب العالي الى اتخاذ موقف صلب تجاه الامير .

---

(3) **المصدر نفسه** .

(4) راجع ، **التميمي** ، عبد الجليل ، **السياسة .. نفس المصدر** ، ص. 100 ، تونس ، 1970 .

سوف لن اتحدث عن الاحداث التاريخية لهاته الفترة ، تلك الاحداث الهامة والمثيرة، ولكننا نلاحظ انه بسقوط الحاج احمد وانسحابه الى الصحراء، نمت هيبة الامير لدى الاهالي .

لقد اعطى الامير ملامح جديدة لمملكته العـربية بحيث : « اجتمعت كلمـات المسلمين من حدود طاعة الشرق الى حدود تونس وانتفا (كذا) منهـا كـل شر ، ولم يبق الا ما يسر ويونس (كذا) » (5) .

غير انه في سنة 1839 ، اثيرت الخلافات من جديد ، بشن الاعمال العدائية بكل شراسة ، وقد لحق الصفان كثيرا من الخسائر الفادحة .

كانت الحكومة الفرنسية : « ترى ان عقد الصلح مـرة ثالثـة مـع الاميـر عبد القادر ، معناه اعادة ارتكاب اخطاء المعاهدات السابقة . ان عبد القـادر يمثل المساندة المادية والاخلاقية لكل المقاومة التي نجابهها ؛ وما دام عبد القادر موجودا ، فانه يمثل امل الوطنية العربية ، ويترتب عن ذلك استمرار نفـوذ المسلمين ضدنا ، وعليه يجب شن حرب عنيدة وطويلة النفس ضده » (6) .

اما بالنسبة لعبد القادر ، فانه قد قبل الصلح لغرض اراحـة جيـوشه ، وتوفير السلاح لمحاربة اعداء الدين ؛ غير انه دفع الآن الى الحرب ؛ وعليه قام الامير باتصالات في الداخل ، بمكاتبة الاولياء والعرب وانصـاره . امـا في الخارج فقد كان يتمنى ربط علاقات بالشرق وبالغرب .

اخذ عبد القادر المبادرة اذن ، بالكتابة الى الانقليز ، بواسطة قنصلهم بطنجة بتاريخ 12 افريل 1840 ؛ اما حامل رسـائله فكـان التـاجر نكـولا منـوشي (Nicolas MANUCCI) ابن نائب قنصل انقلترا ببنزرت (7) .

---

(5) B. A. ؛ خارجية رقم 820 ؛ راجع الوثيقة رقم 4 المنشورة أثر هاته الدراسة ، ص. 219ـ220

(6) YVER, Georges, **Correspondance du Maréchal Valée,**
ج. 5، ص. 67 ، باريس ، 1956 .

(7) EMERIT, Marcel, **L'Algérie à l'époque d'Abdelkader,**
ص ، 295 ، الجزائر ، 1951 ، يذكر لنا أن : « نكولا منوشي كان موجودا بتكدمت في شهر ديسمبر 1840 ، وقد عرض على عبد القادر تمكينه شراء السلاح ، وقد قبـل الاميـر العـرض وسلمه 4000 ريال اى 20.000 فرنك وعليه أتجـه منوشي الى المغرب ومنه الى جبـل طارق ، حيث مازال موجودا حتى الآن قصد صفقة سلاح ، ذلك السلاح الذى سيوفده (الى الامير عبد القادر) عن طريق تطوان .. »

وفى احد رسالتيه التى تهمنا هنا ، كتب عبد القادر الى الحكومة الانقليزية : « فانه وقع بيننا وبين دولة الفرنصيص شرط مدة من نحو السنة ، فى شأن مملكة الجزائر ؛ بان سلمنا لهم البعض من الوطن وجعلنا بيننا وبينهم حدودا وحفظنا بعض المراسى لنا » (8) .

كان عبد القادر يتمنى ربط علاقات طيبة مع الانقليز ، بمنحه ميناء تنس حتى يسهل عليهم الاتجار معه ، وكذلك ليتمكن الامير من شراء الاسلحة : « ... كان مرادنا بعد ذلك ان نكاتبكم ونعرف دولتكم ونعطوكم (كذا) مرسى مثل تنس او غيرها ، مما هو فى ايدينا ، تبيعون فيها (كذا) وتشترون ما تحتاجون من الحب والقمح وغير ذلك ، ونحن نأخذ منكم ما نحتاج اليه . غير ان مدة سنين تأخذون من هذا المرسى ولا نأخذ منكم حقها من مخطاف وغيره. ثم بعد ذلك نتفق معكم على امر معلوم ، ولم يتيسر لنا الكتب (كذا) لعدم وجود من يعرف ارضكم ويخاطبكم فى شأن ما ذكرنا لكم ، حتى وجدنا هذا الحامل المركانطى نصالى منوشى ولد قنصل الانقليز من ابن زرت (كذا) (9) من عمالة تونس ؛ فوجهته اليكم ليتكلم معكم . فان اردتم ان نجعل بيننا وبينكم متجرا ، فاخبروا دولتكم بذلك ، وانفصلوا (كذا) الجميع مع الحامل ، فانكم اهل وفاء وعهد ؛ واما الفرنصيص فلا وفاء معهم ولا عهد كما لا يخفاكم . وان ظهر لكم ما ذكرنا لكم من امر المرسى ، فلا نبيع لاحد غيركم من ساير الجنوس وتاخذون ما تحتاجون بسوم بلادنا كما يتبايعون معشر العرب فى بعضهم بعضا ولا يزيدون عليكم شيئا فى المدة المذكورة » (10) .

كان عبد القادر يفكر ، بتسليمه ميناء تنس للانقليز ، وتفضيلهم على بقية الامم ، ان يجد له نصيرا ومؤيدا لشراء السلاح من جهة ، والوقوف بجانبه على الصعيد السياسى ، اذا ما اضطر الى مجابهة العدو .

غير ان الانقليز الذين اظهروا قلقهم من استيلاء الفرنسيين على الجزائر ، ووجدوا انفسهم مجبورين على قبولهم الامر الواقع ، لم يستجيبوا لنداءات عبد القادر .

---

(8) F.O.. 3/43 ؛ رسالة من الامير عبد القادر الى رئيس وزراء بريطانيا ، بتاريخ 28 صفر 1256 / 12 افريل 1840 .

(9) بنزرت ، مدينة ساحلية فى الشمال من البلاد التونسية .

(10) F.O. ، 3/43 : من رسالة عبد القادر الى رئيس وزراء بريطانيا انظر الشكل رقم 26 . ص . 200 – 201 .



الشكل رقم 25 ـ الامير عبد القادر .

D'Estailleur - Chanteraine ph, *Abdelkader*, p. 259, Paris, 1931.

الشكل رقم 26 ـ رسالة عبد القادر الى الحكومة الانقليزية .

F.O; 3/43

وجه قنصل بريطانيا بطنجة تقريرا الى رئيس الوزراء البريطاني ، اللورد بلمرستون (Lord PALMERSTON) بخصوص نكولا منوشي ، مبعوث الامير : « ان وصول الوكيل منوشي ، كان لغرض شراء الاسلحة التي سمح سلطان المغرب بمرورها الى الجزائر ، لايصالها الى الامير » (11) .

اما بلمرستون ، فانه لا يستطيع ان يستجيب لمطالب الامير ، وان يقبل عروضه ، ذلك أن المسألة الشرقية كانت تعيق كل مسعى سياسي لفائدة الاميـر .

كانت فرنسا معجبة ومفتخرة بانتصارات محمد علي ، وقد عبرت على عطفها له ؛ كما ان علاقاتها مع مصر كانت مثالية بآعتبار مصر اجمل مستعمرات فرنسا (12) .

ان انقلترا التي كانت قلقة على سلامة الطرق البحرية والمواصلات مع الهند ، والتي اصبحت مهددة ، قد اتخذت موقفا بريطانيا من ذلك ، باثارتها شعور الاغتياظ والنقمة في اوروبا ضد فرنسا ونجحت اثر ذلك في عقد معاهدة لندن بتاريخ 15 جويلية 1840 مع النمسا وبروسيا وروسيا والباب العالي ؛ اما فرنسا فقد استثنت من المشاركة .

اعلن المرشال سولت (SOULT) ، واصفا تلك المعاهدة : « انها معاهدة شومون الجديدة (13) « Ce fut un nouveau traité de Chaumont » . أما الشاعر والسياسي لامرتين (LAMARTINE) فوصف المعاهدة : « بانها واترلو السياسية » . لقد كان الانفعال شديدا في صفوف الشعب الفرنسي ، الذي اظهر عدائه للانقليز وحلفائهم . اما الحكومة الفرنسية فقد شرعت جاهدة في تهيئة نفسها للحرب (14) .

---

(11) F.O. : 3/43 .

(12) DRIAULT, Edouard, **La question d'Orient**
ص . 44 ، الطبعة الثامنة ، باريس ، 1921 .

(13) هي المعاهدة التي عقدتها النمسا وانقلترا وبروسيا وروسيا بتاريخ 1 مارس 1814 والتي كانت تنص على محاربة فرنسا وارجاعها الى حدود ما قبل 1792 .

(14) TESTA, Le Baron De, **Recueil des traités de la Porte Ottomane**
ج. 3، ص. 5، باريس ، 1866 .

وخلال هاته الازمة الفرنسية الانقليزية ، كان على اللورد بلمرستون ان يرد على رسالة عبد القادر • كان بلمرستون اذن مصمما على رفض طلبات الامير ، اما في حالة قبوله ، فان واجهة جديدة ستفتح امامه ، وتكون الحرب محققة بين الدولتين •

وعليه كتب اللورد بلمرستون الى قنصله بجبل طارق بتاريخ 6 اكتوبر 1840 ، طالبا منه ان يبعث بمحتوى رسالته الى مبعوث الامير عبد القادر وجاء في رده : « ان الحكومة البريطانية تشكر الامير عبد القادر عرضه عليها ميناء بالتراب الجزائري؛ان جلالة ملكة بريطانيا لا ترغب الحصول على ممتلكات على ساحل البحر الابيض المتوسط لافريقيا ، كما ان الحكومة البريطانية لا تعتقد ان توسطها بين فرنسا وعبد القادر سيؤدي الى نتيجة هامة ؛ هذا مع ملاحظة ان الحكومة البريطانية سوف لا تنحاز الآن الى احد الشقين المتنازعين » (15) •

كان لهذا الرد على الامير الاثر السيء •

بقي للامير محاولة جلب انتباه السلطان عبد المجيد ، فعساه ينجح في ذلك !



اما عن علاقة الامير بالباب العالي ، فيبدو ان معلوماتنا قد نمت ، بفضل عثورنا بارشيف رئاسة الوزراء باستنبول ، على عدة رسائل مخطوطة ، لم تنشر بعد • وقد مكننا هذا من طرق الموضوع والذي لم يسبقنا أحد الى درسه •

فبتاريخ 24 اكتوبر 1840 وجه الامير رسالة الى الباب العالي ، غير اننا لم نعثر الا على موجز لتلك الرسالة باللغة التركية • وفي هاته الرسالة كان عبد القادر يدافع عن نفسه ضد مآخذ الحاج احمد باي : « لم اكن متفقا مع الفرنسيين ، اذ لم يقع ذلك البتة ؛ وحسب مبادىء الاسلام ، يسمح استعمال الحيلة والمداهنة مع العدو ؛ وهذا ما قمت به تجاه الفرنسيين » (16)•

والذي يهمنا هنا ملاحظته ، هو الدور الذي لعبه حمدان بن عثمان خوجة الجزائري وحسونة الدغيس الطرابلسي في العاصمة العثمانية •

---

(15) F.O. 3/43 .

(16) B.A. ؛ ارادة ، خارجية 386 ملف ، رقم 1 .

فحمدان يعتبر الشخصية الهامة التى لعبت دورا فى باريس واستنبول من اجل القضية الجزائرية ، وقد عد فى نظر السلطات العثمانية ، الشخصية القادرة على فهم وتحليل سلوك المغاربة وبالاخص احداث الجزائر ايام الحاج احمد باى والامير عبد القادر ٠

كان حمدان يشارك فى اجتماعات الصدر الاعظم الخاصة بمشاكل الساعة فى الولايات المغربية العثمانية ؛ وكان يدلى برأيه وتحليله بحضور الوزراء جميعا ، والذين كانوا يستمعون اليه بانتباه وينفذون ما ينصحهم به ٠

كان حمدان هو الذى يقوم بترجمة الرسائل الوافدة من المغرب من العربية الى التركية ، ويحرر الجواب عنها بالعربية اذا اقتضى وطلب منه ذلك ٠

اما حسونة الدغيس ، فهو الآخر يدرك عقلية هاته الشعوب ٠ لقد كان وزيرا ليوسف باشا قرمانلى ثم التجأ الى باريس ولندن وهناك لعب دورا متكاملا مع حمدان بالنسبة للقضية الجزائرية ٠ ولدى رجوعه الى استنبول ، قدم للسلطات العثمانية تقارير ليقنعها بالطرق المجدية لاسترجاع الجزائر (17) ٠



ولنا ان نتساءل من الذى دفع الامير عبد القادر على الاتصال بالباب العالى ؟

ان هاته الفكرة قد اوحت له ، من طرف حمدان خوجة ، هذا المقاوم العجوز الذى لا يعرف الكلل الى نفسه سبيلا ، والذى ما فتىء يثير شعور المسلمين للدفاع عن الجزائر ٠ لقد كتب حمدان الى الحاج احمد باى قسنطينة : « انكم مجبولون على الغيرة الدينية والحمية الاسلامية ، والشجاعة الذاتية ؛ وينبغى ان لا تخلو تلك النواحى عمن هو مثلكم فى القوة الدينية ونفوذ الكلمة مع النجدة والشجاعة الكاملة ٠٠٠ » (18) كما كتب الى الامير عبد القادر طالبا ربط علاقاته بالسلطان والشعوب الاسلامية ٠

يعتبر حمدان الجيش المغربى اكثر تفوقا وشهرة من جيش سوريا ومصر ٠ فلماذا لا يجتمع الحاج احمد وعبد القادر ويشكلان جبهة واحدة امام العدو ؟

---

(17) B.A.؛ 52500 H H راجع الوثائق رقم 5 و 6 و 7 ص ٠ 320 ـ 323 ٠

(18) B.A. ؛ ارادة ، خارجية 227 . ملف رقم 2 ؛ راجع الوثيقة رقم 3 المنشورة اثر هاته الدراسة ص ٠ 217 ـ 218 ٠

هذا ما كان يردده حمدان على الحاج احمد ولعل حمدان قد صرح به أيضا للامير ٠

وقد رد الامير على رسالة حمدان بانه لم يقم باى اتصال مع العثمانيين خشية عدم الرد عليه ٠ اما الآن فان فكرة الاتصال بالباب العالى قد اقترحت عليه من طرف صديقه حمدان بن عثمان خوجة الذى يرغب منه جمع كلمة المسلمين ، وقد رد عليه عبد القادر : « اعتمدنا اشارتك بهذا الرأى الرشيد واستعطفنا سيدناومولانا ٠٠٠ » (19) ٠



ان افاقا جديدة فتحت امام الامير ، سيطلب عبد القادر الاعانة وسيشرح الوضعية على حضرة السلطان، وكيف ان المسلمين يحاربون منذ عشر سنوات فرنسا ، التى قررت اخيرا استعمار البلاد وضمه اليها عندما عينت لهاته المهمة الوالى بوجو (BUGEAUD) ٠

وعليه كلف الامير عبد القادر بتاريخ شهر ديسمبر 1841 العقيد سكوت (Colonel SCOTT) بالتوجه الى لندن، لتقديم اربع رسائل الى الوزارة الخارجية البريطانية ، ولتقوم هاته الاخيرة على ايصالها الى السلطات العثمانية ٠ ثم ان العقيد قد كلف ايضا بالاتصال بالمسؤولين الانقليز وسفير فرنسا بلندن سانت اولار (St AULAIRE) ٠

وقد تقابل سكوت مع السفير الفرنسى باعتباره ممثلا للامير عبد القادر وله كل الصلاحيات لايجاد حل سلمى ، ولعقد معاهدة مع الفرنسيين ٠ وقد وصل العقيد الى لندن بدل باريس ، لاعتقاد عبد القادر ، ان الدول الكبرى قد اتفقت على مطالبة الجزائر من فرنسا ، وارجاعها الى حضيرة الباب العالى ٠ واذا كانت الدولة الفرنسية ترغب فى عقد الصلح ، فان العقيد سكوت مستعد للتوجه حالا الى باريس لاتمام ذلك ٠

وقبل ان يغادر العقيد السفير الفرنسى ، ترك له رسالة تتضمن عشرة بنود ، لاحتمال عقد الصلح (20) ؛ غير ان فرنسا التى تبنت سياسة جديدة

---

(19) لم نعثر على رسالة حمدان الموجهة الى الامير عبد القادر ، اما رسالة هذا الاخير الى حمدان فهى الوثيقة رقم 7 المنشورة اثر هاته الدراسة . ص . 229 .

(20) A.E. ، ملف 659 ، المراسلات السياسية مع انقلترا ، ص. 93 - 94 ، من رسالة سفير فرنسا سانت اولار الى وزير خارجيته قيزو (Guizot) بتاريخ 24 فيفرى 1842 .

تجاه الجزائر ، لم تكلف نفسها للرد على اقتراحات عبد القادر المسلمية •

اما اقتراحات هذا الاخير بالنسبة للانقليز ، فقد وجه اليهم رسالة ملتمسا منهم عقد اتفاقية بين البلدين ، ثم طالبا منه توجيه رسائله الاربع الى الباب العالى : « بلغنا على لسان الكوازيط ان كبراء الانقليز اشفقوا من حالنا ، وناولوا الكلام فى شاننا وقالوا ان الفرنصيص ظلم العرب واضربهم ، ولا بد ان نتكلموا فى امرهم ••••• وكما علمنا محبتكم وانكم تذكروننا بخير ، نحب منكم ان تعملوا فينا مزية كبيرة ، وذلك ان لنا مكاتب الى اسطنبول وليس لنا طريق اليها من غيركم ، فنحب ان تبعثوها على ايديكم الى السلطان عبد المجيد واخرى الى الوزير الاعظم واخرى الىقبطان باشا واخرى الىصاحبنا كاتب رشيد باشا فى اسطنبول ، ونحب منكم ان تحرصوا على رد الجواب من عندهم » (21) •

ان انقلترا لا تستطيع ان تستجيب لاقتراحات الامير، بل على العكس من ذلك تصنعت جهلها ؛ غير انها لا تخفى ارتياحها لتعدد مشاكل فرنسا بافريقيا الشمالية •

اما موقفها تجاه الامير عبد القادر ، فلم يتغير ؛ فهى لا تستطيع ان تزج بنفسها فى معركة سياسية مع فرنسا بخصوص الجزائر ، غير انها قررت ان تعمل على الحد من نفوذ فرنسا فى شمال افريقيا وبالخصوص على تونس •

اما الرسائل الاربع التى توجه بها الامير الى انقلترا لتوصلها الى الباب العالى ، فان وزير خارجية بريطانيا اللورد ابيردن (Lord ABERDEEN) قد سلمها الى محمد فؤاد القائم بالسفارة العثمانية بلندن فى اوائل سنة 1842 •

سنعمد الآن الى عرض اهم اراء الامير التى كانت تسير سياسته • ففى رسالته الطويلة نعت عبد القادر السلطان عبد المجيد ، بانه خليفة وحامى المسلمين والذى عليه يتوقف نجاح مستقبلهم •

لقد عرض فى رسالته تلك ، صورة مفصلة عن الاحداث التى كانت الجزائر مسرحا لها من سنة 1832 حتى 1840 : « ان جيش الكافر المقابل لنا يناهز المائة (كذا) الف ، بسلاح تام وصواعق ومدافع تصير الواحد ضعيفا ، وانه اذا جمع قوته وقصد بعض المواضع ، فلا نقدر ان نرده ، اذ ليست لنا قوة

---

(21) F.O. ، 3/44 ، راجع الوثيقة رقم 4 المنشورة أثر هاته الدراسة ، ص . 219 ـ 220 .

بارود ولا سلاح ولا مدافع ... وما وصل حيث وصل بشجاعة جيشه وجلده ولاكن (كذا) بكثرة عدده وعدته ... » (22) .

لقد عبر الامير عن اسفه لمواقف الزعماء المسلمين الذين رفضوا لـه كـل مساعدة لاستمرار جهاده ضد الفـرنسيين : « اسلمنـا اخـواننا المسلمـون وتركونا اسارى في يد العدو فهم لنا ظالمون ، وتبرأ منا من كان قريبا لنا من الملوك ، ومنعونا شراء ما نتقوى به على الكافر خوفا منه .... طلبنا منهـم الاعانة بالرجال فلم يقبلوا ، واستعناهم بالاموال فلم يفعلـوا ، وطلبنـا منه السلف ، فكان عين المحال ، ومنعوا رعاياهم من اعانتنا بكل وجه وحال ، فما نفعنا قريب ولا مجاورة ولا دافع عنا سيف ولا محاور ، كأن المسلمين ليسوا بجسد واحد ..... والمسلون بهذا القطر لا ينظـرون من غيـرك افـراج ، ولا لهم ملجأ يلجئون اليه غير حصنك العالي الابـراج ، فابصـارهم لاعـانتك وامدادك طامعة ، وقلوبهم بمحبتك وذكرك طافحة ؛ فان قيل مال ، عندك المال وافر ؛ وان قيل جيش ، عندك العسكر البحر ...... » (23) .

لقد أتت على عبد القادر الخطوب ، فاخذت منه مأخذا عظيما . حاول الحصول على المساندة باى ثمن ، ملتمسا ذلك من كل الزعماء ، ولكن لم يرد عليه احد بالايجاب ، وحتى سلطان المغرب فانه تحت تأثير فرنسا ، لم يستجب لنداءات الاميـر .

انه المازق الذى تردى فيه الامير ؛ فعلى الصعيد الحربى كان يرى ان مساندة خارجية تكاد تكون حتمية لنجاحه ، ولم يبق له اذن غير الباب العالى بامكانياته العسكرية والاقتصادية الضخمة. غير ان الامير الذى كان يجهل ضعف الدولة العلية وعسر مشاكلها على كل المستويات،وسياستها السلبية تجاه الحاج احمد باى ، كان يرى فى السلطان ، السلطة العليا التى يمكن ان تشد ازره ، وتمنحه الاعانة الضرورية لمواصلة الجهاد .

اما رسالة الامير الى الصدر الاعظم ، والتى تحمل نفس تاريـخ الـرسالة الاولى ، فقد عكست قلقه وضيقه ، مشيرا الى ضعـف المسلمين والتضحيـات الجسيمة التى تكبدوها ، كما وان الباب العالى المسؤول عن حياتهم وبلادهم ، لم يحرك ساكنا ولم يقدم لهم المساعدة .

---

(22) .B.A ، ارادة ، خارجية رقم 820 ، لف رقم 2 ، راجع الوثيقة رقم 5،المنشورة أثر هاته الدراسـة ، ص . 221 ـ 226 .

(23) المصـدر نفسـه .

لقد طلب الامير من حمدان خوجة ان يشرح على السلطان كل معطيات الوضعية ، وان يحثه على تقديم الاعانة لهم ·

كما ان هناك رسائل اخرى مكتوبة بالرموز ، قد وجهت الى الباب العالى ، وتتضمن نفس المحتوى (24) ·

ان موقف الباب العالى السلبى كما حللناه سابقا ، لم يطرأ عليه تغيير · لقد وجد الباب العالى نفسه امام حدث جديد وهام : ان مساعدة عبد القادر ستلاقى كثيرا من العراقيل على الصعيد السياسي والعملى ·

ان الباب العالى ما زال يتذكر خيبته الكاملة عندما لم يتمكن من مساعدة الحاج احمد ، الذى اظهر اخلاصا وصدقا وتعلقا بالدولة العلية اكثر من الامير· وبالرغم من المساعى السياسية للوصول الى حل ، فان الباب العالى لا يستطيع القيام باى شى · ذلك ان سياسته تجاه حلفائه للحفاظ على وحدة الامبراطورية العثمانية والدفاع عن مصالحه ، ثم ضعفه الذى بدا جليا عندما هدد محمد على والى مصر ، قلب الامبراطورية العثمانية ، ثم احتضار هاته الاخيرة والذى اصبح ملموسا ، كل هاته العوامل قد ادته الى اتخاذ موقف مرن تجاه قضية الجزائر ، وقبوله الامر الواقع ، ولم يبق للباب العالى بعد ذلك الا بعض المحاولات السياسية ، مؤملا ان يصحب ذلك ، نجاح بفضل مقاومة الاهالى ضد المحتل ·

وطبقا لهذا المبدإ شجع الباب العالى الامير على مواصلة الجهاد ·

وعليه اتصل الصدر الاعظم بوزرائه بحضور حمدان بن عثمان خوجة الجزائرى الذى ترجم رسائل عبد القادر ، وأعلم مجلس الوزراء بوضعية الجزائر العامة · وقد ذكر مجلس الوزراء فى تقريره المرفوع الى السلطان ، أحداث الجزائر وموقف عبد القادر من الاتراك والباب العالى ، ذلك الموقف الذى ما زال عالقا بالاذهان ثم اعتراف الامير من ان السلطان خليفة المسلمين ثم استنجاده للدفاع عن البلاد ·

اكتفى الباب العالى ساعتئذ ، بالاتفاق مع السلطان ، أن طلب من حمدان خوجة تحرير رسالة الى عبد القادر ، راجين منه مواصلة الكفاح ضد الفرنسيين ، وان لا يعقد اى معاهدة مع اعداء الدين ، وان يحث المسلمين على الجهاد الذى هو واجب مقدس على كل مسلم (26) ·

---

(24) .B.A؛ ارادة ، خارجية 533 لف رقم 1 .

(25) .B.A؛ ارادة ، خارجية 533 ، لف رقم 7 ، راجع الوثيقة رقم 8 المنشورة أثر هاته الدراسة ؛ ص. 230.

اما الاعانة التى التمسها عبد القادر ، فانه قبل كل شيء ، يجب ان ننتظر نتيجة المساعى السياسية ، والتى يمكن ان تؤدى الى حل ما ٠

لقد طلب الباب العالى من عبد القادر ان يوجه رسائله محررة بالرموز ، اذ ذلك اسلم ٠

كما استلم حمدان خوجة الامر بالكتابة الى الحاج احمد باى قسنطينة لرفع معنوياته ، ومنحه الامل ، كما وطلب من حمدان أن يرد على رسالة مبعوث سلطان المغرب فقيه بن يوسف ، والتعبير للشريف سلطان المغرب ، ارتياح السلطان العثمانى للعلاقات الطيبة التى يتمتع به البلدان وحث سلطان المغرب على تقديم المساعدة الضرورية لعبد القادر ٠

ان هذا الموقف مستوحى من السياسة العامة لقادة الباب العالى ؛ فهم لا يستطيعون التصرف بنجاعة ضد فرنسا ، ذلك ان الوضعية الداخلية والخارجية للامبراطورية العثمانية قد شغلت رجال الدولة ، ثم مشاكل التنظيمات وتجديد هياكل الدولة واعادة بناء الاسطول والمصاعب التى يلقاها هؤلاء المسؤولون مع الدول الاوروبية ، كل هاته العوامل قد اضعفت موقفه السياسى ٠

لقد اكتفى الباب العالى باثارة مشكل الجزائر على الصعيد الدولى ، مبينا حقه فى تلك الولاية عساه أن يعثر على علاج لهذا المشكل ؛ غير ان الباب العالى لم يجرؤ على ايجاد حل حاسم ونهائى كما قام بذلك تجاه طرابلس الغرب سنة 1835 ، عندما اسقط اسرة القرمانليين وربط الولاية بالمركز مباشرة حتى احتلالها من طرف القوات الايطالية فى مطلع هذا القرن ٠

***

ان الحاج احمد وعبد القادر وبقية الزعماء المسلمين ، يرون فى السلطان العثمانى السلطة الدينية العليا ؛ فمن القرآن والسنة كان يجب على قادة المسلمين ان يستوحوا سلوكهم ومواقفهم تجاه رعاياهم ، ويصبح اهمالهم من الامور التى لا تغتفر ، ذلك ان المسلم هو اخ المسلم ٠

ان الحاج احمد باى والامير عبد القادر كانا يجهلان كل العوامل الخارجية والداخلية التى تؤثر على سياسة الرجل المريض ، كما أنهما لم يدركا سبب رفض الباب العالى تقديم المساعدة المطلوبة منه ٠ لقد كانا يشعران بالغبطة والارتياح لدى استلامهما رسالة بسيطة او مجرد تحية شفوية من السلطان ، لتحثهما على المقاومة وتجعل حركتهما ذا جدوى وفاعلية ٠

تلك هى دراسة سريعة لعلاقات عبد القادر بالباب العالى وانقلترا ، والتى حاولنا رسم بعض خطوطها · نأمل ان تكشف لنا بقية دور الارشيف الاجنبية والتركية عناصر جديدة لتاريخ الجزائر خلال الحكم التركى والفرنسي ، هـذا التاريخ الذى ما زلنا نحتاج الى معرفته ، عن قرب وبعمق ·

اكس أون بروفنس (فرنسا)
15 ماى 1969

قســـم الـوثـــائـق :

- رسائل مخطوطة لعبد القادر إلى الباب العالى وانقلترا •

- رسالة حمدان خوجة الى أحمد باى قسنطينة •

- رسالة من الباب العالى الى عبد القادر •

الوثيقة رقم 1

الحمد لله وحده (1)　　　　صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله

من أمير المؤمنين سلطان النواحي الجزائرية والوهرانية والتلمسانية الى طاعة افريقية ، مولانا السيد الحاج عبد القادر بن مولانا السيد الحاج محى الدين نصره الله ، آمين ، الى قونصو (كذا) الانكليز ، القاطن بتيطوان (كذا) ، السلام على من اتبع الحق ورحمة الله ، وبعد :

فلا يخفى عليك اننا كنا تعاقدنا مع جنس الفرنصيص عقدا وثيقا ، وتعاهدنا فى الصلح والمهادنة على شروط منا ومنهم ؛ ووفينا لهم بجميع ما اشترطوه من مسواقهم (كذا) ، وبقينا على تمام الكلمة نحوا من سنة ثم ابتدوا (كذا) التخليط والتبليس (كذا) والخدعة ، فخادعونا مرارا ، بنقض الميثاق . ولم تختلف كلمتنا معهم فى شىء ؛ الى ان ادى بهم عماهم وطغيانهم لجمع جيوشهم ، وقوة حروبهم وخرجوا كفرنا (2) (كذا) غير مظهرين الشر ، ووكيلنا عندهم ، وقونصهم (كذا) عندنا ، وجيوشنا متفرقة ، بحيث شرع فى نهب الحب . وعلمنا منه قصد الشر ، خرجنا للغاية بما حضر من جنودنا ، ولاقيناه فنصرنا الله عليه . وصار به ما بلغك من الخذلان والذل والقتل ، لما أتى به من الغدر والمخادعة . ولان (كذا) سمعنا ان جنسكم من بيوت الملوك وان كلمة ريكم (3) وافية ، وانه لا غدر فيه ولا خداع بعد العقد والميثاق .

فبعثنا لكم مكتوبا ترسله له صحبة مكتوبك ، ولما (كذا) يأتيك الجواب تبعثه لنا ومضمن (كذا) ما فى المكتوب انكم اذا اردتم المزية الظاهرة التى تفوزون بها على كل الجنوس ، وتمتازون بها عن غيركم ، تلاقوننا فى أى مرسى تريدونها (كذا) من مراسى الجزائر ، الى طاعة مولانا امير المؤمنين ،

---

(1) F.O. ، 52/40 : نسخة من رسالة عبد القادر الى قنصل انقلترا بطنجة .

(2) يبدو أنها من الكلمة الفرنسية (Gouverneur) أى الوالى الفرنسى الذى يدير البلاد .

(3) هى الكلمة الفرنسية (Roi) أى ملككم .

عبد الرحمان نصره الله • ونلتزم لكم من جانب البر افضل ما التزمنا قبل الفرنصيص • وننزلكم فی منزلة اعلا (كذا) من منـزلهم (كذا) ، لكـونهم خادعين • وانتم لم تبلغنا عنكم خدعة ولا شك انكم لو اردتم منا هذا ، يحصل من الالفة والمودة بيننا وبينكم ما يسركم ويقويكم ويرفعكم على ساير (كذا) الاجناس • وها هو صاحبنا رجل كيس ، فاضل ، ذو سياسة وعقل ، يصلك بمكتوبين ، فاستوصى به ، وجد له (كذا) فی قضاء ما يريده من مصالحنا ، وتكون لك حرمة كبيرة بسبب معرفتك معنا ، وتعزم بالبحث على رد الجواب من عندك ومن عند الرى •

29 جمادى الاولى 1251 (4) بامر مولانا امير المؤمنين نصر الله امين •

(4) 22 سبتمبـــر 1835 .

الوثيقة رقم 2

الحمد لله وحده (1)　　　صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله

من أمير المؤمنين بالنواحي الوهرانية والجزائرية وما والاها الى طاعة تونس مولانا السيد عبد القادر بن مولانا السيد الحاج محي الدين ، نصره الله ، آمين ، الى عظيم الجيوش الانجليزية ، ريهم الاكبر ، ورئيس ملوكهم الافخر ، السلام على من اتبع رضى الحق ، وبعد :

فاننا كنا تعاقدنا مع كبير الفرنصيص على الصلح والمهادنة (2) ، وتعاهدنا بمواثيق على شرط اشترطناها وقبلوها ، وامور اشترطوها فقبلناها . وحصلت (كذا) امن الطرق والاسواق بيننا وبينهم ، حتى صار الواحد منهم يمشي في طاعتنا بالليل والنهار ولا يخشى باسا وتآلفنا في قضاء المصالح منا ومنهم ، وبقينا على ذلك مدة من عام . ثم شرعوا في الخداع والغدر ونقض العهود مرة بعد مرة . ونحن واقفون عند الكلمة ، ما قدرنا نجتازها ، ولا نخلف عقودنا ، الى ان جمعوا جيوشهم وقوة حربهم وقونصهم (كذا) (3) عندنا ، ووكيلنا عندهم . وجيوشنا متفرقة . فقطع من بلادنا ثلاثة مراحل ، ولاقيناه بما حضر من الجيوش ، فنصرنا الله عليه وكان امره ما بلغكم .

واليوم تحققنا من اخبار الذين خالطوكم ، انكم اهل ميثاق وكلمة وافية ، وانكم من بيوت الملوك ، فان اردتم المصلحة العامة وتكون لكم المودة زيادة على الفرنصيص ، نتفق معكم على التسوق في اى مرسى اردتم ، من مراسى الجزائر ، الى طاعة مولانا امير المؤمنين عبد الرحمان نصره الله . وانا ملتزمون لكم من جانب البر بما تريدون ، لانا لم نسمع عنكم خدعة . ونرجو ان تكون

---

(1) F.O. 52/40 : رسالة من عبد القادر الى الحكومة الانقليزية ، انظر الشكل رقم 27 ، ص . 216 – 217 .

(2) هي معاهدة ديمشال المعقودة بتاريخ 26 فيفرى 1834 .

(3) قنصلهم .

لك مزية فينا ، ورفعة على ساير (كذا) الجنوس . وترد الجواب لقونصك (5) (كذا) وهو يبعثه لنا .

29 جمادى الاولى 1251 (6)

خ‍تم الامير فى اعلى الرسالة دون امضائه

---

(5) اى القنصل .
(6) 22 سبتمبر 1835 .

الشكل رقم 27 ـ رسالة عبد القادر الى الحكومة الانقليزية .

F.O; 52/40.

الوثيقة رقم 3

الحمد لله (1)

المعروض على شريف معلوماتكم ، انه ورد خديمكم ووصل معه جملة ما كتبتم ، ومضمونها انه بحسب الوقت ومقتضى الحال ، تسلط الفرنسوية على تلك النواحى ، واستولى على اكثرها ، ففهمنا ذلك تفصيلا . ولاجل كتبتم عرضحالكم (كذا) الى حضرة خليفة الزمان ، مولانا السلطان أعز الله انصارنا ، تستعطفونه وتستمدونه وتطلبون اعانته اياكم او انه يمهد لكم امنية الطرق لمجيئكم الى هذه الناحية .

تعلم ايها السيد ، ان عرضحالكم قد ترجم ، وعرض على حضرة سلطنته الخاقانية ، وكلما ذكرتم صار فى عداد معلوماته الملوكية ، وهو ادام الله نصره وتأييده ، امام المسلمين وحامى بيضة الاسلام وعديم النظير والقرين ، وصاحب الشركة والسلطنة ومظهر المكارم والهيبة والاقتدار التام بحول الله وقوته ، وبمقتضى مكارم اخلاقه وعموم رحمته وشفقته واعتنائه بحماية أهل الاسلام حيثما كانوا ، لا سيما الايالات التى تحت حمايته السلطانية ، فلا يثنى عنهم عنان عنايته واعانته وبالخصوص حضرة جنابكم اعانكم الله ، حيث اظهرتهم الغيرة الدينية والصلابة الايمانية والشجاعة الجبلية ، وبذلتم جهدكم فى الجهاد والذب عن الاسلام والمسلمين ، فقد استوجبتم لذلك من سلطنته الخاقانية ، ما انتم اهل له ، من العناية والاعانة على وجه ممكن ان شاء الله .

لكن يبقى فى شريف علمكم ، انه بمقتضى معرفتكم لا امنية (2) (كذا) فى الطرق والمعابر بيننا وبينكم ، ويتعسر مجيئكم (كذا) الى ناحيتنا الا بعد تحصيل الامنية لكم ، فكيف يمكن والحالة هذه ، اعانتكم فى البر أم فى البحر؟

---

(1) .B.A؛ ارادة ، خارجية . 227 لف رقم 2 ، وهى مسودة الرسالة التى وجهها حمدان الى الحاج احمد باى قسنطينة باللغة العربية .

(2) لا امـــان .

واعانتكم ما هي ؟ وعلى اية طريق (كذا) يمكن وصولها اليكم ؟ فلا بد من بيان ذلك وشرحه ، حتى نتأمل (في الايصال اليكم على وفق مطلوبكم) (3) ان شاء الله تعالى ·

وقد كان الامر على ما حررتم ، والآن تحولت محبة عبد القادر للفرنسوية الى المخاصمة ، واتحاده الى الحرب والعداوة · فسلط عليهم صناديد العرب ، واوقعوا بهم وكسروا شوكة الكفار ، واوهنوا قوتهم ولله الحمد · فنرجو ان يوافق ذلك مقترحكم ، ويكون فيه لكم راحة بل غنيمة اذ يمكنكم والحالة هذه ، ان تسلطوا على الكفار بمن معكم من شجعان العرب،وان تقعدوا لهم كل مرصد، ونحن اخطرنا ذلك لكم والا فانتم بحمد الله مجبولون على الغيرة الدينية والحمية الاسلامية والشجاعة الذاتية ، فلن تفوتكم هذه الفرصة ان شاء الله تعالى ·

وبهذه الملاحظة يجب وينبغي ان لا تخلو تلك النواحي عمن هو مثلكم من القوة الايمانية ونفوذ الكلمة مع النجدة والشجاعة الكاملة وخصوصا في مثل هذا الوقت ؛ وعلى تقدير ان لا يمكن مكثكم بتلك النواحي ، فهل يمكن الاجتياز في ايالة تونس الى طرابلس ام لا ؟ فلا بد ان تعلمونا بجواب ذلك ، مع جواب ما استفسرناكم عنه اولا · وتبينوا لنا تفصيل احوالكم وما انتم عليه · وبهذا وجب تعريفكم ، فكتبنا لكم ولكم منا الدعا (كذا) الصالح والله الموفق ، لا رب سواه ·

والسلام ختام ، من مقبل ايديكم ، محبكم المعهود حمدان بن عثمان خوجة ·

منتصف ذى القعدة الحرام سنة 1255 (4)

---

(3) هاته الجملة التي بين قوسين مشطوبة في الاصل ، ذلك ان حمدان الذى اصبح يدرك صعوبة مساعدة الحاج احمد ، لم يجرؤ على ابقاء تلك الجملة ذات الاهمية البالغة .

(4) 19 فيفرى 1840 .

الوثيقة رقم 4

عن اذن مولانا (1) أمير المؤمنين ، سيدنا الحاج عبد القادر ، نصره الله امين ، الى الوزير الاعظم فى دولة الانكليز ، المدبر لامرهم ، المتصرف فى جميع ما يصلح بهم وباحوالهم ، جلت او قلت ، المنسطر (2) الكبير بالدولة المذكورة، السلام على من اتبع الهدى ، اما بعد :

فان الغرض الموجب لهذا الكتاب ، انك ذو راى سديد ، وعقل متسع مديد ، وايضا بلغنا على لسان الكوازيط (3) ان كبراء الانكليز اشفقوا من حالنا ونالوا الكلام فى شاننا ، وقالوا ، ان الفرانصيص ظلم العرب واضربهم . ولا بد ان نتكلموا (كذا) فى امرهم . وبلغنا ايضا انهم قالوا ، اذا احتاج الامير عبد القادر الى دراهم او سلاح او غير ذلك (كذا) نسلف له ونبيع له ، كل ما يحتاجه .

فلما تأملنا كلامكم هذا ، وجدناه كلام العقلا (كذا) المنصفين ، الذين يرضون الصلاح ولا يحبون الفساد . وسرنا ما قلتم كثر خيركم وشكر قولكم . واذا تممتم ربط المحبة بيننا ، لا يكون الا ما تحبون منا ، ولا علمنا محبتكم ، وانكم تذكروننا بخير . نحب منكم ان تعلموا فينا مزية كبيرة ، وذالك (كذا) ان لنا مكاتب (كذا) الى اصطنبول ، وليس لنا طريق اليها من غيركم . فنحب منكم ان تبعثوها على ايديكم الى السلطان عبد المجيد ، واخرى الى الوزير الاعظم ، واخرى الى قبطان باشا (4) واخرى الى صاحبنا كاتب رشيد

---

(1) F.O. 3/44 ، رسالة عبد القادر الى رئيس الوزراء البريطاني ، راجع الشكل رقم 28 ص . 225 — 224 .

(2) (Ministre) أي الوزير .

(3) الصحف .

(4) هو منصب وزير البحرية قبل عهد التنظيمات الاولى .

باشا (5) فى اصطنبول • ونحب منكم ان تحرصوا لنـا على رد الجـواب من عندهم ، فاننا عرفنا محبتكم ونصحكم • فلذالك (كذا) جعلناكم واسطة فى هذا الامر ، لاننا نقطعوا (كذا) ان مكاتبنا تصل على ايديكم الى اهلها ، ويأتينا جوابها مع (كذا) ايديكم ايضا ، لان ليس لنا طريق لا فى البحر ولا فى البر ، الا من عندكم • وكان مرادنا ان نبعث لكم هدية تنـاسب مقامكـم ، ولا زلنـا عازمين على بعثها ان شاء الله • لاكن (كذا) ليس لنا طريق نبعث لكم منها ؛ وتعمل مزية كبيرة اذا حرصت على الكنبانى (6) الذين اعطيناهم تنس (7) كما فى علمك ، يأتوننا بالعزم وينزلون بها ، لكان فيه خير كبير لنا ولكم •

واما السطان العصمالى (كذا) ، فنحن منه واليه ونحبكم انتـم تكونـوا واسطة بيننا وبينه ، وتجعلوه يكون معنـا ، ويعيننـا على الفرانصيص ، لان الارض له ، وله الكلام فيها • وانتم لكم الكلام معـه ، ومـع غيـره فى هـذا الشأن ، ونحب منكم الجواب والله الموفق •

فى 25 شوال 1257 (8)
فى اعلى الرسالة ختم الامير ، دون امضائه

---

(5) يقصد بذلك حمدان بن عثمان خوجة : ومن المعلوم أن مصطفى رشيد باشا قد ارتبط بعلاقـة طبية مع حمدان ، وقد شجع مصطفى رشيد ، حمدان على الالتحاق بمركز الدولـة العثمانيـة . وليس من المستبعد أن يحتل حمدان خوجة مكانه مرموقة من نفس مصطفى رشيد باشا ، الذى تولى المرار العديدة الصدارة العظمى ، وأن يصبح حمدان خوجة سكرتير رشيد باشا ، كمـا توحى به هاته الوثيقة : راجع :

BAYSON, Cavid, **Cezayir meselesi ve Resid Pasanin Paris Elçiligi**
(**المسالة الجزائرية وسفارة مصطفى رشيد باشا بباريس**) المنشورة فى :
المؤتمر التاريخى الثالث والمنعقد بانقرة ما بين 15 و 20 نوفمبر 1943 .
III Turk Tarih Kongresi, Ankara, 15-20 novembre 1943.

(6) (Compagnie) أى الشركـة .

(7) ميناء مدينة تنس فى الساحل الغربى من الجزائر .

(8) 10 ديسمبـر 1841 .

الوثيقة رقم 5

بسم الله الرحمان الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما (1)

من عبد ...... (2) ومقبل ترب اعتابكم المستعصف لرحماكم ، الراجى فضلكم وقضاكم ، خادم حضرتكم ، وخادم المجاهدين ، عبد القادر بن محى الدين ، منحه الله رضاه ثم رضى رسوله ثم رضاكم فى الدنيا ويوم الدين ، امين .

الى سلطان سلاطين الاسلام وحامى بيضة أمة محمد عليه الصلاة والسلام طود الملوك الشامخ ، وركنهم الثابت الراسخ ، وشمسهم التى تستمد منها كواكبهم ، والبحر المحيط التى لا تخوض لجه مراكبهم ، خير ملك قاد الجيوش ، ورتب العساكر ، واحكم سلطان اعترف بفضله الحسود والناكر ، عين اهل الايمان التى بها ابصارهم ، وكنزهم وملجاهم (كذا) الحصين ، الذى به انتصارهم ، شرف المنابر وفخر الطروس والمحابر ، ليث الحروب .... (2) الكروب ، فهو اذا ركب ، سيد الفرسان ، واذا جلس فذو سياسة اعيت ال ساسان ، الغيث الذى عم البسيطة منه فضل واحسان ، وكان امير الانام بمنزلة الانسان ، وغبن ان يسمى غيره الآن ، وليس على الله بمستنكر ان يجعل العالم فى واحد ، فلذا كان كعبة الملوك التى اليها حجها وامامها ومنهج نهجها ومحجها ؟... (2) ... من فرع ، جمع ما فى الاصل وزاد ، سيدنا وابن سيدنا الى الجد عثمان السلطان عبد المجيد خان ، اعانك الله على ما اولاك ، وكان لك وتولاك ونصرك على مر الدهور والازمان ، وسلام على سيدى ورحمة الله وبركاته . وبعد :

فالمرغوب اولا العفو عن خطانا (كذا) والاغضاء عن عورات وعثرات كتابنا ، فان ادنى الناس واقلهم لا يحسن بخطاب مثلك ولاكن

---

(1) B.A. ؛ ارادة خارجية رقم 820 لف رقم 2 ، رسالة من عبد القادر الى السلطان عبد الحميد ، آنظر الشكل رقم 29 ، ص . 224 ـ 225 .

(2) كلمات غير واضحة القراءة .

(كذا) الضرورة دعتنا الى ذالك (كذا) وجرانا على مخاطبتك ، ما علمنا من حلمك وعدلك وانا نهنؤك بالخلافة التى لا يلحقها بحول اللـه وقـوته كـدر الميمونة ٠٠٠٠٠ (2) على جميع الخلايق (كذا) من بشر وشجر ومدر٠ ونعزوك (كذا) فى الوالد (3) امير المؤمنين ، برء الله ضريحه واسكنـه من الجنـان فسيحه ، فالله يعظم لك الاجر ويلهمك الصبر ٠

ثم انا نخبر سيدنا ونقص عليه من اخبارنا ، وان كنا نعلم ان علمه محيط بما هو ابعد من انفارنا وذلك ان انينيشارية (4) الذين كانوا بالجزائر ، لما خرجوا عن طاعة امير المؤمنين والدك المرحوم عاقبهم الله بسوء فعلهم وسلط عليهم من لا يرحمهم العدو الكافر الغشوم ، فبدد شملهم واجتث اصلهم وملك القرى والمداين (كذا) ، واستولى على الاموال والذخائـر (كذا) والخـزاين (كذا) وسمت به همته ، اخزاه الله ، الى ملك جميع الايـالة ، واسترقـاق المسلمين تارة بالمكايد (كذا) والحيل ، وتارة بالقهر والاستطالة ؛ وحـال الكافر والبحر بين المسلمين وبين سلطانهم ، مع شدة حاجتهم الى من يقـوم بهم ، ويدافع عن حريمهم واولادهم واوطانهم ٠ فعند ذالك (كذا) استغاثت الناس بالسلطان الشريف ، سيدنا عبد الرحمان ، سلطان مراكش ٠ فبعث الى الوطن ابن عمه مع جيش كثير يمدهم بالمدد الغزير ، فمـا جعـل الله فيهم نفعا ، ولا جاهدوا ولا غنوا عن المسلمين دفعا ، وانقلبوا من حيث جاءوا ورجعوا من حيث فاءوا ٠

فوقع اذ ذاك الهرج بين المسلمين ، وكثر الخلاف وتقطعت السبل ، وظهر البغي والاعتساف ٠ وكان والدى واسلافنا شأنهم بث العلم لطلابه ، واطعام الطعام لابناء السبيل وفتح ابوابه مع الاشتغال بما يعنى ٠٠٠٠٠٠٠ (2) ٠٠٠ والتباعد من كل ما يغنى ٠

فلما راى والدى عموم المصيبة فى الدين ، واشتغـال المسلمين فيما يليهم عن قتال الكفار الملحدين ، بذل جهده فى اصلاح ذات البين ، ورفع الحيرة ، وشن الغارات على الكفار فى كل حين بمن وافقه واطاعه من المجاهدين ٠

فلما راى الكافر ذاك ، زاد فى قوته وشدته وتكالب على المسلمين القريبين من حصونه واحتاج الناس اذ ذاك الى من يضبط جهادهم ويقوم بجميع امورهم ويجمعهم ويجمع ما به قوام جهادهم ويتكلف سياسة خاصتهم و ٠٠٠٠٠ (2)

---

(3) حكم السلطان محمود من سنة 1807 الى 1839

(4) كلمة تركية Yenicheri ، وهم الجنود الاتراك الذى وفودوا على الولايات المغربية وشكلوا بذلك وحدات الجيش البرى والبحرى خلال وجود الاتراك بهاته البلدان الثلاثة .

فاجتمعوا (كذ) اعيان الوطن وطلبوا ذالك (كذا) من الوالد • فنفر منهم نفير البعير الشارد ، مع ما كان فيه من الرحمة على المسلمين والاشفاق ، لانه كان اورع اهل الوقت على الاطلاق • فطلبوا منه تعيين بعض اولاده لذلك ، فأشار الى ، لما سبق لى من الشقاوة فى أم الكتاب هنالك فامتثلت امره وان كان امرا ، اذ لم اعص له مدة عمرى امرا • وشمرت على ساعد الجد والاجتهاد ، وبذلت للمسلمين نصحى فى جمع الكلمة والجهاد وصيرت من وجهتى، وجهتين ؛ فتارة بجمع الكلمة وردع البغاوة ، واونة للدفع (كذا) عن المسلمين وقمع الكفار العتات (كذا) • ودفع الله عن الاسلام بذلك من الشر بعضه ، وشيد من اركان الدين ما كان الكافر يحاول نقضه ، وضيقنا على الكافر المجالات ، وصاروا لا يأمنون فى جميع الحالات •

ولما رأى الكافر منا تلك القوة والحدة ، احتال فى حل عزائمنا ، بطلب الصلح مدة ، فاجبناه لذلك على شروط (5) ، علو الاسلام فيها ظاهر مضبوط، فتحملها لظنه ان الصلح يحل من المسلمين العزايم (كذا) ، ويميلون الى ترك الجهاد والراحة على الدايم (كذا) ، فبقى فى الصلح نحو من سنة ، ثم غدر وخرج للحرب (6) والمسلمين على حين غفلة وسنة فبادر للغاية من قرب من المسلمين بعد ما سار الى أم العساكر من وهران مرحلتين ، فهزمه الله هزيمة شنعاء ، كانما ارسلت عليهم ريح عاتية فترا (كذا) القوم فيها صرعى • والجأهم المسلمون الى البحر فرموا بانفسهم فيه ، وما نجا من ذالك (كذا) الجيش مقدار عشره ، ولا ارجعوا من سلاحهم الا شيئا تفيه (كذا) •

ثم بقوا نصف سنة وجمعوا قوتهم واستجدوا عدتهم ، وقصدوا أم العساكر • فوصلوها بعد حروب لم تبق منهم شجاعا ولا ماكر (كذا) ، فباتوا بها ليلتين وانقلبوا خاسئين • ثم ذهبوا الى تلمسان باتفاق الينشرى (كذا) ، الذين بها ، وما من مدينة من مدن الاسلام دخلها الكفار ، الا كان الينشارى (كذا) ، هم دعاتهم اليهم ومرسليها (كذا) •

ولما فات المسلمين (كذا) قتال الكفار فى الذهاب ، اجتمعنا وقاتلناهم فى الاياب قتالا متعددة ، بقيت الكفار والمسلمين كانهم خشب مسندة • ثم رجع الى وهران وترك بعض عسكره مع الينشارى (كذا) الذين بتلمسان، فأقاموا بها سنة ونصف فى ضيق الحصار والهوان ؛ وخرج الكافر ليبلغهم

---

(5) هى معاهدة دى ميشال المعقودة بتاريخ 26 فيفرى 1834 .

(6) هى معركة المجتا التى منى بها الجيش الفرنسى بهزيمة نكراء بتاريخ 12 جوان 1835 .

الزاد ، فتلقاه المسلمون وردوه بالهزم والنكاد • وبقي محصروا على شاطىء البحر شهرين ، ما درج ، والمسلمون كل يوم يقاتلـونه حتى جاءه المدد من سيده ، فخرج •

ولما رءا (كذا) عدو الله ما بلغه من المشقة وما لحقهم من الحصار والقتال مع بعد الشقة ، طلب الصلح من المسلمين على مال يدفعه للمجاهدين (7) فاجبناه رجاء ان نستريح لمثلها ، ونستعد بالسلاح والكراع لنيلها (؟) ، وقد جعل الله في ذلك للمسلمين صلاحا ولامور الدين نجاحا •

واجتمعت كلمات المسلمين من حدود طاعة الشرفا (كذا) الى حدود تونس وانتفا (كذا) منها كل شر ، ولم يبق الا ما يسر ويونس (كـذا) ، تسير المرأة وحدها مسيرة شهر ، لا تخاف الا الله ولا تخشى من احد نكر (كذا) •

ولما اخذ الكافر قسنطينة من يد الباى احمد ، ولم يبق فى مقابلته من ذلك الوطن احد ، وقع النزاع بيننا وبين الكافر على تلك الايالة • فالكافر يحتج بمأخذها من يد غيرنا ، وانه افنى عليها امواله ورجاله •

ونحن نقول ، المسلمون جسد واحد ، فاترك امرهم الينا •

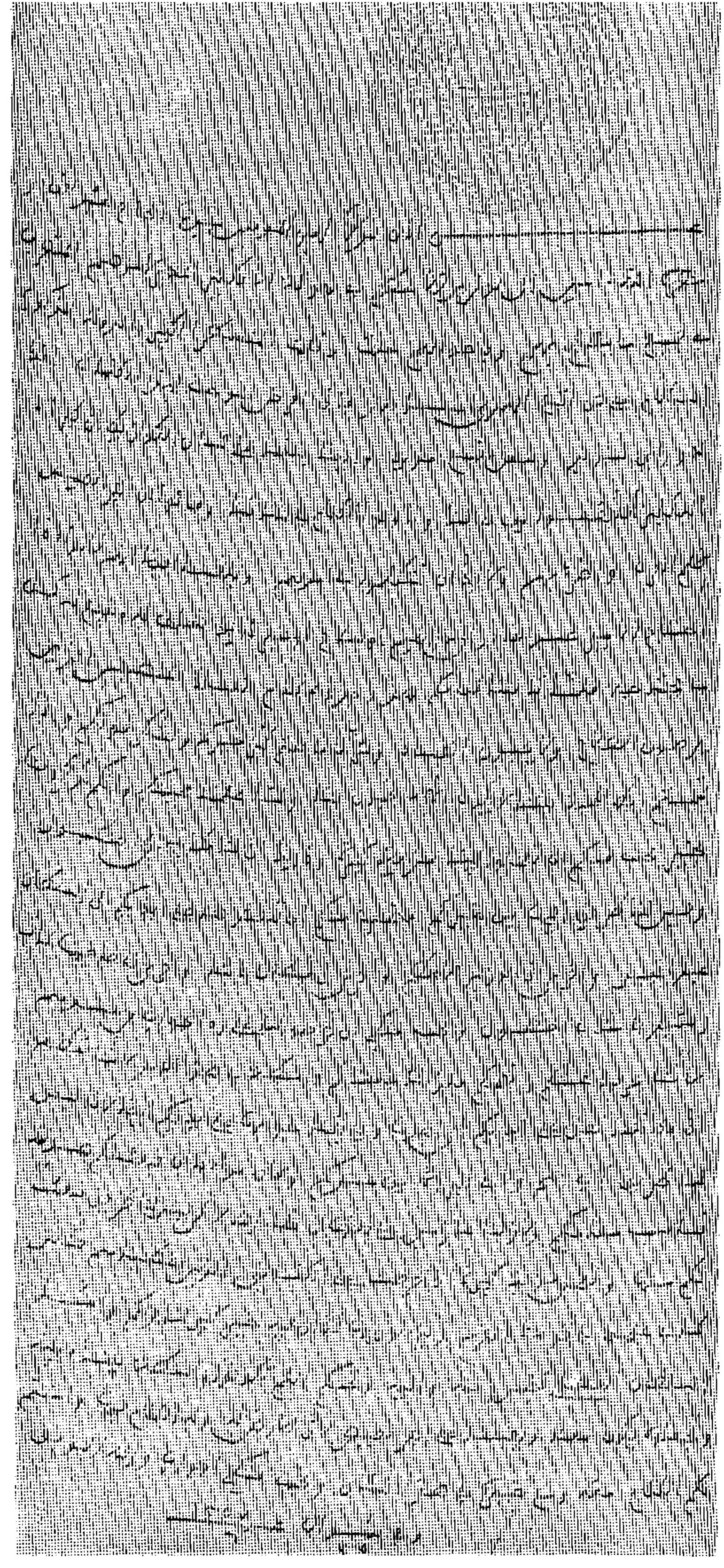
فانتقض الصلح بيننا ، واشتعلت نار الحرب ، ومنذ سنتـان (كذا) لم ينقطع بيننا طعن ولا ضرب وانه فى هذه المدة ، خرج الى المدية ، فوصلها بعد احوال سيئة وطوالع رديئة ؛ جعل ستة وعشرين يوما فى مسيرة ساعات ، وامتلأت الارض من قتلى الفريقين ، بترادف الحملات ، وعجز الناس عن دفن القتلى ••••••• (2) بهم الارض ، فهى آية تسطر وتتلى ؛ وكل مدينة قصدها وقع عليها مثل هذا واكثر ، وانا اخبرناك بالاجمال ، ولـو فصلنـا لكان فى الاستغراب اكبر •

وان جيش الكافر المقابل لنايناهز المـاية (كذا) الف ، سلاح تام وصواعق ومدافع ، تصير الواحد ضعيفا ، وانه اذا جمع قوته وقصد بعض المواضع ، فلا نقدر ان نرده ، اذ ليس لنا قوة بارود ولا سلاح ، ولا مدافع مثل ما عنـده لاكى (كذا) يذيقه المسلمون شديد النكال وعظيم القتال •

فاذا افترقت عساكره فى المداين (كذا) والبـروج وحـاصره المسلمـون ومنعوه الدخول والخروج ، فهم لا يأمنون فى ابواب الجـزاير ، وان نسـاءهم واموالهم ورجالهم واولادهم ، كل يوم للمجاهدين جزاير •

---

(7) هو صلح تافنا المعقود بتاريخ 20 ماى 1837 .



الشكل رقم 28 ـ رسالة عبد القادر إلى رئيس الوزراء البريطاني ·

F.O; 3/44.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

الشكل رقم 29 -- رسالة عبد القادر إلى السلطان عبد المجيد .

B.A. ؛ إدارة ، خارجية 820 .

فكل مدينة دخلها وعمروها برجالهم ، اقام المسلمون محلة معدة لحصارهم وقتالهم ، فيبقى جيشهم من وراء الجدرات (كذا) ، كانهم نساء مخدرات ؛ وما وصل حيث وصل بشجاعة جيشه وجلده ، ولاكن (كذا) بكثرة عدده وعدته ؛ فما قابلهم المسلمون قط وهم ثلثه فى العدد وفى بعض المرات ليسوا ربعه بقطع النظر عما له من المدد ٠

ومع ذلك ما ضعفوا ولا وهنوا ولا استكانوا ولا حزنوا مع الضعف الذى لا يحتاج الى شاهد ، من قلة المال والسلاح الذى يعلمه الغايب (كذا) والشاهد٠

فكم من يوم منحنا الله منهم ادبارا ، فنفذ ما عندنا من البارود ، فعاد ربحنا خسارا ٠ واهل هذا الوطن بالاصالة ضعاف ، منذ عاملهم عمال الجزائر فى السابق بالظلم الكبير والاعتساف ومنذ ٠٠٠٠٠٠؟ (2) العدو الكافر اشغلهم حربه على البيع والشرا (كذا) فهم كلهم يتكففون عالة فقرا (كذا) ٠

لقد نفذت فى سبيل الله اموالهم ، وفنيت فى سبيل الجهاد رجالهم ٠ والكافر لقوته ، اذا اخذت له محلة ، جدد اخرى ٠ واذا هلك له جيش ، استخلف بالاخرى (كذا) ٠ واذا احتاج لشىء ، امده به سلطانه ٠ فهو لا شغل له الا تدبير المكايد (كذا) للمسلمين ، وما يأمره به شيطانه ٠

ونحن اسلمنا اخواننا المسلمون ، وتركونا اسارى فى يد العدو ، فهم لنا ظالمون ، وتبرأ منا من كان قريبا لنا من الملوك ، ومنعونا شراء ما نتقوى به على الكافر ، خوفا منه ومنعونا حتى السلوك ٠

طلبنا منهم الاعانة بالرجال، فلم يقبلوا؛ واستعناهم بالاموال، فلم يفعلوا؛ وطلبنا منهم السلف ، فكان عين المحال ؛ ومنعوا رعاياهم من اعانتنا بكل وجه وحال ، فما نفعنا قريب ولا مجاورة ولا دافع عنا ذو سيف ولا محاور ، كأن المسلمين ليسوا بجسد واحد وكانه ليس الظلم لى انواجد ؛ والمسلمون بهذا القطر لا ينظرون من غيرك افراج ولا لهم ملجأ يلجئون اليه ، غير حصنك العالى الادراج ، فابصارهم لاعانتك وامدادك طامعة ، وقلوبهم بمحبتك وذكرك طافحة ٠

فان قيل مال ، عندك المال وافر ٠ وان قيل جيش عندك العسكر البحر ٠ وانى وحياتك السعيدة ، لولا خوفى على المسلمين من العدو ، ما لازمت سكونا ولا هدوء ، حتى اقف بين يديك ، واقص من اخبار المسمين بهذا القطر عليك ؛ فانهم قد غلقت عليهم الابواب ، وتقطعت بهم الحبال والاسباب ، لابلاغ لهم الا

بالله ثم بك ؛ وقد استمسكوا بالعروة الوثقى ، وتعلقوا بحبلك وسبيلك ، ومحال ان يرجع كتابهم بعد الوقوف بين يـديك صفـر اليـدين ، او يبقى على معشرهم بعد استمطار غيثك ، دين · فانك الغيث المدرار ، والبحر الزخار ، وحضرتكم حضرة اغاثة اللهفاء ، وزوال الضمأ (كذا) مشاهدة طلعتكم تزيل العنا (كذا) والعما (كذا) وانا من عيالك والله سايلك (كذا) عنا فازل ما اثقل الظهر منا وعنا ، لا زالـت تلك الحضـرة تزيـل ·····؟ (2) وتوفى لقاصدها كل مطلوبها ومرغوب ·

ولما لم يكن سبيل الى وصول كتابنا ، فضلا عن انفسنا اليك ، ترانا نكـرر المكاتب اذ لم ندر من وصل منها ، ومن لم يصل اليك ، فكم من كتاب كتبناه ولم يأتنا من حضرة سيدنا جواب ، نسئل (كذا) الله ان يجعل المانع خيرا ، لا مانع سخط وعتاب ·

ومرادنا نبعث لحضرة سيدنا هدية مع من يقوم مقامنا فى تقبيـل يـديك الكريمة ·····؟····· ومن كثرة الحروب لم يتيسر لنا ذالك (كذا) والله المسئول فى تبليغ مرادنا فيما هناك ·

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما ،
وفى شوال من رباط مستغانم 1257 (8)

---

(8) ديسمبر 1841 ، من الاكيد أن تاريخها من 25 شوال أى 10 ديسمبر ، راجع تاريخ الوثيقة رقم 7 ، المنشورة هنا ، ص . 228 ـ 229 ومن المعلوم ان الوثيقة رقم 5 ، 6 و 7 قد أرسلت فى نفس اليوم ، وعليه فان تاريخ ارسالها كان واحدا .

الوثيقة رقم 6

بعد الالقاب (1) ٠

ان هذا الكتاب من خديم حضرتكم المجاهدين بـوطن الجـزائر التى صـار لغرباء الكفر وذياله (كذا) جزائر ، ولم تتفقده اسياده وحماته ؛ وتغافلت عنه انصاره وفرسانه وكماته ؛ فهم اسر (كذا) العدو والكافر اسرا ، يفعل فيهم ما يشاء ، ويحملهم اغلالا واصرا (كذا) وانا قد كاتبنا سيدنا فخـر الزمـان والمكان ، وسيد ملك يكون او كان ، وطلبنا منه المدد بالعدة والعدد ، واخبرناه باحوالنـا ، وسردنا عليه بعض أهوالنا ، فكن لنا لوجه الله ورسوله معينا ، واسقنا من زلالك ماء معينا ، وازل لهفتنا وارحـم ضعفنـا ، فـان العساكـر وافرة ، والجزائر عامرة ، ونحن من عيالكم ، وتعلقنا باذيالكم ، فادركونا قبل الفوات و (1) ٠٠٠٠ بمددكم قبل الوفات ، وصلوا فينا بفضلكم رحم الاسلام ، وراعوا فينا وجه النبى عليه الصلاة والسلام ، فانه ليس للمسلمين حصن غير حصنكم ، يلجئون اليه ، وانتم المكلفون بالاسلام ، وليس هنا احد لك تتكلون فى هذا الامر عليه ، والله سايلكم (كذا) عن امثالنا الضعفا (كذا) وانتـم ملجأ الهاربين سلفا وخلفا ، وان اكف خدامكم المجاهدين لاستمطـار فضلكـم ممدودة ، وحاش (كذا) جودكم وكرمكم ان ترجع بالحرمان مردودة ٠

ومرادنا نبعث هدية لحضرتكم العلية ٠٠ (2) ٠٠٠٠ ونبعث من يقوم مقامنا فى تقبيل يدكم الكريمة الندية، ومن ترادف الحروب علينا لم يتيسر لنا ذلك، والله المرغوب فى تبليغ مرادنا فيما هنالك ٠

شوال 1257 (3)
يلى ذلك ختم عبد القادر بن محى الدين

---

(1) B.A. ؛ ارادة ، خارجية 820 ، لف ، رقم 4 ، رسالة الامير عبد القادر الى الصدر الاعظم .

(2) كلمـات غير واضحة القراءة .

(3) ديسمبر 1841 ؛ راجع ملاحظة رقم 8 للوثيقة رقم 5 المنشورة أعلاه ، ص . 226 .

الوثيقة رقم 7

بعد الالقاب (1) ·

اما بعد فلقد بزغ من مطلع ودكم مشترى المحبة فى برج غرس الاحسان ، وتعالى فى سماء ظهوره ، حتى بدا لنا وسمت (2) ····· بمرءى احمد بضربة (كذا) فلم يكن به محق ولا نقصان الا ان فى اثره اشارة · انا كاتبنا آل عثمان مع اننا لم تقع منا قط كتابة خوفا من عدم القبول او عـدم الاجـابة ؛ لاكـن (كذا) علمنا ان تلك الاشارة (2) ···· من الطالب السيد حمدان ولد خوجة عثمان وصلة من وصل بها انقطاع الرحم عن (2) ···· وانك بهـا لحقيـق ، جـدير ·

فاعتمدنا اشارتك بهذا الراى الرشيد، واستعطفنا سيدنا ومولانا السلطان عبد المجيد ، وعرضنا على حضرته العلية حالنا وعرفناه افعالنا واقوالنا ، لعله ينظر الينا بعين الرحمة والاشفاق وينقذنا بكلمته المسموعة وهذا (2) ···· فاننا اشرفنا على البلا (كذا) والكافر على الاستيلاء ومن كان فى عون أخيـه كان الله له · فاذا استشرفك سيدنا على كتابنا اليه ، فاكد ملامحه ما تلقى الله به وعليه ، وان بيننا وبينك ثدى الاسلام ورحمه ، وقد درسوا اثاره ومعالمه · فهل لك فى احياء موات ارضك ويكون لك فيه اكثر من غلة ابيـك وجدك · واننا من الله اخوان والله المستعان · وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه ·

الحاج عبد القادر بن مولانا محى الدين من رباط مستغانم 25 شوال 1257 (4)

يلى ذلك ، ختم الامير

---

(1) B.A.؛ ارادة ، خارجية 820 ، لف ، رقم 11 ، رسالة الامير عبد القادر الى حمدان بـن عثمان خوجـة .

(2) كلمات غير واضحـة القراءة .

(3) هو أحمد بوضربة الجزائرى ، راجع الوثيقة رقم 3 من الدراسة الثالثة ، ص . 174 ـ 181 .

(4) 10 ديسمبـر 1841 .

الوثيقة رقم 8 (1)

لقد اتصلنا برسلكم المحملين برسائلكم ، ونحن الآن على اطلاع وعلم لكل ما أخبرتنا به ٠

لقد أظهرتم شجاعة واخلاصا بقيادتكم أمر المسلمين ؛ انكم بذلك قد أطعتم رضى البارى ورسوله ، وكذلك الباب العالى ؛ ليجازيكم الله ٠

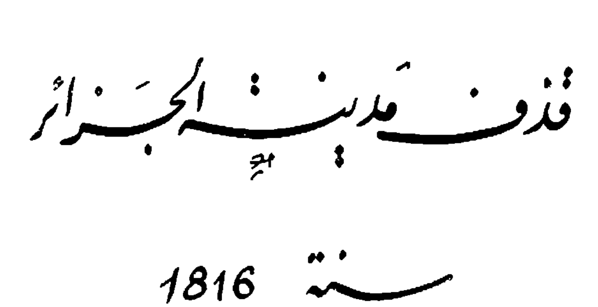
أما نحن ، فسوف لن نتردد فى مكافئتكم لما تستحقونه من الرعاية، وسوف ننفذ كل مما نراه لائقا ٠

اننا بتبنينا الالغاز فى رسالتنا، نطلب منكم، أن تكتموا أمر هاته القضية، وذلك لاهميتها ؛ وسوف تساعدوننا كثيرا اذا راعيتم سرية القضية ، وعليه فاننا نطلب منكم أن تلغزوا رسائلكم ٠ إننا نعتذر على قصر هاته الرسالة ٠

---

(1) B.A.؛ بابى عسافى اوراقى ، جزاير قسنطينة باى احمد بابه دائر ، 1996 ، مسايل مهمة جزائر ، لف برقم 13 ، رسالة تركية من الباب العالى الى عبد القادر ، بدون تاريخ .

V



قـذف مـدينـة الجـزائـر سنـة 1 8 1 6

ان تاريخ الجزائر وتونس وليبيا اثناء وجود الاتراك بهاته الولايات الثلاث ، غير مدروس ؛ كما وان معلوماتنا حول هاته الفترة ضئيلـة جـدا بحيث ان الباحث اذا تصدى لدراسة نظام الاتراك والوسائل التى اتخذوهـا لحكمهم ، فسيراعه خلو هذا الميدان من الدراسات التاريخية ، خلوا تاما ٠

تقتصر معلوماتنا لهاته الفترة على معطيات دور الارشيف الاوروبية ، والتى هى الاخرى ، لم تستغل بكفاية ، والى عدد من الرحالين الـذين تركـوا لنـا انطباعاتهم التاريخية الهامة ٠ غير انه لا يمكننا مطلقا ، كتابة تاريخ هـاته الفترة ، الا بعد الرجوع اساسا ، الى الوثائق العثمـانية والوثـائق المحليـة الموجودة بتونس والجزائر وليبيا (I) ٠

(I) أقام البير دوفو (Albert DEVOULX) فهرسا موجزا للوثائق التركية كما أن جون دوني(Jean DENY) نشر دراستين حول هاته الوثائق بالمجلة الافريقية(Revue Africaine) 1920 و 1921 . كذلك السيد مرسال كولوب (Marcel COLOMBE) نشر هـو الآخـر دراسة **بالمجلة الافريقية سنة** 1943 .

اما الاستاذ روبار منتران (Robert MANTRAN) فقد كلف بمهمة دراسة هاته الوثائق فى شهر مارس 1955 ، ومما جاء فى تقريره : « اذهب الى التفكير بان الوثائق التركية والعربيـة بالجزائر ، تشكل مرجعا اساسيا للتاريخ الاقتصادى والعسكرى والداخلى لولاية الجزائر خلال المائة وخمسين سنة ، التى سبقت الاحتلال الفرنسى ، ومن الواضح انه يجب الرجوع الى هاته الوثائق اذا اريد فى المستقبل كتابة تاريخ الجزائر ، هذا التاريخ الذى لم يعد يعتمـد عـلى الوقائع ، بل ايضا على الاحداث التى تمثل العناصر الاساسية لحياة الدولة » .

لقد قمنا بفهرست هاته الدفاتر ، ونتمنى نشر كتابنا قريبا باللغة الفرنسية والعربية :

فهرس الدفاتـر العربية والتركية بالجزائـر

اما الوثائق التونسية فان القسم العربى منه لم يدرس بعد ، اما التركى ، فقد نشر الاستاذ منتران ثلاث دراسات بـ **les Cahiers de Tunisie** رقم 15 و 19 و 20 ، كـما واقـام فهرسا للوثائق التركية تونس ، 1961 .

Inventaire des documents d'archives turcs du Dar El Bey

اما الوثائق الليبية فحسب علمى ، لم تنشر اية دراسة حول الموضوع ، مـا عدا نشر 37 وثيقة من طرف كمال الدين الخربوطلى ، والمنشورة فى كتاب : **طرابلس الغرب تحـت اسـرة حكم القرمانلى** ، تأليف رود لف ميكاكى ، ترجمة طه فوزى ، القاهرة ، 1961 . كذلك اطروحـة السيد عمر بن اسماعيل ، **انهيار حكم اسرة القرمانليـة فى ليبيا 1795 ـ 1835** ، طرابلـس الغرب ـ بيروت ، 1966 ، حيث اعتمد على ترجمة بعض الوثائق التركية .

حدة ، فانها ستخسر المعركة . ولو ادركت هاته الحقيقة لما ضحينـا بـدون
انشر اليوم بعض الوثائق حول قذف مدينة الجزائر سنة 1816 والفترة التى
سبقتها ؛ ذلك ان معلوماتنا تعتمد على الوثائق الاوروبية والتى تعكس دوما ،
وجهة نظر معينة ، وبالتالى يكون من الصعب تبنى حقيقة تاريخية واقرارهـا
بعد ذلك .

توجد هاته الوثائق بارشيف رئاسة الوزراء باستنبول ؛ كما اننا درسنا
الدفاتر التركية بالجزائر والمتعلقة بهاته الاحداث ، بحيث ان هذين المصدرين
يكملان بعضهما البعض ، فى اعطاء تحليل ومعطيات جديدة للاحداث بالنسبة
للمسؤولين الجزائريين . كما وانهما يقدمان ايضاحات حول النظـام الادارى
التركى بالجزائر وعلاقته بالباب العالى وتونس والدول الاوروبية ، وهذا مـا
يحتم على الباحث آستحالة الاستغناء عنها (2) .

***

سنحاول رسم الخطوة العامة للسياسة الجزائرية خلال هاته الفترة. ففى 2
جويلية 1815 رفع محمد خسرو (3) رسالة الى السلطان محمود ، متحدثا عن
حاكم الجزائر الحاج على : « منذ ان اصبح هـذا الشخص واليـا على الجـزائر ،
نعددت المظالم مع المسيحيين ، بحيث ان الصداقـة قد تحـولت الى نزاعـات
ومهاجمات » (4) .

ان حمق وعجب الحاج على قد اوقع الجزائريين فى حرب مع كل الشعـوب
الاوروبية ؛ هاته الشعوب التى عرفت تقدما اقتصاديا وآليـا ، بالاضافة الى
انها تتمتع باساطيل قوية . كانت الـدول الاوروبيـة تعتبـر الجـزائر ملجأ
القراصنة وقطاع الطريق . فاللورد شيفيلد (SHEFFIELD) كان يعتبر قـوة
الجزائر على انها حاجز منيع لتقدم وازدهار التجارة البحرية للولايات المتحدة
الامريكية (5) . اما السيد باديا (BADIA) فقد نصح الـدوك دو ريشوليـو
(Duc DE RICHELIEU) وزير خارجية فرنسا،محاربة القرصنة: «ان اوروبا
باسرها اذا ما حاربت افريقيا يمكن لها ان تنتصر فى حالة انتظام صفوفها ،
ومواجهة العدو صفا واحدا . اما اذا واجهت كل دول اوروبا ، افريقيـا على

---

(2) هاته الوثائق **باللغة التركية** وكذلك الدفتر الذى راجعناه . ماعدا الوثيقـة رقـم 8 والـتى عثرنا على نصها الاصلى بالعربية والانقليزية فى وزارة الخارجية البريطانية بلندرة .

(3) تولى محمد خسرو وزارة الحربية العثمانية مرتين ، من 1811 الى 1817 ومن 1822 الى 1826 .

(4) B.A. ، H.H 44515

(5) SHALER, Wiliam, Exquisse de l'Etat d'Alger ترجمه عن الانقليزية ، بيانـشى (BIANCHI) ص. 75 – 76 ، باريس ، 1830 .

فائدة ، بملايين الارواح ! واذا انتصرنا ، يجب ان تكون لنا قلاع وحصون،ولا فائدة لنا مطلقا بالاستيلاء على البلاد » (6) .

وفي اوت 1814 وجه السر سـدني سميث (Sir Sidney SMITH) نـداء الى اوروبا : « لتنظيم حصار حول الجزائر حتى يـوضع حـد لقـرصنة الـدول المغربية » (7) .

وقبل هذا التاريخ كان نابليون الاول قد فكر فى الاستيلاء على الجـزائر ؛ وقد عزم على القضاء على الولايات المغربية ، كما وفق انظمام شمـال افـريقيا تحت سلطة فرنسا ، كان احد بنود المعاهدة السرية التى عقدها نابليون الاول مع قيصر روسيا (8) .

وعليه امر ـ ليون بارسال العقيد بوتان (BOUTIN) فى جويلية 1808 الى الجزائر ، ليضع دراسة حول مراكز الدفاع الجـزائرية . ولكـن الامبـراطور نابليون الذى شغلته مشاكل اوروبا ، قد انصرف تماما عن تحقيق مشروعه .
اما الحاج على والى الجزائر ، فقد كان يخشى نزول الفرنسيين على سواحله، وعليه فقـد دفـع الاميـرال البحـرى حميـدو على مضـاعفة هجمـاته ضـد الاوروبيين ، وضد الدول المجاورة خصوصا تونس ، التى اظهر ضد واليهـا عداء . وقد استولى الأميرال حميدو على باخرة تونسية بعد معركـة حـربية دامت ستة ساعات (9) .

---

(6) A.E. ؛ دفتر الجزائر ، المراسلات القنصلية ، ملف رقم . 42 ، ص. 304 .
كان باديا قد أقام بالمغرب الاقصى مدة طويلة ، مستعيرا أسم على باى العباسى ، وقد سافر الى مكة ، وكان هدفه بالطبع التعرف على الشعوب الاسلامية ، راجع :
ROUSSIER, P, Les derniers projets et les dernier voyage de Domingo Badia, 1815-1818, R.A. 1930 r p. 302.
اما مجلة **« (Revue du Monde Musulman » Autour du monde Musulman)**
العدد 9 ، ماى 1909 ، ص. 66 ، وفى دراسة بعنوان : **حول العالم الاسلامى** يتساءل ماذا كان على العباسى هذا ، هو احد دعاة سياسة نابوليون الاول الاسلامية ؟ أما دائرة المعارف الاسلامية **A.E.** ، ج 1 ، ص . 403 ، فتنص على أن على باى العباسى هو الاسم المستعار لدومنقو باديا الذى ولد بسوريا سنة 1786 وتوفى بسوريا وهو مؤلف كتاب :
Voyages d'Ali Bey el-Abbasi en Afrique et en Syrie pendant les années 1803, 1804, 1805, 1806 et 1807, 3 Vol, Paris, 1814.

(7) Le Baron De TESTA, **Recueil des traités de la Porte Ottomane,**
2 . 1 ، ص. 410 — 413 ، باريس ، 1864 .
(8) **المصـدر نفسه** ، ص 444 .
(9) **A.O.M. Vol. 3. 14, II** ، 15 ص. 32 ، تنقل النص التالى حول هاته المعركة الحربية : « ان بواخر قرصنتنا الست ، قد اصطدمت بآثنتى عشر باخرة للقراصنة التونسيين . وبعد معركـة دامت ست ساعات ، فاننا مع غروب الشمس قد انتصرنا . كان عدد موتانا ، اربعين شخصا ، اما عدد التونسيين فبلغ 230». ينص الدفتر على ان تاريخ المعركة كان فى 25 ربيـع الثـانى 1226 / 28 مـاى 1811 .

اما مشروع عمر ونعمان باحتلال مدينة الكاف ، فقد باء بالفشل فى شهر جوان 1814 · وقد اراد الباب العالى ارسال مبعوث ليضع حدا للحرب الدائرة بين البلدين ، وتوصيتهما بحسن الجوار (10) · وعندما وصل محمود آغا مبعوث الباب العالى « امام ميناء الجزائر فان الحقير الحاج على ، قد قذفه بالقنابل من القلعة » (11) ؛ غير ان السلطان محمود ، لم يرض عن فعلة والى الجزائر هاته ، فقام بتهديده اذا لم يكف عن ذلك ؛ وقد ادى تدخل السلطان الاخير ، الى توقيع الصلح بين البلدين ·

اما تهديدات والى الجزائر ضد السفن الاوروبية فقد تعددت فى البحر الابيض المتوسط والبحر الاطلنطيقى ؛ وعلاقات الولاية مع فرنسا واسبانيا خلال هاته الفترة ، كان تصطبغ بعدم الثقة ، وان الجو السياسى كان سيئا عندما تقلد عمر باشا ولاية الجزائر ·

ففى 11 ربيع الثانى 1230 / 23 مارس 1815 ، اغتيل الحاج على فى حمامه (12) وكان وزيره عبد الله احد المنفذين لتلك الخطة (13) · وعلى اثر موت الحاج على ، تولى الحاج محمد السلطة بعده · الا انه سرعان ما عزل من منصبه فى 27 ربيع الثانى 1230 / 8 افريل 1815 (14) ، وعوض بعمر باشا الذى قبل اخيرا السلطة ، بعد ان رفضها عدة مرات ، (15) بحيث : « ان الناس جميعا

---

(10) **AITLER, Aziz Samih, Simalî Afrikada Turkler**
(**الاتراك بشمال افريقيا**) ج. 1 ص. 85 ، استنبول ، 1937 . يشتمل هذا الكتاب على ثلاثة أقسام : الجزائر ، تونس وليبيا ، وقد قام أخيرا السيد عبد السلام أدهم بترجمة القسمين الاخيرين من الكتاب التركى والمتعلقين بتونس وليبيا : « **الاتراك العثمانيون فى آفريقيا الشمالية** » دار لبنان ، 1969 . أما القسم الثالث من الكتاب والمتعلق بالجزائر ، والمشتمل على ثلث جزئى الكتاب ، فلم يترجم بعد .

(11) **H H. 44525 a B.A.** رسالة من محمد خسرو الى السلطان .

(12) **A.O.M. 13 Vol 14 MI. 15** ، ص. 34 ، ننقل النص التالى : « ان الحاج على قد اغتيل فى حمامه وان الخزنجى الحاج محمد ، قد تولى مقالبد الحكم بالولاية » . اما كتاب **مراة الجزائر** ، لعلى رضا باشا ، ص . 137 ، استنبول ، 1876 ، فيذكر ان عمر باشا قد تفاهم مع الكراغلة (مواليد الاتراك بالجزائريات) لاغتيال الحاج على ، وان هذا الاخير قد قتل تحت سيل وافر من طلقات الرصاص . أنظر الشكل رقم 30 ، ص. 240 – 241 ، وهو رسم شخصية الحاج على ، داى الجزائر .

(13) شالر ، **نفس المصدر** ، ص . 190 .

(14) شالر ، **المصدر السابق** ، ص. 178 ، يذكر ان العجوز الحاج محمد قد اغتيل بعد 14 يوما من توليه السلطة . اما قرامن (GRAMMONT) فى كتابه :
Histoire d'Alger sous la domination turque
(تاريخ مدينة الجزائر تحت حكم الاتراك) ، ص . 374 ، فيذكر ان اغتياله وقع بعد 15 يوما . الا ان النص التركى للدفتر : **A.O.M. 13 Vol. 14 MI. 15** ، ص. 14 ، يقرر ان اغتياله تم بعد 17 يوما .

(15) عمر باشا من جزيرة ميتلان . لا يتكلم العربية . بعد عشر سنوات من وصوله الجزائر ، تولى منصب الباشا .

قد فرحوا بولاية هـذا الاخيـر ؛ ومن الجلي ان حكمـه سيكـون مفيـدا لنـا جميعا » (16) .

وقد كتب قنصل فرنسا دوفال (DEVAL) الى وزير خارجيته بتـاريخ 16 مارس 1816 ، متحدثا عن عمر باشا : « يبدو ان عمر باشا يتمتـع بشخصية هادئة ومفكرة ، وطبعه عنيف ، غير انه عادل . وقد اتخذ موقفا قاسيا ضـد العرب الذين حاربهم بنجاح منذ سنوات على رأس الانكشاريين . ان هذا الامير قد حول اتجاه الناس جميعا الى مركز السلطة التركى ، ويبدو ان حكومته على تفاهم مطلق مع الحكومة العثمانية » (17) .

نلاحظ ان عمر باشا قد ربط علاقاته بالباب العالى ، وصرح انه على استعداد لتنفيذ اى امر يصدره السلطان بشانه (18) ، وقد طلب عمر باشا من السلطان تسهيل تجنيد الانكشاريين من ازميـر ؛ وقـد وصـل خـلال سنتيـن 1290 انكشاريا (19) ، كما ان عمر باشا طلب من البـاب العـالى سريـا ، تـوفير الاسلحة للجزائر وتونس وطرابلس الغرب لتجهيز جيوشهم ، حتى يقفوا ضد تهديدات الاوروبيين (20) .

اما خزينة الولاية اثناء حكم عمر باشا فكانت فى عجز ؛ وقد كتب عمر باشا الى السلطان متحدثا عن ذلك : « اننا ملزمون على دفع اتاوات ما بين 30 و 40 الف انكشارى ؛ ففى سالف الزمن كنا ندفع اجورهم على دفعة واحدة ، ولكن منذ عشر سنوات لم نتمكن من مضاعفة اتاواتهم ، كذلك كنا نسدد الاجور كل شهرين ؛ اما اليوم فان تسديد اتاواتهم يتم مرة واحدة كل اربعة أشهـر بالنسبة للبعض وستة أشهر بالنسبة للبعض الآخر ، وقسم ثـالث تسـدد اجورهم كل سنة » (21) .

---

(16) **B.A. ; H.H. 44515 a**

(17) **A.E.** ، **المراسلات القنصلية ، الجزائر ، ملف رقم 42** .

(18) **B.A.**   **HH. 44515 a** ؛ نلاحظ ان عمر باشا قد رفض تسريح باخرة تابعـة لمدينـة دوبرونفيك ، عندما امره السلطان بذلك : راجع الوثيقة ، رقم 2 المنشورة ضمن هاته الدراسة ص . 248 .

(19) **A.O.M.** 13 **Vol** 14 **MI** 15 . ص . 18 ، يوجد ضمن 1290 انكشاريا ، 17 وصلوا الى الجزائر من تونس 7 قد فروا من تونس و 10 استولوا عليهم أثر معركة حربية . وصل هؤلاء الانكشاريون ما بين 18 فيفرى 1815 و 10 ماى 1817 ، راجـع ايضـا دراسـة مرسال كولوب : Marcel COLOMBE ص. 166 ـ 181 :
Contribution à l'étude de recrutement de l'Ojak d'Alger dans les dernières années de l'histoire de la Régence, in, R.A., 1943.

(20) **B.A. HH. 32210 a** ، راجع الوثيقة رقم 6 ، ص . 252 .

(21) **B.A. HH. 49515 ç** ؛ راجع الوثيقة رقم 1. اما الدفتر 13 Vol 14 MI 15 ، ص . 44 ، فيقرر ان مبلغ 24.000 محبوب قد ارسلت الى مكة والمدينة بواسطة محمد شاوش السيرازلى بتاريخ 26 جمادى الثانى 1230 / 4 جوان 1815 .

لقد تطورت وضعية الجزائر اثر المعارك التى شنت داخل البلاد ضد القبائل الثائرة ، وضد احد الدعاة عندما نادى بانه المهدى المنتظر ، فى غرب وشرق البلاد • وقد كتب عمر باشا الى السلطان متحدثا عن ذلـك : « ان جيوشنـا وجنودنا قد تصدوا لحرب هؤلاء الدعاة والثائرين ، وقد سقط عدد من الموتى اثر تلك المعارك » (22) •

لقد اراد عمر باشا عقد الصلح مع التونسيين على شرط ان يدفعـوا لـه كالمعتاد ، الهدايا بدون تأخير ولا تردد (23) ومع الاوروبيين ايضا• وقد اعلن عمر باشا للسلطان : « سوف لن يتعرض ابتداء من الآن قراصتنا الى سفن تجار البندقيين والنمساويين والروس ، ولكننا لانستطيع ان نرد لهم ما كانوا يطالبونا به (24) •

⁂

ودون ان نتعرض الى جزئيات احداث هاته الفترة ، نذكر ان مؤتمر فينـا قد كلـف باسـم دول اوروبـا اللـورد اكسمـوث ليضـع حـدا لاستعبـاد المسيحيين وقرصنة ولاية الجزائر • الا ان فرنسا (25) قد رفضت مشاركـة مشروع مؤتمر لندن الذى دعا الى القضاء على القرصنة ، وكانت تفضل الحفاظ على القرصنة بدل ازدياد نفوذ وسلطة وهيمنة البحرية الانقليزية فى البحـر الابيض المتوسط (26) •

ان اللورد اكسموث وفون كابلين (Lord EXMOUTH et Von CAPPELEN) أميرا البحر الانقليزى والهولندى ، كانا يعلمان التحصينات ونقاط الدفـاع للجزائر العاصمة ، بفضل النقيب ورد (WARD) والضابط زيقل (ZIEWGEL) الذين مكنا رئيسيهما من معلومات هامة حول الموضوع (27) •

---

(22) .B.A. ; HH. 3 120 g ، راجع الوثيقة ، رقم 5، ص. 250 ــ 252 .

(23) **المصـدر نفسه** .

(24) .B.A. ç HH. 49515، راجع الوثيقة رقم 1 ، ص. 243 ــ 248 .

(25) .A.E ، **المراسلات السياسية ، ملف الجزائر** ، 1816 ، ص . 299 ، ارسل وزير خارجيـة فرنسا امرا الى قنصله بالجزائر ، بتاريخ 2 اوت 1816 ، هذا نصه : « ان البواخر والجيـوش التى هى تحت أمرة اللورد اكسموث قد اقلعت من انقلترا ، ومما لاشك فيه انهـا ستتوجـه الى الجزائر ، وعليه فانه يجب عليكم ان تبقوا بعيدين عن كل المناقشات والحوادث التى يمكن ان تكون الجزائر مسرحا لها فى المستقبل » .

(26) JULIEN, Charles-André, **Histoire de l'Afrique du Nord**
ص . الطبعة الثانية ، مراجعة روجى لوتورنو (Roger Le TOURNEAU)
باريس ، 1964 ص. 297 ــ 298 .

(27) PLAYFAIR, R, L, **Episodes de l'histoire des relations de la Grande Bretagne avec les Etats Barbaresques avant la conquête française.**
المنشورة بالمجلة الافريقية **R.A.** ج. 23 ، ص. 463 .
أنظر الشكل رقم 31، ص. 240 ــ 241، وهو رسم الأميرال الآنقليزى اللورد آكسموث .

ان الجزائريين كانوا يعلمون منذ سنة ان الاسطول المسيحى يتجول فى البحر الابيض المتوسط ، وان الدول الاوروبية تضمر الشر ضدهم (28) ، وعليه فقد قاموا بتحصينات مراكزهم ، كما وضعوا كل ما يملكونه من سلاح تحت تصرف الجيش • هذا وقد شرع اكثر من اربعين الف رجل للعمل على اقامة تحصينات جديدة ، واستدعى كل الانكشاريين من جميع المراكز لمجابهة الاحداث (29) •

***

اعلن عمر باشا للسلطان ان الجنرال حسين (30) اوصاه باليقظة وتجهيز الانكشاريين ؛ كما واسر اليه بعض الملاحظات السرية • وقد كتب عمر الى السلطان مخبرا اياه انه قد تم درس الاوامر المرسلة اليه (31) •

اما الاسطول الانقليزى والهولندى فقد وصلا الى الجزائر يوم 27 أوت 1816 (32) ؛ وعليه طلب اللورد اكسموث من الداى عقد الصلح (33) ، امرا اياه ان يرد عليه خلال ظرف ساعة فقط ؛ الا ان عمر باشا وكبار المسؤولين ، رفضوا رفضا مطلقا ، عقد الصلح وقبول اوامر الاميرال •

وخلال هاته الفترة الزمنية ، قرب الاسطولان من تحصينات الميناء ليسهل ضربه ، وفعلا فان عمر باشا ارتكب خطأ استراتيجيا بعدم اطلاق النار على الاسطول العدو ، وقد تمكن الاسطولان من كسب المعركة كسبا تاما •

---

(28) **B.A. j 31210 .HH** راجع الوثيقة رقم 5 ، ص . 250 ـ 252 .

(29) بلايفر ، **نفس المصدر** ، ج. 24 ، ص. 24 .

(30) هو مبعوث الباب العالى الى الداى عمر ، وصل الى الجزائر يوم 29 ماى 1061 ، راجع الوثيقة رقم 5 .

(31) **B.A.: 222860 .HH** ، راجع الوثيقة ، رقم 7 ، ص. 252 ـ 255 .

(32) **A.O.M. 13 vol. 14, MI. 15**، تنقل النص التالى : « وصل الانقليز اعداء الدين امام ميناء الجزائر بتاريخ يوم الثلاثاء 3 شوال 1231 / 27 اوت 1816 ، ومعهم 27 باخرة بين صغيرة وكبيرة ، ويصحبهم الهولنديين . ان عدد بواخر الاسطولين بلغ 33 باخرة . لقد ارسلوا الينا باخرة رافعة علما ابيضا ، واقتربوا من الميناء . لقد اندلعت الحرب ودامت ثمانية ساعات ونتج عن ذلك ان ثمانية من بواخرنا قد احرقت . لقد تم اطلاق سراح المسيحيين بدون فدية . وبما اننا اصبحنا مغلوبين ، فان شروطهم قد قبلت . ليذهبوا الى الجحيم .. » .

(33) ان رسائل عمر باشا وعلى رائس المنشورة فى اخر هاته الدراسة ، رسمت لنا صورة واضحة للحوادث .

كتب عمر باشا الى السلطان متحدثا عن ذلك : « لقد كانت معركة حامية الوطيس دامت احدى عشرة ساعة وثلاث وعشرين دقيقة ، احرقت خلالها كل بواخرنا وسفن تجارتنا ، ولم نر دقيقة راحة واحدة ، اذ اخذت تتهاطل علينا في كل لحظة ، سيلا وافرا من القنابل الصغيرة والكبيرة الحجم ، بحيث ان تحصيناتنا وميناءنا قد تحطمت خلال ظرف ساعة واحدة ... » (34) .

لقد جابه الجزائريون نيران العدو ببطولة ، الشيء الذي جعل اللورد اكسموث يكتب : « لم ار في حياتي اعداء يحاربون بايمان وثبات جأش كهؤلاء » (35) .

يذهب ڤرامن الى ان عدد الكرات الحديدية التي اطلقتها المدافع على التحصينات الجزائرية بلغت نصف مليون ؛ اما القنابل النارية فبلغت 980 (36) . كما ويذكر علي رائس في تقريره الى السلطان ان عدد موتى وجرحى الجزائريين قد ناهز 300 . اما بالنسبة للانقليز فيتراوح ما بين الفين وثلاثة آلاف شخص (37) .

وفي اليوم التالي من المعركة ، قبل عمر باشا امضاء شروط الصلح (38) التي املاها اللورد اكسموث ، وعليه فقد وقع اطلاق سراح اكثر من 1200 اسير مسيحي بدون فدية ، تلك الفدية التي قدرت بمليونين من الريالات الفرنسية (40) .

ان حركة البواخر الجزائرية في حوض البحر الابيض المتوسط لم تكف الا لمدة ثلاثة اشهر فقط ، وابتداء من 27 نوفمبر اقلعت ست سفن جزائرية من ميناء العاصمة للتجول في عرض البحر (41) .

---

(34) **HH. 22286 a B.A.** راجع الوثيقة رقم 7 ، ص. 252 — 255 .

(35) بلا يفر ، **نفس المصدر** ، ص . 33 .

(36) ڤرامن ، **نفس المصدر** ، ص. 378 .

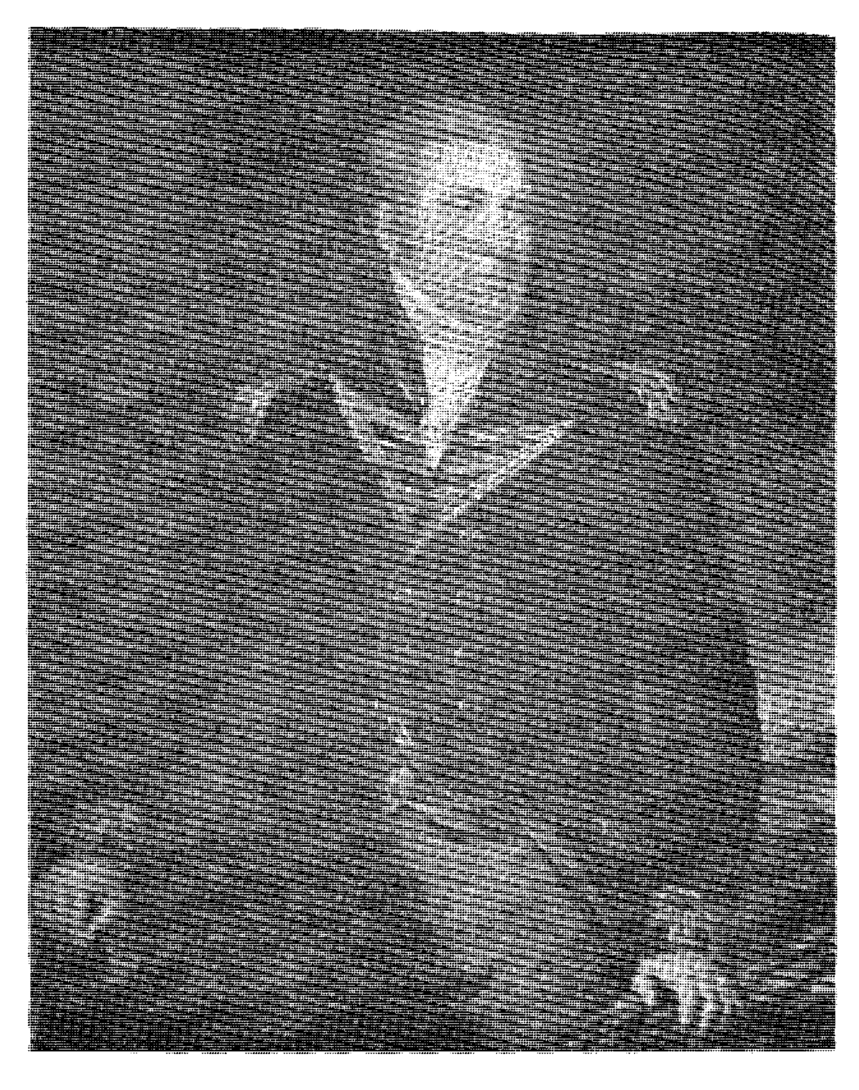
(37) **المصدر السابق** ، ص . 378 ، يذكر ان عدد الموتى الجزائريين بلغ 500 . اما بالنسبة للانقليز فبلغ 833 . اما شالر ، **نفس المصدر** ، ص . 363 ، فقد كتب : « لم يصب من الجزائريين عدد كثير من الموتى في هاته المعركة اكثر من اصابة اعدائهم ، اذ ان موتى وجرحى الجزائريين لا تتجاوز 600 شخص وبالتالي فان وضعية الجزائريين بعد المعركة لا تدل على انه لحقتهم كثير من الخسائر في الارواح » .

(38) راجع الوثيقة رقم 8 ضمن هاته الدراسة . كما اننا نلاحظ ان كتاب التر ، **نفس المصدر** ، ج . 2 ، ص ، 91 ، قد نشر كل بنود المعاهدة المعقودة بين عمر باشا واللورد اكسموث . اما النص الكامل والاصلي لهاته المعاهدة فيوجد بارشيف وزارة الحربية بفنسان بباريس ملف **A.M.G,H4**

(39) ذكر علي رائس في تقريره الموجه الى السلطان ان عدد المسيحيين الذين اطلق سراحهم بلغ 1500 . اما القنصل دوفال فذكر الرقم 1083 . راجع **A.E.** **المراسلات القنصلية ، ملف الجزائر ، عدد . 42** ، راجع ايضا الوثيقة رقم 9 المنشورة ضمن هاته الدراسة ص . 257 .

(40) **HH. 22486 a B.A.** راجع الوثيقة رقم 7 ، ص. 252 — 255 .

(41) **A.O.M.** 13 ; **Vol.** 14 ، **M.** 15 ، ص . 63 .



الشكل رقم 31 ـ اللورد أكسموت .

ESQUER, G, *Iconographie historique de l'Algérie*, t. 1, planche, n° 139.

اشترى اتراك الجزائر بعد تحطيم كل اسطولهم ، بعض البواخر وبنوا البعض الآخر • اما الباب العالى والمغرب وطرابلس الغرب (42) فقد اهدوهم عددا آخر ، بحيث انهم استرجعوا قدرتهم البحرية ، وأصبح اسطولهم اكثر قوة عن ذى قبل (43) •

ان هاته الحركة البحرية لم تنته الا باحتلال الجزائر سنة 1830 ، وعليه وجب دراستها بالرجوع الى اصولها التاريخية ، بمزيد من التجرد والنزاهة العلمية •

لقد كتب القنصل الفرنسى دوفال الى وزير خارجيته متحدثا عن وضعية الجزائر بعد هاته الهزيمة : « لقد ذكرت هاته الايام كل انواع المصائب التى حلت بالبلاد منذ تولى عمر باشا مقاليد الحكم : هزيمة الاسطول الجزائرى على يد الامريكيين ، والسلم المخجلة التى تلت ذلك ، ثم جيش من الجراد قدم من الصحراء وانتشر صيف 1815 فى كامل انحاء الولاية ، متلفا القسم الاكبر من منتوجات البلاد الزراعية وتسبب ذلك فى مجاعة عمت البلاد ، واخيرا تحطيم الاسطول الجزائرى والخسارة (44) التى لحقت البلاد اثر قذف مدينة الجزائر من طرف الاسطول الانقليزى ، ثم السلم المهينة والباهضة الثمن ، والتى اضطرت الولاية الى توقيعه » (45) •

ان عمر باشا الذى تمكن من تهدئة واخماد انقلاب الانكشاريين ، بفضل هدوء اعصابه والمال الذى وزعه ، قد اغتيل فى آخر الامر ؛ وخلفه علي خوجة بتاريخ 9 سبتمبر 1817 (46) • وقد وجه هذا الاخير رسالة الى السلطان ،

---

(42) **المصدر السابق** ، يقدم لنا هذا الدفتر بعض المعلومات المتنوعة ومنه علمنا ان طرابلس الغرب كانت تقدم بعض الهدايا الى الجزائر ، فبتاريخ 30 جوان 1815 ارسل باشا طرابلس الغرب عددا من السفن الى الجزائر ، ثم بتاريخ 28 ماى 1817 ، ذكر ان هدية طرابلس الغرب قد وصلت الى ميناء الجزائر .

أما بيار بوايى فيذكر فى كتابه : **La vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention française, P. 86, Paris, 1963**

من ان السلطان العثمانى قد أرسل سنة 1817 كهدية الى الجزائر ، بارجة حربية وباخرتين صغيرتين ، وذلك مساهمة منه فى اعادة بناء أسطول الجزائر البحرى ، والذى تحطم على أثر قذف المدينة سنة 1816 .

(43) شالر ، **نفس المصدر** ، ص . 51 ـ 52 .

(44) **SALAME, Ibrahim, A narrative of the expedition to Alger in the 1816, under the Commad of Lord Exmouth Bey.**

ص . 176 ، لندن . 1819 . يقدر أن خسائر الجزائريين وصلت الى 1.015.625 جنيه آسترليني .

(45) **A.E.** ؛ **المراسلات القنصلية ، ملف الجزائر ، رقم** . 42 ، ص 389 .

(46) **A.O.M.** ؛ **15. MI. 14. Vol, 13** ص . 34 .

ليكسب حركته الانقلابية صفة شرعية ، وقد اتهم عمر باشا بانه : « اتبع سياسة استبدادية وحسب ميوله الشخصية ، كما انه لم يهتم بضعفاء الولاية ، وانصرف الى تبذير اموال خزينة المسلمين فى تشييد ابنية لا فائدة ترجى منها ، وقيامه ببعض الاعمال التى ادت الى الافلاس ۰۰۰ ثم المصيبة التى حلت بالجزائر ، والناتجة عن سوء التدبير وانانية وتقصير الداى السابق » (47) ۰

لا ندعى اننا قلنا كل شيء عن احداث الجزائر خلال هاته الفترة ، بل على العكس ؛ هناك عدد آخر من الوثائق تنتظر من يدرسها (48) ۰ ولكننا نأمل ان نكون بهاته الدراسة ، قد مكنا الباحثين من عناصر تاريخية جديدة ۰

أكس أون بروفنس (فرنسا)

1967 – 12 – 10

(47) HH. 22474 (B.A.) ، راجع الوثيقة ، رقم 10 ، ص . 259 – 260 .

(48) وبالاخص مهمة دفترى (الدفاتر المهمة) الموجودة بارشيف رئاسة الوزراء (B.A.) والتى لم يسعفنا الوقت لدراستها هنا ، كذلك عدد اخر من رسائل محمد خسرو الموجهة الى السلطان والتى هى فى حوزتنا ، املين نشرها فى فرصة اخرى .

وثائق تركية عن قنف مدينة الجزائر سنة 1816 :

- رسائل من عمر باشا الى السلطان محمود الثانى ٠
- رسائل من خسرو باشا الى السلطان محمود الثانى ٠
- نص آتفاقية عمر باشا واللورد آكسموث ٠
- رسالة على رائس الى السلطان محمود الثانى ٠
- رسالة من على خوجة الى السلطان محمود الثانى ٠

الوثيقة رقم 1

صاحب والعناية والرأفة ، ولى النعم حضرة سلطاننا (49) ٠

ان الانكشاريين الذين يتمتعون منذ زمن بعيد بحماية الله وظله على الارض سيدنا السلطان وبقية اعضاده ، يعبرون عن كامل ولائهم وطـاعتهم لحضـرة السلطان وهم عاجزون عن التعبير عن شكرهم له ٠

لقد طلبتم منا يا حضرة السلطان ان نكف الهجوم على البـواخر التجـارية الروسية والنمساوية ، حيث انكم ارتبطتم مع هاتين الـدولتين ومـع اهـل الجزيرة (50) بعلاقات ودية ٠

لقد اطلعنا على اوامركم وفرمانكم (51) التى وجهتموها الينا عن طريق على باشا ومحمد آغـا ٠

نعلم حضرة سلطاننا اننا قبلنا كل امر صادر عنه بكل طاعـة ، اذ حسب مبادىء ديننا ، نحـاول دومـا تجنب اى خـلاف بينـنـا ، ذلـك ان الاوجـاق الانكشاريين المظفرين وعبدكم المتواضع ، هم جميعا رعايا جلالة السلطان ٠ اننا سعداء ان نكون تحت اوامر جلالة السلطان وليس لنا طريق نسلكه غير الانصياع للاوامر السلطانية ٠ ان ذلك لواجب علينا ونحن على استعداد لفداء انفسنا دفاعا عن هذا المبدإ ٠

⁂

منذ خمس او ست سنوات لوحظ نقص فى المواد الغـذائية باستنبـول ، وبلدان البحر الابيض المتوسط ، حتى ان والى الجزائر السابق المرحوم الـداى الحاج على ، قد عين حراسا امام الخبازين ؛ كما انـه قد منـع بعض البـواخر

---

(49) B.A. ؛ H.H 49515؛ رسالة من عمر باشا الى السلطان . أنظر الشكل رقم 32 ، ص. 248 ــ 249 .

(50) اى جزيرة قصد بها هنا ؟ ان النص لا يقدم لنا بيانات اضافية .

(51) راجع هذا الفرمان المنشور بكتاب : DEVOULX Albert, Le Reis HAMIDOU ص . 60 ــ 63 ، الجزائر ، 1859 .

العثمانية المحملة بالذخائر من الاتجاه الى الدول الاوروبية وهو في ذلك قد خالف اوامر الباب العالى ٠

على ان هناك بواخر اخرى تابعة الى ٠٠٠٠٠٠٠٠ (52) متجهة الى اوروبا قد وقعت بايدينا ؛ لقد احتفظنا بها ونحن فى انتظار اوامر الدولة العلية ، ذلك ان ما يملكه العبد هو ايضا ملك لسيده ٠

سوف لن نتردد في تنفيذ اوامركم ، ومخالفة ذلك يعد جناية ومصدرا للمشاكل ٠ ان طاعتنا للسلطان امر مسلم به ، شريطة أن لا يمس شرف الانكشاريين ٠

رفعت كثير من الشكايات ضد اوجاقنا الى حضرة سلطاننا ؛ انها اتهامات باطلة وافتراء واضح ٠ نعلن على حضرة سلطاننا ان قراصنتنا عندما اعترضوا سبيل البواخل الاجنبية،قد طلبوا اليهم اعلامهم بنوعية الذخائر المحملة،ولكن قواد تلك البواخر الفرنسية والروسية وآخرين ، من بواخر المسيحيين قد رفضوا ، وعليه فان معركة حربية اندلعت بين الطرفين ، وتسببت في خسائر كثيرة في الارواح والعتاد ، غير اننا قد عدلنا عن مهاجمة بواخر الاوروبيين امتثالا لامركم الشريف السلطانى ٠

منذ السنوات الاولى للفتح (53) وبفضل إرادة السلطان ، فان قراصتنا مشهورون بحروبهم وغنائمهم ، ولكنهم ايضا مطيعون للاوامر السلطانية ؛ وبالرجوع الى طلبكم اطلاق سراح بعض الاشخاص ، فاننا قد اجبناكم باطلاق سراح باخرة ، اما الاموال المطلوبة استردادها ، فانها صرفت وليس باستطاعتنا تسديدها ٠

سوف نسخر كل ما سنتحصل عليه من غنائم لادارة الاوجاق ٠

منذ عشر سنوات عوض الداى مصطفى بالداى أحمد ؛ وقد ضعف هذا الاخير اجور الانكشاريين على اثر الثورة التى حدثت ، كما انه بجانب الجزائر توجد جبال يسكنها العربان الذين هم فى حرب سجال معنا ، وقد ترتب عن ذلك كله ، افلاس خزينتنا ٠

---

(52) كلمة غير واضحة .

(53) يقصد بذلك الفتح العثمانى للجزائر .

ومنذ ثلاثمائة سنة كان دايات الجزائر يحتفظون بالخزينة فى القصبة ؛ وقد اوصدوا الباب وتركوا وصيتهم التى تنص ، على انه اذا جابه الانكشاريون مصاعب جمة ، فانه باستطاعتهم الاعتماد على تلك الخزينة (54) ، ولكن فى حالة صرف تلك الاموال فى غير مكانها ، فاننا نطلب ضرب عنقه • وبالفعل فان الداى احمد الذى فتح واستحوذ على خزينة المسلمين وصرفها هنا وهناك، قد اغتيل • وفى ذلك الوقت كان اثنا عشر الف انكشارى يتقاضون اجورهم•

منذ بضع سنين كان يجب علينا تسديد اجور ما بين ثلاثين واربعين الف انكشارى • ففى سالف الزمن كنا ندفع اجورهم على دفعة واحدة ، ولكن منذ عشر سنوات لم نتمكن من مضاعفة اتاواتهم • كذلك كنا نسدد الاجور كل شهرين ، أما اليوم فان تسديد أتاواتهم يتم مرة واحدة كل اربعة اشهر بالنسبة للبعض ، وستة اشهر بالنسبة للبعض الآخر ، وقسم ثالث تسدد اجورهم كل سنة •

لقد طلب الحاج على من البندقيين دفع اثنى عشر الف التونى (قطعة ذهب) والتى وعدوه بتسديدها خلال ستة اشهر ؛ غير ان سلطاننا غير راض عن هذا الطلب (55) • اما نحن فقد تجنبنا مطالبة تلك الاموال ، مفضلين رضاء السلطان •

نعلم حضرة سلطاننا ان قراصتنا سوف لن يتعرضوا لبواخر تجار البندقيين والنمساويين والروس ، ولكننا لا نستطيع تسديد الاموال التى كانوا يطالبوننا بها •

يا حضرة السلطان بالنظر الى قلة عدد الانكشاريين ، فاننا نطلب منكم ان ترسلوا لنا عددا من الجنود من الاقاليم،واذا توفر لديكم ذلك فارسلوهم الينا•

ان والدى سوف يتجهان الى ملاطيا لحرث ارضهما •

سوف نرسل اليكم قريبا هديتنا •

من داى الجزائر عمر بن محمد ،
فى 5 جمادى الثانية 1230 / 16 ماى 1815

---

(54) هل هذا حقيقة ام اسطورة ؟

(55) .B.A ؛ مهمة دفترى ، رقم . 237 ، ص . 17 ، ارسل السلطان امره الى عمر باشا بالكف عن مطالبة 12.000 التونى من البندقيين والنمساويين .

ملحق : منذ ثلاثين سنة ، استحوذ قراصتنا على باخرة روسية ، وقد طلبها محمد آغا • كما ان قراصتنا قد استولوا على باخرة من جبل طارق ، ومحمد آغا يطالب بها أيضا •

نعلم حضرة سلطاننا انه من المستحيل علينا ارجاع ذلك ولا ندرى كيف العمل • نطلب منكم توجيه باخرة فى اسرع وقت ممكن لتسليم بحارتها المقيمين فى احدى الاقاليم الى قبوجى باشا •

الوثيقة رقم 2

ان بواخر مدينة دوبرونفيك (56) قد اعترضت سفن القرصنة الفرنسية التى حاصرتها ، وقد تمكن ثلاثة من بحارة دوبرونفيك من الهروب ليقعوا فى ايدى الجزائريين الذين اوصلوهم الى الجزائر ، لعدم وجود اوراق رسمية تثبت جنسيتهم •

لقد اتصلنا برسالتكم التى طلبتم فيها اطلاق سراح هؤلاء ؛ غير أننا نعلمكم انه يتعذر علينا القيام بذلك لعدم وجود جوازات سفر من جهة ومن جهة اخرى ان هدفهم كان محاربتنا •

سوف نرفع تقريرنا الى محمد آغا (57) •

الداى عمر ، 7 جمادى الثانية 1230 / 17 ماى 1815

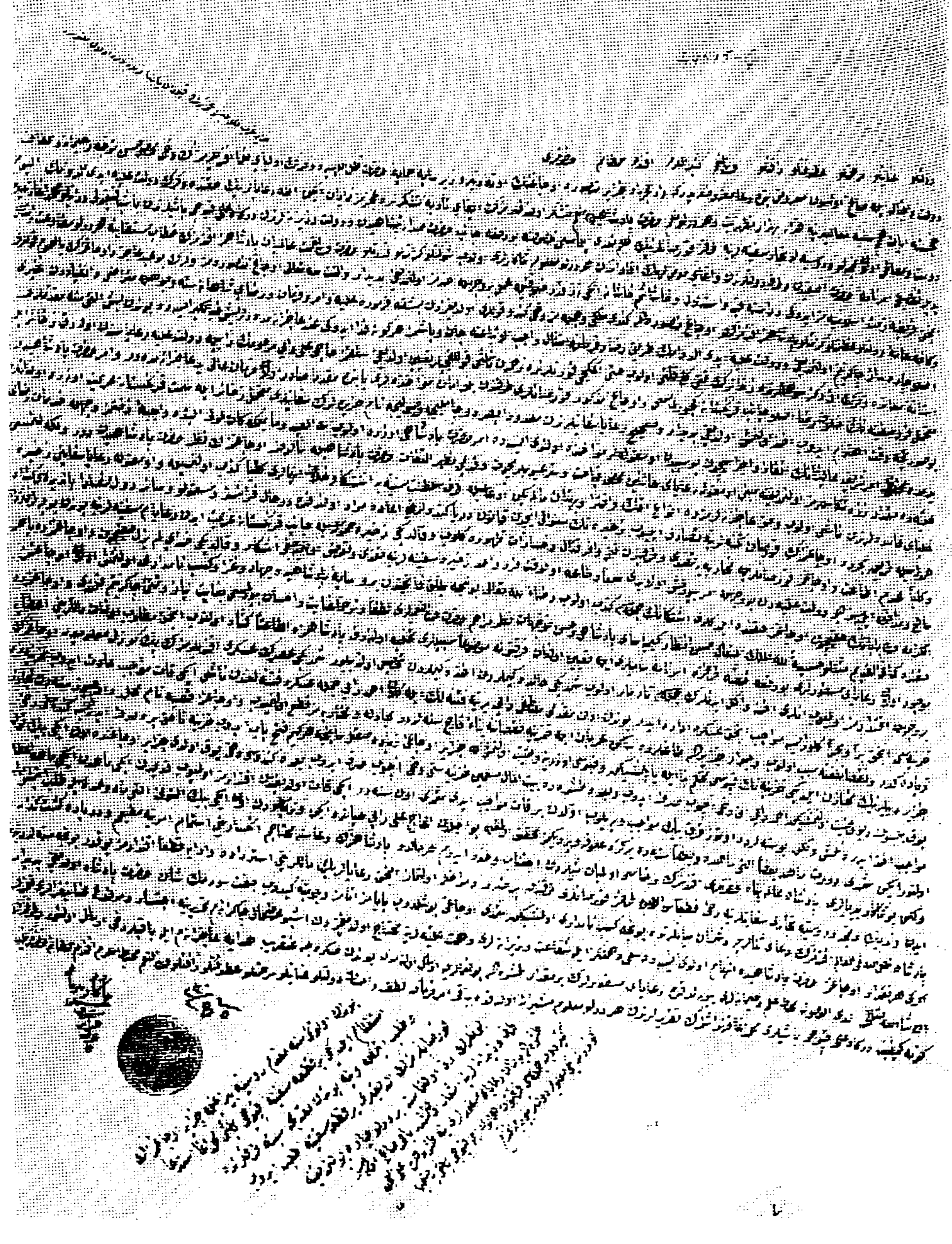
---

(56) ان علاقات المغرب العربى بمدينة دوبرونفيك ، قد كانت موضوع كتاب حديث نشر بيوغسلافيا للسيد بسيم كوركت :

Arapski dokumenti U Drzavnom Archivu U Dubrovniku

(الوثائق العربية المحفوظة بارشيف مدينة دوبرونفيك) ظهر الجزء الاول 1960 ، والجزء الثانى سنة 1961 ـ ان هاته الوثائق التى نشرت باللغة العربية واليوغسلافية ، قد تناولت العلاقات السياسية والتجارية للمغرب ومصر مع مدينة دوبرونفيك خلال النصف الثانى من القرن الثامن عشر .

(57) **B.A.; g 44515 .RH.**



الشكل رقم 32 ـ رسالة عمر باشا إلى السلطان محمود الثاني .

B.A; H.H; 49515 ç.

الوثيقة رقم 3

من رسالة لمحمد خسرو الى السلطان :

...... ان ما سمعته عن علاقاتنا مع الامريكيين غير صحيح ؛ الا أن تلك العلاقات تتسم بالبرودة · ان القراصنة الجزائريين قد استولوا على باخرة امريكية واوصلوها الى ميناء الجزائر ثم قتلوا بحارتها ·

ثم ان اربعة بواخر امريكية قد استولوا على باخرتين جزائريتين ، احدهما بميناء كارتجان (CATHEGENE) والاخرى بأليكانت (ALICANTE) باسبانيا (58) ·

وعليه وصل الامريكيون الى الجزائر مطالبين استرداد مواطنيهم ، وعندما اعلموا انهم قتلوا ، رجعوا فى الحين ·

اما بحارة الباخرتين الجزائريتين التى استولى عليهما الاميريكيون ، فقد تركوا اثناء الليل بدون ذخائر فى احدى الجزر ، ومما لا شك فيه انهم قد هلكوا (59) وفى هاته المدة وقعت باخرتان امريكيتان فى ايدى القراصنة الجزائريين الذين لم يرجعوا الى ميناء الجزائر ويظهر انهم تفرقوا شذر مذر ، وقد التجأت باخرة فقط الى ميناء مسينة (MESSINE) · ولا نملك اى معلومات اضافية حول هذا الموضوع ·

واليوم توجد ست بواخر امريكية وست اخرى هولندية ، قد اتحدتا للتجسس على القراصنة الجزائريين ، ومنذ اربعين يوما لم يتمكن الجزائريون من التجول فى البحر (60) ·

محمد خسرو 5 شوال 1230 / نوفمبر 1815

---

(58) فى رسالة بتاريخ 24 افريل 1815 طلب رئيس الولايات المتحدة الامريكية جامس ماديسن (Madison) من عمر باشا امضاء الصلح وقد رد عليه عمر : « انا على استعداد لقبول اقتراحات الصلح ، بشرط ارجاع بارجتنا وباخرتنا التى استولى عليها الامريكيون اثر معركة حربية وتسليمهما الينا » . راجع شالر ، **نفس المصدر** ، ص . 157 .

(59) ان الربان ديكاتور (Decatur) التابع للبحرية الامريكية فى حوض البحر الابيض المتوسط ، قد التقى بتاريخ 17 جوان 1815 بالرائس حميدو على راس بارجة ذات 46 مدفعا ، وبعد معركة حامية الوطيس ، لقى الاميرال الجزائرى حتفه ، وعلى اثرها استولى الاميريكيون على بارجته ثم انه بتاريخ 19 جوان استولى الامريكيون على باخرة جزائرية ذات 22 مدفعا .

(60) **HH.22557; B.A.**

الوثيقة رقم 4

مقتطفات من رسالة عمر باشا الى السلطان :

منذ سنة كان اسطول الدول المسيحية فى حركة دائبة في حوض البحر الابيض المتوسط ، ويضمر أهلها نوايا سيئة تجاه الجزائر ٠

إننا نطلب من حضرة السلطان مساعدتنا ، بمدنا بالاسلحة اذ استوجب تقوية جيشنا٠ لقد انشغلت ليل نهار بالدفاع عن الانكشاريين،ولا افتيء أفكر فى هذا الموضوع ٠ اما واجبكم فهو معاونتنا بارسالكم الاوجاق والاسلحة ، خصوصا عندما ظهر هذا المهدى الكاذب منذ خمس وعشر سنوات فى غرب وشرق الجزائر ٠ لقد ثار علينا كما ان جماعته لا تؤمن بالله ولا عقيدة لهم ، ورؤوسهم مكشوفة ويسكنون الجبال ٠

لقد هاجم العساكر الاتراك قسم منهم ، واسر القسم الآخر ؛ هذا وقد ثاروا من جديد واضطر الجيش والاوجاق الى محاربتهم ، وعليه فاننا نعلمكم ان عددا من الموتى قد سجل اثر المعارك ٠ وبفضل رعايتكم وبركتكم فان الانكشاريين قد ألحقوا هؤلاء الملاعين هزيمة نكراء ٠ نطلب من حضرة سلطاننا ان يرسل الى أوجاقنا الذخائر الحربية نظرا لقلة ما نملكه الآن ٠

لقد كلفنا الآغا حافظ ابراهيم بتقديم هدايانا وتقريرنا (61) ٠

والى الجزائر عمر باشا في رجب 1231 / جوان 1816

الوثيقة رقم 5

مقتطفات من رسالة عمر باشا الى السلطن :

فى اول رجب من هاته السنة قدم علينا الاسطول العثمانى بقيادة عبدكم الجنرال حسين وسلمنا امركم الوزارى الذى اطلعنا عليه (62) ٠

---

(61) HH. 31210 F ; B.A.٠

(62) ان الباب العالى بارساله الاوامر السلطانية وسيفا وثوبا مدبجا الى الداى عمر ، قد ارسل ايضا سيفا وثوبا مدبجا الى باى تيطرى فقط ، راجع : 15 MI. 14, Vol 13, A.O.M. ص. 80 .

لقد نصحنا الجنرال حسين باليقظة تجاه مؤامرات الاعداء ، كما وطلب الينا تقوية جيوشنا اتقاء لما سيحدث فى المستقبل • اما من جهتنا فقد درسنا جيدا اوامركم ونعلمكم اننا سنعمل على تنفيذها بامانة وجد •

لقد علم اوجاقنا من مالطة ان الدول المسيحية قد تحالفت على انشاء اسطول مشترك بينها ، وقوة مدفعية لمحاربتنا ، ومن الواضح انهم يضمرون لنا النوايا السيئة تجاهنا •

نعلم حضرة سلطاننا اننا سوف نستعمل كل طاقاتنا واهتمامنا ، للدفاع عن هذا الشعب المسلم الذى هو تحت كفالتنا ، واننا على استعـداد بتضحية انفسنا دفاعا عن ذلك • ان ذلك لـواجب يتحتـم علينا كما وانه يجب علينا حماية سواحلنا من الاعداء •

منذ اربع سنوات ارسل الباب العالى امره بوضع حد للاعمال العدائية بين الجزائر وتونس وكان ذلك بواسطة حارس الباب العالى احمد بيجـان ، الا ان الداى السابق الحاج على بعناده ، لم يكن راضيا بما امره السلطان ، وقد رفض الاخذ به وتنفيذه •

غير انه بعد موت الحاج على وتعين عبدكم الحقير قائـدا للجيش ، ولـدى استلامى امركم بواسطة رئيس حارس البـاب العـالى ، وجهـت رسالـة الى التونسيين ، طالبا منهم عقد الصلح على ان يرسلوا بدون تردد كما هو مالوف الهدايا ، وفى حالة قبولهم فاننا سنضع حدا للحرب تماشيـا مـع مبـدإ ان المسلمين جميعا اخوة (64) •

وعندما وصلت رسالتى الى التونسيين سلمت الى اخى الباشا الذى كان فى احدى الولايات التونسية ، ولما قرأها وجه الى الجواب التـالى : « لقـد كـان اجدادنا فى السابق يوجهون اليكم الهدايا ، انهم مجانين ولا يفكرون • اما نحن فلسنا على شاكلتهم ، وعليه فسوف لن نرسل لكم شيئا ولو كان ذلك حبة قمح » (65) •

---

(63) B.A. ; HH/ 32210 e ، ذكر عمر باشا فى رسالة الى السلطان (1815) انه لم يهمل شيئـا لعقد الصلـح مع التونسيين .

(64) للحرب الدائرة بين التونسيين والجزائريين راجع ابن ابى الضياف ، **اتحاف اهل الزمـان باخبار ملوك تونس وعهد الامان** ، ج. 3 ، ص • 37 — 53 ، تونس ، 1963 .

(65) B.A. ; HH. 31210 g ، آنظر الشكل رقم 33 ، ص. 256 — 257 .

نعلم حضرة سلطاننا انه نتيجة لهذا الرد الاحمق ، فان نزاعنا ما زال قائما معهم •

سوف نجهز جيشنا حتى نكون على استعداد لمجابهة الطوارىء (65) •

ايها السلطان لينصركم الله • من عمر داى الجزائرى
في 5 رجب 1231 / 1 جوان 1816

الوثيقة رقم 6

رسالة من محمد خسرو الى السطان :

لقد انتشر الخبر منذ حين ، ان اسطولا وعساكر فى حالة استعداد فى جزيرة مالطة وعلى السواحل الاجنبية •

نطلب من حضرة سلطاننا ان يرسل اوامره الى كل من الجزائر وتونس وطرابلس الغرب بواسطة الاميرال حسين ، ليكونوا يقظين لما يجرى حولهم ؛ كما ونرجو من حضرة سلطاننا ان يبعث اليهم سرا ، المدافع لتعزيز جيوشهم ويوافق على تجنيد الانكشاريين من الولايات وارسالهم اليهم •

5 رمضان 1231 / 30 جويلية 1816 (66)

الوثيقة رقم 7

رسالة من عمر باشا الى السلطان (67) •

صاحب الشوكة والعظمة والمهابة ، حضرة سلطاننا ، للخلد الله ملكه الى يوم الدين ، ويديم تأثير سياسته فى البر والبحر •

---

(66) B.A. : HH. 31210 a.

(67) B.A. ; HH. 22486 a : انظر الشكل رقم 34 ، ص . 256 – 257 .

ان جنودكم الانكشاريين المظفرين اينما كانوا واقفون لمحاربة الاعداء ، لينصرهم الله على قهر اعدائهم وهلاكهم ، آمين ٠

ان جميع الاوجاق وعبدكم الحقير يقدمون الى حضرة سلطاننا ، ظل الله على الارض ، الاسباب التى دفعتنا الى ارسال عرض حالنا هذا (68) ٠

ان الجزائر دار الجهاد ، تقع على حدود امبراطورية حامى الحرمين الشريفين ، وهيبة اوجاق هذا البلد وعلمائه وشرفائه وباياته واعيانه واغنائه ومجاهديه ، قد قوضت ونالت منها الاحداث ٠ فبتاريخ جمادى الاولى 1230 ، عقد الدول المسيحية اتفاقا بينها ، وعهدت الى الجنرال اللورد اكسموث قيادة اسطوله اللعين ضد اوجاقكم ؛ وعندما وصل الى الجزائر طلب الينا عقد الصلح مع الدول الاعداء والكف عن مطالبتهم بالاموال التى كانوا يدفعونها الينا٠ غير ان اوجاقكم بالجزائر ، قد عبروا عن عدم رضائهم بتلك الشروط ، كما ورفضوا تسريح الاسرى المسيحيين بدون فدية ، كما طالب بذلك اللورد إكسموث ٠

وعليه قمنا بعقد اجتماع مع المسؤولين فى الديوان والانكشاريين المسنين لدرس الوضعية وقد خلصنا الى القول : « اننا باسرنا المسيحيين قد اقتدينا بسلوك النبىء والسلاطين ، اذ بعض الاسرى كانوا يستخدمون فى كثير من الاعمال ، والبعض الآخر يعملون فى الترسانة ، غير ان الانقليز رفضوا قبول هذا الامر » ٠ ومنذ ستة أشهر ، أمضينا معاهدة مع الانقليز الذين طلبوا الآن اعادة امضائها وقد وجد الاوجاق انفسهم فى ضيق شديد نتيجة خرق هاته المعاهدة ٠ اننا نطلب من حضرة سلطاننا اصدار فرمانه ، ومدنا بدون تأخير كبير ، بالذخائر والعساكر ، ذلك ان الكفار الغير الامناء ، قد ضايقوا اوجاقكم بعدم احترامهم بنود المعاهدة المعقودة (69) ٠ وعليه فقد وصل الاسطول الانقليزى ـ الهولندى اللعين الى ميناء الجزائر بتاريخ 3 شوال٠لقد استعمل الانقليز الحيلة برفعهم علما ابيضا ، كما ووجهوا الينا رسالة ، طالبين منا الرد عليهم خلال ظرف ساعة واحدة ؛ وعندما لم يستلموا اى رد ، فقد دخلوا الميناء ، مجابهين قلاعنا وبواخرنا ٠ ويتركب اسطولهم من اربع بواخر كبيرة ذات ثلاث جسور وباخرتين وبارجتين واربع بواخر مدفعية ٠ وبعد برهة من الزمن اندلعت الحرب ٠ ان الجزائريين على استعداد لمتابعة الحرب دفاعا عن الدين والدولة ٠ ان هاته الحرب كانت رهيبة بحيث ان تاريخ الانسانية لم يسجل مثيلا لها ٠

---

(68) وجه عمر باشا رسائل اخرى بنفس المضمون الى عدة شخصيات عثمانية وتحمل الارقام التالية
B.A., HH. 22486 ، B.A. HH. 31210 e B.A. HH. 22486 n

(69) عقد اصلح بين الامريكيين الجزائريين كان بتاريخ 7 جويلية 1865 .

لقد كانت معركة حامية الوطيس دامت احدى عشرة ساعة وثلاث وعشرين دقيقة، احرقت خلالها كل بواخرنا وسفن تجارتنا، ولم نر دقيقة راحة واحدة، اذ اخذت تتهاطل علينا في كل لحظة ، سيلا وافرا من القنابل الصغيرة والكبيرة الحجم بحيث ان تحصيناتنا وميناءنا قد تحطمت خلال ظرف ساعة واحدة •

لقد حفت بنا النار ، فكانت كالقذائف تقع في كل مكان وأدى ذلك الى خراب كثير من الامكنة ، وضياع املاكنا وثروتنا (70) • لقد استشهد كثير من الاوجاق الشجعان ، دفاعا عن دينهم وسلطانهم ، ان مآلهم الجنة مثوى لهم ، ليتغمدهم الله برحمته •

ان عدد موتى الكفار كان اربع مرات عدد المسلمين ، بالاضافة الى ان عدد الجرحى كان مرتفعا ، اما بواخر الكفار فقد اصابتها النيران واحترقت اثنان منها •

ومن الخسائر التي لحقت اوجاقكم عدم اخذهم فدية الاسرى التي بلغت مليونين من الريالات الفرنسية •

ومن الغد ، بعد ما دفنا شهدائنا ، ارسل الينا الكافر مبعوثه ومترجمه وكرر ما قاله سابقا حول عقد الصلح مخلصا الى القول : « انه اذا رفضتم ذلك ، فان الحرب ستندلع من جديد » •

ونظرا الى ان قلاعنا قد تهدمت ، وذخائرنا قد نفذت ، خلال هاته الحرب ، وان عدد جنودنا أصبح غير كاف ، فقد اضطررنا الى قبول شروطهم وامضاء الاتفاقية من جديد •

لقد عرضنا على حضرة سلطاننا تقرير وضعيتنا المؤسفة •

ان اوجاقنا البواسل والعلماء ورجال الدين والاهالي والديوان يرفعون لحضرة سلطاننا مشاعر الولاء والوفاء •

ان اوجاقنا يدعون حضرة السلطان ان يعمل للدفاع عن الدين والبلد ، كما أننا في حاجة الى اراثكم السديدة التي ستضيء لنا الطريق •

---

(70) في رسالة اخرى وجهها عمر الى السلطان ذكر : « ان عددا من المفازات والمساجد قد تهدمت ايضا » .
انظر الشكلين رقم 35 و 36 ، ص . 256 — 257 ، للموقع الاستراتيجي للاسطول الانقليزي الهولندي ولقذفهما مدينة الجزائر •

ارسلنا تقريرنا بواسطة قائد الميناء علي ، وسوف يشرح لكم لدى وصوله ، معطيات الوضعية ، ولنا الامل في تحقيق ما طلبناه منكم ٠

ايها السلطان ليجازيكم الله ٠

عمر باشا داي الجزائر ، 19 شوال 1231 / 12 سبتمبر 1816 ٠

يلي ختم عمر باشا ، اختام وزرائه وكبار الموظفين ٠ لقد استطعنا قراءة بعض اسماء هاته الاختام ، ما عدا اثنين ؛ كما اننا أثبتنا تاريخ الختم الهجري وعادلناه بالتقويم المسيحي :

اما اسماء الوزراء ،ففي اسفل الوثيقة من اليمين الى اليسار :

1 ـ وكيل ترسانة (وزير البحرية) : حسن بن علي ، 1231 / 1811 ٠
2 ـ بيت المالجي (المكلف بالاحباس والوراثات) : محمد بن علي ، 1231 / 1816 ٠
3 ـ كتخداي ينيشري (وكيل الانكشاريين) : الحاج محمد ، 12 ؟
4 ـ آغا ينيشري (آغا الانكشاريين) : عبد الباقي ، 1228 / 1813 ٠
5 ـ خوجة الخيل (المكلف بالاداءات) : احمد بن محمد ، 1230 / 1815 ٠
6 ـ آغا عرب (آغا العرب) : مصطفى بن يوسف ، 1230 / 1815 ٠
7 ـ خزنجي (المكلف بالخزينة) : حسين جزائري ، 1230 / 1815 ٠
8 ـ قاضي الجزائريين : سليمان بن محمد جزائري ، 1228 / 1813 ٠
9 ـ المفتي الجزائري : محمد بن احمد ، 1226 / 1811 ٠

اما الصف الثاني فمن اسفل الى اعلى :

1 ـ مقاطعجي (71) : محمد 12 ؟
2 ـ سر دفتر (رئيس كتاب الدفاتر) : يوسف كد ؟ 1230 / 1815 ٠
3 ـ كاتب اسري (سكرتير السجناء) : حسين بن حسن ، 1231/1816٠
4 ـ نقيب اشراف مكة والمدينة : محمد بن محمود ٠
5 ـ بدون ختم : خواجة الديوان (وكيل ابراهيم) ٠
6 ـ سر جاوش (رئيس الحراس) : عبد الله ، (72) ٠

---

(71) هل هو المكلف بفرض الضرائب ؟

(72) نجد بالدفتر A.O.M. 15 MI 14 Vol. 13 اسماء الموظفين المعزولين واسماء من عوضهم بمدينة الجزائر وبقية الولايات الثلاث من سنة 1805 الى 1826 .

الوثيقة رقم 8

نص المعاهدة العربى التى عقدت بين عمر باشا واللورد اكسموث ٠

الحمد لله ٠

العهد والشروط التى صارت وتمت فيما بين حضرة الجناب العلى عمر باشا متاع (74) (كذا) المدينة المجاهدة وبلاد الجزائر وبين حضرة الجناب العلى ادوارد بارون اكسموث كواليز (كذا) (75) علامة الصليب الكبير متاع (كذا) باشا المنسوب لاهل الغزو وقبطان باشا على عمارة بيرق الانكلترة الازرق ، ورأس حاكم على كل السفاين (كذا) والشقوف متاع دولة الانكليز العلية الموجودين فى بحر الشرق وهذا اعتبارا (كذا) لعظم المنافع والفائدة التى اشتهرت من طرف حضرة الجناب العلى الامير الفاعل المفوض والوكيل السلطانى متاع دولة الانكلترة العلية فى انتها (كذا) وعدم اسار (76) (كذا) النصارى حضرة الجناب العلى عمر باشا متاع الجزائر علامة لصدق ارادته بدوام صحبته مع دولة الانكليز العلية واشتهارا لمودة وعظم اعتباره لطرف دول الاوروبة (كذا) قد يشهر ويبين على انه اذا امكنت وظهرت عداوة مع اى دولة كانت من دول الاوروبة لم يكون (كذا) احدا من الاسارا معدود تحت العبودية ، ولكن يكونوا مسجونين لاجل العداوة وينظروا لهم بكل حنان بحال اسارات الحرب ، الى ان يكونوا بالبدل كالعادة الجارية فى الاوروبة فى ذلك الامر ، وبعد انتهاء العداة يرسلوهم الى بلادهم من غير فداء ٠ والعادة الاولى التى كانت تنص على اسارات النصارى متوع الحرب ، انهم يكونوا عبيدا ، فمن اليوم وقدام (77) تلك العادة المذكورة تكون باطلة ومنكورة الى الابد وعلى ما دام والحق سبحانه وتعالى عالم وشاهد بذلك وهو خير الشاهدين٠

هذا العهد قد تحرر (كذا) نسختين فى المدينة المجاهدة محروس بلاد الجزائر يوم الاثنين المبارك يوم رابع من شهر شوال سنة 1231 من الهجرة

---

(73) C. 0/2 ؛ F.O. نص هاته الوثيقة بالعربية والانقليزية . ولعل هاته الاتفاقية هى أول أول معاهدة جزائرية مع دول أجنبية ، تحرر باللغة العربية فى عهد الاتراك !

(74) اى صاحب .

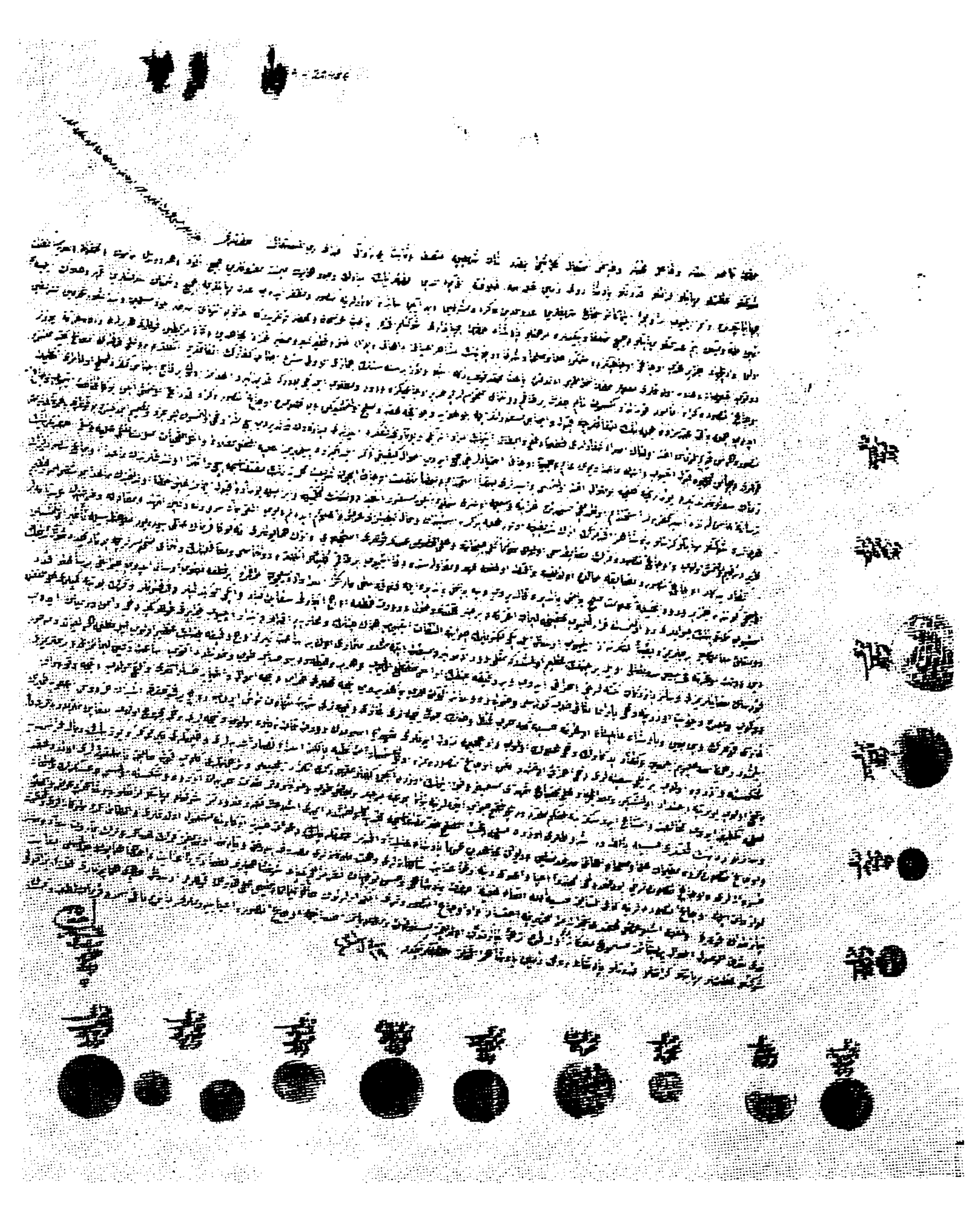
(75) هى الكلمة الفرنسية (Cavalier) اى فارس وهو رتبة شرفية .

(76) اى عدم اسر .

(77) اى وصاعدا .

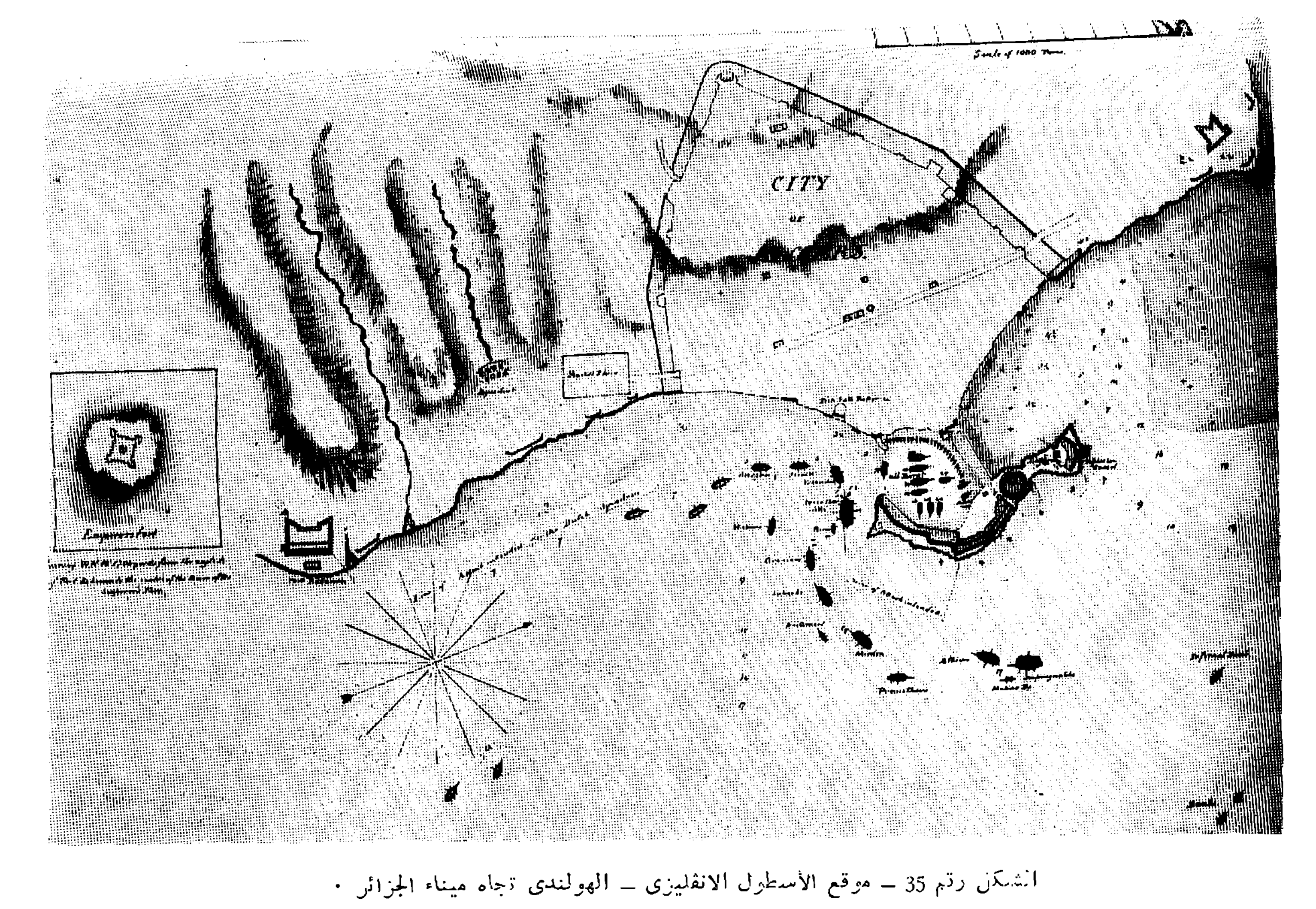
الشكل رقم 33 – رسالة عمر باشا إلى السلطان .

B.A; H.H; 32210 g.



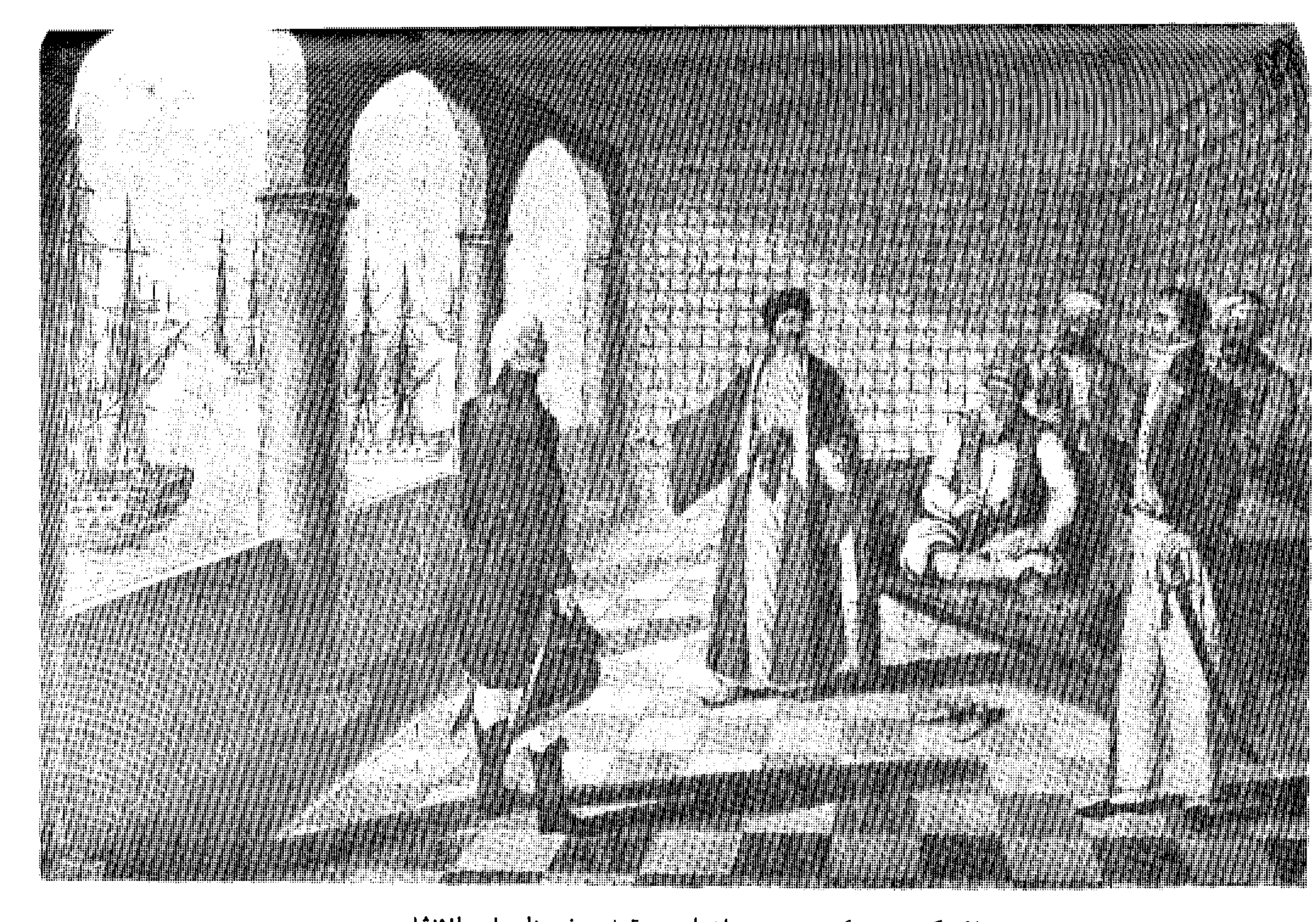
الشكل رقم 34 ـ رسالة عمر باشا إلى السلطان محمود الثاني .

B.A; H.H; 22486 a.



الشكل رقم 35 – موقع الأسطول الانقليزي – الهولندي تجاه ميناء الجزائر .

B.A; ADD; 23618.



الشكل رقم 36 ـ عمر باشا يستقبل وفد الصلح الانقليزي ·

ESQUER. G, *Iconographie historique de l'Algérie*. t. 1, planche n° 138.

النبوية موافقا الى 28 من شهر اجوصت (78) اعنـى شهـر أب سنـة ألـف وثمانمائة وستة عشر مسيحية .

يلي ذلك ختم عمر باشا واللورد اكسموث وامضائهما .

الوثيقة رقم 9

ان قائد ميناء الجزائر الوزير علي رائس قد وصل الى استنبول ، وقد قدم هذا التقرير بتاريخ 25 ذى القعدة 1231 / 17 ديسمبر 1817 (79) :

منذ ستة عشر شهرا ، عقدنا الصلح مع الانقليز والهولنديين الذين بتاريخ 3 شوال قد ظهروا امام ميناء الجزائر باسطول يتألف من ثلاثين الى اربعين باخرة . وقد دخلوا الى الميناء رافعين علما ابيضا ، وسلموا الينـا رسـالة طالبين اثرها الرد خلال ظرف ساعة واحدة ، مع اطلاق الاسرى المسيحيين. الا ان الداى وكل كبار الديوان اجتمعوا لدراسة طلباتهم وقرروا رفض ذلك.

اما الانقليز فقد آستعملوا الحيلة واستفادوا من ساعـة الانتظـار تلك ، فدخلوا الميناء وانتصبوا تجاه القلاع ، ثم احضروا المدافع والاسلحة ، وبدأوا المعركة التي استمرت من لثامنة صباحا حتى منتصف الليل ؛ تلك المعـركة التي اندفع فيها الطرفان بكل عنف وقوة .

ان التقارير التى وجهها الوالى الى الباب العالى تشرح ذلك بوضوح .

لقد كان الطقس ثقيلا فى تلك الليلة ، فصوت المدافع كان شديدا كالرعد والقنابل تتساقط على اوجاقكم البـواسل ، وتسبب ذلك فى مقتـل وجـرح ثلاثمائة شخص . اما الكفار فيتراوح عدد قتلاهم وجرحاهم ما بين الفين وثلاث آلاف بالاضافة الى مقتل ما بين ثمانية وعشرة ربابنة (80) .

فى تلك الليلة احرق الاعداء اربع من بوارجنا واربع حراقة اخرى ؛ اما اسطول العدو فقد احرق اثنان من سفنه واثنان ذات ثـلاث جسور واغلبيـة

---

(78) هى الكلمة الانقليزية اغسطس اى شهر اوت .

(79) B.A. HH. 22486 n; . **انظر الشكل رقم 37** ، ص . 260 ـ 261 .

(80) شالر ، **نفس المصدر** ، ص . 366 ، يذكر ان اللورد اكسموث كتب الى وزيره قائـلا « لا اخشى فقدان عدد كبير من الضباط والعساكر ، لقد سال الدم بغزارة فى هاته المعركة » .

سفنه قد تضررت • ومن الغد في الصباح سادت البلبلة في كلا الصفين ، وقد ارسل الينا العدو مبعوثه ومترجمه (81) واخبرنا : « لقد لحقتنا كثير من الخسائر فى كلا الجانبين ، غير ان هذا لا يصرفنا مطلقا عن متابعة الحرب • ان الدول قد اتفقت على محاربتكم ، وسيجبرونكم على عقد الصلح ؛ واذا رفضتم ذلك فاننا قررنا اعلان الحرب من جديد » •

وعندما اجتمع الداى والديوان لدراسة الوضعية ، اخلصا الى القول : « اذا استمرينا فى الحرب وقاومنا العدو ، فان ذلك لا يكون الا باعانة من الله ثم بوصول الذخائر الحربية من قبل سلطاننا ؛ ان الكفار قد اتحدوا ضدنا ، وهم يضمرون النوايا السيئة تجاهنا ، ومن المؤكد انهم سيتابعون الحرب ، حتى لو تمكنا من تحطيم اسطولهم ، فانهم قادرون على ارسال اسطول جديد• ومن الجلى ان الباب العالى سيكون عاجزا عن مجابهة هاته الوضعية ؛ وعليه ونتيجة للمحادثات السرية ، فان الديوان والداى قررا اعادة امضاء الصلح»•

وبذلك اطلق سراح 1500 اسير •

ان قسما من قلعتنا قد اصابه الضرر ، اما سفن الاعداء اللعينة التى كانت بالميناء فقد اضرمت النار فى سفننا ، وقد كنا مشغولين ايضا خارج ترسانتنا بمراقبة خزائن ذخائرنا وموادنا وحدودنا • ومن حسن الحظ ان كل ذلك لم يصب باذى • اما اهالى المدينة ومن كانوا بداخل القلعة ، فقد اقاموا حريقا من الحطب لعرقلة العدو ، وتسبب ذلك فى حريق هائل انقذهم من ويلات الحرب•

اننا يا حضرة السلطان ظل الله على الارض ، نتيجة لفقدان أسطولنا وذخائرنا ، نطلب منكم مدنا بالاسلحة والبارود الاسود ، وبالسفن ذات الحمولة الضعيفة •

لقد كانت تلك المعركة فريدة ، بحيث ان تاريخ الولاية لم يعرف مثيلا لها• ان اوجاقكم المظفرين يتحملون المسؤولية كاملة ، وهم يعرضون الآن الوضعية على حضرة السلطان طالبين منه ، مدنا بالمساعدة بارساله لنا قوة عسكرية تسمح لنا بالانتقام من اعداء ديننا ولنحيى ذكرى شهدائنا •

---

(81) هو ابراهم سلامة مؤلف كتاب **A. Narrative .. نفس المصدر** ، والده قنصل انقلترا بالقاهرة فى اواخر القرن الثامن عشر ، اما امه فقاهرية ، يتكلم ابراهيم العربية والانقليزية والتركية .

ليكن الله فى عوننا ويهبنا النصر والنجاح (82) ٠

الوثيقة رقم 10 (83)

ان عبدكم داى الجزائر السابق المرحوم عمر باشا لم يهتم بصورة مجـدية لحل قضايا الانكشاريين والمسائل الهامة المتعلقة بالجهاد ، بل على العكس من ذلك اتبع سياسة استبدادية وحسب ميوله الشخصية،كما انه لم يهتم بضعفاء الولاية ، وانصرف الى تبذير اموال خزينة المسلمين فى تشييد ابنية لا فائدة ترجى منها ، وقيامه ببعض الاعمال التى ادت الى الافلاس ٠ ومنذ سنة حصلت لنا حرب مع الانقليز حيث ألحقونا هزيمة لم يشاهد تاريخ هاته الولاية مثيلا لها ؛ ان سبب ذلك راجع الى سوء التدبير وانانية وتقصير الداى السابق ٠ وعليه اجتمع العلماء والمشائخ والصلحـاء والاغنيـاء والفقـراء والاوجـاق ، ليتبادلوا الرأى فيما سيتولى أمرهم ، تماشيا مع المبدإ القرآنى ، « وشاورهم فى الأمر » ٠

لقد اتفق المجتمعون على عزل عمر باشا من منصب الداى وتعييني مكانه ٠ ومنذ استلامى مقاليد الحكم ، وانا ساهر على حماية البلد ، دون ان يـدفعنى ذلك الى الافتخار بتقلدى امور البلاد ٠

كان الـواجب يحتم علينا رفع الطاعة والولاء اليكم والدفـاع عن البـلاد بجهادنا وحماية الفقراء والضعفاء وحل المشاكل المعلقة على الدولة ٠

ان عبدكم لصارف نهاره وليله ، الى اداء مثل هذه الواجبات ٠

نود من حضرة سلطاننا ، صاحب المكارم السنية والسعادة والعدل والخير ، ان يطلع على تقريرنا هذا ، حتى يكون حضرته على علم تام بما جرى لنا ٠

عبدكم على بن احمد ، متصرف الجزائر المحروسة ٠

25 ذى القعدة 1232 / 6 اكتوبر 1817 ٠

يلى ختم الداى على بن احمد ، أختام وزرائه وكبار الموظفين ٠ لقد استطعنا قراءة اسماء هاته الاختام ، ما عدا واحدا منها ٠ كما اننا اثبتنا تاريخ الختم الهجرى وارفقناه بما يعادله من التقويم المسيحى ٠

---

(82) **B.A. HH. 22486 c** ؛ ذكر على رائس الى السلطان فى تقرير آخر : « انه بدار الجهاد ، الجزائر ليست لنا الامكانيات لبناء باخرة فى ظرف سنة او سنتين . اما هاته المرة ، فبالنظر الى قلة ذخائرنا سوف لا نتمكن من القيام بذلك خصوصا وان جهودنا سوف تنصرف الى اصلاح مينائنا وقلاعنا ، والتى هى الان فى حالة خراب . نرجو من حضرة سلطاننا مدنـا بعدد مـن البـواخـر » .

(83) **B.A. HH. 22474** ؛ أنظر الشكل رقم 39 ، ص . 260 ـ 261 .

اسماء الوزراء من اليمين الى اليسار :

1) وكيل الخرج (وزير البحرية) : حسين بن ابراهيم ، 1232 / 1817 .
2) مقاطعجي (المكلف بفرض الضرائب ؟) : الحاج يوسف بن مصطفى ، 1232 / 1817 .
3) باش دفتر (سكرتير القلم) : الاستاذ احمد ، 12؟
4) روزنامجي (84) احمد كامية ؟ 12 ؟
5) رقمجي (85) : احمد بن مصطفى ، 1133 / 1769 .
6) السكرتير : حسن بن ابراهيم ، 1185 / 1771 .
7) قبودان يالى (قائد البحرية) : احمد ؟.
8) شيخ المسلمين : عمر بن مصطفى 12 ؟
9) القاضى : محمد بن محمود ، 1232 / 1817 .
10) نقيب اشراف مكة والمدينة ، محمد حسين .
11) المتصرف ، والى الجزائر : على بن احمد ، 1232 / 1817 .
12) خازنجي (المكلف بالخزينة) : ابراهيم بن سليمان ، 1322 / 1817.
13) آغا عرب (آغا العرب) : سليمان بن على ، 1232 / 1817 .
14) ات خوجسي (المكلف بالاداءات) : مصطفى بن محمد خوجة ، 1232 / 1817 .
15) بيت المالجي (المكلف بالاحباس والوراثات) : 1232 / 1817 .

---

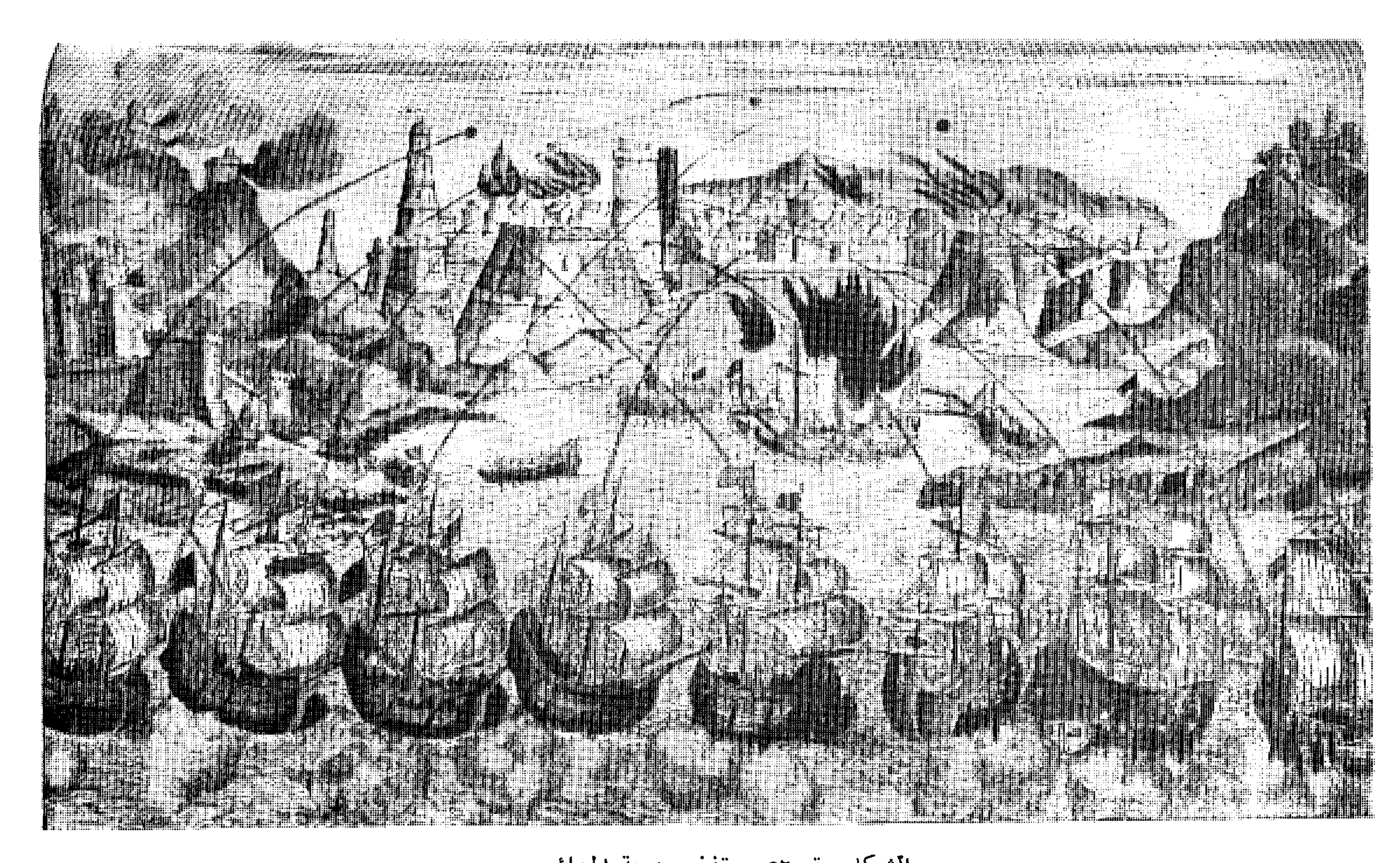
(84) ان وظيفة الروزنامجي فى الادارة التركية بالجزائر غير محدودة ولا هى معروفة . غير انه بالرجوع الى الادارة العثمانية بمصر ، نلاحظ ان هاته الوظيفة وجدت منذ فتح السلطان سليم لمصر سنة 1517 . فالروزنامجي بمصر هو اذن ، موظف يقع تعيينه من طرف باشا مصر من اعضاء الديوان ، ليدير مصالح الباب العالى المالية .

هل كان روزنامجي الجزائر يتمتع بنفس الصلاحية ؟ لا نستطيع تاكيد ذلك ، غير اننا نلاحظ ان دراسة مقارنة الادارة العثمانية بمصر والجزائر ، هو موضوع طريف سيؤدى حتما الى اكتشافات جديدة هامة ومثيرة .

لمزيد من الاطلاع على روزنامجي مصر ، راجع :

ESTERIE, Le Conte, **Mémoire sur les finances de l'Egypte depuis sa conquête par le Sultan Selym jusqu'à celle du Général en Chef Bonaparte, in, Description de l'Egypte, t. 12, pp. 41-248; 2ème;** édition, Paris, 1823.

(85) هل هو وكيل الحسابات ؟ ان هاته الوظائف الادارية الجديدة توحى لنا ان داى الجزائر الجديد ، لم يغير مركز ادارته والخزينة الى القصبة فقط ، بل يبدو من هاته الوثيقة ، انه ادخل على الادارة بعض الوظائف الجديدة !

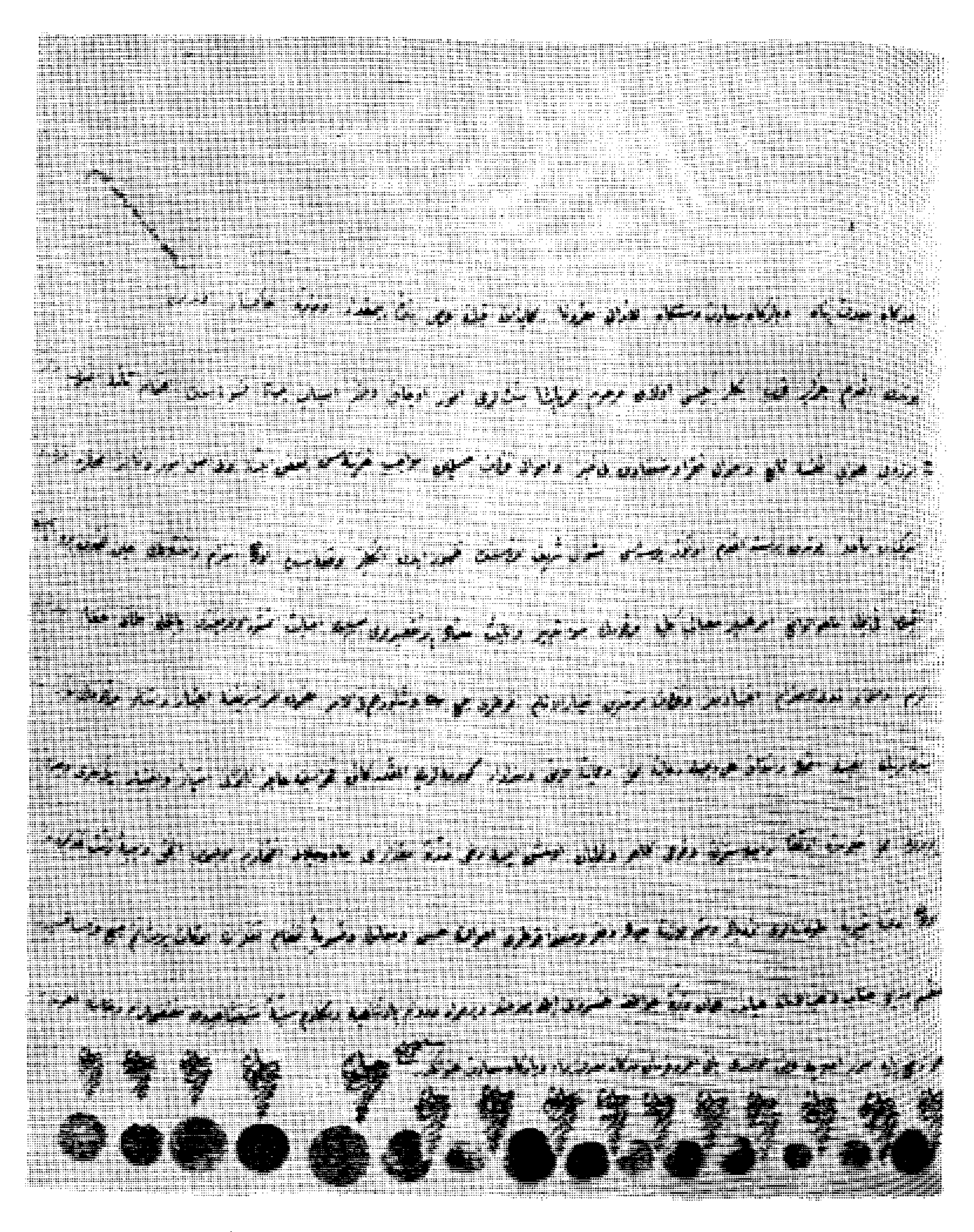


الشكل رقم 37 ـ قذف مدينة الجزائر .

ESQUER, G, *Iconographie historique de l'Algérie*, t. 1, planche, n° 131.

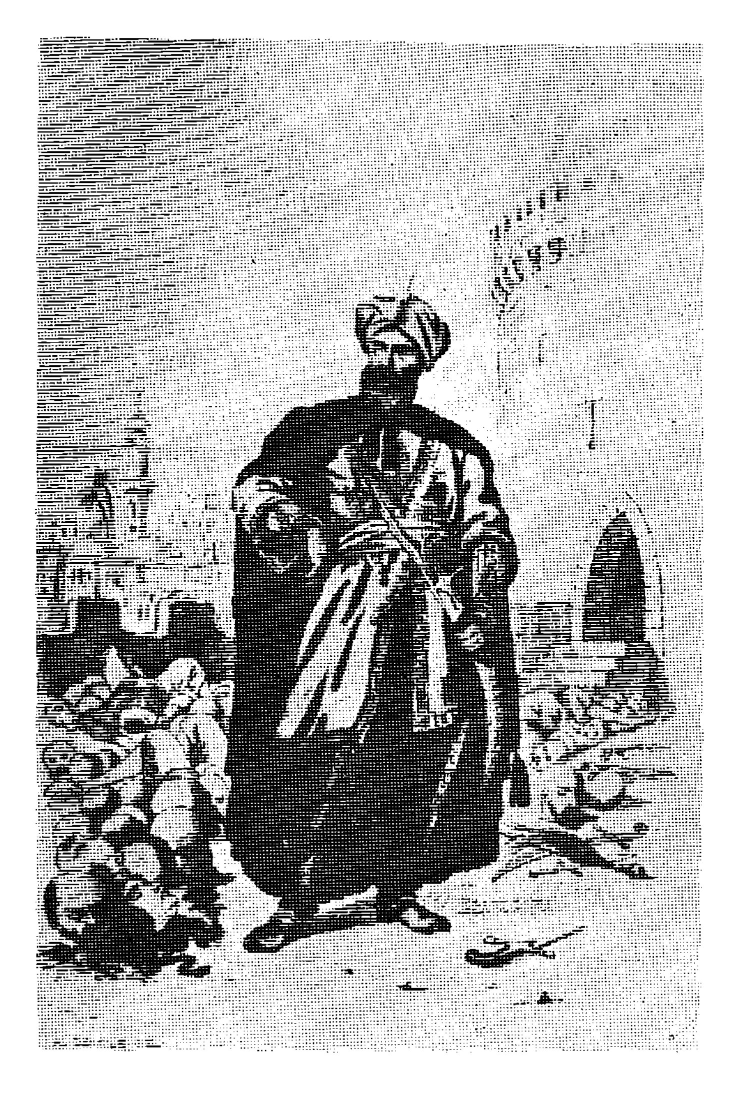
الشكل رقم 38 ـ رسالة وزير البحرية الجزائرى إلى السلطان محمود الثانى .

B.A; H.H; 22386 h.



الشكل رقم 39 ـ رسالة علي خوجة إلى السلطان محمود الثاني .

B.A; H.H; 22474.



الشكل رقم 30 ـ علي خوجـة

ESQUER, G, *Iconographie historique de l'Algérie*, t. 1, planche, n° 147.

VI

حسونة الدغيس الطرابلسي
وقضية الماجور لاين

حسونة الدغيس الطرابلسي

وقضيـة المـاجـور لايـن

اقترن اسم حسونة الدغيس بقضية وثائق الماجور لاين (1) اذ أن المؤرخين القلائل الذين تناولو بحث هاته القضية ، لم يقدموا لنا اى معلومـات حـول نشاط وتفكير حسونة الدغيس السياسى .

ومن الغريب جدا ان نلاحظ ان حسونة لم يقترن اسمه بقضية الماجور لاين فقط ، بل وايضا بقضية الاحتلال الفرنسى للجزائر ، ثم نشاطـه بلنـدن وباريس ، والتحاقه باستنبول حيث عمل فى المصالح العثمانية . وتكشف لنا وثيقة أخرى ، كانت قد وجهت الى حسونة بتاريخ 15 رجب 1231 / 11 جوان

---

(1) كشاف انقليزى من شمال بريطانيا ، وهو اول الاوروبيين الذين وصلوا حتى مدينة تمبكتو . ولد بمدينة ادنبرة فى 27 ديسمبر 1793 ، وبعد خدماته فى غرب الهند، انضم الى الفيلـق الملكى الافريقى (Royal African Corps) 1822 ، وقد ارسل فى نفس هاته السنة . من طرف الحاكم شارل ماكرتى (Charles MAC-CARTY) الى بلاد مندوقو (MANDOGO) لغرضين اثنين : العمل على ازدهار التجارة ، وثانيا العمل على منع تجارة الرقيق فى هاتـــه المنطقة . وفى هاته البلاد عثر الماجور لاين على منبع روكل (ROKALL) كما قام بدور نشيط فى حرب اشنتى (ASHANTI) (1823 ـ 1824) .
طلب اليه وزير المستعمرات البريطانية ان يقوم باكتشاف تمبكتو . وعليه غادر الماجـور لاين بريطانيا فى شهر فيفرى 1825 . وبتاريخ 14 جويلية تزوج من الانسة امة ورنقتـن (Emma WARRINGTON) بنت القنصل الانقليزى بطرابلس الغرب . وبعد يومين مـــن زواجه بطرابلس الغرب ، شق الصحراء ، وقد وصل غدامس عن طريق اكتشافه طريقـــا جديدا ، فى شهر اكتوبر 1825 . وفى شهر ديسمبر وصل الى منطقة توات (TOUAT) وفى 10 جانفى 1826 ، غادر توات شاقا صحراء تنزروف (TANEZROUFT) ليصل الى مدينة تمبكتو فى 12 سبتمبر 1826 ، بعد مشاق كثيرة . وفى نفس الشهر غادر تمبكتو ، غير انـه اغتيل فى ليلة 26 سبتمبر 1826 . اما وثائقه فلم يعثر عليها مطلقا .
نشر بلندن سنة 1826 ، كتابه :
« Travels in the Timannee Kooranko and Soolima Countries in Western Africa ».

1816 أن شخصه كان مشهورا وأن عائلته كانت عمدة التجار ، كما واشتهرت بالعلم (1 مكرر) .

وبالاضافة الى ذلك يعد حسونة الدغيس أول مغربي ، وأحد الشخصيات العربية الهامة ، قبل رفاعة الطهطاوي ، عندما احتك بالحضارة الاوروبية وثمن ثمارها ، كما وأنه تمكن من مجالسة الطبقات الارستقراطية الحاكمة بأوروبا ، وعرف أبعاد تفكيرها؛وقد كان المترجم الامين لتلك الحضارة لدى رجال الدولة العثمانيين ، عندما عهدت اليه بعض الوظائف بمركز الامبراطورية العثمانية .

وبذلك نشعر باهمية هاته الشخصية المغربية والتي سنحاول رسم خطوط حياتها ، معتمدين علي بعض الوثائق التي عثرنا عليها والمحررة بخط يده .

***

نعلم ان حسونة الدغيس قد انحدر من عائلة تركية من ارض الروم ، وان جده قد وصل طرابلس الغرب في اواخر القرن السابع عشر باذن من السلطان العثماني ، ليكون نائب الوالى بطرابلس الغرب ، وان افراد عائلته قد تولت كلها ، المناصب العليا في الولاية (2) .

لا نعلم بالضبط متى ولد حسونة الدغيس ، غير أننا نعلم أن والده لما كان

(1 مكرر) الرسم رقم 173 ، 31.232 .. B.M., ADD.

فيما يلي نص الرسالة التي وجهت الى حسونة من طرف احمد بن الطيب بن محمد بن عبد السلام « بسم الله الرحمان الرحيم .

وبعد حمد من علم بالقلم ، وشرفه في القسم ، والصلاة والسلام على النبي الاعظم وآله الغر المصابيح الظلم ؛ فاعلى ما يهتم به ذو الهمم في الزمن الذى افتخر غالب أهله .. (!) التودد والتظرف لمن تبع أباه في الاشتغال بما يعنيه في أمر دينه ودنياه . وماذاك الا سلالة عمدة التجار ، أعني تجار هذا الدار وتلك الدار ، ذوو الاسرار المصونه ، كما شاهدنا يد أهل العلم بالكتب وغيرها ، أدام الله النفع به ، الفاضل بن الفاصل ، سيدى حسونة ، أحسن الله خاتمتنا واياه ، ومنحنا فوق ما تمناه ، وجمع بينه وأحبته على ما يرضيهم ويرضاه ، جمعا يسر أهل وده ، ويرغم أعداه ، وماذا أكتب مما مر على المسامع مع نعومة الغرر ، التى غبط السمع بها والبصر ، فلعمرى لو سطر القلم ما سطر من أوصافه ، فالضمير محتو على أضعاف أضعافه ، هو البحر ان حدثته عن محاكاته ، عجزت عن آستيعاب تلك العجائب ، وان رام فكرى أن يحيط بوصفه احاط عليه العجز عن كل جانب ، خلد الله جزيل نعمته لديه ، ووفقه للخير وأعانه عليه ، بجاه سيد الانام ، ونبراس الظلام ، كتبه محبكم على الدوام ، أحمد بن محمد بن عبد السلام ضحى الثلاثاء المنتصف من شهر رجب 1231 »

وفى ظهر الرسالة : يتشرف الحكم والاجل ، الا عز الاكمل ، سيدى حسونة دغيس ، نجل عز الامام الكامل سيدى الحاج محمد الدغيس .

(2) 37 / 76 .F.O ، تقرير حسونة الدغيس الى الحكومة الانقليزية ، راجع الوثيقة رقم 4 والمنشورة آثر هاته الدراسة ، ص . 303 ـ 321 .

وزيرا ليوسف باشا قرمانلي ، شجعه على دراسة ومعرفة الحضارة الاوروبية ؛ وان حسونة قد اقام : « زمنا طويلا باوروبا لـدراسة لغـاتها ، قوانينهـا ، وعادات شعوبها المختلفة · كلما وساح في بلادها وخاصة فرنسا » (3) ·

اما والده فكان يهيؤه يوما ما ، لادارة شؤون البلاد (4) ·

ان جريدة سيمافور دو مرساي (Le Sémaphore de Marseille) تخبرنا ان حسونة كان تاجرا وانه اصيب بافلاس : « لقد شوهد حسونـة في مـرساي متباهيا بالبذخ ومهديا عطوره على النساء كالسائح ازوبيك ، غير انه تنقصه فلسفته وتفكيـره · لقـد غـادر حسـونة مرسـاي الى لنـدن وهـو مثقـل بالديون ··· » (5) ·

لقد ساح كثيرا في شبابه وتمكن من معاشرة الطبقات الراقية في المجتمع الاوروبـي (6) · وقـد عـده قنصـل السـويـد قـرابيـر دوهمسـو (Graberg De HEMSO) من انـه : « نـادرة زمـانه في المعـرفـة والعلـم والحتضير ··· » (7) ·

وعندما قفل راجعا من اوروبا ، عهد اليه يوسف باشـا قـرامنلي ، وزارة الخارجية ، التي كان يقوم عليها والده حتى وفاته سنة 1826 (9) · وفي آخر هاته السنة نفسها بينما كان حسونة ، بقرطاج طلبا للـراحة والاستجمـام ، اتصل آنذاك بامر رجوعه الى طرابلس الغرب (10) ·

وفي ذلك الوقت كانت الخصومة بين القنصل الفرنسي البارون روسو (11)

---

(3) A.E.، **القسم السياسي طرابلس الغرب الدفتر ، رقم 2** ، رسائل حسونة الى وزير خارجيـة فرنسا بتاريخ 13 سبتمبر 1832 ، راجع الوثيقة رقم 3 المنشورة اثر هاته الدراسة ص 295 . 302 .

(4) F.O. 76 / 37 محضر حسونة الى مجلس العموم البريطاني . راجع الوثيقة رقم 4 ص . 303 . 321 .

(5) راجع عدد 12 سبتمبر 1829 .

(6) **ROSSI Ettore, Storia di Tripoli e della Tripolitania della conquesta arab al 1911.** ص . 279 ملحوظة رقم 75 ، رومة ، 1968 .

(7) **المصـــدر نفسه** .

(9) مكاكي ، رودولف ، ترجمة طه فوزي ، **طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي** ، ص 210 ، القاهرة . 1961 .

(10) F.O. 76 / 37 ، من محضر حسونة الى مجلس العموم البريطاني ، راجع الوثيقة رقم 4 ، ص . 303 – 321 .

(11) كان قنصل فرنسا بالبصرة (1807) والسكرتير الثاني بالبعثة الفرنسية بطهران (1807) ثم القنصل العام بحلب (1808) ثم ببغداد (1814) واخيرا القنصل العام بطرابلس الغـرب (1824) ، توفي سنة 1830 . كان روسو مراسل المجمع العلمي الفرنسي واحرز على رتبـة البارون .

(Le Baron ROUSSEAU) والقنصل الانقليزى ورنقتن (WARRINGTON) على أشدها حدة ، وجعلت البلاد تعيش وضعية غير عادية وقابلة للانفجار •

لما ان ديون الباشا المتراكمة والتى تحصل عليها بفائض مجحف من طرف دائنيه الفرنسيين والانقليز ، قد سهلت تدخل القنصلين المذكورين فى كل شؤون البلاد •

اما القنصل الانقليزى فقد عمل على تفوق السيادة الانقليزية على بقية قناصل الامم الاخرى ، كما وحاول ربط صداقته بحسونة الدغيس وجعله خاضعا لنفوذه واوامره (I2) •

كان حسونة يتمتع بثقة القنصل الانقليزى بادىء الامر ، وقد وصفه القنصل روسو سنة 1826 من انه : « رجل شاب كله دهاء ومكر وعجب ، وعلى الرغم من الحفاوة التى استقبل بها فى فرنسا ، فانه يعد عدونا اللدود ، حيث عمل ، بدون تحفظ ، على صيانة مصالح القنصل الانقليزى (I3) •

غير ان حسونة الدغيس الذى كان يدرك الوسائل الغير الشرعية التى يتوخاها القنصل ورنقتن والذى اساء استعمال نفوذ وسلطة حكومته ، بتدخله فى وضعية البلاد ، قد وجد ان مثل هذا التصرف غير معقول ، وعليه فقد اراد وضع حد لذلك (I4) •

قام حسونة الدغيس باعلام يوسف باشا بتلون سلوك ورنقتن وبمؤامراته ضد الدولة والشعب ، وبالطريقة الجافة والعنيفة التى يستعملها لبسط نفوذه وهيمنته على بقية القناصل • وقد ذكر حسونة فى تقرير وجهه الى مجلس العموم البريطانى ، ان القنصل ورنقتن حاول بوسائل مخجلة وعنيفة ان يحيدنى عن طريقى ، وبذلك جعل كل الولاية تعيش فى اضطراب نتيجة مؤامراته ، كما وحاول تفقير البلاد والحط من الوالى فى اعين رعاياه ، الشىء الذى سبب عزل هذا الاخير ••• » (I5) •

(I2) مكاكى ، رود ولف ، **نفس المصدر** ، ص .2I0 ، يذكر ان حسونة كان مستشار ورنقتن ورجل ثقته ، وعندما ظهرت قضية وثائق الماجور لاين واتهام ورنقتن حسونة الدغيس بانه سلم وثائق الماجور الى البارون روسو ، لم يفتأ هذا الاخير ان ذكر فى احدى رسائله لوزير خارجيته ، ان حسونة الدغيس هو رجل الثقة واقرب الناس الى القنصل الانقليزى ورنقتن ، راجع • A.E : **القسم السياسى ، طرابلس الغرب ملف رقم 2** ، رسالة روسو هاته بتاريخ ، I7 جوان 1829 .

(I3) رسى ، اطورى ، **نفس المصدر** ، ص . 279 . ملحوظة رقم 74 .

(I4) **F.O** : 76/37 ، راجع الوثيقة رقم 4 ص . 303 – 32I .

(I5) **المصدر نفسه** .

ومن هنا نشأ سوء التفاهم بين ورنقتن وحسونة والذى اودى بالقطيعة ثم بعزل هذا الاخير من منصبه كوزير للخارجية وتعويضه بالوزير شلبى (16) .

ان تاريخ طرابلس الغرب خلال هاته الفترة يعكس سوء التفاهم بين ورنقتن وحسونة والذى سيصبح بعد حين ، موضوع نزاع بين روسو وحسونة الدغيس من جهة والوالى يوسف باشا وورنقتن من جهة اخرى فى قضية وثائق الماجور لاين .

سوف لا نتعرض بالتفصيل لسرد حوادث هاته القضية ، ذلك اننا نرى ان التحقيق الذى اجرته الحكومة الفرنسية والذى سننشره كاملا اثر هاته الدراسة ، هو اوفى عرض واكمله لكل معطيات القضية (17) .

***

نكتشف بعد اطلاعنا على هذا التقرير ان حسونة الدغيس لم يكن طرفا فى هذا الاتهام وانه عندما شعر بخطر المؤامرة التى حيكت ضده ، خصوصا وان الباشا صهره كان يعمل هو الآخر على الفتك به ، فر حسونة هاربا الى ملاكا على ظهر سفينة امريكية (18) ، ومنها انتقل الى فاس بالمغرب الاقصى ، وهناك كاتب زميل له بلندن : «لقد غادرت طرابلس الغرب لاكون بمنجى من الاستبداد والظلم ، حيث ساقتنى الاحداث الى مدينة فاس » (19) .

ومن فاس لم يفتأ يعلن عن براءته : « انى على يقين من نفسى ، ان اجمل التسلية والمساعدة هى تلك التى يمنحها لى اليوم اصدقائى...وستساعدوننى وتعاضدوننى فى هاته القضية ، حتى انال حقوقى من هذا الذى افترى على ، وامحو هاته الشائبة التى لحقت بى ... » (20) .

وقد عرض حسونة الدغيس على زميله سكارلوط رغبته بالالتحاق بلندن : « لو طلب الى السيد درامن (21) او حكومته الموقورة حقيقة هاته الحادثة المشينة ، والتى لا تشرف رجلا انقليزيا شريفا ، حيث كان يعمل

---

(16) مكاكى ، رود لف ، **نفس المصدر** ، ص . 210 .
(17) نرى من المفيد لقرائنا الاطلاع الان على هذا التقرير ، ص . 277 ـ 290 .
(18) **A.E ؛ القسم السياسى ، طرابلس الغرب ، ملف رقم 1** . تقرير الحكومة الفرنسية ، كذلك محضر حسونة الى مجلس العموم البريطانى .
(19) **F.O.؛ 76/37** ، رسالة حسونة الدغيس الى صديقه اسكار لوط بتاريخ 20 جويلية 1830 ، راجع الوثيقة رقم 2 المنشورة أثر هاته الدراسة ، ص: 292 ـ 295
(20) **المصدر نفسه** ، لم نتمكن من العثور على معلومات حول شخصية سكارلوط .
(21) هو القنصل الانقليزى بطنجة .

ضد مصالح بلاده ، فاني لا اضن بالرد ، ذلك اني لا اعتقد ان السيد ورنقتن قد امرته حكومته ان يتصرف باستبداد ضدي وبدون سبب • ثم إنه قد عمل على اضطهاد شقيقي في غيابي عن الولاية ، كما وأن ورنقتن قد اتخذ لتنفيذ اغراضه ، الوثائق المزيفة بطرابلس الغرب • وتستطيعون ان تخبروا السيد درامن اني على أحر من الجمر للوصول الى لندن حتى ادلل من انا ، واعرض عليكم سلوك القنصل الغير اللائق • واذا اردتم انتم او السيد درامن تشريفي بتوجيه رسائلكم ، فليكن ذلك بعنوان سيدى الحاج الطالب بن جلول وزير جلالة سلطان المغرب بفاس ، بحيث اني اذا لم اكن هناك ، فان الوزير المذكور سيسلمها لي في الاماكن التي سأكون مقيما بها » (22) •

ان الحكومة البريطانية التي هي على علم بطبيعة القنصل الجافة وببطلان وعدم صحة اتهام هاته القضية ، التي استفحل امرها ، نتيجة سلوك ممثلها الاعمى ، (23) قد قبلت عرض حسونة الدغيس للالتحاق بلندن •

ان وزير المستعمرات البريطاني جورج موراى (24) (Georges MURRAY قد ارسل دعوة الى حسونة الدغيس (25) للالتحاق بلندن وعرض قضيته على العدالة ، كما وطلب منه ان يعمل في المصانع البريطانية في وزارة المستعمرات •

وقد قبل حسونة ذلك العرض شريطة ، أن تفصل القضية بالمحاكم ، وان تعتبره الحكومة الانقليزية كأحد رعاياها ، وان يمتثل خصمه هو الآخر امام العدالة ، واخيرا ان تناقش القضية امام المحكمة وعلى رأس الملا (26) •

ومن شروط حسونة ايضا ، ان يكون التحاقه بلندن عن طريق ليفورنة وليس عن طريق فرنسا • ولنا ان نتساءل لماذا طلب حسونة الدغيس ذلك ؟

---

(22) F.O. ؛ 76/37 ، رسالة من حسونة الى زميله سكارلوط بتاريخ 24 جوان 1830 .

(23) BERNARD, Augustin, **Un mémoire inédit de Pellissier de Reynaud** in, Momorial Henri BASSET, t. XVII, Paris. 1928.

يلاحظ ان ورنقتن قد تزوج البنت الغير الشرعية للملك جورج الرابع ، جون اليزا براس (Jean Elisa PRISE) ومن المحتمل جدا ان تكون تلك الرابطة ، هي التي جعلت الوزراء يتغاضون عن اعماله وتصرفاته .

(24) جنرال ورجل دولة انقليزي ، ولد في 6 فيفرى 1772 شارك في حملات هولاندا (1799) ومصر (1801) وهانوفر (1805) وستراكند (1807) . كما اشتغل في البرتغال واسبانيا وانتخب عضوا في مجلس العموم البريطاني ثم وزيرا للمستعمرات سنة 1828 .

(25) F.O.76/37؛ محضر حسونة الدغيس الى مجلس العموم البريطاني ، راجع الوثيقة رقم 4 ، ص 303-321.

(26) F.O.76/37؛ رسالة حسونة الى صديقه سكارلوط ، راجع الوثيقة رقم 2 ، ص . 292-295.

هل لملاقاة زميله سيدى الحاج بدوى أو للتعرف على حسين باشا داى الجزائر السابق والمقيم فى ذلك الوقت بمدينة ليفورنة ؟

هل حسونة الدغيس يعرف سابقا حمدان بن عثمان خوجة وحسين باشا ؟ أم هل كان يعمل على التعرف على هذا الاخير ؟

نذهب الى فرضية ان حسونة الدغيس على علاقة بحمدان خوجة وبحسين داى الجزائر السابق ٠ وهذا هو السبب الذى جعل هذا الاخير يكلف حسونة بتقديم قضيته (27) الى سمو الوزير (28) ، « وان يعرض عليه شرح تلك المسألة وان يكون حسونة الدغيس هو الواسطة بينه وبين حكومة فرنسا فى كل المسائل المتعلقة » (29) ٠

⁂

قد وصل حسونة الدغيس الى لندن ليطالب الحكومة الانقليزية بعرض قضية اتهامه من طرف ورنقتن على العدالة البريطانية ٠ غير ان الوزير جورج موراى الذى استدعاه ، قد عزل من منصبه ٠ وتغيرت الظروف السياسية ولم يتمكن حسونة من ايجاد اذن صاغية لشكاياته ، بل على العكس من ذلك ، قد جابه مواقف الكراهية من المسؤولين البريطانيين (30) ٠ وعليه قام حسونة برفع شكاياته الى كل المسؤولين ، وتعددت رسائله اليهم ، ولكن

---

(27) اتهمت الحكومة الفرنسية حسين باشا السابق بمحاولة اثارة شرق الجزائر ضد الفرنسيين ، عندما عثرت على رسائل حسين باشا الى بعض المشائخ .

(28) الدوك دوبروقلى وزير خارجية فرنسا انذاك .

(29) **A.O.M. ,E. 32**؛ رسالة حسين باشا الى وزير خارجية فرنسا بتاريخ 26 فيفرى 1833 . نستنتج من حواشى هاته الوثيقة ملاحظتين اولاهما : ان حسين باشا طلب من حسونة الدغيس ان يعرض على الحكومة الفرنسية رغبة الباشا فى التوجه الى اسكندرية والحصول على الاذن بذلك . وثانيهما : ان حسونة الدغيس كان صديقا لحسين باشا وحمدان بن عثمان خوجة . راجع نص هاته الرسالة منشورا بـ :
PLANTET, Eugène, Correspondance des Deys d'Alger avec la Cour de France, t, 2, pp. 678-579, Paris, 1889.
كذلك راجع : **F.O.** ؛ 3/33 ، رسالة من سان جون ، قنصل انقلترا بالجزائر بتاريخ 20 نوفمبر 1831 ، والتى جاء فيها : « لقد ترك داى الجزائريين موكلا عنه هو حسونة الدغيس الطرابلسى وقد أرسل هذا الاخير مذكرة الى سيدى حمدان خوجة ، طالبا منه رأيه فى الموضوع » .

(30) **F.O.** ؛ 76/33 ، رسالة حسونة الدغيس الى نائب وزير السيد هاى (HAY) بتاريخ 27 اوت 1832 ، وهى محررة باللغة الفرنسية .

بدون جدوى : « لقد كنت وزير لباشا طرابلس الغرب ورجل نبل وأصالة ، ولست حقيرا . لقد جئت استجدى العدالة ضد الظلم فى بلد حر » (31) .

وعندما ظهرت الفتنة بطرابلس الغرب رجع حسونة الى باريس . وقد كتب آنذاك الى وزير خارجية فرنسا الدوك دو بروقلى (Duc De BROGLIE) « لقد كنت بلندن اتابع فيها قضيتي لدى الحكومة البريطانية عندمـا علمـت بنبـأ الثورة المحزن بطرابلس الغرب (31 مكرر) ... وادراكا منى لهاته الاضرار التى ستنزل بالبلاد ، رأيت من واجبى الالتحاق بفرنسا التى اعتبرها وطنى الثانى لاعرض على حكومة جلالة ملك الفرنسيين حامى الحرية ، الوسائل التى يجب اتخاذها ، اذا ما اراد التدخل لانقاذ البلاد من الخطر الذى يتهددها . وهو فى ذلك يقوم تجاهي باقدس عمل . ومن جهتى ، فانى سأقوم بواجبى تجـاه بـلادى وتجـاه فـرنسا ايضـا ، ذلـك ان المصالـح مشتـركـة وهى غيـر منفصلة ... » (32) .

وفى مجموع رسائله التى رفعها الى وزير خارجية فـرنسا ظهـر حسـونة بمظهر المخلص للفرنسيين . فبعد ان ابان اسباب الانتفاضة الشعبية بطرابلس الغرب ، طلب تدخل الحكومة الفرنسية التى هى سيدة الجزائر ، ان تعمل على اقرار السلم بالبلاد .

وبذلك قام حسونة الدغيس باعلام وزير الخارجية الفرنسي بانجع الوسائل للتصرف فى مثل هاته الوضعية ، مبينا السبل التى يجب توخيهـا لمسانـدة سيدى على باى ، وباجبار يوسف باشا للتخلى على الحكم لفائدة ابنه الاكبر : « واذا ارادت الحكومة الفرنسية تطبيق هذا الاجراء ، وقبلت مبدأ وساطتها لانقاذ مواطنى ، ثم طلبت منى مزيدا من المعلومات حول الوضعية العامة ، او تحرير بعض الرسائل بالعربية حسب ادراك وعقلية هاته الشعوب ، فان ذلك سينتج عنه الاثر الطيب وسأستجيب لذلك بكل سرور . ومـن واجبـى ان امتثل لاوامر الحكومة الفرنسية ، وسأسخر كل وقتى لشرح الطرق الـواجب

---

(31) F.O. ، 76/33 ؛ رسالة حسونة الدغيس هاته بالفرنسية وهى بتاريخ 25 ماى 1832 وقـد وقد رفعها الى وزير المستعمرات السيد قودريك (GODERICH) .

(31 مكرر) كان سبب الثورة فى طرابلس الغرب ، هو القرار الذى اتخذه يوسف باشـا قرمانـلى بفرض ضريبة على سكان المنشية ، والتى كانت معفاة منها ، حتى يتمكن الباشا من تسديد ديونه . غير ان الاهالى قد رفضوا ذلك ، معلنين الثورة ومقرين عزل يوسف باشا واحـلال محمد باى مكانه .

تبنيها في مثل هاته الظروف ، والتي يمكن ان تعطى نتائج طيبة لافريقيا وفرنسا ... » (33) .

لقد كان ذلك مشروعا ومسعى غربين قام بهم هذا الملتجىء السياسى الغريب . ان كل كل الوسائل يجب ان تكون صالحة في نظره ، ليتمكن من التمتع بنفوذه وسلطته السابقة ، بدلا من ان يكون فريسة للمرض والاحتياج والحنين الى الاهل والبلد .

وعلى الرغم من ان قنصل فرنسا بطرابلس الغرب السيد شوبيل (SCHEWBEL) ، الذى كان يؤيد سيدى على ، قد طلب تدخلا عسكريا لفائدة الباشا الجديد ، فان وزير خارجية فرنسا الدوك دو بروڤلي ، المعروف بمذهبه التحررى ، قد رد على القنصل بانه : « ليس لنا مصالح خطيرة في الولاية ، حتى نستعمل السلاح لحمايتها ... » (34) .

ومن جهة اخرى فان الوزير الفرنسي قد استقبل حسونة الدغيس بمكتبه بالوزارة ، واظهر له تجاوبا لاقتراحه . ولكن شيئا لم ينفذ اثر تلك المقابلة . وعليه قام حسونة باعادة تذكير الوزير ، غير ان المسعى الثاني هو الآخر ، لم يؤد الى نتيجة .

⁂

ان فعاليات حسونة بباريس قد اخذت وجهة جديدة ، عندما اهتم بالقضية الجزائرية بوصول حمدان بن عثمان خوجة الى باريس (35) .

ان هذين الشخصين الملتجئين الى باريس ، والذين تعوزهما الامكانيات المادية ، كانا يعملان على اثبات حقوقهما لدى السفارة العثمانية بباريس ، وعلى اثارة سخط رجال السياسة الفرنسيين ، الذين عرفوا بمناهضتهم لاحتلال الجزائر . فمنذ وصول حمدان خوجة الى باريس ، عمل هذا الاخير بالاشتراك

---

(32) A.E. ؛ **طرابلس الغرب ، القسم السياسي** ، رسائل بالفرنسية من حسونة الى وزير خارجية فرنسا بتاريخ 27 سبتمبر 1832 . راجع الوثيقة رقم 3 المنشورة اثر هاته الدراسة،ص 295 - 302 .

(33) **المصدر نفسه** .

(34) FERAUD, Charles, **Annales Tripolitaines**, p. 356; Tunis, 1929.

(35) لا نعلم بالتدقيق وبيقين ، اذا كان حسونة يعرف حمدان خوجة قبل سنة 1832 ؟ ولكنه من المحتمل جدا ، ان يكونا قد تعارفا على بعضهما ، اثناء رحلاتهما بانقلترا وفرنسا قبل الاحتلال الفرنسى للجزائر .

مع حسونة على نشر كتاب « **المرآة** » ، مدللا على فضائح الاحتلال الفرنسي للجزائر (36) ٠

لا نملك اى معلومات حول وجهات نظرهما تجاه كل القضايا التى عالجوها ، وهذا راجع الى عدم وجود وثائق تتناول هذا الموضوع بالبحث ٠

ومن جهة اخرى ، اتصل حسونة الدغيس بسفير الدولة العثمانية بلندن السيد نورى أفندى ، ومع مصطفى رشيد باشا السفير العثمانى بباريس ، وعرض عليهما معطيات القضية الطرابلسية والجزائرية ٠

وفيما يخص القضية الاخيرة ، لم يفتأ حسونة يثير انتباه المسؤولين العثمانيين حول قوة الامير عبد القادر والحاج احمد باى قسنطينة،ومصاعتهما للفرنسيين (37) ٠

اما المسألة الطرابلسية فقد دعى السفيرين العثمانيين لمساندة سيدى على، موضحا ان سبب الاضطراب التى كانت الولاية مسرحا له ، راجع الى الدسائس التى ما انفك القنصل الانقليزى ورنقتن ، يحيكها بتأييده محمد باى (38) ٠

وعندما عين مصطفى رشيد باشا ، السفير العثمانى بباريس ولندن على التوالى ، تدخلت الدولة العلية لضم طرابلس الغرب ، الى مركز الدولة العثمانية ٠ وقد راى حسونة ، بطلب من السفير ، ان يشد رحاله الى استنبول ليعمل على ادارة النسخة الفرنسية الرسمية لجريدة « تقويم الوقائع » (39) وليصبح بعد ذلك رئيس تحريرها (40) ٠

وفى استنبول قدم حسونة الدغيس عدة تقارير الى السلطان يحثه فيها على اجراء المباحثات السياسية لاسترجاع الجزائر ، على ان تعهد اليه مهمة ذلك : « ان الوقت هاذا (كذا) هو الذى تمكن فيه المعاطات فى استنقاذ الجزائر وايالتها ورفع حجاب الحماية عن مصطفى باشا والى تونس وبه يتم الامر ٠ لان الاسباب متهيئة والمواد حاضرة بطريق البوليتقة الدائرة بين اهالى الاوروبة٠٠٠

---

(36) راجع دراستنا الثالثة المنشورة حول كتاب المرآة ، ص . 133 — 142 .

(37) **B.A. ، HH. A** 47966 ؛ رسالة نورى افندى بالتركية الى الباب العالى (1836 ؟)

(38) المراسلات السياسية لمصطفى رشيد باشا عندما كان سفيرا بباريس ولندن) المنشورة فى الوثائق التاريخية ج . 2 ، ص . 146 . استنبول ، 1941 . Tarih Vesikaleri
BAYSUN, Cavid, Musptafa Rasid Pasa **Paris ve Londra sefaretleri esnasindaki siyasi yazilari,**

(39) يمكن لنا ان نتساءل لماذا لم يقفل حسونة الدغيس راجعا الى طرابلس الغرب بعد ربط الولاية بالبلاد العثمانية سنة 1835 ؟ غير اننا نذكر ان خصمه السياسى ورنقتن ، مازال مقيما بطرابلس الغرب كقنصل لبلاده .

(40) **A.E.** ؛ **تركيا القسم السياسى ، الدفتر** ، رقم 273 ، رسالة السفير روسين الى وزارة الخارجية الفرنسية بتاريخ 20 ديسمبر 1836 .

وان طولب الحقير بتفصيل هاته المعاطات ، ووجهها وكيفيتها ، فانه بحول الله وقوته ، يبذل ضعيف جهده ولا يعدم وجه الصواب ان شاء الله تعالى » (41) .

كما قدم حسونة الدغيس ايضا عدة تقارير اخرى متحدثا عن الامة الانقليزية وعن نجاعة ادارتها (41) ، مدللا على ان الانقليز هم اصدقاء العثمانيين الامناء وانه يجب على الباب العالى ان يتعاون معهم لاسترداد الجزائر ، وليحيط كل محاولات قياصرة روسيا لضرب الامبراطورية العثمانية والقضاء عليها (43) .

غير ان الموت عاجل حسونة ، فلم يمكنه من القيام بدور الوسيط وان يؤدى واجبه فى المصالح العثمانية ، و « توفى فى 17 ديسمبر 1836 ، مصابا بمرض الطاعون الذى اودى به فى بضع ساعات » (44) .

***

لقد كانت حياة حسونة الدغيس مضطربة جدا ، وقد ذهب ضحية القنصل ورنقتن عندما رفض مساندة مؤامراته . اما يوسف باشا فقد انحاز الى القنصل ضد صهره ، عندما اتهمه بانه كان وراء اغتيال الماجور لاين والمستحوذ على وثائقه . غير ان حسونة المؤمن ببراءته ذهب للدفاع عن نفسه الى ترجمة كتاب فطل (VATTEL) (45) : Le droit des gens ou principes de la loi naturelle appliqués à la conduite et aux affaires des nations et des souverains . (46)

لقد التجأ حسونة الى اوروبا ، طالبا القصاص من متهميه فى قضية الماجور لاين ، غير انه لم ينجح فى ذلك .

---

(41) B.A. HH. 2500 ، رسالة حسونة هاته الى السلطان وهى بدون تاريخ ، ولكن يبدو انها كتبت قبل وفاته بقليل ، راجع الوثيقة رقم 5 المنشورة اثر هاته الدراسة ، ص .

(42) فى رسالة اخرى يمدح حسونة نظام الانقليز ، للمحافظة على وثائق مستعمراتهم ، هل يكون ذلك دليلا على انه اشتغل بنفس تلك الوزارة ؟

(43) ان هاته الوثائق ستكون موضوع بحث منفرد نأمل القيام به فى مستقبل الايام .

(44) راجع ملحوظة رقم 40 .

(45) 138 YVER, Georges, Mémoire de Sidi Hamdan R.A., 1913; p. 138
ان حمدان خوجة هو الذى اشار الى هاته الترجمة ، غير اننا لا نعلم هل حسونة ترجم النص الكامل للكتاب ام بعض نتفه ؟
وحسب حمدان ، تمت هاته الترجمة من الفرنسية الى العربية بنصها الكامل لانه يذكر بعض المقتطفات من الكتاب الثانى والثالث .

(46) الطبعة الجديدة ، (PRADIER, Fodère, M. R.) ج ، 1 باريس ، 1863 .
ان كتاب فطل ليس فقط بحث حول حقوق البشر ، بل ايضا دائرة معارف للحقوق المدنية .

اما فى فرنسا فقد حاول اثارة الملك لوى فيليب ضد يوسف باشا قرامنلى ومن المحتمل ان يكون حسونة قد لعب دورا لدى السفير العثمانى بباريس ولندن للاطاحة بيوسف واحلال ابنه مكانه ٠

وبعد الحملة العثمانية الناجحة على طرابلس الغرب ، قبل حسونة ان يعمل فى المصالح العثمانية ، واضعا معرفته باوروبا وبانظمتها وبتاريخ الولايات العثمانية بافريقيا وبعاداتها ، فى خدمة الدولة العلية ٠

لقد حاول حسونة ان يثير اهتمام الباب العالى باحتلال تونس ليجعل من الولايات المغربية الثلاث التى يبلغ سكانها ، حسب رأيه ، خمسة عشر مليونا ، وحدة ادارية تابعة للسلطنة العثمانية (47) ٠

ان حياة حسونة الدغيس والتى حاولنا رسم بعض خطوطها ما زالت تحتاج الى من يلقى عليها الاضواء ، ذلك ان الوثائق التى بين ايدينا ، وهى مصدرنا الوحيد فى ذلك ، لم تمكننا من تعميق معرفتنا حول هاته الشخصية المجهولة٠

غير اننا هدفنا من هاته الدراسة اثارة الاهتمام حول شخصه ، والدور الذى قام به على المسرح السياسى المغربى فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ٠

باريس 1970/3/30

---

(47) لاشك أن سكان تونس والجزائر وليبيا لا يتجاوز ، على أكثر الاحتمالات ، سبعة ملايين خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر .

قسم الوثائق :

1 ـ تقرير الحكومة الفرنسية من قضية وثائق الماجور لاين •

2 ـ رسالة من حسونة الدغيس الى صديقه سكارلوط •

3 ـ رسائل من حسونة الى الحكومة الفرنسية •

4 ـ تقرير حسونة الدغيس الى مجلس العموم البريطاني •

5 ـ رسائل من حسونة الدغيس الى رجال الدولة العثمانيين •

المدخل الى الوثيقة رقم 1

فى شهر أوت 1829 وبعد موت الكشاف الانقليزى الماجور لاين فى سبتمبر 1826 ، اتهم القنصل الانقليزى ورنقتن زميله الفرنسى البارون روسو ، بانه كان وراء الاغتيال والمستحوذ على وثائق القتيل .

اما القنصل الفرنسى ، فايمانا منه ببرائته ، حاول ان يبرهن على ذلك امام الباى والقنصل الانقليزى ؛ غير أن مساعيه ذهبت سدى امام اصرار القنصل رونقتن والباشا على اتهامه . فاضطر اثرها على مغاردة البلاد .

غير ان القنصل ورنقتن تمادى فى حركته الاتهامية بكل عنف ، مما أحرج كل الاطراف ، وخاصة حكومته التى طلبت من الحكومة الفرنسية ، مساعدتها على معرفة الحقيقة فى هاته القضية العسيرة والشائكة .

وقد قبلت الحكومة الفرنسية التحقيق فى المسألة ، حتى لا تتسبب فى خلق مشكلة جديدة بين الحكومتين فى ظرف احتدت فيها خلافاتها مع بريطانيا حول قضايا المشرق والمغرب العربى .

***

ان الوثيقة التى أنشرها هنا هو النص الكامل لهذا التحقيق الهام ؛ انه تحليل مفصل ومقنع لكل معطيات القضية ، بحيث لا يدع المجال لاثارة هاته القضية من جديد ، تلك القضية التاريخية المجهولة من مؤرخى وباحثى تاريخ مغربنا ، العرب والاجانب على حد سواء .

ع. ت.

الوثيقة رقم 1

صاحب سمو الامير (1) ٠

ان السيد البارون روسو (Mr. Le Barron ROUSSEAU) قنصل الملك العام بطرابلس الغرب ، قد آتهم من طرف قنصل آنقتلرا بأنه تحصل بخدعة على الوثائق المخطوطة للماجور لاين (Major LAING) ٠ وقد كلفتنا (2) بالتحقيق فى هذا الاتهام ، ورفع نتائج دراستنا اليكم ، حول اتهام السيد روسو اولا ، ثم ثانيا : حول الخلاف الذى نشأ اثر ذلك بين باى طرابلس الغرب والقنصل الفرنسى ٠

ان اللجنة قد درست بعناية كل الوثائق التى تفضلتم بتسليمها الينا ، كما وتناقشت على انفراد مع كل من البارون روسو والسيد كليرمبو (CLAIRAMBAULT) نائب القنصل بطرابلس الغرب ؛ وسنبدأ بعرض الحوادث التى استنتجناها من دراستنا لمعطيات الموضوع ٠

⁂

فى شهر سبتمبر 1826 ، غادر الماجور لاين تمبوكتو (Tombouctou) حيث امضى هناك عدة اسابيع وكانت غايته التوجه الى بلاد بمبرا (Bambarra) . كان الماجور مصحوبا بمرشد اعرابى ، وبزنجى كان قد أعتقه ، اسمه بنقدار (BENGUEDAR) وبعد ثلاثة ايام من مغادرتهم تمبكتو ، اغتيل الماجور لاين (3) ٠

ان الظروف التى احاطت هذا الجرم ، قد نقلت بوجوه مختلفة ؛ الا ان بنقدار الذى تمكن من اللحاق بطرابلس الغرب ، اعلن من جديد فى مالطة ، حيث سيق اليها ليكون بعيدا عن تأثير المسلمين عليه ، ان الماجور لاين قد هوجم ليلا وانه (اى بنقدار) قد فقد وعيه ، نتيجة اصابته بضربة فى

---

(1) **A.E : طرابلس الغرب ، ملف رقم 1** ، وثيقة مترجمة عن الفرنسية .

(2) تكونت هاته اللجنة بتاريخ 17 نوفمبر 1829 وتتالف من :
1 ـ البارون مونيى (Baron MOUNIER) واحد اعضاء المجلس الفرنسى ، كرئيس .
2 ـ البارون هلاى دواسل (Baron Hely D'OYSSEL) احد النواب .
3 ـ السيد جوليان بسيار (M. Julien BASSIERE) احد النواب .
4 ـ السيد بوكفيل (BOUQUEVILLE) احد القناصل السابقين بالشرق .
5 ـ السيد كورنداز (M. CORANDEZ) احد القناصل السابقين بالشرق أيضا .

(3) كان ذلك بتاريخ 26 سبتمبر 1826 .

رأسه ، وعندما رفع مشعله ، لاحظ ان جسم سيده قد فارقته الحياة · وانه لم يشاهد بعد ذلك الجمل الذى يحمل كيسين بهما وثائقه المخطوطة وأعماله ·

لا شك ان السائح لاين قد لقى مصيرا مؤسفا ·

ان السيد ورنقتن (WARRINGTON) قنصل سعادة ملكة بريطانيا بطرابلس الغرب ، قد تأثر جدا بهاته المأساة ، خصوصا اذا علمنا ان الماجور لاين ، صهره (4) ، وانه ان فقد الامل فى لقائه فقد عمل على العثور على الاقل ، على مخلفات الماجور لاين ، وملاحظاته حول الرحلة التى قام بها ، ذلك العمل الذى توج مساعيه وضمن للامة الانقليزية ، الاسبقية فى اكتشاف مدينة تمبكتو ·

ان تصريح الزنجي بنقدار الذى كان متناقضا مع رواية اخرى تذهب الى الاعتقاد بان وثائق واعمال السيد لاين ، قد أبيدت باعتبارها ادوات سحرية·

كان هذا التصريح يفسح المجال للتفكير بأن هاته الوثائق قد وقعت بيد شخص ما ، ولذا يمكن استرجاعها منه ·

قام السيد ورنقتن بمحاولات نشيطة لدى الباى ليجعله يستخدم سلطته للعثور على تلك الوثائق ، واعادتها اليه · ولذا نزولا عند رغبة القنصل ، اصدر الباى أوامره الشديدة ، كما وأرسل مبعوثين الى كل الجهات ، للعثور على تلك الوثائق · الا أن هاته الاجراءات لم تعط اى نتيجة ·

***

وخلال هاته المدة ، اذيع خبر غير مؤكد ، مفاده أن الوثائق التى اختلست عند نهب أمتعة السيد لاين ، قد أرسلت من غدامس (مدينة تقع فى طريق تمبكتو) الى طرابلس الغرب ، وهو رأى تبناه السيد ورنقتن وحاول ترجيحه

---

(4) ان قضية زواج السيد لاين بالانسة امة ورنقتن (Emma WARRINGTON) بنت القنصل والتى ارتبطت بقصة سرية ومثيرة ، هى احدى اسباب الحقد الذى يكنه السيد ورنقتن تجاه القنصل روسو . لقد تاه ابن هذا الاخير تيموليون (TIMOLEON) بحب امة ، التى كانت تبادله نفس المشاعر ، الا ان السيد ورنقتن قد وضع حدا لهذا الحب العذرى ، عندما اجبر آبنته امة من التزوج بالماجور لاين .

تم عقد القران قبل يومين من سفر السائح . وبعد اغتيال هذا الاخير ، كان السيد ورنقتن مصرا على عدم اجتماع المحبين ، الشىء الذى أدى الى موتهما بعد ذلك بقليل ، راجع ، فيرو ، **نفس المصدر** ، ص . 336 – 337 ؛ وبرنار ، **نفس المصدر** ، ص . 81 .

لدى الباى ، منتهزا الفرصة ليطلب من جديد ، السعي للعثور على الوثائق المذكورة ٠

وعندما لاحظ السيد ورنقتن ان مساعيه لم تؤد الى أى نتيجة ، التجأ الى وسائل التهديد ، بقطع علاقاته مع الولاية ، ومنزلا علم بلاده من مقر القنصلية ٠

تلك هى معطيات الوضعية حتى اوائل شهر اوت 1829 ، عندما أسر الباى الى الجراح الانقليزى الدكتور دكسن (Doctor DICKSON) خبرا جاء فيه : « ان بعض الغدامسة قد سلموا وثائق السيد لاين الى حسونة الدغيس ، وزيره السابق ، وان هذا الاخير قد سلمها بدوره الى القنصل الفرنسي » واضاف الباى الى الجراح قائلا : « ان بعض سكان غدامس الذين هم على علم بكل القضية ، سوف يصلون الى طرابلس الغرب ، وأنه سيمكن السيد ورنقتن من الاتصال بهم » (5) ٠

ان الدكتور دكسن قد أذاع هاته المسارة ٠ وعندما علم حسونة الدغيس انه متهم باخفاء هاته الوثائق ، التى علق عليها اهمية بالغة ، التجأ الى قنصل الولايات المتحدة الامريكية ، وفى الليلة الموالية أقلع من طرابلس الغرب على ظهر باخرة اميركية (6) ٠

وفى نفس اليوم اى 9 أوت كتب أخو حسونة ، محمد الدغيس ، الى البارون روسو ، معلنا عن براءته وطالبا منه قبوله فى دار السفارة ، ومنحه حمايته من غضب الباى ٠

ومن الغد عندما ألح السيد ورنقتن على الباى ، شرح ماهية الخبر الذى أسر به الى الدكتور دكسن ، صرح الباى علانية ان حسونة قد سلم وثائق السيد لاين الى قنصل فرنسا ، شريطة ان يخفض هذا الاخير 40 فى المائة من الديون التى كانت على حسونة لبعض الفرنسيين الذين أدانوه ، وانه (اى الباى) لا يعلم شيئا عن مصير وثائق الماجور لاين التى حملها من تمبكتو ، غير ان السيد روسو حاز على الوثائق التى كان قد وجهها السيد لاين من

---

(5) انه من الواضح الان ، ان اساس الاتهام قد صدر عن الباى وليس كما ذهب اليه ميكاكى ، **نفس المصدر** ، ص . 217 ، ان الاتهام صدر عن ورنقتن .

(6) **A.E ؛ طرابلس الغرب ، ملف رقم 1** كتب القنصل روسو الى وزارة الخارجية الفرنسية بتاريخ 7 سبتمبر 1829 يقول : ان حسونة الدغيس الذى اعلن بشدة عن برائته ، كان يخشى ان يؤدى تاثير ورنقتن على الباى ، اتخاذ هذا الاخير بعض الاجراءات القاسية ضده » .

تمبكتو الى طرابلس الغرب • واخيرا فان المصدر الذى استقر منه هاته التفاصيل هو محمد الدغيس •

اعتمد السيد ورنقتن على اقوال الباى ، وعليه فقد طلب رسميا من القنصل الفرنسى روسو بواسطة قنصل هولندا ، استرجاع كل مخطوطات السائح القتيل •

اسرع البارون روسو باذاعة انه لا يعلم شيئا عن هاته المخطوطات ؛ كما وكتب الى محمد الدغيس ليعبر له عن دهشته لسلوكه ، اذ كيف سمح لنفسه ان يكون مصدرا لتلك الشائعات التى اعلنها عن لسانه ، الباى ، ثم طلب الحماية الذى تقدم به ، حيث اعلن موقفا مخالفا تماما •

رد محمد الدغيس بسرعة على رسالة القنصل قائلا : « ان كل ما تفوه به السيد ورنقتن منسوبا اليه ، هو الخطا بعينه ، وانه لو كان صحيحا ، لما التجأ الى طلب الحماية فى دار السفارة الفرنسية ، بعد اتهامه قنصل الملك » (7) •

واثر ذلك قام البارون روسو بتحرير كتاب فى نفس اليوم الى الباى بتاريخ 12 أوت ، طالبا منه تعليل التصريح الذى يدعى السيد ورنقتن ، انه صادر عن الباى ، وقد أنهى السيد روسو كتابه ، منذرا الباى انه اذا لم يستلم ردا منه حتى منتصف الليل ، فانه سيغادر الولاية وينزل العلم الفرنسى من دار القنصلية •

وفى اليوم التالى اجتمع البارون روسو بقناصل نابولى وطكسان والسويد والدانمارك وهولندا ، وقد قدم هذا الاخير الى محمد الدغيس ، الذى احضر فى ذلك الاجتماع ، شهادة خطية كان الباى قد نسبها اليه ؛ الا ان محمد الدغيس بعد ان دقق فى الشهادة ، أكد انها ليست صادرة عنه ، ولا هو خطه وامضاؤه ؛ ولتأييد ذلك قام القناصل جميعا بكتابة وامضاء محضر ، وفيه يصرح محمد انه لم يدل ابدا للباى باى شىء يمت بعلاقة الى وثائق السيد لاين ، التى لا يعلم عنها شيئا البتة •

غير انه فى نفس اليوم اتصل الباى برسالة من محمد الدغيس ، يعلمه فيها انه نظرا لطلبه الاحتماء لدى قنصل فرنسا ، فانه كان مجبرا ان يتبنى ذلك التصريح الذى نسب اليه مؤخرا •

---

(7) **المصدر نفسه** ، كتب محمد الدغيس الى قنصل فرنسا روسو : « أحلف بشرفى ان ذلك التصرح مناف للحقيقة ، وانه انتزع منى بوسائل التهديد والعنف ، وعليه فانى آتبرأ منه » .

وحسب اقوال ورنفتن ، ان هاته الرسالة الاخيرة قد وجهت الى الباى من مقر القنصلية الفرنسية نفسها • غير ان البارون روسو يؤكد هو الآخر ان محمد الدغيس عندما حل بمقر القنصلية ، أعلمه انه حرر تلك الرسالة تحت تهديد وباملاء سيدى على ، الابن الاكبر للباى ، والذى كان ماسكا مسدسه وواضعا اياه فوق رقبته •

ان هذا الحادث قد اكده السيد كليرمبو ، الذى اعلن من جهته ، انه شاهد منزل محمد الدغيس محاصرا بجنود الباى ، وكما وانه قد علم بما جرى شفاهيا من طرف محمد ، فى اللحظات التى تلت الحادث •

وفى يوم 14 أوت عندما لم يتلق السيد روسو ردا على رسالته التى وجهها الى الباى ، غادر طرابلس الغرب وأنزل عنم بلاده •

وفى يوم 16 اوت وصل اخيرا الغدامسة ، وقد أعلن الباى عن وصولهم وعليه فقد توجه القناصل الى قصر الباى لمعرفة ما يدلون به •

كان عدد هؤلاء الغدامسة اثنى عشر ، من بينهم شيخ وقاض • أعلن الغدامسى بابانى ، انه سلم الى السيد حسونة الدغيس بعض التذاكر ورسالتين • الا ان حسونة قال له : « لا بد ان هناك بعض الوثائق الاخرى » وعليه فقد طلب منه ان يفتش من جديد ويحملها اليه • وعندما رجع بابانى الى غدامس ، اطلع السيد حاضر على أوامر حسونة ، وان هذا الاخير قد وجه بواسطة شخص آخر اسمه صارق (؟) رزمتين ملفوفتين بطلاء ومختومة بشمع احمر •

اما تصريح الغدامسى الثانى ، وهو أخو بابانى ، فقد اكد ما ذهب اليه أخوه •

وعندما سئل القاضى رد : « بانه عندما شاهد صارق لدى عودته الى طرابلس الغرب ، اخبره انه سلم الوثائق الى حسونة الدغيس ، واضاف القاضى ان الخبر اشيع فى غدامس ان تلك الوثائق قد سلمت الى قنصل فرنسا وليس الى قنصل انفلترا » • اما الغدامسة التسع الآخرون ، فقد صرحوا ان لا علم لهم بشىء •

وفى نفس المجلس حضر الباى سيدى مصطفى ، احد كبراء الولاية ؛ وكان السيد ورنفتن وبقية القناصل حاضرين ، وقد طلب الباى من سيدى مصطفى ، اذا كان صحيحا ان ابنه سيدى على ، قد اجبر محمد الدغيس تحت

التهديد وواضعا مسدسه على رقبته ، ان يحرر رسالة يتدارك فيها تصريحاته لدى قنصل فرنسا ؟ وقد اجاب سيدى مصطفى : « ان محمد قد حرر تلك الرسالة بمحض ارادته » ·

وبتاريخ 20 أوت امتثل محمد الدغيس أمام المحكمة التى دعاها الباى ، وبعد أن حلف محمد اليمين القانونى ، بأن لا يقول إلا الحق ، صرح : « أنه أحاط علما الباشا بكل ما يعرفه عن وثائق الماجور لاين ، وأن كل ما تفوه به عندما كان فى حماية القنصل الفرنسى ، ليس من الصحة فى شىء ، وأنه كان مجبرا على ذلك » ·

وفى 22 أوت ، اجتمع ديوان الباى ؛ وقد كرر محمد الدغيس بحضور عدد من القناصل من جديد ، تصريحاته التى أعلنها أمس البارحة امام المحكمة (8)·

وعندما سأل السيد ورنقتن ، هل صحيح ان حسونة قد سلم الوثائق الى السيد روسو شريطة ان يخفض هذا الاخير ديونه بنسبة 40 فى المائة ؟ وقد رد محمد بصورة قطعية مؤكدا ذلك ، واضاف ان السيد روسو قد تحصل ايضا على وثائق لابن بطوطة ·

إلا أن محمد الدغيس قد رجع فى كل هاته التصريحات ·

***

منذ ان غادر القنصل روسو طرابلس الغرب ، لم يقع اى اتصال بالباى ، ولا مع احد وزارئه · وقد رفض الباى استقبال الاشخاص الذين اوفدهم القنصل لايجاد تسوية ·

ونظرا الى ان القنصل لا يستطيع المكوث بطرابلس الغرب ، دون ان يسىء الى صفته السياسية لدى الباى الذى اختلق ، او على الاقل ، احتضن واذاع اتهاما ضده ، وان بقاءه أصبح غير مجد لحماية المصالح الفرنسية ، فقد قرر الاقلاع يوم 5 سبتمبر على ظهر سفينة نمساوية ، كانت قد حملته الى تونس ·

اطلع القنصل روسو سيادتكم لدى وصوله لمرساى ، بكل ظروف الواقعة التى دفعته الى مغادرة الولاية · اما السيد ورنقتن فقد اخبر حكومته

---

(8) راجع هاته الوثيقة بالعربية رقم 17 والتى نشرها كمال الدين عبد العزيز خربطلى ضمن كتاب ميكاكى ، **نفس المصدر** ، الملحق ، ص · 57 ــ 58 ·

بكل ما جرى ، وقد قدمت اليكم الحكومة الانقليزية موجزا من تلك المراسلة ، التى تتهم بصورة قطعية السيد روسو بأنه تحصل على وثائق السيد لاين ، بل ويشير الاتهام ايضا الى احتمال ان يكون (روسو) الحاث على اغتيال السيد لاين ٠

لا نتأخر ابدا في دحض هذا التلميح الشنيع ، غير اننا اعتقدنا ان لا جدوى من اثارة ذلك ٠ ان تلميح القنصل الاخير هذا ، يبين الى اى مدى كانت فجيعة القنصل بفقدان صهره عميقة ، الشيء الذى استهوى عقله لتبنى ذلك ، كما وجعله يلقى اهتماما لكل الظنون ؛ وعليه فاننا سوف نناقش فقط الاتهام الوحيد والذى عرض بصورة ايجابية ٠

ان دراسة رواية الحوادث التى عرضناها على سيادتكم ، تكفى ولا شك لتبين كم هو واه اساس هذا الاتهام ٠

صرح الباى ان السيد روسو اتصل بوثائق لاين من حسونة الدغيس ، واضاف ان تأكيد ذلك قد تأتى من شهادة محمد الدغيس ؛ الا ان هذا الاخير قد تراجع بصورة قطعية لكل ما صرح به للباى وامام المحكمة والديوان ٠

وفي الحقيقة فان محمد الدغيس قد تراجع ايضا لكل ما قاله لقنصل فرنسا ، الا ان تراجعه النهائى ، لا يتهم فيه السيد روسو مطلقا ، وهو يلغى حتما كل ما سبقه من تصريحات !

ولدحض ما ذهبت اليه سلطة البلاد ، فاننا نرى ان تصريح محمد قد انتزع منه بالتهديد او على الاقل ، قد اقترح عليه تحت وطأة الخوف ٠

لكن هل نفكر ان محمد كان يخشى حقد قنصل اجنبى اكثر من حقد الباى سيده ؟ هل نتردد عندما تتعلق المسألة بوضع تأثير الخوف وتهديدات العنف بين دار القنصلية وقصر الباشا التركى ؟

ان شهادة محمد التى تؤيد الاتهام ، هى على تلك الصورة ، تبدو لنا واجبة استبعادها ٠

تبقى شهادة احد الغدامسة والتى جاء فيها : « تأكد فى غدامس القول بان الوثائق ارسلت الى حسونة الدغيس ، والذى بدوره سلمها الى قنصل فرنسا » ٠

ولكن يكفي هنا ان نلاحظ ان هاته الشهادة ليست صادرة عن شاهد عياني · ان تصريح الغدامسي هذا ، لم يكن سوى تكرار خبر مبهم ، كان قد سرى في غدامس بعد ان انتشر في طرابلس الغرب · اما حسونة الدغيس فليس من مهمتنا التحقق في قضيته ، وحتى لو اثبت فعلا انه تحصل على وثائق السيد لاين ، فان ذلك لا يؤدي الى القاء اي عبء على السيد روسو ؛ ذلك ان تحقيقنا اثبت ان هذا الاخير لم تقع بين يديه الوثائق المذكورة ·

ولكن هل يمكن ان يكون صحيحا أو قريبا منه ، ان تكون وثائق الرحالة القتيل قد وقعت بأيدي حسونة الدغيس ؟ اننا لا نعتقد في ذلك ·

علام يستند اذن ، اتهام الباي لاحد وزرائه السابقين ؟ استند فقط على تصريحات اخ حسونة ، محمد الدغيس ، وعلى شهادة الغدامسيين · ان تصريحات محمد لا يمكن ان تكون لها اهمية اكثر لحسونة منها لروسو ، ذلك ان محمد قد الغي تلك التصريحات بشهادة تراجع ، لا لبس فيها وبمحض ارادته ·

وهل يمكن رفض شهادة الغدامسيين الذين قدموا خصيصا لتأييد الاتهام الذي كان قد اختلق من قبل ؟ واذا اعتبرناها شرعية وصحيحة ، ما احتوت عليه اذن ؟

ان أحدهم ذكر انه حمل الى حسونة بعض العقود ورسالتين ، وان هذا الاخير قد طلب منه ان يفتش للعثور على وثائق اخرى ؛ ولدى عودته اخبر هذا الغدامسي شخصا اسمه حدر بذلك ، وان حدر هذا قد ارسل كيسين يحتوان على وثائق الى طرابلس الغرب ·

ولنقبل ان الغدامسي قد حمل فعلا عقودا او رسالتين الى حسونة ؛ فمن الواضح ان ذلك يتعلق بعقود كان الماجور لاين قد سلمها ليتحصل على المال ، وانها فعلا قد وصلت الى طرابلس الغرب ، حيث وفت بغرضها ·

ان حسونة الذي يعلم اهمية العثور على وثائق الماجور لاين ، كان قد اوصى طبعا الغدامسي بالتفتيش عنها ، وهنا تنتهي الحوادث التي لها علاقة مباشرة بشخص حسونة ·

ثم ان هذا الغدامسي يعلم ان مواطنه حدر ، قد وجه الى حسونة كيسين يحتوان على وثائق ، ويمكن لنا ان نتساءل لماذا لم يدع الباي حدر الذي يبدو انه الشاهد العياني الرئيسي والهام ؟ لماذا ايضا لم يدع الشخص الذي حمل الكيسين المعنيين بالامر ، للامتثال وللادلاء برأيه ؟

اقلع حسونة الدغيس على ظهر باخرة امريكية فارا بنفسه ؛ وقد علم سيادتكم انه التجأ الى ملاقا (MALAGA) ٠

لقد فسر سلوك حسونة بشكل آخر ، وقيل ان هروبه من الولاية معناه الاعتراف بانه مذنب ٠ هاته النتيجة هي بالتأكيد مبالغ فيها ؛ واذا نصح غالبا الاشخاص الذين اتهموا بحجج واهية ، في الشعوب الاكثر تحضرا أن يكونوا في مأمن من القصاص ، بهروبهم ، فانه يكون من الطبيعي جدا ان يلتجأ الى ذلك ، خصوصا اذا كان الاتهام قد غذته حرارة العواطف الافريقية ، وان المتهم ليست له ضمانات اخرى غير صيغ العدالة الشرقية ! !

تستنتج من هذا أن الباي يعلق أهمية بالغة على هاته القضية ، وأنه كان يأمل باصرار ، أن يعود حسونة الى اتهام قنصل فرنسا ٠

ويمكن ان يتساءل لماذا اظهر الباي مثل ذلك النشاط في قضية من هذا القبيل ، ومثل ذلك الحقد ضد البارون روسو ؟

سوف نشرح ذلك ، ونبين في نفس الوقت الملابسات التي تبدو لنا ، قد مهدت أساس هذا الاتهام ٠

***

منذ ثلاث سنوات ، اعتقد قنصل فرنسا ان الباي قد قصر في حقه (9) وعليه فقد طلب منه تقديم تسوية مرضية جدا ، وقد تحصل القنصل على ذلك ، غير أن تلك التسوية خلفت في ذاكرة الباي ، شعور الغل تجاه القنصل ؛ الا ان حادثة اخرى جاءت لتزيد من استيائه وغضبه ٠

وقصة ذلك ان السيد البارون روسو ، استدعى في السنة الفارطة ، ان يتفاوض لايجاد تسوية بين (حكومة) الصقليتين وولاية طرابلس الغرب ٠ وقد قام القنصل بذلك بكل نجاح ؛ كما وان المبلغ الذي يسلم عادة للباي ، قد انخفض الى 20٠000 (10) ٠

---

(9) اساس هاته القضية هي الاهانة التي وجهت ضد قنصل فرنسا في الحفلة التي اقامها لاحد المواسم الملكية ، ذلك ان الباشا الذي وعد بحضور الحفلة ، قد تخلى عن ذلك في اللحظات الاخيرة ، في حين كان القنصل يتوقع قدومه من حين لاخر .
لقد دفع محمد الدغيس ، صديق ورنقتن ، الباشا على هذا التصرف وعليه فقد عد السيد روسو ذلك اهانة ، فانزل علم بلاده وغادر الولاية ، راجع ، فيرو ، **نفس المصدر** ، ص . 328 .

(10) كلمة غير واضحة ويبدو انها اسم للنقد المالي بالصقليتين .

ان السيد ورنقتن الذى كلف بتسوية هاته القضية من قبل وفشل ، قد اوحى للباى ، ان ملك نابولى قد اذن بتقديم مبالغ اكثر بكثير من التى حدثت على يد قنصل فرنسا٠واذا علمنا انه لا يعرف شجع على المال مثلما هو معروف عن الولايات المغربية ، فان الباى كان مقتنعاً ان السيد روسو قد حرمه من مبلغ ضخم ، وعليه انتهز الباى الفرصة للانتقام منه ٠ ومن جهة اخرى فان السيد ورنقتن لم يكف ، كما لمسنا ذلك ، عن الالحاح على الباى للعثور على وثائق لاين ، كما وانه قطع علاقاته الرسمية مع الولاية ، وأنزل العلم البريطانى ، معلنا انه لا يرفعه الا بعد استلامه تلك الوثائق المفقودة ٠

تلك هى معطيات الوضع عندما اذيع فى طرابلس الغرب ، ان تلك الوثائق هى فى حوزة السيد البارون روسو ؛ وعليه استغل الباى ذلك الخبر،اذ موقفه ضد القنصل قد دفعه بسرعة الى تبنى ذلك الاتهام والذى مكنه بتحقيق هدفين ، أولا : الاساءة الى القنصل ، وثانيا : النجاة من قصاص قنصل انقلترا ٠

أنزل السيد ورنقتن علم بلاده ، ومعنى ذلك بالنسبة للرأى العام ، ان الباى لم يتمكن من ارجاع المخطوطات التى كانت محل طلبات عديدة من طرف القنصل الانقليزى ٠ أما الآن فقد وجه هذا الاخير كل مجهوداته ضد البارون روسو ٠ يتساءل هنا طبعا ما هو السبب الاصلى لذلك الخبر الذى انتشر بطرابلس الغرب ؟

ان دراسة الوثائق التى بأيدينا ، ستمكننا من معرفة السبب ٠

ان السيد البارون روسو هو احد المهتمين البارزين بالدراسات الشرقية ، ولقد اهتم بالتفتيش عن المخطوطات العربية ٠ وعندما ارسل السيد روسو من طرف سلطات الملك الى السواحل المغربية ، ركز اهتمامه حول الاشخاص الذين يمكن ان يقدموا له ، معلومات حول مداخل افريقيا ؟ واثناء ذلك كان يترقب الحصول على مخطوط لسيدى على بابا (II) ٠

(II) فقيه وعالم سودانى . ولد بتمبكتو فى 26 اكتوبر 1556 وتوفى فى 22 افريل 1627 . واثناء فتح سلطان المغرب احمد المنصور للسودان ، رفض على بابا الاعتراف بسلطة مراكش ، وادى ذلك الى نقله الى المغرب ، ولم يجد حريته الا مؤخرا .

الف حوالى خمسين كتابا حول الفقة المالكى والنحو ومواضيع اخرى ومجموع تاليفه ، تشكل احدى المصادر الرئيسية للمغرب فى القرن السادس عشر راجع F.I ، الطبعة الجديدة 2 ج ، I ، ص . 288 .

حرر هذا المخطوط الاخير فى القرن الخامس عشـر ، ويحتـوى على وصف لتمبكتو ؛ وعليه اعلن السيد البارون انه ينتظر الحصول على كنز ادبى يحتوى على وثائق هامة حول تمبكتو (I2) ٠

انه من السهل جدا ان مثل ذلك الزعم ، اذا مـا وصـل الى علم اشخاص يجهلون كل معطيات القضية ، يمكن ان يفهم منه ، الوثائق التى جمعها الماجور لاين ، حيث شغلت الناس جميعا ٠ هذا التحول هو ولا شك منشأ الخبر الذى انتشر فى البلاد ، وكان بالنتيجة اساس الاتهام ٠

لا بد ان نلاحظ هنا ، كيف ان اللبس الذى وقع بين الوثائق القديمة التى كان السيد روسو ينقب عنها ، وبين وثائق السيد لاين ، قد اشتبه على الناس فى طرابلس الغرب ، عندما نطلع على مذكرة لقسم المستعمـرات البـريطانية سلمت الى سيادتكم من طرف سفير ملكة بريطانيا ، والتى جاء فيها : « ان كل حجج المقارنة قد اجتمعت ضد السيد روسو ، آخذين بنظر الاعتبار ما كتبه الى السيد بربيى دو بوكاج (Barbier De BOCAGE) حيث أخبره انه يأمل الحصول قريبا على تاريخ حول تمبكتو لسيدى على بابا ٠

لنتساءل من هذا المؤلف الذى يسميه السيد روسو ، سيدى على بابا ، فى حين ان الباى يصرح انه لا يعلم عنه شيئا ؟

نذكر مثالا آخر لهذا اللبس الذى نؤكـد عليه ٠ ان محمـد الـدغيس فى تصريحاته لدى محضر الديوان ، أعلن ولا شك ذلك تحت اوامـر الباى او الشخص الذى يأتمر به ، ان السيد روسو قد احرز لا على وثائق السيد لاين فقط ، بل ايضا على وثائق لابن بطوطة ٠

ان ابن بطوطة هو احد الكتاب المشهورين الذين اهتموا بالادب العربى ٠

ان السيد روسو قد تحصل فعلا فى طرابلس الغرب على نسخة من كتابه ٠ حيث اعلن فى ذلك الوقت انه سيهديها الى المكتبة الملكية بباريس ٠

يبقى علينا الآن ان نتمم هذا النقاش بتذكير سيادتكم ، انه لتبرير تسليم حسونة الدغيس الوثائق الى السيد روسو ، أعلن محمد الدغيس ان القنصل الفرنسى قد أخفض 40 فى المائة من الديون التى كانت على حسونة، لفرنسيين كانوا قد طالبوا باموالهم ٠

(I2) نستطيع ان ندرك بسهولة ، حرب الاعصاب بين القنصليين ، اذ كل منهما يتحدى الاخر ٠

انه من الصحيح ان مسألة التسوية قد تمت ، ولكنها كانت بتاريخ 15 مارس 1827 • وهى بالتالى قبل إثارة قضية وثائق السيد لاين بكثير ؛ بحيث انه لا يمكن لنا ان نعير هاته الحجة ، الا مظهرا جديدا من العناية التى استغلت بسببها ظروف الحادثة ، ولتخدم بذلك هاته السفسطة حيث أريد بها ، تحت حجة عدم وجود حادث مادى ، خلق الاتهام •

وبالنتيجة فان اللجنة قد اعتقدت بالاجماع أنه ليس من الصحة فى شىء ان تكون وثائق الرحالة لاين ، الذى عرف نهاية محزنة حيث اثارت اسفا صادقا فى كل من فرنسا وانقلترا ، قد وقعت فى حوزة حسونة الدغيس ، وانه من الخطا على اية حال أن تتكون تلك الوثائق قد سلمت الى السيد البارون روسو ، وان التهمة التى وجهت ضده لا تستند الى أى أساس •

***

ندرس الآن كما ان سيادتكم قد طلبنا ذلك ، سلوك السيد روسو فى الخلاف الذى نشأ بينه وبين الباى ، والذى كانت التهمة منشأه ، الشىء الذى أجبر القنصل روسو الى التخلى عن الوظيفة التى عهدها اليه الملك •

يبدو ان هذا الخلاف كان لاول وهلة نقاشا شخصيا ، اذ لم يتعلق بممارسة وظيفته ؛ ومن هاته الزاوية فاننا نستغرب كيف أنه بت فى امر مغادرته طرابلس الغرب ، خصوصا وقد سحب معه نائبه ، وانه بالتالى قد قطع العلاقات السياسية بين البلدين • غير انه يبدو لنا ان دراسة جدية للظروف التى حاطت الحادثة ، قد أيدت أو على الاصح قد برأت سلوك القنصل •

ان قناصل الملك فى الموانىء المغربية ، لهم اهمية ثانية غير التى للمراكز الاخرى • فليست لهم فقط وظيفة حماية التجارة ، بل إنهم معتمدون كقائمين بالاعمال الملكية لدى هاته الولايات ، ويتمتعون أيضا بسلطة مباشرة على كل الفرنسيين الذين هم تحت كفالة القنصلية • ويستخلص من ذلك أنه يجب عليهم اظهار اهتمام اكثر للدفاع عن كل ما يمس مكانتهم ، كما ويجب الحفاظ على شرف منزلتهم ، حتى يكونوا فى وضعية تسمح لهم بالقيام بالمهمة التى عهدت اليهم على أحسن وجه •

اتهم السيد روسو علانية من طرف الباى ، وبحضور كل القناصل ، زملائه • كانت هاته التهمة خطيرة وبغيظة جدا ، بحيث أن رجلا ذا شرف لا يستطيع تحملها •

كان شعور السيد روسو ببراءته عميقا جدا ، وأداه الى ان يطلب من الباى رسميا الاعتراف بذلك • واذا كانت المهلة التى حددت للباى تبدو وجيزة جدا ، ويجب ان لا ننسى ان هاته المهلة لم تكن الا مجرد انذار بالتهمة بحيث ان السيد روسو طلب بتاريخ I2 أوت ، جوابا سريعا من الباى بتهديده ، فى حالة رفض الباى ذلك مغادرة البلاد • الا ان السيد روسو لم يقلع من طرابلس الغرب الا 5 سبتمبر •

وخلال هاته المدة حاول مرارا عديدة التفاهم مع الباى ، حيث يمكن ان تكون تأويلات السيد روسو قد تضع حدا للخطا ، وتؤدى بالتالى الى اعادة المياه الى مجاريها • ولكن الباى قد رفض مقابلته ، ولم يرد ايضا استقبال نائب القنصل ومترجم السفارة ؛ وعليه فان انزال العلم الفرنسى كان معناه ان العلاقات قد قطعت بين البلدين •

استخدمت هاته الوسيلة غالبا فى هاته الولايات ، ولقد علمنا كيف ان القنصل ورنقتن قد التجأ الى نفس الوسيلة فى طرابلس الغرب، ليتحصل من الباى على وثائق لاين ، والتى يؤكد الباى عدم امكانية العثور عليها •

هل نتعجب اذن ، بعد ان اعطى السيد ورنقتن المثال ، ان يلتجأ قنصل فرنسا الى ذلك ؟ خصوصا وقد كان عرضة لتهمة لاذعة اثرت عليه كثيرا باعتبار صفته الخاصة ، كما وقدحت فى شخصه باعتبار صفته العامة •

وعندما لم يتحصل من الباى على الرجوع فى اتهامه ، فانه لم يعد يقدر على استئناف علاقاته السياسية معه ، وبالتالى اصبح وجوده عديم الجدوى لحماية مصالح الفرنسيين • وبالاضافة الى ذلك ، كان القنصل روسو يخشى ان يؤدى الغضب بالباى الى ارتكاب حادثة ، تكون عواقبها وخيمة ، ويمكن ان تمس مباشرة شرف حكومة الملك • وعلى العكس من ذلك ، فان ابتعاده قد ازال عن الباى ، فرصة استغلال كل المناسبات لتعميق الخلاف •

يبدو ان كل هاته الاعتبارات قد بررت قرار الانسحاب الذى اتخذه السيد البارون روسو • ولكن الا يمكن ان يترك نائبه فى حالة غيابه لادارة شؤون القنصلية ؟

نذهب الى التفكير فى امكانية ذلك ، وانه لو اتخذ مثل هذا الموقف لكان افضل ، خصوصا اذا اخذ بنظر الاعتبار ان الباى لم يفتأ يردد ، انه لا يفكر فى قطع علاقاته مع حكومة الملك •

⁂

يستنتج من المعلومات التى بين ايدينا ، ان سبب رفض البـاى استقبـال نائب القنصل هو عدم رغبته مناقشة قضية وثائق الماجور لايـن ، بحيث لا يمكن ان يستخلص من ذلك ، عدم رغبته بحث مشاكل القنصلية مع السيد كليرمبو • غير ان البارون روسو ذكر ان بقاء نائبه سيكون بدون جدوى ، اذ حسب رأيه ، ان الباى سوف لن يقابله على الرغم من أن ذلك يتعلق بشؤون القنصلية ، بل على العكس ، يمكن ان يتعرض لغضب الباى فى حـالة سفـر القنصل • وأخيرا انه من الطبيعي واللائق ان السيد كليرمبـو ، بين انـه يشارك القنصل شعوره بالتهمة الموجهة اليه •

ان مرام السيد البارون روسو لا يمكن القدح فيها ، فان أخطـأ فى تبنـى الملك الذى كان يجب اتخاذه ، نذكر ان الاسباب التى يقدمها ، تبدو مقنعة فى وضعيته كمتهم ، اتخاذ الموقف الاكثر حيطة وحذرا •

نضيف الى ذلك ان القنصل عندما سحب معه نائبه ، كان من الاولى تسليم ادارة اعمال القنصلية الى احد ممثلى الامة ، ليرفع علم البلاد • الا ان السيد البارون يؤكد عدم وجود اى فرنسى فى المستوى المطلوب ، ليقـوم باعمـال الانتداب ، وهو يرى أن حماية مصالح الفرنسيين ، ستؤمن بصـورة لائقـة عندما كلف نائب قنصل اسبانيا بذلك ، حيث تفضل بقبول تلك المهمة •

***

وبالنتيجة فان اللجنة تعتقد ان السيد روسو الذى هوجم علانية فى شرفه، باتهامه انه اخفى وثائق السيد لاين ، قد طلب من الباى الرجوع فى ذلك ، وانه فى حالة عدم قيام هذا الاخير بتـراجعه ، فان القنصـل لا يستطيـع ان يمارس علاقاته السياسية فى الولاية ، دون ان يثير لديه الشعور بالسخط ، خصوصا اذا كان الاتهام قد وجه لرجل نزيه وشريف •

وعندما رفض الباى الرجوع فى تصريحاته ، فان القنصل قد تبنى مسلكا اكثر حذرا بانسحابه منه ، لو بقى معرضا لنتائج غضب الباى ، الذى يمكن ان يقوم بردود فعل اخرى ، تمس حكومة الملك التى ستجد نفسها مجبرة على طلب اصلاح ذلك ؛ كما وللقنصل عذره ، عندما امر نائبه بمغادرة طرابلس الغرب •

ومع هذا فانكم تعلمون ايها الامير ، ان الباى الذى اراد تجنب اعتبار سفر قنصل فرنسا ، علامة على قطع العلاقات بين الدولتين ، قد ألزم نائب قنصل اسبانيا رفع العلم الفرنسى •

نرفع الى سيادتكم كل الوثائق التى سلمتموها إلينا ، وكمـا ونطلب من سموكم ، قبول احترامنا وتقديرنا •

اللجنـة

الوثيقة رقم 2

لقد استلمت (1) بسرور عميق رسالة صديق تربطني به ذكرى غالية على نفسي ، نعم يا عزيزي سكارلوط (SCARLETT) . لقد غادرت طرابلس الغرب لأكون بمنجى من الاستبداد والظلم .

لقد ساقتني الاحداث الى مدينة فاس حيث استلمت رسالتكم بتاريخ 5 ماي.

انني مقتنع تماما باخلاص صداقتكم وصداقة السيد والدكم ، اذ لا ضرورة الى تأكيد ذلك من جديد ، لأني على يقين من نفسي ، ان أجمل التسلية او المساعدة ، هي تلك التي يمنحها الى اليوم أصدقائي (حيث تعدون أولهم) .

نعم ستساعدونني وتعاضدونني في هاته القضية ، حتى أنال حقوقي من هذا الذي أفترى علي وأمحو هاته **الشائبة** ؛ ذلك ان هاته القضية فريدة من نوعها في التاريخ قديمه وحديثه ؛ وحتى **الطغاة** فانهم لم يضطهدوا أعدائهم بمثل هاته الوسائل التي عوملت بها .

انكم على حق عندما عجزتم عن ادراك ماهية هذا الاتهام والغدر والقتل ، اذ لمثل هذا يقشعر الانسان . أن خصمي ذو سلوك مكيافلي .

تنعتون الشخص أو الاشخاص الذين أتهموني بأنهم اعداء ، ولكن ألاحظ ان حقد العدو لا يذهب الى ذلك ، انه حقا عدو الانسانية ، فلا ضمير ولا شرف له .

لقد فقدت وطني كما تقول يا عزيزي ، ولكن لم أفقد احترام مواطني . انهم على يقين من نزاهتي ومن بهتان هذا الاتهام، كما انهم يعلمون طبيعة الاستبداد

---

(1) F.O. 76/37 : رسالة بالفرنسية من حسونة الدغيس الى صديقه الانقليزي سكارلوط ، وهو مرسلة بتاريخ 20 جويلية 1830 . راجع الشكل 19 ، ص . 136 – 137 .

الذي يمارسه ورنقتن (WARINGTON) بطرابلس الغرب • ولولا ذلك لما تمكنت من انقاذ نفسي ، ان هاته الشائبة تلحق **الأمة بأسرها** • لندع حججنا حتى موعد لقائنا •

لتتفضلوا بتقديم احترامي واعترافي بالجميل الى معالي وزير جلالة ملكة بريطانيا السيد جورج موراي (Sir Georges MURRAY) للمحادثة التي افضاها اليكم بخصوصي ، ولتفكيره السامي حول شخصي • لتؤكدوا له من جديد براءتي ، واني لا اقدر حتى على التفكير في قضية سوداء كتلك ، اخبره ايضا ان هدفي دوما هوالقدوم على انقلترا • ولقد اقترحت على ورنقتن ان نذهب سويا الى لندن ونعرض القضية على العدالة ، الا انه رفض ، وهذا يبين ماهية الحقيقة • (راجع النسخة ضمن هاته الرسالة والتي حررتها لقنصل فرنسا بطنجة ردا على رسالة ، كانت قد وجهت الى من طرف ورنقتن والسيد درامن هاي (Drammond HAY) قنصل جلالة ملكة بريطانية بطنجة بتاريخ 3 جوان) •

ان ثقتي لكبيرة جدا في حكومة جلالة ملكة بريطانيا ، فليس سلوك واقوال ورنقتن هي التي ستزيل من ذاكرتي ، انطباعاتي الصحيحة عن الأمة الانقليزية ، بل على العكس من ذلك ، انتظر عدالتها وعطفها ومساعدتها •

يمكن ان يراجع في وزارة المستعمرات في دونين ستريت (Downing Street) عن الخدمات التي اداها والدي ، وانا عندما كنت وزيرا • ان سلامة ضميري هو ضماني الاول •

لقد قبلت الآن بسرور ، العرض الكريم الذي اعلمتموني به ، حيث ان حكومة ملكة بريطانيا قد انعمت به علي • اني أطلب منها أيضا ان تتفضل بمنحي هاته البنود الخمسة :

1 ـ لا التزامات لي الآن ، الا بعد عرض القضية على المحكمة •

2 ـ تعتبرني حكومة جلالة ملكة بريطانيا انقليزيا ، أو متحصلا على الجنسية الانقليزية •

3 ـ ان خصمي يجب ان يكون بلندن اثناء عرضي الدعوى على المحكمة •

4 ـ بما ان خصمي هو وكيل الحكومة الانقليزية ، فيجب على هاته ، ان تتعهد بأخذ كل المبالغ منه والتي سيفرضها القانون ضده •

5 ـ ان مرافعة القضية ستكون امام البرلمان وبصورة علنية •

انذاك ستعلم الحكومة حق قـدرى ، ويمكننى أن أدخـل فى خـدمتها عن طواعية عندما تتضح هاته القضية وتزال كل الشبهات ؛ وعندها ألزم نفسى بتحقيق كل ما تعاقدت عليه معها ، اذ لا استطيع ان ارفض لها شيئا هو فى استطـاعتى ، خصوصا اذا لم يكـن ذلك ضـد الشرف والوطن ، وتستطيعون يا عزيزى ، أن تجيبوا بالنيابة عنى ، على بقية الاسئلة ·

وآن ما تتحسن صحتي ويسمح الطقس بذلك ، فانى سألتحـق بكـم عن طريق ليفورنة ، دون ان أعرج على فـرنسا اذا امكننى ذلـك · وأرجوكـم أن تتفضلوا بتوجيه الرسائل الى ، مع تعليمات الحكومة الانقليزية ، الى سيـدى الحاج بدوى برادة بليفورنة ·

أجيبكم يا عزيزى سكارلوط بلغة فرنسية ضعيفة ، اذ تستطيعون دومـا قراءتها ومعرفة مشاعرى الحقيقية ، وهذا لا يحتاج الى بلاغة خطابية · فالمترجم الأمين تضيق نفسه دائما عندما يتصدى لترجمة اللغات الشرقية ، لما لهـاته من تعقيد فى تركيب جملها · اما لغتى الفرنسية فانكم تفهمونها على الرغم من كثرة الاغلاط الاملائية ، وعدم احترام القواعد النحوية · فارجوكم ان تعتبروا ذلك على انه اختزال للكتابة !

واليكم الآن موجز هاته الرسالة متمثـلا فى ثمـانى شـروط أسـاسية ، أعرضها عليكم حتى نتجنب اى التباس :

1 ـ اعترافى بجميلكم وجميل حكومة جلالة ملكة بريطانيا ·

2 ـ سفرى الى لندن يكون عن طريق ليفونة، حالما تتحسن صحتى وتسمح لى بذلك ·

3 ـ اقبل مساعدة حكومة جلالة ملكة بريطانيا ·

4 ـ ان دخولى فى خدمة الحكومة ، لا يتم الا بعد محاكمة القضية ·

5 ـ تعتبرنى حكومة جلالة ملكـة بريطانيـا انقليزيـا ، او متحصـلا على الجنسية الانقليزية ·

6 ـ يجب على خصمى ان يمتثل امام المحكمة ·

7 ـ تأخذ حكومة جلالة ملكة بريطانيا على عاتقهـا ، حمايتى أمام وكيلهـا وقنصلها ·

8 ـ تناقش القضية أمام البرلمان وبصورة علنية ·

ارجوكم ان ترفعوا احترامي الى السيد والدكم والى صهركم السيد كمبل (CAMPLE) والى عائلتكم المحترمة ، تهاني الى السيد ماكنلوش (MACKUNLOCH) والى صديقنا السيد بلونط (BLUNT) القاطن ببرود ستريط (Brood Street) ·

ارجوكم ان تتقبلوا تأكيد ارتباطي المتين وصداقتي الحقيقية ·

صديقكم :

حسونة الدغيس

يلي ذلك أمضاءه

الوثيقة رقم 3

سيدى (1) ·

لقد كنت بلندن اتابع فيها قضيتى لدى الحكومة البريطانية عندما علمت بنبا الثورة المحزن بطرابلس الغرب (2) والتى ولا شك انتم على علم بها · انى أعلم مسبقا نتائج هاته الثورة ، والتى ستكون ذات عواقب سيئة على الباشا فى حالتين اثنتين :

احدهما : ان حقد الباشا سوف يسلط على المذنب والبرىء على حد سواء·

اما الحالة الثانية : ان الدم الانسانى سيراق ، وان الثروات ستنهب ، وان نتائج هاته الفوضى سوف لا تخضع لحصر ·

وادراكا منى لهاته الاضرار التى ستزول بالبلاد،رأيت من واجبى الالتحاق بفرنسا ، التى اعتبرها وطنى الثانى ، لاعرض على حكومة جلالة ملك الفرنسيين ، حامى الحرية ، الوسائل التى يجب اتخاذها ، اذا ما أراد التدخل لانقاذ البلاد من الخطر الذى يتهددها ؛ وهو فى نفس الوقت يقوم تجاهى بأقدس عمل (3) · ومن جهتى فانى سأقوم بواجبى تجاه بلادى وتجاه فرنسا ايضا ، ذلك ان المصالح مشتركة وهى غير مفصلة ·

ولتحقيق هدفى ، فقد شرحت أرائى فى مذكرة سترفع الى هاته الحكومة الموقرة ·

---

(1) A.E. ؛ **طرابلس الغرب ، ملف رقم 2** ، رسائل حسونة الدغيس الى (Duc De BROGLIE) وزير خارجية فرنسا ، بتاريخ 13 سبتمبر 1832 . قدمت هاته الوثائق باللغة الفرنسية وفيما يلى ترجمتها الى العربية .

(2) راجع ملحوظة رقم 31 مكرر من الدراسة رقم 6 ، ص . 270 .

(3) انه من الواضح ان حسونة الدغيس لا يستطيع ان يقوم باى فعاليات سياسية الا بمعاونة الفرنسيين ، اذ عندما طلب من هؤلاء التدخل فى البلاد ، ليحبط خطط القنصل ورنقتن ، انما كان يعمل لرجوعه الى الوطن بأعتلاء سيدى على ، ابن الباشا ، العرش .

ان هاته الاجراءات المقترحة يمكن ان تبدو ذات وسائل ضعيفة وغير عملية بالنسبة لاشخاص آخرين ، غير سيادتكم ، لا يدركون التأثير الاوروبى على الشـرق ٠

ان معاليكم سيكون الحكم الاكثر كفءا وثقة ، ذلك انكم بدراسة هذا التأثير سوف ستكونون المترجم الامين لمشاعرى ٠

لقد كنت سعيدا ان أجدكم على اطلاع باحوال البلاد ، وعليه فلا أشك انكم ستدرسون المسألة بافادة ، وتؤيدون مذكـرتى وترفعونهـا الى مجلس وزراء جلالة ملك الفرنسيين ٠

هل لى ان أطرى نفسى مسبقا ، بان هاته الخطة ستؤدى الى نجاح أكيد ٠ واذا أرادت الحكومة تطبيق هذا الاجـراء ، وقبلت مبـدأ وساطتهـا لانقـاذ مواطنى ، ثم طلبت منى مزيدا من المعلومات حول الوضعية العامة ، او تحرير بعض الرسائل **بالعربية** ، حسب آدراك وعقلية هاته الشعـوب ، فـان ذلك سينتج عنه الاثر الطيب وسأستجيب لذلك بكل سرور ، ومن واجبى أن أمتثل لأوامرها ، وسأسخر كل وقتى لشرح الطرق الواجب تبنيها فى مثل هـاته الظروف ، والتى يمكن ان تعطى نتائج طيبة لافريقيا وفرنسا ٠

انتهز هاته الفرصة لاعبر لمعاليكم عن تقديرى العميق ٠

خادمكم المتواضع : حسونة الدغيس

رسالة موجبة الى مجلس الوزراء الفرنسى

ان المضى أسفله حسونة الدغيس صهر الباشا ووزيره السابق ، قد أقام زمنا بأوروبا لدراسة لغاتها ، قوانينها ، وعادات شعوبها المختلفة ، كما وساح فى بلادها وخاصة فرنسا ٠

لقد زار فرنسا من جديد بعد الثورة السعيدة التى نصبت الملك لوى فيليب على العرش ، وتمكن من تقدير تلك الحكومة الابوية بانظمتها التحريرية ، التى لا هدف لها غير اسعاد الشعوب ، والتخفيف من الامها، وتنمية علاقاتها معها، وتآخيها مع المواطنين الفرنسيين ٠

وايمانا بذلك ، فان الممضى اسفله يقدم هاته المذكرة الى حكومة جلالة ملك فرنسا الموقرة ، شارحا الحوادث التالية ، ومتوسلا حمايتها ، لتتفضل بمساعدة الطرابلسيين التعساء ، ويتمنى ان تؤخذ ملاحظاته بنظر الاعتبار .

ان حكومة جلالة الملك على علم بالثورة التى اندلعت بطرابلس الغرب بتاريخ 26 جويلية الاخير (4) اذ كان الشعب ملزما على رفع السلاح ضد ملكه كما وان الحكومة ولا شك على علم بالاسباب التى ادت الى هاته الفوضى والحوادث .

ان هاته الظروف الصعبة قد جعلت البلاد تعيش فى غليان شديد ، وكانت السبب لانضمام المستائين الى الثوار ضد الباشا . كما وان سيئى النية قد استغلوا الوضعية بانضمامهم الى الثائرين ، وعليه فان نتائج هاته المصيبة ستكون وخيمة العواقب على البلاد والتجارة ومسببة الحزن للانسانية ، عندما تتأكل النزاعات هذا الشعب وهو فى طريقه الى الدمار .

وعليه فان الممضى أسفله ، يؤمل من حكومة اجنبية ان تبدى رأفتها ومساعدتها ، لحسم هاته البلية بتدخلها لاستتباب الامن ، ومصالحة الاطراف المعنية بالامر .

ان اقتناعى بهذا ، جعلنى لا أرى فى هاته الدولة الاجنبية التى لها حق التدخل غير حكومة جلالة ملك الفرنسيين ، والتى لها اكثر من داع لذلك ، خصوصا منافعها التجارية . وعليه يجب أطفاء هاته النار بسرعة اذا اخذ بنظر الاعتبار ان فرنسا هى صاحبة الجزائر وتوابعها (5) .

ويكون من اللائق لها تطبيق مبادئها الانسانية واظهار مشاعر الوفاء للافارقة ، ولكن ايضا يجب ان تنتهز هاته الفرصة ، لتقدم الدليل المادى على حسن عطفها عليهم ، وان تعرف بسلوكها الحقيقى ، ولتمحو اخيرا الاثر السيء الذى نتج عن سلوك مختلف الولاة ، الذين حكموا الجزائر حتى يومنا هذا (6) .

وللحصول على النفع المؤمل بتدخل حكومة ملك الفرنسيين بطرابلس الغرب ، فان ذلك لا يحتاج الى جيش ولا الى مساعدات مالية ، ولكن الامر

---

(4) **ميكاكى ، نفس المصدر** ، ص. 226 ، يعطى لتاريخ الثورة 28 جويلية 1832 .

(5) للاحظ هنا موقف حسونة المؤيد لبقاء الفرنسيين بالجزائر ، اذ مصلحته الشخصية دفعته الى تبنى ذلك ، واظهار مشاعره الطيبة تجاه فرنسا .

(6) اذا كان حسونة من دعاة فرنسا والمؤيدين لانظمتها وعدالتها ، فان ذلك لم يمنعه من التعبير عن استيائه من حكامها فى الجزائر .

يتعلق بسلوك حكيم وانساني . ويتمثل هذا في ارسال اوامر الى احدى قطع الاسطول الفرنسي ، الرابطة بالبحر الابيض المتوسط ، بالالتحاق بطرابلس الغرب ، ومحملة اياه ببرقية ودية وتوفيقية الى الباشا ، ليضع حدا لهاته الحرب الاهلية ، وليساهم في اسعاد نفسه وشعبه ، بخلعه نفسه لفائدة ابنه وليس لشخص اجنبي (7) .

ان الباشا بعد تسعة وثلاثين سنة من الحكم ، حيث اتت على قوته الاخلاقية والبدنية ، لا يستطيع ان يقوم بعدها ، باعباء الحكم في مثل هذا السن ، وعليه سينتهز الفرصة للتخلص من عبء كان يتحمله بكرب شديد .

ورسالة اخرى توجه الى ابنه على باشا ، لحثه قبول السلطة بعد تخلي والده ، على ان لا يتبع نظام حكم اسلافه للبلاد ، حيث لمس نتائجه السيئة ، بل عليه ان يتخذ النظام الفرنسي قدوة له ، ويكون من اللائق ايضا ان يلزم على قبول مبدإ مشاركته في الحكم وان يؤمن ملكيات الافراد ، ويضمن الحريات الشخصية ؛ هذا اذا اراد حماية وتأييد الحكومة الفرنسية له (8) .

ورسالة ثالثة توجه الى القاضي ورؤساء القبائل المختلفة بالولاية ، وتتناول شرح الاسباب التى دفعت الحكومة الفرنسية ، للتدخل في هذا الحادث ، وانها تهدف من وراء ذلك تخفيف الآلام التى اشجت الانسانية ، كما وتعمل على تآخي شعوب الشرق بالغرب . واخيرا ، اذا كان الجزائريون قد اساءوا التعبير عن مشاعر الحكومة الفرنسية ، بتفكيرهم ان اختلاف الدين واللغة والعادات يمكن ان تؤثر على مبادئها ، وبالتالي تعمل على تغييرها ، فانهم على خطا . ومع هذا فان حكومة ملك فرنسا لا يتطرق اليأس الى نفسها ، بتقديم الادلة على حسن عطفها وعدالتها (9) .



تبدو هاته الخطة ، لاول نظرة ، ذات تأثير ضعيف ، وأنها لا تؤدى الى النتائج المؤمل الحصول عليها . ولكن الخبرة التى يملكها ممضى هاته الرسالة ، حول مراكز البلاد واستعداد الشعب لذلك ، ومشاعر الوالى الجديد ، ستؤدى الى نجاح مؤكد والى نتيجة موفقة سواء أكان ذلك بالسنبة لسكان طرابلس الغرب أو فرنسا .

---

(7) انظر الرسالة رقم أ والتى حررها حسونة لتكون نموذجا لذلك ص . 300 .

(8) انظر الرسالة رقم ب والتى حررها حسونة لتكون نموذجا لذلك ، ص . 300 ـ 301 .

(9) انظر الرسالة رقم ت والتى حررها حسونة لتكون نموذجا لذلك ، ص . 301 ـ 302 .

ان الحكومة الفرنسية اذا اقدمت على تحقيق ذلك سوف تجنى فوائد كثيرة :

اولا : ستنمى علاقاتها السياسية والتجارية مع طرابلس الغرب ·

ثانيا : ستضمن ثقة الطرابلسيين الذين سيعترفون بجميلها دائما حيث ساهمت في راحتهم كما وستغزو قلوبهم ، اذ هذا الغزو الاخير ، هو الابقى من غيره المتأتى عن قوة السلاح ·

ثالثا : سوف تجرى الحكومة الفرنسية محادثات مع كل حكومات أوروبا وشعوب العالم جميعا ، لتأييد تدخلها فى هاته الحرب الاهلية ، وبوضعها حدا لاراقة الدم الانسانى ·

رابعا : ستضمن بهاته الوسيلة استرجاع كل الديون التى على الباشا لفرنسا ·

خامسا : سوف تزيل رأى الباب العالى وكل الامبراطورية التركية ، من ان الحكومة الفرنسية قد تدخلت فى شؤون اليونان ، مدفوعة فى ذلك بتعصبها ، وأنها بهذا الموقف ايضا ، ما زالت تحتفظ بملكية الجزائر ·

سادسا : ان ردود هذا الفعل الاخير ، سوف تلمس ولا شك فى الجزائر ، حيث ستؤدى الى تغيير اراء الشعب وتقدم فكرة صحيحة عن انظمة الحكومة الفرنسية · اذ كما تعلمون ان الشعب الجزائرى لا يعلم شيئا عن النظام الفرنسى ، ولا عن نوايا الحكومة الفرنسية تجاهه ·

ان الواجب الاول الذى ستقوم به الحكومة الفرنسية ، هو ان تعمل على خلق تأثير طيب تجاهها لدى الشعوب الافريقية ، باقدامها على تحقيق تلك الخطة المقترحة · هذا بغض النظر عن الموقف التى اتخذته باحتفاظها الجزائر أو تركها ، ولكن يجب عليها للحفاظ على منافعها وراحتها ، ان تعمل على كسب تقدير الشعوب التى تعجب بسلوكها النبيل والشريف ·

ان المضى اسفله يأمل من حكومة ملك فرنسا ، ان لا تتردد فى تبنى هذا الاجراء الانسانى ، ومنحه حمايتها لهاته الشعوب التعيسة ·

ان المضى اسفله له شرف أنهاء هاته الرسالة بالتعبير عن سامى تقديره ، وتفانيه الصادق تجاه الحكومة الابوية (I0) ·

عبدكم المتواضع : حسونة الدغيس

(I0) هل يعد حسونة مبشرا للسياسة الاستعمارية المرنة التى لم تطبق الا مع ليوتى (LYAUTY) بالمغرب الاقصى ؟

الرسالة رقم ـ أ ـ

بالرغم من ظهور بعض الخلافات الطفيفة التى أساءت الى علاقــات حكــومة صاحب الجلالة ملك فرنسا مع ولاية طرابلس الغرب ، الا ان الحكومة الفرنسية التى بذلت مساعيها دائما لتسويتها للحفاظ على علاقاتها مع الولاية المذكورة، ما زالت تعتقد ان هناك بعض الصعاب الناتجة عن حكم الباشا المطلق ، والذى سبب النزاع مع فرنسا ومع الدول الاوروبية الاخرى ٠

ان المشاعر الانسانية والنبيلة التى تسير الحكومة الفرنسية ، ورغبتها ان ترى كل شعوب العالم سعيدة وآمنــة ، والمبادىء التى تميــز تلك الحكــومة الابوية ، قد جعلها تدرك نتائج هاته الثورة التى اندلعت بطرابلس الغرب ؛ كما انه من العسير علينا ان نرى أميرا فى مثل سنه ونسبه يوجد اليوم فى وضعية حرجة من طرف شعبه ، بعد ان حكمه تسعة وثلاثين سنه ، مقرا دوما النظام والرفاهية فى مملكته خلال تلك المدة ٠

ان الحكومة الفرنسية التى لا ترغب اثــارة الاسبــاب التى ادت الى هــذا الاضطراب ، ولا ان تخطأ اى الاطراف ، تكتفى بأن تشير عــلى الباشا بتبنى الاصلاح لضمان سعادته وراحته له وشعبه ٠

يقتضى هذا العلاج ، نصح الباشا بالتخلى عن حقوقه وامتيازاته لفائدة ابنه المحبوب لديه سيدى على باى ، والذى قدم كثيرا من الادلة عن طاعته وارتباطه البنوى ؛ وبهاته الوسيلة يعين الباشا خلفا له وهو على قيد الحياة ٠

ان الحكومة الفرنسية تعد فى هاته الوضعية، منح حمايتها وتأييدها اذا أخذ بالاعتبار نصحها ، بتغيير نظام الحكم ، بحيث يعامل الامير فى المستقبــل ، كسائر امراء الدول الاوروبية حسب مبادىء حقوق الانسان ٠

الرسالة رقم ـ ب ـ

ان المشاعر الانسانية التى طبعت بها سياسة الحكومة الفرنسية ، والمصلحة الخاصة التى تتمناها لعائلة القرمانلى ، تسمح لها ان تحث سيــدى على بــاى للتخفيف عن أبيه عبء السلطة ، ان يقبل تعيينه كخلف له ٠ ان هذا التعيين سوف يؤدى الى خنق هاته الاضطرابات التى اثارت البلاد ، وسيمنع سيئى القصد ، استغلال هاته الظروف المؤسفة ٠

ان هذا النظام الذى نوصى به ليس غير تطبيق المبادىء الاساسية التى عرفتها واحترامتها كل شعوب الشرق ، والتى لا تطلب غير تنفيذها. ان هاته القوانين تفرق بين السلط وتعطى الضمانات المشتركة بين الشعب والامير ،

ان الحكومة الفرنسية توصى بالحاح ، تأسيس نظام حكم آخر ، غير الذى كان متبعا حتى اليوم ، حيث كانت نتائجه مشؤومة ، سواء أكان ذلك بالنسبة للامراء او الشعب .

وتساهم فى اسعاد الجميع .

ان الحكومة الفرنسية توصى الامير نسيان الماضى ، وان لا يميز الاشخاص بنزعاتهم وميولهم السياسية ، وخاصة اولئك الذين ساهموا فى ثورة جويلية.

وفى هاته الحالة ، فان الامير يستطيع الاعتماد على مساعدة وحماية الحكومة الفرنسية ، وسيكون محترما من طرف اوروبا برمتها ، وسيعامل فى المستقبل كحليف لامراء اوروبا والمضاهى لهم .

الرسالة رقم ـ ت ـ

ان الحكومة الفرنسية التى علمت بتأثير عميق ، حركة الاضطراب التى سادت طرابلس الغرب ، والسبب الذى أدى الباشا الى استخدام وسائل قاسية ، كان من شأنها ان أثارت الشعب وأدت الى الاعلان عن عدم طاعته للباشا ، ينتهز هاته الفرصة بسرعة ليقدم لشعوب افريقيا ، الدليل القاطع على تبنيه المبادىء الانسانية ، ورغبته اصلاح وضعية هاته الشعوب ، دون ميز للدين الذى يؤمنون به ، ولا للمناطق التى يقطنونها . ولهاته الاسباب اقدمت الحكومة الفرنسية على التدخل فى شؤون طرابلس الغرب ، واستخدام نفوذها للتوفيق بين الاطراف ، حتى يتخلى الباشا لمجلس كبراء البلاد عن السلطة بخلعه نفسه ، وتولية ابنه سيدى على باى . كما وتوصى الامير الشاب للسلوك الذى يجب اتباعه ، لتنفيذ القوانين الاساسية والمؤملة من طرف الجميع .

ان العمل المجدى الذى يمكن ان تقوم به الحكومة الفرنسية ، هو ان تعلن لشعوب افريقيا عن مشاعرها التى تكنها لها ، ويكون ذلك بواسطة القاضى والمفتيين وكبراء ولاية طرابلس الغرب ، حيث توجه اليهم هاته الرسالة بواسطة قنصل فرنسا هناك ، لتذاع فى كل المساجد .

كما ويجب على الحكومة الفرنسية ان تعلن أنها لا تمنح تأييدها واحترامها الا للذين يدركون قوانينها ، ويناقشون بادراك ماهية ذلك ، ويعملون على اسعاد شعوبهم بكل الوسائل الشريفة ·

واذا كان الشعب الجزائرى لم يدرك مشاعر الحكومة الفرنسية ، واساء فهم سلوكها بتعصبه واظهار حقده لمنافعها،فان ذلك ليس مرده الحكومة الفرنسية·

ان الحكومة الفرنسية تنتهز كل المناسبات لتأمين هاته الشعوب ، على أنها ستطبق مبادئها التى آمنت بها ، يدفعها فى ذلك ، اسعاد هاته الشعوب ، متجاوزة فى ذلك عن اخلاقها وعاداتها ·

ان مثل هذا المسلك الذى ستتبناه الحكومة الفرنسية ، سوف لا يدفعها للحصول على منافع خاصة ، غير التى ستحقق نفعا مشتركا ، ويتمثل ذلك فى التبادل التجارى ، وازدهار الفلاحة والتى ستساعد على انتشار الحضارة الاوروبية بين هاته الشعوب ·

ان الحكومة الفرنسية تأمل ان تكلل جهودها بالنجاح ، وان تؤدى هاته ، الى ازالة الحدود التى فصلت اليوم الشعبين ، لتخلق منها شعبين اخوين كما كانا فى السابق ·

ان اللغة واللباس ليسا عائقين على تقاربهما ، بل على العكس من ذلك ، ان سلوك الناس هو الذى يميز بعضهم بعضا (٢٢) ·

---

(٢٢) نلاحظ هنا ان اسلوب ولغة حسونة الفرنسيين قد تحسنا كثيرا عن ذى قبل ، ويحق لنا ان نتساءل هل حسونة هو الذى حرر هاته الرسالة بالفرنسية ام لا ؟ لا نستطيع ان نؤكد ذلك ، ولكننا من جهة اخرى ، نلفت الانتباه الى سعة اطلاعه وثقافته ودفاعه عن الحضارة الاوروبية ، وهو الشىء الذى يستحق مزيدا من التأمل .

المدخل إلى الوثيقة رقم 4

استدعى جورج موراى (Georges MURRAY) وزير المستعمرات البريطانى، حسونة الدغيس ، للقدوم على لندن قصد عرض قضيتــه على المحكمــة ، حتى يبت في الاتهام الذى وجهه اليه ، القنصــل البريطــانى بطــرابلس الغــرب ورنقتن (WARINGTON) والقائل ان حسونة كان وراء اغتيال الماجور لاين والمستحوذ على وثائقه ٠

وعليه قام حسونة بتقديم عدة تقــارير الى وزارة الخــارجية البريطــانية ، داعيا الحكومة الانقليزية للبت فى هاته القضية ؛ غير أن جهوده ذهبت سدى٠

وعندما يئس حسونة فى الوصول الى قرار تبرئته ، قدم تقريرا مفصلا الى مجلس العموم البريطانى ٠

ونظرا لاهمية هاته الوثيقة ، فقد رأينا نشرها ، إذ انها عكست لنا وجهة نظر حسونة الاصلية والتى بقيت مجهولة ، كما وان هــاته الــوثيقة قدمت لنا عرضا تاريخيا للحوادث السياسية التى كانت طرابلس الغرب مسرحا لها فضلا عن أنها ساعدتنا على آستيعاب أبعاد تحليل حسونة للوضع السياسى وقدرته كوزير على عرض المسائل التاريخية ٠

ع٠ ت٠

الوثيقة رقم 4 (1)

ان رافع هاته المذكرة هو من أقدم وأنبل العائلات بولاية طرابلس الغرب ، وله الشرف ان يكون قد ارتبط بزواج شرعى من العائلة الحاكمة الآن بهاته الولاية .

ان والدى كان لسنوات عديدة رئيس وزراء يوسف باشا قرمانلى ، وقد اظهر خلال فترة حكمه مزيدا من العناية ، كما وقدم بعض الخدمات للرحالين الذين وجهتهم الحكومة البريطانية ، للقيام باكتشافات داخل افريقيا ، دون ان يهدف بذلك ، الحصول على منافع شخصية .

اجتهد والدى خلال فترة حكمه ان يسوس البلاد بكل استقامة ، وعمل على نقل الحضارة الى الشعب . لقد شجعني والدى على السفر الى اوروبا للاطلاع على حضارتها ، وهى حضارة غير معروفة بالنسبة لبلاده ؛ وهو مدفوع الى ذلك تحت تأثير وتبجج عائلته ، التى ترى أنه ستعهد الى يوما ما ، مقاليد الحكم بالبلاد .

وبناء على ذلك فقد حدث فى بعض الاحيان ، أننى عندما قفلت راجعا من أوروبا ، رغب الباشا فى تقليدى نفس الوظيفة التى عهدها الى والدى .

واخيرا عندما كنت مقيما بقرطاجنة بالقرب من مدينة تونس ، طلبا للنقاهة ، اتصلت بأمر من الباشا ، يدعونى فيه بالرجوع الى طرابلس لتولى إدارة البلاد ، وكان ذلك فى أواخر سنة 1826 .

---

(1) 76/37 ، .F.O ، مذكرة الشريف محمد حسونة الدغيس الى مجلس العموم البريطانى ، وقد حررت باللغة الانقليزية ، وفيما يلى ترجمتها . لم نستطع ان نضبط تاريخا لهاته الوثيقة ، غير انه يبدو ، انها كتبت اواخر سنة 1834 أو اوائل السنة التى تليها . انظر الشكل 40 . ص . 308 ـ 309 .

وآن استلامي مقاليد الحكم والادارة ، كان السيد ورنقتن (WARINGTON) القنصل البريطاني بطرابلس الغرب ، قد تعود على استغلال تأثير ونفوذ وزارة الخارجية البريطانية ، كما وتبنى سلوكا غريبا •

آشتكى الباشا منذ زمن ، من سلوك القنصل الى الحكومة البريطانية ، رافعا لها عن طريق وزارة المستعمرات ، لائحة تضم مجموع شكاياته الى الملك جورج الرابـع •

غير انى لاحظت ان الحكومة البريطانية لم تلق أهميـة لـذلك ، واصبحت أعتقد ان كثرة الشكايات من سلوك القنصل الذميم وتماديه فى ذلك ، كان نتيجة تأييد حكومته له •

لقد سعيت بكل جهدى على تدعيم مصلحة وسلطة الباشا ، وعملت بوسائل شريفة على معارضة خطط القنصل • ان عداوة القنصل البريطانى لى ، والتى كانت نتيجة سلوكى تجاهه وضعف طبع الباشا ، قد عاقا الى حد كبير ، نجاح مجهوداتى •

ان مجلسكم الموقر سيكتشف بالتالى ، ان القنصـل قد حـاول بـواسطة الخداع والطرق المخزية ، ان يحيدنى عن الطريق السوى ؛ كما وانه قد نجح فى تشويش الولاية بمؤامراته ، وتسبب فى فقر الولاية بوسائل الابتزاز التى استعملها ، والحط من قيمة الباشا فى نظر رعاياه •

لقد أدت كل هاته الأعمال الى عزلى من مقاليد الحكم •

لقد شجع القنصل الحرب ضد الخلف الشرعى للوالى (2) ومـا زال يؤيـد الثوار ، معارضا فى ذلك اوامر حكومته •أنى أتوقع،كما اذهب الى الاعتقاد الى ذلك ، ابادة تلك العلاقات ، وان عائلتى ستمنع من امكانية التحرى فى سلوك القنصل •

واذا تفضل مجلسكم الموقر ، فانى سأقدم لكم بعض الملاحظـات لسلـوك القنصل وتأثير جوره المطلق • انى اعـرف اعمـاله السيئـة ، وأنى أتمنى بتواضع من المجلس الموقر ، أن لا يستصوب تلك الاعمال •

---

(2) هو علي باشا الابن الاكبر ليوسف باشا قرمانلي.

لقد ساهمت بفضل تأثيرى على الباشا ، وبطيب خاطر ، بوضع حد لتلك العادة التى تنص على أخذ أتاوى من مختلف الدول الاوروبية ، او الاستيلاء على بواخرهم فى البحر ، لعدم دفعهم تلك الاتاوى • وأعتقد انى أفلحت فى هـذا المسعى •

بيد ان القنصل البريطانى المذكور ، قد حـث وشجـع على الاستمـرار على هاته العادة القديمة ، وأن أقواله قد لعبت دورا حـاسما فى تسليـح سفـن الباشا وتمويلها ، قصد الاستمرار فى القرصنة •

إنى لا أشك فى ذلك ، وأعتقد أن مجلسكم الموقر سيجد فى هذا التحقيق ، ما مفاده ان القنصل قد حقق ربحا ضخما ، بتوفيره هاته الادوات الحربية ، وأنه تمكن من تلك الامتيازات ، نتيجة الاسعار التى بيعت بها تلك الصفقات•

انى اذهب الى الاعتقاد ان حكومـات الـدول الاوروبيـة ، قـد اشتكت الى الحكومات البريطانية من أعمال قنصلها بطرابلس الغرب ، وتشجيعه على هذا النوع من القرصنة ، وأن تلك الشكايات ، قـد رفعـت الى وزيـر الشـؤون الخارجية البريطانية •

ان القنصل يمارس نفوذا قويا على شخصية الباشا ، مستغلا فى ذلك ، سلطته الرسمية ، واستخدم ذلك لغايات فاسدة ، وانى على استعداد للتدليل على ذلك لمجلسكم الموقر •

أجبر الباشا من طرف القنصل على التعـامل مع مختلـف التجـار ، ومـع القنصل نفسه دون ان يكون الباشا فى حاجة الى عقـد صفقـات تجـارية • وقد تمت تلك العمليات على يد القنصل ، محققا هذا الاخير ربحا ضخمـا • وأدى ذلك حتما الى اغراق الباشا فى الديون ، وازدياد نفوذ القنصل • ونتيجة لتلك الظروف ولهذا السبب ، كان القنصل قـادرا على تهديد الباشا بدفـع الديون التى عليه للحكومة البريطانية ، وانه سيـرسل الاسطـول البحـرى لتحقيق هذا الغرض •

لقد تعود القنصل اعلان الحرب ضـد البـاشا باسم حكـومته ، لاسبـاب وتعلات واهية ، وبارسال الاسطول البحرى من حين لآخـر ؛ وقـد اضطـر الباشا الى الاستسلام ، وبذلك انخفضت منزلته من رعاياه انخفاضا كبيرا ، خصوصا بعد تعدد تصرفات خضوعه للقنصل • وأصبح من الـواضح لكـل الاشخاص الناقمين عليه ، أن القنصل أصبح يتمتع بسلطة عظيمة اكثر من ملكهم ، وبدأوا يتوددون اليه واضعين انفسهم تحت حمايته •

واذا تفضل مجلسكم الموقر ، فانى سأقدم مثالا لتصرف لقنصل • ففى 26 سبتمبر 1831 ، أرسل القنصل مذكرة الى الباشا بواسطة ابنه ، طالبا اعادة ثمانية جمال سيقت .... (3) وخمسين رأس ثور ، قد ارسلت من طرف أحد اتباع عبد الجليل (4) كهدية الى القنصل • وقد احتجزت هاته ، بينما كانت فى طريقها الى القنصل •

وقد طالب بها الآن اصحابها الحقيقيون ، اذ قد افتكت منهم غصبا وقهرا ، (ان عبد الجليل هو احد المغامرين الآن ، وهو فى حرب مكشوفة ضد الباشا وعلى اتصال بالقنصل) ، وقد رفض الباشا ارسال اى رد على مذكرة القنصل الشفاهية •

وترتب عن ذلك ان وجه القنصل عدة رسائل وقحة الى الباشا ، طالبا منه تسديد ديون الحكومة البريطانية ، ومدعيا كما هو المعتاد منه ، ان دين ما ادعاهم بالمواطنين البريطانيين ، لم يتم تسديده عن طريق المحاكم • وقد رفض الباشا التدخل فى هاته القضية •

ونتيجة لذلك ، اعلن القنصل الحرب باسم حكومته ضد الباشا ، وقد أجبر هذا الاخير على الاذعان • وأنا مستعد ن أدلل على ذلك لمجلسكم المحترم •

ان مجلسكم الموقر سيجد فى هذا التقرير ، تعود القنصل على ممارسة كل الاساليب الغير القانونية على رعايا الباشا ، وأدى ذلك الى ضرر الحكومة البريطانية ضررا كبيرا •

ان القبائل التى تتألف منها النسبة الكبيرة لرعايا الولاية ، وتدفع الى الباشا بعض الاداءات ، والتى تشكل القسم الهام من واردات الدولة ، قد تأثرت فى بعض الاحيان بمبعوثى القنصل الذين كانوا يطالبون الباشا بتخفيض الاداءات ، وكان هؤلاء المبعوثون يعتمدون على حماية القنصل • وقد أتوا الى المدينة باعداد ضخمة ، وتوجهوا الى مبنى قصر الملك وعلى رأسهم القنصل البريطانى ، طالبين الباشا بتخفيض الاداءات •

كان موقف الباشا ضعيفا ، وكانت سلطته تعتمد على الاحترام التلقائى وتعلق شعبه به ، بحيث لا تستطيع اى قوة ان تجبره على الاذعان •

---

(3) كلمة غير ممكنة القراءة فى النص الانقليزى للوثيقة .

(4) هو زعيم الانتفاضة التى حدثت سنة 1832 بطرابلس الغرب .

2710 Tripoli — in H. D'Ghies

The Petition of the Shreiff Mahammed Hassuna D'Ghies to the Honorable House of Commons.

Sheweth,

That your Petitioner is of an ancient and noble Family in the Regency of Tripoli and has the honor of being nearly related by marriage to the present lawful Sovereign of that State

That your Petitioner's father was for many years the principal Minister of the late Pacha Joussouff Caramanli during which period he shewed many attentions and did some services to the Travellers sent by the British Government to make discoveries in the interior of Africa from motives entirely disinterested. His father during his Administration endeavored to conduct the affairs of the Government with regularity and to communicate to the people the blessings of order and civilization. In

H. D'Ghies

الشكل رقم 40 ـ الصفحة الأولى لعريضة حسونة إلى المجلس العموم البريطاني .
F.O; 76/37.

غير ان الباشا فى مثل هاته المناسبات ، كان مجبورا على قبول طلب القنصل ، بتوقيع وثيقة تخفيض الضريبة ٠

وقد انخفضت ، نتيجة لذلك، واردات الباشا انخفاضا كبيرا، واصبح غير قادر على رفع ذلك النقص ؛ وعليه فقد سقطت تلك الضريبة على بعض الاشخاص ، وفرضت جبرا على البعض الآخرين ٠

ان هؤلاء الآخرين الذين ارهقوا بالضرائب ولا يتمتعون بكفالة القنصل البريطانى ، قد اجبروا على مغادرة اراضيهم والتجأوا الى المسالك الفاسدة ٠

وبمثل هاته الطرق تضاءلت سلطة وواردات الباشا بدرجة كبيرة ، وقد اغتاظت رعاياه لذلك ، واختل امن الولاية بحيث ان عدة نواحى قد اعلنت الثورة ، واصبح أمن وسلامة الممتلكات الشخصية فى خطر كبير ٠

وبالاضافة الى ذلك ، فان مجلسكم الموقر سيجد ان القنصل ، قد تعود منح حماية العلم البريطانى لعدة اشخاص لا يحملون الجنسية البريطانية ، وان عدة آخرين مقدوح فيهم ، يعدون ضمن لائحة المواطنين البريطانيين ٠ ان هاته الاجراءات قد صيرت كل المصالح العدلية بطرابلس الغرب ملتسبة ، كما وان القنصل قد ادعى حق التدخل فى قرارات المحكمة العدلية التى تصدرها ضد الهمج ، الذين اساءوا الى رعايا الباشا ٠

ان عدة اشخاص آخرين ، هم من رعايا الباشا ، غير أنهم يعدون ضمن اللائحة البريطانية ٠ وقد استثنوا من سلطة الباشا الشرعية ٠

ساشرح الى مجلسكم الموقر ، كيف ان القنصل بتبنيه التدليس واساءة الاستعمال فى أعماله ، قد استخدم بعض العملاء والمواطنين لذلك ، كما وارتكب كثيرا من الاعمال الشائنة تحت ستار اولئك الاشخاص ، الذين كانوا يتعاونون معه فى اخذ الضرائب من التجار الاجانب قصد نهب الباشا ورعاياه ، وهم بذلك قد شوشوا الولاية لاجل مصلحتهم الشخصية ٠

وفى تلك الظروف وقع تعيينى وزيرا ٠

ان شؤون القنصلية البريطانية وعددا آخر من القنصليات ، كانت تدار من طرف ورنقتن ٠ ان عبدكم يعتقد ان شؤون القناصل يمكن أن تساس بأمانة لو كان يشرف عليها اشخاص آخرون ، يوفدون من طرف الدول الكبرى ٠

كان القنصل البريطانى يتخاصم دوما مع بقية القناصل الاوروبيين سرا وعلانية ، ويعمل على تمثيلهم فى الشؤون المتعلقة بحكوماتهم ، بما يستعمله من مؤامرات • وقد أدى ذلك الى فقدان مراكز بعض القناصل • اما البعض الآخر فقد ادخل على انفسهم الرعب ، بحيث أصبحت مراقبتهم سهلة على الدوام • غير ان قناصل الدول الكبرى مثل فرنسا وهولندا واسبانيا ، قد استثنوا من ذلك •

لقد حاولت مساندة الحق ومعارضة ما أعتقد بطلانه من سلوك القنصل البريطانى • انى اذهب الى الاعتقاد ان الاسباب التى دفعتنى الى ذلك وطبيعة سلوكى تجاه القنصل ، قد شوهت من طرف هذا الاخير لدى حكومته •

اننى على علم ان شخصى قد قدح فيه لدى وزير الخارجية البريطانية السابق السيد كانين (CANNING) ، باعتبارى أعمل ضد مصالح بريطانيا العظمى ، غير أنى أؤكد أن تمثيلى بهاته الصورة ، هو فى الحقيقة كذب وزور ؛ ذلك أنى عملت فقط على اعاقة المصالح الشخصية للقنصل البريطانى ولاسباب معلومة •

إن كراهية القنصل البريطانى لشخصى قد تفاقمت الى درجة كبيرة ، بالملابسات التى تلت ذلك •

ذلك أن الباشا قد اقترح عليه ، وبالتأكيد لم أكن مصدر ذلك ، أن يطلب هدية من حكومة الصقليتين ، خصوصا وأن هاته الاخيرة قد أوفدت هديتها الى باى تونس ؛ غير ان حكومة نابولتان قد أرسلت على حين غفلة ، فصيلة من اسطولها البحرى لغرض عدائى مكشوف ، وقد عينت من طرف الباشا لعقد معاهدة مع قائد فصيلة الاسطول دون كرافا (Don CARAFFA) •

وبناء على ذلك توصلت الى تسوية المسألة بدون مشاكل ، عندما تفاهمنا على بنود المعاهدة • وقد أبدى دون كرافا ارتياحه لذلك ، وسر سرورا كبيرا للنتيجة التى توصلنا اليها (5) •

وقد استدعيت الاميرال وضباطه لقنصلية بلاده ووعدتهم بارسال الاحصنة الى المكان الذى يرغب فيه الاميرال •

---

(5) ان تفاصيل هاته الحوادث قد ذكرت باوجه مختلفة، ورواية حسونة تختلف تماما عما هو معروف . راجع ، ميكاكى ، **نفس المصدر** ، ص . 195 ــ 199 ، وكذلك فيرو ، **نفس المصدر** ، ص . 339 ــ 340 .

غير ان القنصل البريطاني الذى كان حاضرا فى ذلك الاجتماع ، قد سحب دون كرافا ، وتحادث معه على انفراد • وبعد ذلك بقليل ، تقدم اى دون كرافا قائلا : « انه لا يرغب فى عقد الصلح حسب الشروط المنصوص عليها وانه سيعلن الحرب اذا لم اغير بعض بنود المعاهدة » •

وقد رددت عليه : « بانى اسف جدا أن أرى دون كرافا يتبنى هذا التصرف تحت تأثير نصائح الآخرين له ، وان القوة ستجابه بالقوة ان لزم الامر ، وان هذا الكلام سيكون له مفعوله » •

انى مستعد ان أقدم الدليل على ذلك لمجلسكم الموقر ، وانه لا يشك ان دون كرافا قد حثه القنصل البريطانى على قذف المدينة ، وقد اذعن لطلبه •

يمثل هذا التصرف نقض صريح للقانون الوطنى وللشرف وللانسانية ، عندما عمل القنصل البريطانى على نكث معاهدة الصلح ، متسببا فى اعلان الحرب على الباشا ، مع العلم انه مفوض من طرف دولة لا تعتبر فى حلف ووفاق مع الباشا •

وعليه فقد اعطيت اوامرى للمقاومة ، وصدت فصيلة الاسطول النابولتان تحت وابل القنابل النارية ، بحيث ترتب عن ذلك رجوع الاسطول الى نابولى•

وقد اخبرت ، مع اعتقادى بذلك ، ان دون كرافا قد امتثل امام المحكمة العسكرية عندما وصل الى نابولى ، وأنه اعتذر عن فعلته مدعيا انه اتبع وصية القنصل البريطانى • كما انى اذهب الى الاعتقاد ان مجلس الصقليتين قد رفع شكوى الى الحكومة البريطانية لسلوك السيد ورنقتن فى هذا الحادث ، وان تلك الشكوى هى الآن تحت نظر وزارة الخارجية البريطانية •

وبالنهاية تم عقد الصلح بين ملك نابولى وجلالة باشا طرابلس الغرب ، بتدخل القنصل الفرنسى ولم يكن للسيد ورنقتن يد فيه •

انى اعتقد اعتقادا راسخا ان نتيجة هاته القضية قد هيجت طبع القنصل الحقود ضدى ، ذلك لأنى كنت حائلا بينه وبين تصرفاته ، وانه لم يعد يقدر على اقتراف الفساد واتباع سياسة الترهيب • وعليه فقد تدبر القنصل خطة هلاكى والقضاء على •

ومن ذلك الوقت ، بدأ القنصل البريطانى يدعى انى كنت السبب فى اخفاق حملة الماجور لاين هادفا بهاته الوسيلة ، جلب سخط الحكومة البريطانية على ، وكسب الحجة لاجبار الباشا على اقالتى ، وبالتالى للعمل على قتلى •

وعندما بلغتني الشائعات والروايـات التي روجهـا السيـد ورنقتـن في شتمي ، ومع ايماني ببراءتي التامة واطلاعي علىخبث أقواله ، أرسلت اليـه مذكرة بواسطة قنصل هولندا ، طالبا منه شرح ذلك الاجراء ، واى نتيجة يود ان يتحصل عليها ؟

لقد تحديت اقوال السيد ورنقتن ، بحضور جلالة الباشا ، عندما فنـدت اتهامه ، كما وقد عرضت عليه الذهاب معا الى لندن ، ورفع القضية الى الحكومة البريطانية لتتخذ قرارها في ذلك ٠

الا ان القنصل رفض اعطاء اى رد واضح ، هذا من جهة ومن جهة اخرى ، ألح على الباشا اتخاذ اجراء تأديبى وسريع ضد شخصى ٠

لقد ادعى القنصل انى كنت السبب في اغتيال الماجور لايـن ، وانى بعت وثائقه الى القنصل الفرنسي ، مقابل مبلغ مالى ٠ وأؤكد لكم ان هذا الاتهـام من القصص الخيالية البحتة ٠

ونظرا لكبر سن الباشا ، وضعف طبعه ، فقد هدده القنصل بانتقام الحكومة البريطانية ٠ وقد خاف الباشا خوفا شديدا وتحير ، مع علمه ببرائتي التامة ثم بأقوال القنصل الحقود ، والظغينة التى كان يكنهـا لى ولقنصـل فـرنسا على السواء ٠

وازاء هذا المأزق ، فان الباشا لم يكن يعلـم الى أى تطـرف قد سـاقه القنصل ، حتى يضطهدنى هذا الاخير ٠ كما وأن الباشا قد وجد نفسه عاجزا عن حمايتي ، غير أنه كان يعتبر أن أسلم آجراء ينصحنى به ، هو مغـادرتى طرابلس الغرب (6) ، وبالنتيجـة فـان القنصـل سيكـف عـن مضـايقتى واضطهادى ٠

وعليه تكفل الباشا بالتجائى الى باخرة امريكية ، كانت راسية فى الميناء ، ومن الغد أرسلنى الباشا ، أنا خادمه الشخصي ، الى الباخرة صحبة أوراقى وبعض الضروريات ، ووفد يتـألف من ضـابطيه الـرئيسيين ، ليعلمنى عن أسفه للاحداث التى جرت ٠ وكان ذلك بمحضر عدد من الضباط الامريكيين ٠ وقد رست بى الباخرة بمدينة ماهن (Mahon) باسبانيا ٠

---

(6) ان الظروف التى غادر فيها حسونة طرابلس تبين حسب الروايات الغربيـة ان الباشا الـذى حقد عليه فى تلك الايام قد جد فى العثور عليه ، ولم ينصحه بمغادرة طرابلس الغرب . ورواية حسونة حول ظروف هروبه ، تضاف الى ملف هاته القضية الشائكة !

اعلم مجلسكم الموقر ، انه بالرغم من مغادرتى البلاد ، فان السيد ورنقتن ما فتىء يضايق الباشا ، كما ووجد فرارى من قبضته ، سيمكننى من جلب عطف أصدقائى باوروبا لقضيتى ٠

ان هجومات القنصل ستعرض بطرق اخرى ، ليبرر سلوكه تجاهى من جهة ، ومن جهة اخرى ، ليعيق مسعاى فى اوروبا ، وليجبرنى على الرجوع الى الولاية لأقع فريسة لمكائده ٠

لقد انزل السيد ورنقتن علم بلاده ، واعلن الحرب باسم حكومته ضد الباشا ، مدعيا ان جلالة الباشا يمكن ان يكون فى حوزته ، وثائق الماجور لاين ، مهددا اياه فى نفس الوقت بانتقام الحكومة الانقليزية منه ٠

وعندما رأى الباشا مهاجمته من طرف القنصل ، وان هذا الاخير كان مصمما على العثور على فريسته ، أجبر الباشا لمد يد المساعدة لورنقتن فى تدبير المكيدة التى كانت تديننى ، معلنين انى تحصلت على وثائق الماجور لاين وإنى بعتها الى قنصل فرنسا ٠

انى على حق عندما أشتكى من وسائل العنف التى ارتكبت ضد اخى محمد الدغيس ، بتحريض من السيد ورنقتن ، ومن متابعة المكيدة للحصول على بيانات ملفقة ضد شخصى ٠

ان اول محاولة تمت بواسطة التهديد ، كانت للحصول على تصريح خطى من أخى محمد ، يثبت أنى أملك وثائق الماجور لاين ٠ وقد امتنع أخى بكل تأكيد عن الادلاء بمثل هذا التصريح ٠ غير ان تصريحا ملفقا قد احضر من ذى قبل ، واجبر أخى محمد بالعنف على امضائه ؛ الا انه بعد ذلك أعلن للجميع انكاره التصريح المذكور ٠

أرسل الباشا الى أخى محمد عاتبا اياه ، انكاره ما صرح به الباشا نفسه ؛ وعليه فان الباشا يرغب على اية حال ، ان يؤكد ما أملى عليه ؛ كما ويأسف كثيرا الى اتخاذ هذا الاجراء الذى اجبره عليه القنصل ٠

طوق الجنود اثر ذلك منزل محمد الدغيس ، وأجبر على امضاء بعض الوثائق ، ثم احضر بعد ذلك ، الى دار القنصل ، حيث استعمل معه وسائل التهديد ، وانه سيجلب سخط الباشا عليه اذا لم يجب بالايجاب وبحضور عدة قناصل ، على سلسلة من الاسئلة التى أعدت لهذا الغرض من ذى قبل ٠

غير ان محمد الدغيس بعد عمليات العنف التي تعرض لهـا ، سجـل في الحين احتجاجه وعدم موافقته على تصريحاته ، وكان ذلـك بـدار القنصليـة الفرنسية (7) ٠

وفي مثل ظروف التحقيق هاته ، فاني مستعد ان أدلي بتفاصيل كثيرة ٠

ان عددا من سكان مدينة غدامس ، قد وصلوا بعد ذلك الى طرابلس الغرب من مداخل البلاد ، وأجبروا بالقوة على الادلاء ببيانات لايقاعي ، مـدعين أن وثائق الماجور لاين كانت قد وقعت في حوزتي ، واني مستعد أن أدلل على ذلك لو يخول لي اجراء تحقيق في المسألة ٠

ويتبين من هذا أنه لا توجد بيانات كافية ضدي ، على الرغم من الوسائل التي اتخذت لذلك ٠ ولهذا فقد اقترح الحصول على بيانات من زروق ، موزع البريد ، الذي ادعى انه سلمني وثائق الماجور لاين ٠

إنه صحيح وجود رجل كان موزعا للبريد ، يعرفني جيدا ، نظرا للخدمات التي كان يؤديها لي ٠ ولكي يشخص هذا البريدي فقد جيئ برجل ما ، من مكان قاص ومن قبيلة مشينة وأمر بتقديمه ، وقد حلـف هـذا المـدعى انه سلمني وثائق الماجور لاين ٠ وعلى هذا الاساس ، اذا أخذتم بنظـر الاعتبار الاقتراحات التي أعرضها عليكم ، فاني اطلب منكم التحقق في هذا الشخص بطرابلس الغرب ، أمام كل القناصل وأن تحضروه الى آنقلترا ٠

اني اعتقد يقينا ، ان السيد ورنقتن مدرك تماما للتدليس والاحتيال والجرم الذي اتخذه للحصول على بيانات ملفقة ضدي ، وانا مستعد ان اثبت بالدليل ان القنصل قد رشا الآن خدمي لاتهامي كذبا ٠

ان القنصل يستطيع فقط ان يعلل سلوكه لحكومته تجاهي بشرح البيانات المتأتية عن اجرامه ٠ ان تقريره المذكور قد عزز بعـدد كبيـر من الاكـاذيب الموضوعة ، ولكل ما يمت الى بصلة ، فان مضمونه قد اذيع مع علمي يقينا ، ان ذلك قد تم بمصادقة ورضى بعض الاشخاص العاملين بوزارة المستعمرات البريطانية ٠ وقد ظهر ذلك في المجلة الفصلية لمارس 1830 ٠

ان المقال السابق الذكر في المجلة المذكورة ، يمكن ان يعد على اية حال ،

---

(7) راجع الوثيقة رقم 1 ص ٠ 277 — 290 . والتي فصلت كل هاته الحوادث مستندة الى الوثائق الفرنسية والانقليزية . كما أننا نلاحظ أن رواية حسونة هنا لامجال للقدح فيها ، اذ عكست حقيقة ما جرى .

تقريرا رسميا للاسباب التى حملت وزارة المستعمرات على تأييد سلوك قنصلها فى هاته العملية المخزية ٠

ان كلا الفريقين ، سعى الى اثبات ان بعثة الماجور لاين لم تفشل بسبب التدابير السيئة التى استند عليها الواقع ، ولكن عندما نسبت الى شخصى ، على الرغم من أن ذلك لا يمت الى بصلة ٠

وبالنظر الى هذا الرأى ، فقد ذكر السبب الذى يذهب الى الاعتقاد ، انى كنت السبب فى موت الماجور لاين ، والمستحوذ على وثائقه ، وان كل الاشخاص الذين شاركوا فى البعثة الاستكشافية ، هم أصدقائى ٠

ان كلا الرأيين هو محض الزور والخطأ والخبث ، وان القنصل البريطانى الذى كان مصدر تلك الاخبار ، على علم تام بذلك ٠

عندما وصلت الى طرابلس الغرب لاستلم مقاليد الحكم ، كانت بعثة الماجور لاين الاستكشافية قد سارت منذ اشهر عديدة ؛ وبالنتيجة فانى لم أعين الاشخاص الذين رافقوا البعثة ، ذلك لانى فى الحقيقة ، لم أستفسر فى الامر ، ولا أن أولئك الاشخاص ، كما يدعى القنصل ، هم أصدقائى ، اذ لا أعرف أحدا منهم ، ما عدا الرئيس بابانى الذى كانت تربطنى به معرفة بسيطة ٠

لقد ادعى فى المقال الصادر عن المجلة المذكورة ، ان بابانى قد تعين لمرافقة البعثة بايعاز منى ، وانه كان خائنا ، وان الماجور لاين قد اكتشف خيانته ٠

انى أعتقد ان كل هاته الادعاءات ليست من الحقيقة فى شىء ؛ ذلك انه بالرجوع الى الروايات الرسمية التى وصلت الينا ، تذكر ان بابانى قد توفى اثر الاصابات التى لحقته ، وهو يدافع عن الماجور لاين ٠

لقد ذكر فى المقال السابق ، انى عينت شخصين ليعملا على تحريض اغتيال الماجور لاين بتمبكتو ، والحقيقة لم أعين أحدا ، ولا كان لدى ، على الاقل ، علم بذلك ٠

لا أذهب الى الاعتقاد ، أن الماجور لاين قد وقعت خيانته من طرف أشخاص غير قاتليه ، وبالتاكيد لم يتم ذلك على يد الشخصين المذكورين ؛ ذلك انه بالرجوع الى معلوماتى ، أن أحدهما لم يكن أبدا قريبا ولا كان داخل خط الاستواء بدرجات لمدينة تمبكتو ؛ اما الثانى فحسب ما أعتقد هو رجل ثقة وهو السيد عبد القادر ، الذى نقل الى طرابلس الغرب ، ظروف الرواية التى حفت بموت الماجور لاين ٠ وقد أقام هناك مدة طويلة رابطا العلاقات مع النقصل البريطانى ٠

ومع ذلك فان هذا الاخير لم يشك مطلقا فى نزاهة وأمانة روايات عبد القادر ، ولا أثير اى شك أو تلميح لخيانته للماجور لاين ، أو تحصل على وثائقه وسلمها الى القنصل •

ادعى القنصل بعد ذلك ، أنه يؤمل الحصول على وثائق اخرى من عبد القادر ، وأن هذا الاخير قد وجهها الى من غدامس • ولو كان هذا صحيحا اى مشكوكا فيه ، لأمكن ايقاف عبد القادر ، والتحقق من المسألة بطرابلس الغرب •

ان سلوك القنصل الغريب هذا هو الدليل على انه كان مصدر كل الاتهامات ، كما سبق لنا شرحه ، وأنه دبر تلك المكيدة ، موفيا بأغراضه الشريرة •

أما فيما يخص اتهامى ببيع الوثائق المذكورة الى القنصل الفرنسى ، فانه من الواضح ان مثل تلك الصفقات لم تتم مطلقا ، وهذا مما أثبتته اللجنة التى شكلتها الحكومة الفرنسية بطرابلس الغرب (8) •

ان هذا الاتهام الذى رمانى به القنصل قد تحول ايضا ضد القنصل الفرنسى ؛ وبالرجوع الى تقرير اللجنة الفرنسية للقضية فان براءتى كانت واضحة ؛ وهذا ما اكده وشهد لى به ، وزير الخارجية الفرنسى السيد سيبستيانى (SEBASTIANI) وأنا مستعد ان اثبت ذلك الى مجلسكم الموقر (9) ، وبالاضافة الى ذلك فانا على استعداد لبيان اى الصفقات التى تمت بينى وبين القنصل الفرنسى قبل ظهور هاته الوشاية •

---

(8) راجع تقرير اللجنة الفرنسية الكامل منشورا اعلاه وهى الوثيقة رقم 1 ص . 290 ـ 277 .

(9) .F.O؛ 76/36: فيما يلى نص رسالة الوزير الفرنسى للشؤون الخارجية الى حسونة الدغيس ، مترجمة عن الفرنسية ، وهى بتاريخ 9 ماى 1831 :

« أرى من الرسالة التى تفضلتم بايفادها الى بتاريخ 16 من الشهر الماضى ، أن ردى على الرسالة التى ارسلتموها الى سابقا ، لم يقرر لديكم ، بصفة نهائية ، تبرئتكم . تلك التبرئة التى تودون رفعها الى الحكومة الانقليزية لتبرير موقفكم من هاته القضية ؛ كما وأنكم ترغبون فى الحصول على ملخص من التقرير الذى رفع الى الحكومة الفرنسية والتى وضعته اللجنة التى كلفت بالتحقيق فى الاتهامات الموجهة ضد السيد روسو ، القنصل العام بطرابلس الغرب .

ان رئيس اللجنة السيد البارون مونيى (Le Baron Mounier) ، والذى بواسطته ، قد استلمت طلبكم الجديد ، يذكرنى أنه على الرغم من أن أعضاء اللجنة لم يكلفوا مباشرة ، بدرس قضيتكم ، ولا هم مجبورون بالنتيجة ، على الادلاء برأى نهائى فيما يخصكم ، فانه يستنتج من المناقشة التى أجرتها اللجنة فيما بينها ، أن وثائق الماجور لاين لم تقع فى أيديكم وانكم كنتم ضحية اتهام باطل .

ذلك هو الرأى الذى أستخلصته من تقرير اللجنة ، مع العلم أن نصا كاملا من هذا التقرير قد سلمته الحكومة الفرنسية ، الى حكومة جلالة ملكة بريطانيا ، وعليه لا أجد صعوبة فى تسليمكم ملخص التقرير المذكور » .

لقد تصنعت الحكومة الانقليزية جهلها ، استلام تقرير اللجنة الفرنسبة ، والذى يؤكد بصورة لا مجال للشك فيه ، براءة حسونة الدغيس !!

لا أساس من الصحة لوشايات ورنقتن ضدى ، وأن لا تفسيـر لذلك غير حقده وخبثه ، اذ لا دوافع ولا منافع ولا رغبة لى ، فى المجازفة بثروتى وسمعة مركزى ، باقتراف مثل تلك الجنايات ؛ وأن نجاح تلك الاعمال سيؤدى حتما الى خسارتى •

أن هدف حياتى الوحيد ، من حكمى للبلاد ، كان العمل على تشجيع حرية التجارة وبث الحضارة بين المواطنين لنخلق منهم مجتمعا أفضل وأنبل • وهذا فى اطار الوظيفة والمسؤولية التى عهدت الى •

لم يجرؤ أحد على الحاق شرفى بأى تهمة قبل السيد ورنقتن ، الذى كانت له مقاصد وأغراض شخصية •

يوجد عدد كبير من الناس بلندن هم على استعداد لتقديم شهاداتهم بأمانتى ونزاهتى ؛ وأعتقد أن القنصل يعلم أن لى أصدقاء بانقلترا وأنه بالنتيجـة لا يرغب فى تحولى الى هناك ، لغرض اعاقتى •

إن القنصل قطع وسائل رزقى ليجبرنى على الرجوع الى طرابلس الغرب ، مجردا من أى نفوذ • وقد لام بشدة أخى وعدة اشخاص آخرين لتسليمهم الى بعض المال ، مكافئة على عملهم الانسانى • كما وألح بهمجيـة على مصـادرة أملاكهم • وأنا مستعد أن أبين أن تلك المصـادرة قـد تمـت بالـوسيلة التى ذكرتها آنفا ، وبرغبة ورنقتن •

ان تأثير تلك المصادرة أدت إلىضياع تلك الموارد وهلاكها تماما؛وأنا انتظر تـدخـل المـورد قـودريـك (Lord GODERICH)وسوف أكون ممتنا اذا أظهر سيادة الوزير قرار عدله فى هاته القضية ؛ وحتى الآن لم يجرؤ أحد على شراء أراضى أو منازلى الموجودة ، خشية مصادرتها مرة ثانيـة ، نتيجـة طبيعـة القنصل البريطانى الشاذة •

لقد أخبرت ان الثورة والتمرد قد اندلعت بطرابلس الغـرب ؛ وفى تلك الوضعية ، من هو الرجل الذى بفضل سلوكه النبيل ، عمل على تغيير ظروف بلاده متخذا القانون رائدا له تارة ، وطورا ، سلوكـه الشـريف ليقـوم على تجريدى من حقوقى فى خدمة ملكى ؟ غير ان هذا قد تم على يد وكيل الحكومة البريطانية الجاهل والمفسد •

لقد عمل القنصل البريطاني على تهجيري من بلادي وعائلتي ؛ وأدى ذلك الى ضياع ثروتي وصحتي ٠ وقد حاولت ، ولكن بدون جدوى ، المطالبة باهتمام عادل من وزارة المستعمرات البريطانية لهاته الوضعية ٠

لقد اتصلت بمكاتبة من وزير المستعمرات البريطانية السيد جورج موراي (Georges MURRAY) عندما كنت مقيما بفاس بالمغرب الاقصى ٠ وقد دعاني على القدوم الى انقلترا للدفاع عن سمعتي من هاته الوصمات الحمقاء ، والتي ما فتيء القنصل البريطاني ينسبها إلى ٠

ولما وصلت الى انقلترا ، وجدت أن السيد جورج موراي قد أقيل من منصبه كوزير ٠ وعليه تقدمت اثرها الى وزارة المستعمرات لأبسط عليها كل التفاصيل ، التي أمكنني الحصول عليها حول بعثة الماجور لاين الاستكشافية ، مدللا على براءتي من الاتهامات التي لحقتني ٠

وبناء على ذلك عرضت على وزير المستعمرات كل المعلومات التي تحصلت عليها ، بمشقة كبيرة ، مبررا سلوكي في هاته القضية ، وملقيا الضوء على سلوك السيد ورنقتن الذي هو أصل المشاكل ٠

وقد بينت أنه من غير التروي ، أن يتهم القنصل باكثر ما يمكن ان يجنبه اعتذاره ٠

الا ان وزارة المستعمرات لم تلق اي اهتمام لمذكرتي ، وأصبح من العسير ، على الاقل ، انصافي من المظالم التي لحقت شرفي وثروتي في بلادي ، هذا البلد الذي أصبح الآن موصوما بهاته البلية ٠

ومنذ ذلك الوقت ، اتخذ القنصل من عرض المذكرة ، السبب في إثارة العصيان والحرب الاهلية بولاية طرابلس الغرب ؛ هادفا بذلك كما أعتقد ، هلاك أفراد عائلتي وأصدقائي ، بما فيهم صهري الباشا ، وليقيم مكان هذا الاخير على العرش ، مغامر يسانده بعض الاعراب الهمج ٠ والقنصل بهذا يعمل على خلق سلطة عسكرية مطلقة ، ليحول بها كل الاشخاص الشرفاء على الاقامة بطرابلس الغرب ٠

ان هذا الاجراء من شأنه أن يبيد كل معالم الحضارة في هذا الساحل ، وفي البلاد المتاخمة لافريقيا ٠ وبالاستناد الى هاته التحقيقات فاني أرفع الى نظر مجلسكم الموقر الحقائق التالية ، مع ملاحظة أني مستعد ان أدلل على صحتها ٠

ان القنصل كان على علم منذ زمن بعيد ، ان يوسف باشا قرمانلي قد أدقع ، وان صكوكه وتذاكره المالية ، قد انخفضت قيمتها انخفاظا كبيرا · وادعى القنصل خلال ربيع 1832 ، أنه مقتنع ومتأكد أن الباشا يملك خزنة مالية كبيرة ، مع علمه ببطلان ذلك · وعليه طالب القنصل الباشا ، بتسديد ديونه بالقوة ؛ ونتيجة لذلك كتب الى حكومته ملتمسا ارسال قوة بحرية كبيرة لهذا الغرض ·

وبعد فترة زمنية ، وصل ربان السفينتين دنداس (DUNDAS) وقراي (GREY) على رسه باخرتين ، وطالبا الباشا تسديد ديونه البالغ قيمتها 230·000 دولار ، باسم الحكومة البريطانية ، على أن يسدد ذلك خلال 48 ساعة ·

لقد حدد القنصل ذلك المبلغ ، على أنه مطالب من طرف الحكومة البريطانية· وقد أكد ذلك رؤساء الربان البريطانيون ، ليكسوه صبغة شرعية ·

غير أنه بعد وصول الباخرتين بقليل ، رفض الباشا امضاء شهادة تثبت انه مدان للحكومة البريطانية بما قيمته 161·000 دولار ، وحدد ذلك بـ 140·000 دولار وختمها بمهره ·

وفي هاته اللائحة الاخيرة ، كان يوجد عدد كبير من المطالبين بديونهم ، وهم ليسوا بمواطنين بريطانيين ، وكان ينبغي عدم انضمامهم الى تلك اللائحة·

وقبل وصول الاسطول البحري ، كان الباشا قد سدد قسما كبيرا من مبلغ 140·000 دولار ؛ غير ان طلبا آخر قد رفع اليه بما قيمته 230·000 دولار ، وانذر ان المدينة ستتعرض الى الهجوم ، اذا لم يسدد ذلك المبلغ خلال 48 ساعة ·

تضايق الباشا من اجل ذلك مضايقة شديدة ؛ وقد علم اهل طرابلس الغرب باستحالة دفع المبلغ المطلوب ، وانهم سيجابهون هذا الابتزاز بكل خوف · واتقاء لقذف المدينة ، وتفاديا لوسائل العنف ، سعى الباشا بجمع 100·000 دولار ، وهو مبلغ اكثر بكثير من الدين الذى عليه · وقد تعهد كثير من الناس تسليم قيمة محاصيلهم المقبلة ، حتى يجنبوا خراب منازلهم وهلاك عائلاتهم ·

لقد اقترح فرض جباية على بعض القبائل المرابطة ؛ غير ان الباشا احتج ، ولكن بدون جدوى ، اتخاذ هذا الاجراء ، معتقدا ان ذلك سيؤدى الى الثورة ·

ان الطلبات التى بت فيها نهائيا ، وكذلك طلبات بعض الوكلاء الدائنين ، لم يكن لينظر فيها مرة اخرى ٠

لقد جمع الباشا كل ادوات مائدته الذهبية وبعض الاشياء الثمينة الاخرى ، كما واقترض من أناس آخرين ، ليتمكن من الحصول على مبلغ ضخم يدفع الى وكيل القنصل البريطانى لتصفية ديونه ٠ وحسب آعتقادى أن تلك المبالغ لم تدفع الى أصحابها ؛ وعلى الرغم من ذلك ، أنزل العلم البريطانى واندلعت فجارة الثورة ٠

ان سبب هذا العصيان ، مأتاه فرض الجباية على القبائل ٠ وقد تحول ذلك الاجراء الى مقاومة الباشا كما ذكرت سابقا ، ولم يقع تنفيذه مطلقا ٠ وعليه خلع الباشا وخلفه على ، ابنه الاكبر والشرعى ، الذى بويع على رؤوس الملا ٠ وقد استدعى هذا الاخير كل القناصل الاوروبيين لقبول حمايته كما وترجى منهم تأييد حكوماتهم له ٠

لقد لبى كل القناصل دعوة الباشا الجديد ، ما عدا السيد ورنفتن ، الذى على العكس من ذلك ، قد انضم الى الثوار ولازمهم كل أوقاته فى معسكراتهم وقلاعهم ، مقدما لهم نصائحه ومحرضا إياهم على العصيان ومسهلا لهم العمل، بما وفره لهم من أدوات الحرب ، كما وانه اعلم الحكومة البريطانية ، أن طرابلس الغرب سوف تسقط بسرعة فى يد الثوار ٠

وحتى يومنا هذا ، أعلم ان القنصل ما زال ملازما الثوار ، وهو فى هذا مخالف أوامر حكومته ٠ وقد أمدهم بكل انواع الاعانة ، وهو فى مثل هاته الظروف ، الشخص الوحيد الذى وعدهم بالنصر والنجاح ، كما ويعمل فى نفس الوقت على إعاقة على باشا ، على استتباب الامن بالولاية ٠

انى آمل من مجلسكم الموقر أن يمنح تأييده لى ، لكل ما ذكرته من تصرفات القنصل ، وأن ينظر بعين الشفقة لحالة دولة طرابلس الغرب ، والى آلامى الشخصية ، وأن يجد علاجا لذلك ، كما هو مؤمل تحقيق وتلبية ذلك ٠

محمد حسونة الدغيس

الوثيقة رقم 5 (1)

هذا والمنهى الى المولى دام فضله وعم الانام وبله ، هو أن اكثر حرصه عبده مظهر أفندى على تأسيس الجرنال (2) الفرنساوى مخابرة أهالى الاوروبة وجلب جرنالاتهم (3) للاعتاب العلية ، حاصل له من أوجه لا تخفى على علم السيادة ومعدن الجود والافادة ، او الاقرار بالنعمة التى اولتها له الدولة العلية والسلطة الزكية والعز الذى طوقته به ، وأداء لما يجب لها من الحقوق على كل مسلم ، من تبليغ نصحه للمسلمين ، وأولى الناس بذالك (كذا) خلفاء الله فى أرضه ، القائمون بسنته وفرضه ٠

ثانيا : لما رأى من اقبال الوقت وامكان مساعدة الاقدار ، فى جلب أهالى الاوروبة ، بهاته الطريقة ، حتى يتبين لهم ما عليه الدولة العلية المطهرة الزكية من الحقيقة ، وتتشبث بأذيالها وتطرح ما كانت راغبة من الميل للملحد المخالف ، وبذالك (كذا) يتيسر الطريق ويسهل الوصول لنرجع الديار الشامية بطريق المعاطات والمحاربة المعنوية الحسية (4) ، وتوقيف الباغى عند حدوده ، وتضعيف قواه ٠ وهذا كله راجع الى السلطنة الخاقانية وخليفة رسول الله عليه افضل الصلاة وأزكى التحية ٠ ويندرج ايضا ذالك (كذا) ترجيع الجزائر واستنقاذها من يد العدو الكافر ، خصوصا عندما وقعت له الهزيمة العظيمة ومد الله الاسلام بتأييده ونصره (5) ٠

---

(1) **B.A.** ؛ **HH.** 52522؛ هاته الرسالة بالعربية وبدون أمضاء ويبدو انها حررت فى اواخر سنة 1836 .

(2) هى الكلمة الفرنسية (Journal) اى الصحيفة .

(3) جمع journal.

(4) من المعلوم أن محمد على والى مصر قد احتل الشام فى الاربعينيات من القرن الماضى وحسونة هنا يلمح الى ذلك .

(5) هى الهزيمة التى الحقها الحاج أحمد باى قسنطينة لجيش فرنسى بقيادة الجنرال كلوزال ، عندما عزم هذا الاخير على الاستيلاء على مدينة قسنطينة ، وكان ذلك فى شهر نوفمبر 1836 .

فاذا قد اوجب الحال شرعا وطبعا ، فتح باب المعاطـات وتحضيـر مـواد البوليتقة (6) ، والامر هين بحول الله وقوته ، وهمة سلطاننا خليفة الله فى العالم ؛ ويضمحل تسلط الروسية وعتوها ويندرج تحت ذالك (كذا) أيضا تأسيس التعريفة مع الانكليز على الوجه الذى يعم نفعه الاسلام ، ولا تتعرض الدولة العلية لخطر من الاخطار البتة ، ويحصل لها نفعان ظاهران ٠ الاول : ما يتوفر للخزائن العامرة وتتوفر متـاجر الاسـلام ٠ والثانى : كبـر صيتهـا وعظمتها ، وأخذها حقوقها بلا منـازع على حسب هـذا التأسيس والغـرض العيس (كذا) مع اهتمام سادتنا ذوى الفضـل والفكـر الثـاقب والـراى الصائب ، لا يعسر بحول الله وقوته ، وليس قول الحقير وتمهيـده لـذالك (كذا) رغبة في الوظيفة أو الحطام الفاني، بل رغبة التشبث باذيال هذا المقام العالى وانتظامه فى مسلك ذالك (كذا) العقد النفيس ٠ وان كان عاجزا او قاصرا عن ادراك معانى تلك الاخطار ، فانه بحول الله وقوته ، بانضمامه لخدمة الدولة العلية ، مد الله ظلها على الانـام ، لا يعـدم سبيـلا لتلـك الاغـراض الحميدة ، والمقاصد السنية ، وبهمة سادتنا الكرام و ٠٠٠ (7) ٠٠٠ يحصل ان شاء الله المطوب ويدرك المرغوب والحقير يلتزم ويتحمل بما قرره أخوه (8) مظهر أفندى ، ان فوض له على مقتضاه ، ويبرز اللوائح المشار اليها ، من القول الى العمل والنظر السديد لعالى جنابكم والدعاء من مقبل تراب نعلكم الحقير ٠

محمد حسونة الدغيس

---

(6) كلمة فرنسية معناها السياسة .

(7) كلمة غير مقروءة .

(8) يفهم من كلمة أخ هنا ، الصديق الحميم !

الوثيقة رقم 6 (1)

عندما هب ريح النصر والظفر للاسلام وايد الله الحاج احمد بك (2) على الكفار وحصلت للملة الفرنساوية غيـرة ، اوجبت عليهـا ثارها ، واخـذت في تجهيز عساكرها لنحو ذالك (كذا) الظرف ، ولو أن المعارض موجود من قبل العامة وفى نفس الدولة ، لاكن (كذا) العار الحاصل للملة يحملهم على ارتكاب تلك الاخطار والمشاق ، وعلى كل حال لا يحصل للفرانسيس من ذالك (كذا) نفع البتة ، الا تلف الاموال والرجال ٠

فبحسب ذالك (كذا) ظهرت للحقير أفكار واجبة على كل مسلـم شرعـا وطبعا ، أن يبذلها وأن لم يكن أهلا لها ، وهى أن الوقت هاذا (كذا) هو الذى تمكن فيه المعاطات فى استنقاذ الجزائر واياالتها ، ورفع حجـاب الحمـاية عن مصطفى باشا والى تونس (3) وبه يتم الامر لان الاسباب متهيئة والمواد حاضرة بطريق البوليتقة الدائرة بين أهالى الاوروبة ، مؤسسة على قواعد لا تخرم ، موضحة بالادلة والبراهين ٠ وبحول الله وقوته وبمهمة الدولة العلية المطهرة الزكية ، يتم هاذا (كذا) المرام الذى يعم نفعه الاسلام وينتشر فى مشارق الارض ومغاربها ، احكام ظل الله فى العالم ، وتنكسر شوكة الكافر والملحد والظالم ٠ فان طولب الحقير بتفصيل هاته المعاطات ووجهها وكيفيتهـا ، فانـه بحول الله وقوته يبذل ضعيف جهده ، ولا يعدم وجه الصواب ان شاء المـولى تعـالى (4) ٠

---

(1) .HH. 52500 B.A، هاته الرسالة بالعربية ، وبدون تاريخ ويبدو انها حررت فى اواخر سنة 1836 .

(2) راجع الملاحظة رقم 5 من الوثيقة السابقة . أما كلمة بك ، فهى الرتبة الادارية التى تعهد لوالى قسنطينة فى العهد التركى ، وهى ما أصطلح عليه بالباى .

(3) يعتبر حسونة ، مصطفى باشا والى تونس ، خاضعا للنفوذ الفرنسى ، والجدير بالملاحظة هنا ، أن بعض القادة المغاربة أمثال حسونة وحمدان خوجة لا يعدمان نفاذ رأى ، وأطلاع واسع لكـل ما يجرى خفية ، بتونس وطرابلس الغرب والجزائر .

(4) ان حسونة الدغيس الذى تولى ادارة جريدة تقويم الوقايع باللغة الفرنسية بأستنبـول ، قـد أظهر بآقتراحاته هاته ، انه شخصية متفتحة ومثقفة ومدركة لدقائق الوسائل السياسية والتى تستعمل دوما كمحور للمفاوضات الدبلوماسية بين الدول بأوروبا .

الوثيقة رقم 7 (1)

... هاذا (كذا) ولا يخفى على المولى دام وجوده واكبت حسوده ان عبده المرحوم مظهر أفندى كان من جملة سعيه فى تأسيس الجرنالات ، ومخابرة اهالى الاوروبة ، وجلب جرنالاتها ، جلب بعض اهل الحنكة والتجربة لهاذا (كذا) الغرض .

فقد جلب من باريس رجلا فرنساويا حنكه الدهر عالما بالحوادث ، وله خبرة ودراية بالبوليتقة الوقتية ، لمخابرة جرنالات فرانسة . وقد صرف عليه من باريس ما بلغه لدار الخلافة العلية . ووفد اليوم مدة شهرين . فهاذا (كذا) الرجل بعد وفاة عبدكم المرحوم ، تعلق بأذيال الحقير فوجب عليه اعلام الحضرة السنية ، ليكون على بصيرة فيما يصنع من شأنه ما يلزمه لاقامة بنيته ، واستيفاء مصرفه ، فعلى ما تأمر به الحضرة السامية ، يكون عليه العمل ، وكذالك (كذا) الجرنال الفرنساوى متوقف على اذن السيادة ، لان مواده حاضرة اليوم مدة شهر لم يطبع والخدمة الذين بالمطبعة ، معاشهم متوقف ، فوجب على الحقير اعلام السيادة بكل ذالك (كذا) لتحيط الحضرة العلية السامية علما به والدعا (كذا) بالبقاء والعز والارتقاء (2) .

---

(1) H.H ، 52522 B.A.، هاته الرسالة بالعربية وبدون تاريخ ويبدو انها حررت فى اواخر سنة 1836 .

(2) يعد حسونة الدغيس من المؤسسين الاوائل ، للصحافة الفرنسية بأستنبول .

المصادر العربيّة

المصادر الأجنبيّة

الفهارس

أ ــ المصادر العربية

أبي الضياف ، أحمد ، **من اتحاف اهل الزمان فى اخبار ملوك تونس وعهد الامان** ، ج. 5 ، تونس ، 1964 .

البيطار ، الشيخ عبد الرزاق ، **حلية البشير فى تاريخ القرن التاسع عشر،** 1213 ــ 1335 ، ج. 3 ، تحقيق محمد بهجة البيطار ، مطبوعات المجمع العربى بدمشق ، دمشق ، 1961 ــ 1963 .

إلتر ، عزيز سامح ، **الاتراك العثمانيون فى افريقيا الشمالية** ، ترجمة عبد السلام أدهم ، دار لبنان ، 1969 .

التميمى ، عبد الجليل ، **السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسى للجزائر** ، 1827 ــ 1847 ، وهى ترجمة لأطروحة الاستاذ أرجمنت كوران من التركية ، مطبوعات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالجامعة التونسية ، تونس ، 1970 .

التميمى ، عبد الجليل ، **فهرس الدفاتر التركية والعربية بالجزائر** ، النص العربى والفرنسى ، تحت الاعداد في انتظار نشرهما قريبا .

التميمى ، عبد الجليل ، **ثلاث رسائل للحاج أحمد باى قسنطينة الى الباب العالى** ، مجلة تاريخ وحضارة المغرب ، عدد 9 ، ص. 7 ــ 29 ، الجزائر ، 1970 .

جوليان ، شارل أندرى ، **تاريخ آفريقيا الشمالية** ، تعريب محمد مزالى والبشير بن سلامة ، 416 ص. ، تونس ، 1969 .

سعد الله ، أبو القاسم ، **تاريخ الجزائر الحديث ، بداية الاحتلال** ، مطبوعات معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، 1970 .

سلامة ، ب ، **ثورة على بن غذاهم** ، ص. 215 ، تونس ، 1967 .

الصلح ، عادل ، **سطور من رسالة** ، تاريخ حركة استقلالية قامت فى المشرق العربى سنة 1877 ، بيروت ، 1966 .

قراشن ، **وثائق تونسية** ، **ثورة آبن غذاهم** ، ص. 379 ، تونس ، 1967 .

كوركت ، بسيم ، **الوثائق العربية فى دار المحفوظات بمدينة دوبرونفيك** جزءان ، 1960 ــ 1961 ، سراجوفة (يوغسلافيا) .

المصـادر الأجنبيـة (1)

ABUN-NASR, M. Jamil, *The Tijania*, Oxford, 1965.

AGERON, Charles-Robert, *Abd-el-Kader, Souverain d'un Etat arabe d'Orient*, in, Mélanges André *Fugier*, Cahiers d'histoire, t. XIII, n° 1-2, pp. 19-26, Grenoble, 1968.

AGERON, Charles-Robert, Abd-el-Kader, *Souverain d'un royaume arabe d'Orient*, in, R.O.M.M., pp. 15-30, numéro spécial, Aix-en-Provence, 1970.

AGERON, Charles-Robert, *Les Algériens Musulmans et la France* (1871-1919), 2 tomes, Paris, 1968.

BAYSON, Cavid, *Mustafa Rešit Paša, Paris ve Londra Elçikleri esnasinda siyasl yazilari* (La correspondance politique de Muṣṭafā Rashīd Pāshā alors Ambassadeur à Paris et à Londres), in, Tarih Vesikalari, n° 1-13, Istanbul, 1940-1949.

BAYSON, Cavid, *Cezavir meselesi ve Rešid Paša' nin Paris elçiliği* (La question algérienne et l'Ambassade de Muṣṭafā Rashīd Pāshā à Paris), in, III. Turk Tarih Kongresi, pp. 375-379, Ankara, 1948.

BERNARD, Augustin, *Un mémoire inédit de Pélissier de Reynaud*, in, Mémorial Henri Basset, t. XVII, pp. 69-82, Paris, 1928.

BOYER, Pierre, *La conquête de l'Algérie*, in, initiation à l'Algérie, pp. 125-140, Paris, 1957.

BOYER, Pierre, *La vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention française*, Paris, 1963.

COLOMBE, Marcel, *Contribution à l'étude du recrutement de l'odjak d'Alger dans les dernières années de l'histoire de la Régence*, in, R.A., pp. 166-183, Alger, 1943.

DEVOULX, Albert, *Le Reis Hamidou*, Alger, 1859.

DRIAULT, Edward, *La question d'Orient*, 8ème édition, Paris, 1918.

---

(1) أثبتنا هنا المصادر المطبوعة • أمـا دور الوثـائق التـركية والفـرنسية والانقليزية ، فقد ذكرناها بالتعاليق لدى رجوعنا إليها •

EL-MOKHTAR Bey, *Du rôle de la Dynastie Husseinite dans la naissance et le développement de la Tunisie moderne*, 5 tomes, thèse de doctorat en Droit, Paris, 1968. En manuscrit.

EMERIT, Marcel, *La révolution tunisienne de 1864 et le secret de l'Empereur*, in, R.T., n° 39, pp. 221-239, Tunis, 1939.

ENGELHARDT, Edward, *La Turquie et le Tanzimat*, 2 vol, Paris, 1884.

ESQUER, Gabriel, *Correspondance du Duc de Rovigo*, 4 vol, Alger, 1914.

ESQUER, Gabriel, *Iconographie historique de l'Algérie depuis le XVI siècle jusqu'à* 1870, 3 tomes, Alger, 1929.

ESTÈVE, Le Comte, *Mémoire sur les finances de l'Egypte depuis sa conquête par le Sultan Selym* 1er, *jusqu'à celle du Général Bonaparte*, in, *Description de l'Egypte*, t. 12, pp. 41-248, 2e édition, Paris, 1823.

FERAUD, Charles, *Annales Tripolitaines*, Tunis, 1929.

GANIAGE, Jean, *Les origines du protectorat français en Tunisie*, 1er édition, *Tunis*, 1959 .

GEHRING, Gilbert, *Les relations entre la Tunisie et l'Allemagne avant le protectorat français*, pp. 7-149, in, Les Cahiers de Tunis, t. XVIII, n°s 71-73, 3e et 4e trim., 1970, publié en 1971.

GENIAUX, Charles, *La Kabylie*, 1871-1917, in, Revue de Paris, juillet, 1917.

GUIRAL, Paul, et BRUNON, Raoul, *Aspects de la vie politique et militaire en France à travers la correspondance reçue par le Maréchal Pélissier*, 1828-1869, Paris, 1968.

ḤAMDĀN Bin ʿOthmān Khūdja, *Aperçu historique et statistique de la Régence d'Alger*, intitulé en arabe « le miroir » traduit par H. D... Oriental, Paris, 1833.

HOURANI, Albert, *Arabic thought in the liberal age* 1798-1939, 2e édition Oxford, 1970.

ILTER, Aziz Samih, *Šimali Afrikada Türkler* (Les Turcs en Afrique du Nord), 2 vol, Istanbul, 1936-1937.

INAL, Mahmud Kamel, *Osmanlî devrinde Son Sadriazmalar* (Les derniers Grands Vizirs de la période ottomane), Istanbul, 1940.

Initiation à l'Algérie, par MM. Alazard, Ben Cheneb et divers, Paris, 1957 .

JULIEN, Charles-André, *Histoire de l'Afrique du Nord*, revue par Roger Le Tourneau, 2e édition, Paris, 1952.

JULIEN, Charles-André, *Histoire de l'Algérie contemporaine*, Paris, 1965.

KARAL, Enver Ziya, *Osmanlî Tarihi* (L'Histoire des Ottomans), t. 7, Ankara, 1956.

LALLEMAND, Charles, *La Tunisie, pays de protectorat français*, Paris, 1892.

Le Domaine Colonial Français, par Lucien Bronzon, Jean Despois et autres, Paris, 1929.

LEWIS, Bernard, *The emergence of modern Turkey*, London, 1961.

MANTRAN, Robert, *Inventaire des documents d'archives turcs du Dal-el-Bey*, Tunis, 1961.

MANTRAN, Robert, *Le statut de l'Algérie, de la Tunisie et de la Tripolitaine dans l'Empire Ottoman*, in, Atti I congresso internazionale di Studi Nord-Africani, pp. 205-216, Cagliari, 22-25, Gennio, 1965 .

MARTEL, André, *Les Confins Saharo-Tripolitains de la Tunisie*, 2 vol, Tunis, 1965.

MARTEL, André, *Luis Arnold et Joseph Allegro, Consuls du Bey de Tunis à Bône*, Tunis 1966.

MZALI, M.S et PIGNON, J, *Documents sur Khéredine. A mes enfants, Mémoires de ma vie privée et politique*, in, R.T., 2 trim. 1934, pp. 177-225.

NOUSCHI, André, *Correspondance du Docteur A. Vital avec I. Urbain*, Alger, 1958.

PELISSIER De Reynaud, *Annales Algériennes*, 3 vol., nouvelle édition, Alger, 1854.

PLAYFER, Sir, Lambert, *A bibliography of Algeria from the expedition of Charles V in* 1541 *to* 1887, London, 1898.

PLAYFER, *Episodes de l'histoire des relations de la Grande Bretagne avec les Etats Barbaresques avant la conquête française*, in, R.A., t. 23.

PLANTET, Eugène, *Correspondance des Deys d'Alger avec la Cour de France*, 1579-1833, 2 vol, Paris, 1889.

Revue du Monde Musulman, *Autour du Monde Musulman*, in, vol. VIII, n° 5 Paris, 1909 .

RINN, Louis, *Marabouts e Khouan*, Alger, 1884.

RINN, Louis, *Histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie*, Alger, 1882.

ROUSSIER, P, *Les derniers projets et le dernier voyage de Domingo Badia* 1815-1818, in, R.A., 1930, pp. 300-374.

SAFWAT, Mohamed, *A british consul general in Tunisia, Richard Wood*, 1859-1879, in, Review of College of Arts, Farouk University, t. 2, Le Caire, 1945.

SAHLI, Mohamed, *Décoloniser l'histoire*, Paris, 1965.

SALAME, Ibrahim, *A narrative of the expedition torAlger in the year 1816 under the Command of Lord Exmouth Bey*, London, 1819.

SHALER, William, *Esquisse de l'Etat d'Alger*, traduit par Bianchi, Paris, 1830.

SULH, Adil, *Suturun min risalah* (Pages choisies d'une mission), Beyrouth, 1966.

Tarikh Musahiblari, Istanbul, 1339-1920 ; s. a..

TEMIMI, Abdeljelil, *Recherches et documents d'histoire Maghrebine*, La Tunisie, l'Algérie et la Tripolitaine de 1816 à 1871, 336 p. + 23 planches hors texte, publications de l'Université de Tunis, Tunis, 1971.

TEMIMI, Abdeljelil, *Inventaire des registres arabes et turcs d'Alger*, en cours de parution.

TESTA, I., *Le Baron de, Recueil des traités de la Porte ottomane*, vol. II, Paris, 1864.

WEISSMANN, Nahoum, *Les Janissaires*, Paris, 1964.

YACONO, Xavier, *Peut-on évaluer la population d'Alger en 1830 ?* in, R.A., 1954, pp. 277-307.

YVER, Georges, Correspondance du Maréchal Valée, 5 vol, Paris, 1955.

YVER, Georges, *Mémoire de Sidi Hamdan Khodja*, in, R.A., 1913, pp. 96-138 .

المـدخـل إلى الفهـارس

يقيم الاثر التاريخي اليوم بما يشتمل عليه من فهارس متنوعة ؛ كما ويعد الاثر التاريخي الذي يخلو من الفهارس ، تأليفا كان ذلك أم تحقيقا ، عملا غير علمي البتة ؛ ومن الغريب ان يشاهد في بلادنا العربية ، عـدد من المـؤلفين والمحققين ، لم يؤخذوا بالاعتبار هاته الحقيقة العلمية ·

لقد توخينا في كتابنا تجزئة الفهارس واثبتنا كـلا منها على حـدة ، كما وضعنا حرف ـ ت ـ بين قوسين : (ت) لنشير بذلك إلى أسماء الاعـلام أو الأماكن أو الجماعات التي توجد بالتعاليق · أما أسماء الأعلام التي لم يصرح باسمائها ، غير أن النص يشير إلى ذلك ، فقد أثبتنـاها باماكنهـا ، وذلك تسهيلا للقارىء وتماشيا مع متطلبات البحث ·

فهرست الاعلام حسب الالقاب ، إلا ما اشتهر منهـا ، حيث فهـرس على أساس شهرته ·

لقد حذفنا من الفهارس : البـاب العـالي ، السلطـان ، المسلمين ، وذلك للعثور عليها باستمرار ·

ع· ت·

فهـــرس الأعـــلام

– ت –

– ج –

– ح –

ـ ر ـ

ـ ز ـ

ـ س ـ

ـ ش ـ

فهـرس القبـائـل والجمـاعـات

فهـــرس الأمـــاكـــن

ـ ش ـ

ـ ص ـ

ـ ط ـ

ـ ع ـ

ـ غ ـ

ـ ف ـ

- ق -

- ك -

- ل -

- م -

– ن –

– هـ –

– و –

– ى –

فهرس الوظائف وبعض الأسماء الأخرى

فهـــرس الأشكـــال

صور الغلاف : الأمير عبد القادر ، على بن غذاهم ثم الصفحة الأولى من عريضة حسـونة الـدغيس إلى مجلس العمـوم البريطـانى

محتـــوى الكتـــاب

انتهى طبع هذا الكتاب
بالشركة التونسية للفنون والرسم
في 11 مارس 1972

اصلاح الاخطاء

الصفحة	السطر	الخطا	الصواب
36	6	أقام	قام
48	8	للنزال	للنزول
99	13	تلك	مسلك
103	18	أين	إني
111	10	وعدوكم	وعدوهم
112	12	17	20
119	13	العصارة	العصاة
130	14	عده	عنه
138	12	معاصرين	معاصريه
150	7	الوقف	الوقت
154	20	يحتجين	يحتجبن
159	13	لآتخاذ	لآتخاذه
167	11	بأن	بأنه
170	22	وقدمتموا	وقدمتم
180	21	وعطوه	وأعطوه
186	2	سلمتوها	سلمتموها
234	السطر الأول يصبح السطر 25		
234	11	الخطوة	الخطوط
235	7	وفق	أن
236	29	الحاج على	على خوجة
265	13	الحتضير	التحضر
273	6	ليحيط	ليحبط
281	1	آستقر	آستقى
308	15	ن	أن
317	19	المورد	للورد
319	7	رسه	رأس



الدكتور عبد الجليل التميمي

لقد بدأ الباحثون فى استغلال الوثائق التركية المحفوظة باستنبول وانقرة ، واليوم اقدم بابتهاج بالغ عمل السيد عبد الجليل التميمى ، الذى يعد اول مؤرخى المغرب الشبان، حيث ادرك عدم الاكتفاء بالرجوع الى المصادر القديمة ، بل على العكس ، اضاف الى هاته ، الوثائق التى سعى للعثور عليها ودراستها باستنبول .

ان مجموع دراساته التى يقدمها هنا ، هو الدليل القاطع على سعة وشمول وثائقه ، وسعة معرفته بهاته اللغات الضرورية لتعميق مثل هاته الدراسات حول تاريخ الجزائر وتونس الحديث .

يمكن لنا ان نعتمد فى المستقبل على السيد عبد الجليل التميمى للعمل على تقدم فن التاريخ ، وانا انتظر منه ان يقدم لنا فى القريب العاجل الحجة القاطعة على ذلك .

روبار منتران

ان الوثائق التى عمدتم الى استيفائها من مراجع شتى طالما اهملت لحد الآن لتوفر لنا عناصر مستجدة من اجل بعث صورة شاملة واشد مقار... و... لتاريخ مغربنا ؛ وقد وفقتم الى الاستفادة منها وافادة قرائكم . و... انوه هنا بما ابديتموه من وضوح فى الفكر وتوفر على الدقة والعم... استوجبتم به امتنان التاريخ وابناء اسرته .

محمد الصالح مزالى



الدار التونسية للنشر